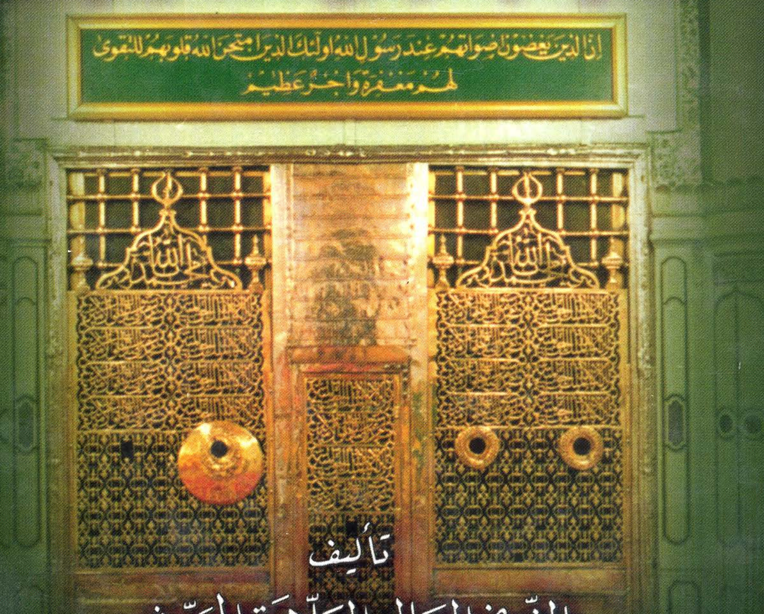
وسائل الوصول

إلى شمائل الرسول صلى الله عليه وسلم



تأليف

الشيخ العالم العلامة المحدث

يوسف بن إسماعيل النبهاني

رحمه الله تعالى

دار المنهاج



وسائل الوصول

إلى شمائل الرسول ﷺ

بسم الله الرحمن الرحيم

وَسَائِلُ الوُصُول

إلى شَمَائِلِ الرَّسُول صلى الله عليه وسلم

تأليف

الشَّيخ العالِم العلّامة المحدّث

يُوسُف بن إسماعيل النَّبهانيّ

رحمه الله تعالى

١٢٦٥هـ - ١٣٥٠هـ

دار المنهاج

دار المنهاج
لبنان ـ بيروت ـ فاكس: ٧٨٦٢٣٠
ص. ب: ٥٥٧٤/١٣/ بيروت

الطبعة الثانية
١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م

دار المنهاج للنشر والتوزيع
لصاحبها عمر سالم باجخيف
وفقه الله تعالى
جدة ـ هاتف رئيسي ٦٣٢٦٦٦٦ ـ فاكس ٦٣٢٠٣٩٢
الإدارة ٦٣١١٧١٠ ـ المكتبة ٦٣٢٢٤٧١

الموزعون المعتمدون

- السعودية: **دار المنهاج للنشر والتوزيع ـ جدة**
هاتف: ٦٣١١٧١٠ـ فاكس: ٦٣٢٠٣٩٢
مكتبة دار كنوز المعرفة ـ جدة
هاتف: ٦٥١٠٤٢١ـ فاكس: ٦٥١٦٥٩٣
مكتبة المؤيد ـ جدة ـ هاتف: ٦٨٧٧٠١٤
مكتبة المأمون ـ جدة ـ هاتف: ٦٤٤٦٦١٤
مكتبة الأسدي ـ مكة المكرمة ـ هاتف: ٥٥٧٠٥٠٦
مكتبة المصيف ـ الطائف ـ هاتف: ٧٣٦٨٨٤٠ـ٧٣٣٠٢٤٨
مكتبة الإيمان ـ المدينة المنورة ـ هاتف: ٨٢٢٥٨١٧
مكتبة الزمان ـ المدينة المنورة ـ هاتف: ٨٣٦٦٦٦٦
مكتبة العبيكان ـ الرياض
هاتف: ٤٦٥٠٠٧١ـ٤٦٥٤٤٢٤ ـ فاكس: ٤٦٥٠١٢٩
مكتبة الرشد ـ الرياض ـ هاتف: ٤٥٩٣٤٥١
مكتبة جرير ـ الرياض ـ هاتف ٤٦٢٦٠٠٠
وجميع فروعها داخل المملكة وخارجها
دار التدمرية ـ الرياض ـ هاتف: ٤٩٢٤٧٠٦
مكتبة المتنبي ـ الدمام ـ هاتف: ٨٤١٣٠٠٠
- الإمارات العربية المتحدة: **مكتبة دبي للتوزيع** ـ دبي
هاتف: ٢٢١١٩٤٩ـ٢٢٢٤٠٠٥ ـ فاكس: ٢٢٢٥١٣٧
دار الفقيه ـ أبو ظبي ـ هاتف ٦٦٧٨٩٢٠ ـ فاكس ٦٦٧٨٩٢١
مكتبة الجامعة ـ أبو ظبي
هاتف: ٦٢٧٢٧٩٥ـ٦٢٧٢٧٢٦ـ فاكس: ٦٢٧٠٧٢٩
- الكويت: **دار البيان** ـ الكويت
هاتف: ٢٦١٦٤٩٠ ـ فاكس: ٢٦١٦٤٩٠
دار الضياء للنشر والتوزيع ـ الكويت ـ تلفاكس ٢٦٥٨١٨٠
- مصر: **دار السلام** ـ القاهرة
هاتف: ٢٧٤١٥٧٨ ـ فاكس: ٢٧٤١٧٥٠
- سوريا: **دار السنابل** ـ دمشق
هاتف: ٢٢٤٢٧٥٣ ـ فاكس: ٢٢١٦١١٧
- جمهورية اليمن: **مكتبة تريم الحديثة** ـ تريم (اليمن)
هاتف: ٤١٧١٣٠ ـ فاكس: ٤١٨١٣٠
مكتبة الإرشاد ـ صنعاء ـ هاتف: ٢٧١٦٧٧
- لبنان: **الدار العربية للعلوم** ـ بيروت
هاتف: ٧٨٥١٠٨ـ٧٨٥١٠٧ ـ فاكس: ٧٨٦٢٣٠

www.alminhaj.com
E-mail: info@alminhaj.com

أسماء أعضاء اللجنة العلمية لكتاب

« وسائل الوصول إلى شمائل الرسول »

صلى الله عليه وآله وسلم

رقمه وشكله وعلق عليه

محمد نور عبد الرحمن كنجو — محمد غسان نصوح عزقول

صححه وراجعه

د. محمد عبد الرحمن الأهدل — أحمد محمد بركات — علي باقطيان

الصف والإخراج: محمد ياسر علوان

Damascus - Syria

Tel: 00963-11-2246012

Mobile: 00963-93-223327

PHOTO BY: STUDIO ONE- JEDOAH

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ



بقلم الدكتور محمّد عبد الرحمن شميلة الأهدل

(١)

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين ، وبعد :

لقد حظي تاريخ العظماء بالاهتمام البالغ على امتداد تاريخ الأمم الإِنسانيَّة ، فدوِّنت سيرهم وأَخبارهم ، ورصدت في جبين التَّاريخ حياتهم وشمائِلهم ، وأَضاءَت في سماءِ المعالي أَخلاقهم ، وٱرتوى التَّابعون من مناهلهم الرَّويَّة ، ورأَوْا أَنَّ ذلك هو المنهج الأَقوم ، والسَّبيل الَّذي لا ٱعوجاج فيه .

ولا مـراءَ أَنَّ أَعظـم عظمـاءِ الإِنسـانيَّـة علـى الإِطـلاق ، وأفضـل المصطفين . . هو منقذ البشريَّة من الضَّلالة والعمىٰ ؛ مَن جعله الله تعالىٰ الرَّحمة المهداة ، وختم به الرِّسالات السَّماويَّة : أَبو القاسم مُحَمَّد بن عبد الله ، النَّبيّ الأَوَّاه صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ .

فهو أولى أن تدوَّن شمائِله ، وأن تقرع الأسماع صفاته الخَلْقيَّة والخُلُقيَّة ، وسَمْته وهَدْيه ، وأَمره ونهيه .

(٢)

لذلك دأَب أُولو العلم علىٰ تقييد ذلك كلِّه ، وعُنُوا منذ فجر تاريخ الدَّعوة الإِسلاميَّة بكلِّ ما يتَّصل به صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ من الأُمور الشَّرعيَّة ، أو الشُّؤون العاديَّة ، وكان ذلك بطريقة استيعابيَّة ، وأُسلوب استقصائيٍّ ، بحيث إنَّ هذه المعارف الوفيرة جلَّت لنا تلك الشَّخصية الفريدة ، بكلِّ خصائِصها وسماتها ، فكانت هذه العلوم مناراً تتراءَى في ضيائه الشَّخصية المحمَّديَّة تزهو في حلل الكمال والجمال ، وينبعث من تلك الذَّات أريج الجلال والهيبة والعظمة ، وكيف لا تكون كذلك ، وقد حلَّى التَّنزيل الحكيم جيده بعقود المدح والتَّكريم ، فقال له : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ .

(٣)

ولأنَّ الرَّعيل الأَول من الصَّحب الكرام هم الجيل المثاليُّ ؛ لأنَّهم خرِّيجو مدرسة النُّبوَّة ، الَّذين تلقَّفوا الفرقان غضّاً طريّاً من فِيْ رسول الله صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، وإنَّهم كانوا أشدَّ الخلق هيبة له ، وأكثرهم أدباً معه ، وأعظمهم إجلالاً له وتوقيراً . . من أجل ذلك لم يكونوا يرفعون أبصارهم إلى محيَّاه هيبة وإجلالاً ، وإعظاماً وإكباراً .

وإِذا تأمَّلنا معظم أَحاديث الشَّمائِل التي تحكي صفاتِ رسول الله صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ الخَلْقيَّة . . نجد أن رواتها من الصَّحابة أحد اثنين :

إِمَّا من الصَّحابة صغار الأَسنان ممَّن لم يكونوا يدركون تماماً العظمة النبويَّة ، وما يجب له من الحقوق ، فيدفعهم ذلك إِلى الحملقة في الذَّات المحمَّديَّة على وجهٍ يمكِّنهم من وصفها الوصف الدَّقيق .

وإِمَّا أن يكون من أولـئك الَّذين هم قريبو عهد بالإِسلام ، أو من الأَعراب الَّذين لم يفقهوا بعد آداب الإِسلام ، وما يجب عليهم تجاه الشَّخصيَّة النَّبويَّة .

(٤)

ولا مراءَ أَنَّ الصَّحابة الكرام ما تركوا شيئاً من أخبار المصطفى صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ . . إِلا وقيدوه ، ولا شيئاً عن هيئته وسمته ولِبْسه وطعامه وشرابه وغير ذلك . . إِلا ورَوَوْه ، ولا صفة تكسب المحبة والاتِّباع . . إِلا وأَذاعوها ، ذلك لأَنَّ محبَّته عليه الصَّلاة والسَّلام . . عبادة ، والتَّأَسِّي به . . علامة على تلك المحبَّة . وقديماً قيل :

تعصي الحبيب وأَنت تزعم حبَّه　　إِنَّ المحبَّ لمن يحبُّ مطيع

ولقد حملت المحبة الأكيدة الصَّادقة أَنس بن مالك اتِّباع المحبوب فيما كان شرعاً أو عادة ، بل وفيما أَملته الطبيعة البشريَّة .

ففي « الصَّحيح » وغيره قال أَنس : رأَيت رسول الله صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يتتبع الدُّبَّاء في القصعة فما زلت أُحبُّ الدُّبَّاء من يومئذ .

وإِذا كان هـٰذا حالهم في شُؤون العادات ، فكيف يكون حالهم في أُمور الشَّرع والعبادات ؟

لا شكَّ أَنَّهم كانوا أشدَّ تمسُّكاً بالهدي النَّبويِّ ، وتطبيقه بحذافيره وكذلك كان الأمر .

وهٰذا أبو أَيُّوب الأَنصاريُّ لما رأَى رد رسول الله صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ الطَّعام الَّذي فيه الثُّوم ، كره هٰذه الشَّجرة وعاداها حتَّى الممات ، وما هٰذا إلاَّ لما أُشرب قلبه من حبِّ الصَّادق المصدوق صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فتولَّد عن ذلك التَّأَسِّي به في كلِّ صغيرة وكبيرة .

(٥)

وبناءً علىٰ ذلك : فإنَّ مِن لازم المحبَّة . . الاتِّباع الكامل ، والاقتفاءَ الشَّامل لمن جاءَنا بالشَّرع المطهَّر ، والتَّأَسِّي بشخصيَّته في شؤون الحياة جميعها ، هٰذا هو الاتِّباع .

أمَّا من يزعم محبَّته ويدَّعي ذلك ، وهو مخالف لسيرته ، متراخ عن أمره ، واقع في نهيه . . فهٰذا الصَّنيع علامة علىٰ زيف دعواه ، ودليل صريح علىٰ تخبُّطه في ظلام العصيان ، فالسفينة لا تجري علىٰ أرض يابسة .

ترجو النَّجاة ولم تسلك مسالكها إنَّ السَّفينة لا تجري على اليَبَسِ

(٦)

وإذا كنَّا في عصرنا الحاضر المتموِّج بالغرائِب والعجائِب نشاهد كثيراً من المعنِيِّين بالتُّراث يعرضون شمائِل شخصيَّات لا خلاق لها ، وليس لها في ميزان الفضائِل مثقال حبَّة من خير ، ويعظِّمون آثارهم الَّتي تركوها ،

ويذيعون ذلك في الرَّائِي وغيره ، ويثيرون الضَّجيج الإعلاميَّ حول هٰذه الشَّخصيات ؛ مع أَنها ليس لها وزن ، ولا قيمة أخلاقيَّة ، وقد تكون شخصيَّة ملحدة ، لا تؤمن بخالقها ، وليس عندها ذرَّة من إيمان . . ألا يجدر بنا معشر الأُمَّة الإسلاميَّة أن نستعرض شمائِل المصطفىٰ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، ونكرِّر ذكرها كلَّما عنَّت فرصة أو سنح وقت ؟! فإنَّ ذلك أدعىٰ إلىٰ حسن الاقتداء ، وباعث علىٰ جميل الاقتفاء .

وإذا كان المولىٰ تقدست أسماؤُه قد قال لرسوله صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ علىٰ إثر ذكر سير المصطفين الأخيار : ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ﴾ ، فما أَحرانا ونحن الخطَّاؤُون أن نستعرض شمائِل رسول الله صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، وسمته ، وهديه ؛ فإنَّ في ذلك تثبيتاً لأَفئِدتنا ، وازدياداً لإِيماننا ، وتقوية لمحبَّتنا ، وإِنارة لأفكارنا .

لذلك كلِّه . . فإنَّ فنَّ (الشَّمائل المحمَّديَّة) الَّذي يرسل الضَّوءَ علىٰ صفاته البهيَّة ، ومحاسنه العليَّة ، وأَخلاقه الزَّكية . . من الفنون المباركة العظيمة ، والعلوم الشريفة الثَّمينة ؛ لأَنَّه وسيلة من وسائل ازدياد الإِيمان ، وطريق مؤدٍّ إلى ٱمتلاء القلب بتعظيمه ومحبَّته ، وٱقتفاءِ هديه وسنَّته ، وتعظيم شعائِر ملَّته ، وفي ذلك السَّعادة في الدَّارين .

هٰذا وإنَّ من أَجمع ما أُلِّف في الشَّمائل ، وأوسع ما وصلنا في هٰذا الباب كتاب : (وسائِل الوصول إلى شمائل الرَّسول صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ) . . إِذ هو سفر عظيم المقدار ، كثير النَّفع ، متَّسم بالاستيعاب ، مشتمل علىٰ ما يصبو إِليه الأحباب .

أشرقت من سطوره أنوار التَّحقيق ، وسالت من صفحاته أَعذب الصِّفات لسيِّد السَّادات صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ .

كيف لا ، ومؤلِّفه صاحب القلم السَّيَّال ، والسِّحر الحلال : أبو المحاسن يوسف بن إسماعيل النَّبهانيُّ ، الَّذي طارت بمؤَلَّفاته الرُّكبان ، ووقف نشاطه علىٰ خدمة السِّيرة المحمَّديَّة والسُّنَّة الغرَّاءِ ، وفاز بالشَّرف المؤَبَّد ، والأَجر الَّذي لا ينفد .

وبعد : فإِليكم أحبَّاءَنا الأَكارم الشَّمائِل المحمَّديَّة ، تتبختر في حللها القشيبة ، وتشعُّ منها الأَنوار المحمَّديَّة ، وتجلِّي لنا أَحاديثه الشَّخصيَّة الَّتي اختارها الله تعالىٰ لتكون أعظم هديَّة إِلىٰ الإِنسانيَّة جمعاءَ ، إِنَّها تكشف لنا عن سمات وهيئَة صاحب اللِّواءِ المحمود ، والحوض المورود ، والشَّفاعة والجود ، صلَّى الله وسلَّم عليه وعلى آله وصحبه ما ارتفع إلى السَّماء أَذان ، وما لهج بكلمة التَّوحيد مسلم .

وقد دأبت **دار المنهاج** على إخراج التُّراث الإِسلامِيِّ سليماً محقَّقاً ، وحملت علىٰ عاتقها أَمانة نشر العلم النَّافع ، ورفع لوائِه ؛ تبصيراً للنَّاس ، ومساهمة في نشر الدَّعوة ، وتقريباً للعلوم الشَّرعية . والله تعالىٰ من وراء القصد .

د . محمّد عبد الرحمن شميلة الأهدل

ترجمة

الشيخ يوسف بن إسماعيل بن النبهاني

رحمَهُ الله تعالىٰ

هو الأديب الشَّاعر المُفْلِق ، العلاَّمة المتقن الورع ، الحُجَّة التَّقي العابد ، المحبُّ الصَّادق ، المتفاني في حبِّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، المكثر من مدائحه ؛ تأليفاً ونقلاً وروايةً وإنشاءً وتدويناً .

ناصر الدِّين ، أبو الفتوح وأبو المحاسن يوسف بن إسماعيل بن يوسف إسماعيل بن محمَّد بن ناصر الدِّين النَّبهاني ؛ نسبة لبني نبهان[1] .

وكانت ولادته في قرية (اِجْزِم) يوم الخميس سنة (١٢٦٥ هـ) .

حفظ القرآن علىٰ والده ، وكان شيخاً معمّراً بلغ الثمانين ، وكان والده مرآة للقدوة الصالحة ، فقد كان يختم كل ثلاثة أيام ختمة ، مع محافظة علىٰ ضروب الطاعات ، واستغراق الأوقات في القربات ، مما كان له أبلغ الأثر في تكوين هٰذا الناشىء الذي تغذىٰ بِلِبان الهدىٰ والتقىٰ بين يدي والده الصالح ، في تلك البيئة النقية الطاهرة .

---

(١) قوم من عرب البادية ، نزلوا بقرية (اِجْزِم) بصيغة فعل الأمر ، وهي قرية واقعة في الجانب الشمالي من أرض فلسطين ؛ تابعة لقضاء (حيفا) من أعمال (عكا) .

ولمّا أتمَّ حفظ القرآن الكريم وحفظ بعض المتون . أرسله والده إلىٰ مصر ـ وكان عمره إذ ذاك سبع عشرة سنة ـ فالتحق بالأزهر الشريف في غرَّة محرم الحرام سنة (١٢٨٣ هـ) ، وجاور في رواق الشوام ، ودأب علىٰ الدرس والتحصيل ، وتلقَّىٰ العلم من كبار الأئمة وجهابذة علماء الأمة ، وكان موفقاً حسن الاختيار والاهتداء إلىٰ الراسخين في العلم المحققين في المعقول والمنقول ، الذين لا يشق لهم غبار أمثال :

ـ الشيخ إبراهيم السقا الشافعي (ت ١٢٩٨ هـ) .

ـ والشيخ محمد الدمنهوري الشافعي (ت ١٢٨٦ هـ) .

ـ والشيخ إبراهيم الزرو الخليلي الشافعي (ت ١٢٨٧ هـ) .

ـ والشيخ أحمد الأجهوري الضرير الشافعي (ت ١٢٩٣ هـ) .

ـ والشيخ عبد الهادي نجا الأبياري الشافعي (ت ١٣٠٥ هـ) .

ـ والشيخ أحمد راضي الشرقاوي الشافعي .

ـ والشيخ مصطفىٰ الإشراقي الشافعي .

ـ والشيخ صالح أجباوي الشافعي .

ـ والشيخ محمد العشماوي الشافعي .

ـ والشيخ محمد شمس الدين الأنبابي الشافعي (شيخ الجامع الأزهر) .

ـ والشيخ عبد الرحمن الشربيني الشافعي .

ـ والشيخ أحمد البابي الحلبي الشافعي .

ـ والشيخ شريف الحلبي الحنفي .

ـ والشيخ فخر الدين اليانيه وي الحنفي .

ـ والشيخ عبد القادر الرافعي الطرابلسي الحنفي (شيخ رواق الشوام) .

ـ والشيخ حسن العِدْوي المالكي (ت ١٢٩٨ هـ) .



ـ والشيخ محمد روبه المالكي .

ـ والشيخ حسن الطويل المالكي .

ـ والشيخ محمد البسيوني المالكي .

ـ والشيخ يوسف البرقاوي الحنبلي (شيخ رواق الحنابلة) .

رحمهم الله تعالىٰ وجزاهم عن الأمة المحمدية أحسن الجزاء .

ثم بدا لصاحب الترجمة أن يسافر من مصر ليساهم في خدمة الإسلام ، وقد علا كعبه ، وبزغ نجمه ورسخ في عِلْمي المعقول والمنقول في أسلوب عال ، هو السحر الحلال . . يَخاله الناظر فيه سهلاً وهو بعيد المنال . . فرجع في رجب سنة (١٢٨٩ هـ) ، وأقام في مدينة عكا ينشر العلم ، فأفاد المسلمين ، وأعلىٰ منار الدين .

ثم في سنة (١٢٩٢ هـ) رحل إلىٰ الشام واجتمع علىٰ جماعة من العلماء ؛ من أجلهم الإمام الفقيه المحدث البارع مفتي الشام السيد محمود أفندي الحمزاوي ، فأجازه بإجازة مطولة بجميع مروياته بعد أن قرأ عليه في منزله بحضور جملة من طلبة العلم الشريف .

وجال في بلاد الشرق العربي ثم دخل الأستانة والموصل وحلب وديار بكر وشهرزور وبغداد وسامرّا وبيت المقدس والحجاز .

وتقلد القضاء في ولايات الشام ، حتىٰ صار رئيساً في محكمة الحقوق العليا ببيروت وذلك سنة (١٣٠٥ هـ) .

وحج عام ألف وثلاثمئة وعشرة ، ثم دخل الحجاز بعد ذلك وأقام بالمدينة المنورة مدة .

وألف المؤلفات النافعة التي سارت بها الركبان وانتشرت في سائر البلدان ، وقد فاقت علىٰ الستين كتاباً في مختلف الفنون والعلوم . . وقد عظم ذكره بما صنف وابتكر ، ونظم ونثر ، وطبع ونشر ، خصوصاً في الجانب المحمدي الأعظم ؛ فقد خدم السيرة المحمدية والجناب النبوي أرفع الخدمات ووقف حياته علىٰ ذلك ، فنشر وكتب ما لم يتيسر لغيره في عصرنا هٰذا ولا عشرُ معشاره . . وذلك لإخلاصه رحمه الله تعالىٰ . .

ولما أحيل إلىٰ المعاش . . شدَّ أزره وشمر عن ساعد الجد ، وأقبل على العبادة بهمة عالية وعزيمة صادقة ، وقلب دائب علىٰ الذكر وتلاوة القرآن وكثرة الصلاة علىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ، فأحيا ليله ونهاره بإقامة الفرائض ونوافل الطاعات ، لا يفتر ولا يسأم ، حتىٰ عُدَّ ما يقوم به من خوارق العادات .

وكانت أنوار العبادة وتعظيم السنة والعمل بها ظاهرة علىٰ وجهه المبارك . . ولم يزل علىٰ الحال المرضي حتىٰ دعاه مولاه . . فأجابه ولباه . .

وكانت وفاته في بيروت في أوائل شهر رمضانَ الكريم سنة (١٣٥٠ هـ) عن عمر يناهز الخمسَ والثمانين ، وهو قوي البدن ، تام الصحة ، مستوفٍ لقراءة أوراده ، وما اعتاده من الطاعات وأعمال الخير .

أجزل الله ثوابه ، وألحقنا به علىٰ الإيمان الكامل في غير ضراء مضرة ، ولا فتنة مضلة ، بفضله ورحمته . . آمين .

* * *

توطئة

لقد توافرت الدواعي لخدمة هـٰذا الكتاب المبارك ، لكونه من أجلِّ ما أُلف في شمائل سيد الأنام محمد صلىٰ الله عليه وآله وسلم ، إلا أنه ينبغي لنا أن ننبه علىٰ ما يلي :

١ـ لقد أضربنا عن تخريج الأحاديث النبوية والأخبار والآثار المروية في هـٰذا الكتاب. . وذلك لأمرين :

أولهما : أن ذلك سيقطع متعة القراءة المركزة المتواصلة علىٰ القارئ ، فالتخريج موضوع متخصص له رجاله وأهله .

الأمر الثاني : إحالة القارئ الكريم إلىٰ كتاب « منتهىٰ السول » للشيخ عبد الله اللَّحجي الذي شرح فيه هذا الكتاب « وسائل الوصول » أيما شرح ، وفي أربعة مجلَّدات ضخام ؛ ويكفي أن نعلم أن اللحجي رحمه الله تعالىٰ قد استغرق في تأليفه (٢٥ سنة) ، فضبط عباراته ، وشرح كلماته ، وخرج أحاديثه ، بتفصيل وبسطٍ ، مع إضافة فوائد ، وتقييد شوارد ، وكذلك بإتمام مباحثه ، وتوسيع دائرته .

٢ـ ولأننا نريد أن يستفيد الجميع من هـٰذا الكتاب بحول الله وقوته . . ضبطنا الكتاب بالشكل الكامل ، مع وضع علامات الترقيم المناسبة ، وكذلك شرحنا العبارات الغريبة أو الغامضة حتىٰ يُستوعبَ المعنىٰ ، ويتضح المبنىٰ .

هٰذا كله . . بالإضافة إلىٰ أناقة الطبع ، وحسن الإخراج .

وعليه : فإن البداية لمن أراد التحليق عالياً في شمائل الرسول صلىٰ الله عليه وآله وسلم . . في كتابنا هٰذا « وسائل الوصول » ، والنهاية في « منتهىٰ السول » للشيخ عبد الله بن سعيد اللحجي ، وهو أيضاً من منشورات دار المنهاج .

وفي الختام : الله تعالى نسأل وهو صاحب الإحسان أن يتمم لنا الإحسان ، وأن يشملنا بالغفران ، وأن يصلح لنا كل شأن .

وصلى الله علىٰ سيدنا محمد وآله وصحبه ومن تبعهم بإحسان .

الناشر

في ربيع الأنور (١٤٢٣ هـ)

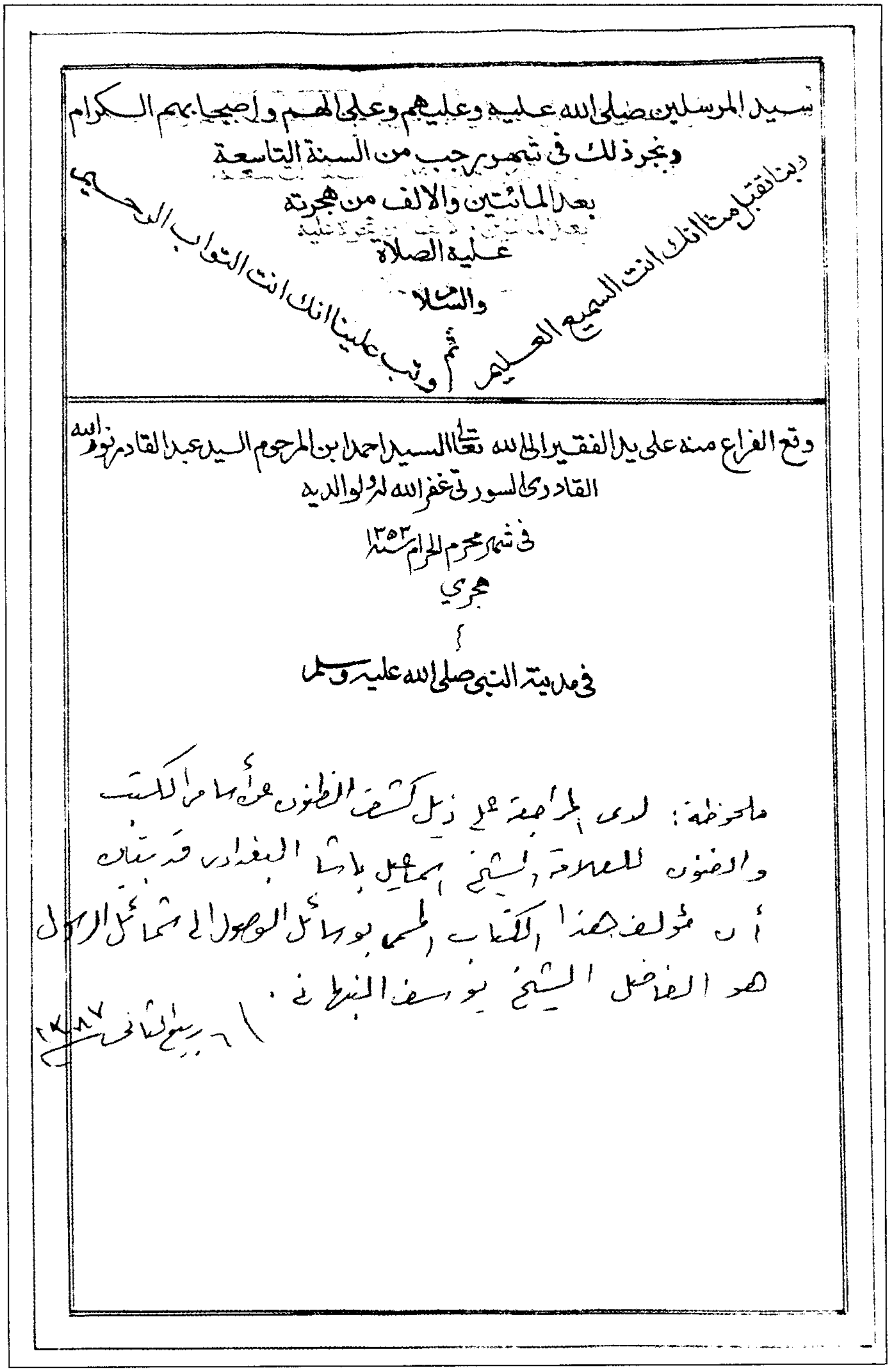
صورة عن المخطوط المستعان به في إخراج الكتاب

هو

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين حمدا يوافي نعمه ويكافي مزيده ويضاهي كرمه، واشهد ان لا
اله الا الله الملك الحق المبين، واشهد ان سيدنا محمدا عبده ورسوله سيد الخلق
اجمعين، اللهم صل افضل صلاة واكملها وادومها واشملها على سيدنا محمد عبدك
الذي خصصته بالسيادة العامة فهو سيد العلمين على الاطلاق، ورسولك الذي بعثته
باحسن الشمائل واوضح الدلائل ليتمم مكارم الاخلاق، صلاة تناسب ما بينك وبينه
من القرب الذي ما فاز به احد، وتشاكل ما لديكما من الحب الذي انفرد به في الازل و
الابد، صلاة لا يعدها ولا يحدها قلم ولا لسان، ولا يصفها ولا يعرفها ملك ولا
انسان، صلاة تسود كافة الصلوات، كسيادته على كافة المخلوقات،
وصلاة يشملني نورها من جميع جهاتي، في جميع اوقاتي، ويلازم جميع ذراتي في حياتي
وبعد مماتي، وعلى اله الاطهار، واصحابه الاخيار، وسلم تسليما كثيرا اما بعد
فقد خطر لي ان اجمع كتابا اجعله وسيلة لبلوغي من رضا الله ورسوله المرام، وذريعة
للانتظام في سلك خدامه عليه الصلاة والسلام، ثم نظرت الى قلة علمي وضعف
فهمي وكثرة ذنوبي ووفرة عيوبي، فاحجمت احجاما من عرف حده، فوقف عنده، ثم
تخطرت سعة الكرم وكوني من امة هذا النبي الكريم، فاقدمت اقدام الطفل على
الاب الشفيق الحليم، بعد ان سمعت قول الله تعالى لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ

راموز الورقة الأولى لمخطوطة مكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة



راموز الورقة الأخيرة لمخطوطة مكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة

وسائل الوصول

إلى شمائل الرسول ﷺ

تأليف

الشيخ العالم العلامة المحدث

يوسف بن إسماعيل النبهاني

رحمه الله تعالى

١٢٦٥هـ - ١٣٥٠هـ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

اَلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ ، حَمْداً يُوَافِي نِعَمَهُ ، وَيُكَافِىءُ مَزِيدَهُ ، وَيُضَاهِي كَرَمَهُ .

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ سَيِّدُ ٱلْخَلْقِ أَجْمَعِينَ .

اَللَّهُمَّ ؛ صَلِّ أَفْضَلَ صَلَاةٍ وَأَكْمَلَهَا ، وَأَدْوَمَهَا ، وَأَشْمَلَهَا ، عَلَىٰ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ ٱلَّذِي خَصَّصْتَهُ بِٱلسِّيَادَةِ ٱلْعَامَّةِ ، فَهُوَ سَيِّدُ ٱلْعَالَمِينَ عَلَىٰ ٱلْإِطْلَاقِ ، وَرَسُولِكَ ٱلَّذِي بَعَثْتَهُ بِأَحْسَنِ ٱلشَّمَائِلِ وَأَوْضَحِ ٱلدَّلَائِلِ ؛ لِيُتَمِّمَ مَكَارِمَ ٱلْأَخْلَاقِ .

صَلَاةً تُنَاسِبُ مَا بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ مِنَ ٱلْقُرْبِ ٱلَّذِي مَا فَازَ بِهِ أَحَدٌ ، وَتُشَاكِلُ مَا لَدَيْكُمَا مِنَ ٱلْحُبِّ ٱلَّذِي ٱنْفَرَدَ بِهِ فِي ٱلْأَزَلِ وَٱلْأَبَدِ .

صَلَاةً لَا يَعُدُّهَا وَلَا يَحُدُّهَا قَلَمٌ وَلَا لِسَانٌ ، وَلَا يَصِفُهَا وَلَا يَعْرِفُهَا مَلَكٌ وَلَا إِنْسَانٌ .

صَلَاةً تَسُودُ كَافَّةَ ٱلصَّلَوَاتِ كَسِيَادَتِهِ عَلَىٰ كَافَّةِ ٱلْمَخْلُوقَاتِ . صَلَاةً يَشْمَلُنِي نُورُهَا مِنْ جَمِيعِ جِهَاتِي فِي جَمِيعِ أَوْقَاتِي ، وَيُلَازِمُ ذَرَّاتِي فِي حَيَاتِي وَبَعْدَ مَمَاتِي .

وَعَلَىٰ آلِهِ ٱلْأَطْهَارِ ، وَأَصْحَابِهِ ٱلْأَخْيَارِ ، وَسَلِّمْ تَسْلِيماً كَثِيراً .

أَمَّا بَعْدُ :

فَقَدْ خَطَرَ لِي أَنْ أَجْمَعَ كِتَاباً أَجْعَلُهُ وَسِيلَةً لِبُلُوغِي مِنْ رِضَا ٱللهِ تَعَالَىٰ وَرَسُولِهِ ٱلْمَرَامَ ، وَذَرِيعَةً لِلِٱنْتِظَامِ فِي سِلْكِ[1] خُدَّامِهِ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ .

ثُمَّ نَظَرْتُ إِلَىٰ قِلَّةِ عِلْمِي ، وَضَعْفِ فَهْمِي ، وَكَثْرَةِ ذُنُوبِي ، وَوَفْرَةِ عُيُوبِي . . فَأَحْجَمْتُ[2] إِحْجَامَ مَنْ عَرَفَ حَدَّهُ فَوَقَفَ عِنْدَهُ ، ثُمَّ تَخَطَّرْتُ[3] سَعَةَ ٱلْكَرَمِ ، وَكَوْنِي مِنْ أُمَّةِ هَـٰذَا ٱلنَّبِيِّ الْكَرِيمِ . . فَأَقْدَمْتُ إِقْدَامَ ٱلطِّفْلِ عَلَى ٱلْأَبِ ٱلشَّفِيقِ ٱلْحَلِيمِ ، بَعْدَ أَنْ سَمِعْتُ قَوْلَ ٱللهِ تَعَالَىٰ : ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة : ١٢٨] .

فَكَمْ مِنْ أَعْرَابِيٍّ فَدْمٍ[4] ، لَا أَدَبَ لَهُ وَلَا فَهْمَ ، وَلَا عَقْلَ لَهُ وَلَا عِلْمَ ، وَلَا كَرَمَ وَلَا حِلْمَ . . قَابَلَ جَنَابَهُ ٱلشَّرِيفَ بِمَا غَضِبَ لَهُ ٱلْمَكَانُ وَٱلزَّمَانُ ، وَخَاطَبَهُ بِمَا عَبَسَ لَهُ وَجْهُ ٱلسَّيْفِ وَٱحْتَدَّ لَهُ لِسَانُ ٱلسِّنَانِ[5] فَكَانَ جَوَابَهُ ٱلْإِغْضَاءُ[6] ، وَٱلْعَفْوُ عَمَّنْ أَسَاءَ ، بَلْ أَدْنَاهُ وَقَرَّبَهُ ، وَمَا لَامَهُ وَمَا أَنَّبَهُ ، بَلْ

(١) أصل معناه : الخيط ، ومقصوده بذلك التقرب إليه صلى الله عليه وسلَّم حتى يكون معدوداً من جملة خدامه .
(٢) أي : كففت عن ذلك وتوقفت .
(٣) أي : تذكرتُ .
(٤) أي : عييّ عن الكلام في ثقل ورخاوة وقلّة فهم .
(٥) هو نصلُ الرُّمح .
(٦) أي : الإمساك وعدم المؤاخذة .

أَفْرَغَتْهُ أَخْلَاقُهُ ٱلْمُحَمَّدِيَّةُ فِي قَالَبِ كِيمِيَاءِ ٱلسَّعَادَةِ بِأَيَادِي ٱلْإِحْسَانِ[1] ، حَتَّى ٱضْمَحَلَّتْ حِدَّةُ ذَلِكَ ٱلْوَحْشِ وَٱنْقَلَبَتْ حَدِيدَتُهُ جَوْهَرَةَ إِنْسَانٍ ، فَتَبَدَّلَ بُغْضُهُ بِٱلْحُبِّ ، وَبُعْدُهُ بِٱلْقُرْبِ ، وَحَرْبُهُ بِٱلسِّلْمِ ، وَجَهْلُهُ بِٱلْعِلْمِ . وَٱسْتَحَالَ إِنْسَاناً بَعْدَ أَنْ كَانَ ثُعْبَاناً ، وَصَارَ حَبِيباً بَعْدَ أَنْ كَانَ ذِيباً .

فَهَـٰذَا وَأَمْثَالُهُ مِنْ شَوَاهِدِ مَكَارِمِ أَخْلَاقِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . . أَطْمَعَنِي بِإِمْكَانِ قَبُولِي فِي جُمْلَةِ خَدَمِهِ ، وَدُخُولِي فِي عِدَادِ حَشَمِهِ ، وَلَا يَبْعُدُ عَنْ سَعَةِ كَرَمِ ٱللهِ تَعَالَىٰ أَنْ يَهَبَ لِي إِكْرَاماً لِرَسُولِهِ فَوْقَ مَا أَمَّلْتُهُ مِنَ ٱلرِّضَا وَٱلْقَبُولِ .

وَهَا أَنَا قَدْ تَوَكَّلْتُ عَلَيْهِ سُبْحَانَهُ ، وَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ ، فَجَمَعْتُ هَـٰذَا ٱلْكِتَابَ مِنْ آثَارِهِ فِي شَمَائِلِهِ ٱلشَّرِيفَةِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَدْخَلْتُ فِيهِ جَمِيعَ ٱلشَّمَائِلِ ٱلَّتِي رَوَاهَا ٱلْإِمَامُ ٱلْحَافِظُ أَبُو عِيسَىٰ مُحَمَّدُ بْنُ عِيسَى ٱلتِّرْمِذِيُّ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ بَعْدَ حَذْفِ مُكَرَّرِهَا وَأَسَانِيدِهَا ، وَلَمْ أَتَقَيَّدْ بِتَرْتِيبِهِ وَتَبْوِيبِهِ ، بَلْ سَلَكْتُ أُسْلُوباً غَيْرَ أُسْلُوبِهِ ، وَأَضَفْتُ إِلَيْهَا مِنْ كُتُبِ ٱلْأَئِمَّةِ ٱلْآتِي ذِكْرُهُمْ أَكْثَرَ مِنْهَا بِكَثِيرٍ ، وَأَلْحَقْتُ بِغَرِيبِ ٱلْأَلْفَاظِ مَا تَدْعُو إِلَيْهِ ٱلْحَاجَةُ مِنْ ضَبْطٍ أَوْ تَفْسِيرٍ . فَجَاءَ كِتَاباً حَافِلاً لَيْسَ لَهُ فِي بَابِهِ نَظِيرٌ .

وَسَمَّيْتُهُ :

« وسائل الوصول الى شمائل الرسول »

---

(١) المراد بذلك : تهذيب النفس باجتناب الرذائل واكتساب الفضائل .

وَهَـٰذَا بَيَانُ ٱلْكُتُبِ ٱلَّتِي نَقَلْتُهُ مِنْهَا ، وَرَوَيْتُهُ عَنْهَا :

١ ـ « كِتَابُ ٱلشَّمَائِلِ » لِلْإِمَامِ ٱلتِّرْمِذِيِّ .

٢ ـ « اَلْمَصَابِيحُ » لِلْإِمَامِ ٱلْبَغَوِيِّ .

٣ ـ « اَلْإِحْيَاءُ » لِلْإِمَامِ ٱلْغَزَالِيِّ .

٤ ـ « اَلشِّفَا » لِلْقَاضِي عِيَاضٍ .

٥ ـ « اَلتَّهْذِيبُ » لِلْإِمَامِ ٱلنَّوَوِيِّ .

٦ ـ « اَلْهَدْيُ ٱلنَّبَوِيُّ »(١) لِلْإِمَامِ مُحَمَّدِ ٱبْنِ أَبِي بَكْرٍ ٱلشَّهِيرِ بِٱبْنِ قَيِّمِ ٱلْجَوْزِيَّةِ .

٧ ـ « اَلْجَامِعُ ٱلصَّغِيرُ » لِلْإِمَامِ ٱلسُّيُوطِيِّ .

٨ ـ وَ« شَرْحُهُ » لِلْإِمَامِ ٱلْعَزِيزِيِّ(٢) .

٩ ـ « اَلْمَوَاهِبُ » لِلْإِمَامِ ٱلْقُسْطُلَّانِيِّ(٣) .

١٠ ـ « كَشْفُ ٱلْغُمَّةِ » لِلْإِمَامِ ٱلشَّعْرَانِيِّ .

١١ ـ « طَبَقَاتُ ٱلْأَوْلِيَاءِ »(٤) .

١٢ ـ وَ« كُنُوزُ ٱلْحَقَائِقِ » لِلْإِمَامِ ٱلْمُنَاوِيِّ .

---

(١) المسمَّىٰ : « زاد المعاد في هدي خير العباد » .

(٢) المسمَّىٰ : « السراج المنير شرح الجامع الصغير » .

(٣) المسمَّىٰ : « المواهب اللدنية بالمنح المحمدية » .

(٤) المسمَّىٰ : « الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية » ؛ وهو للإمام المناوي رحمه الله تعالىٰ .

١٣ ـ « حَاشِيَةُ ٱلشَّمَائِلِ »[١] لِشَيْخِ مَشَايِخِي ، أُسْتَاذِ ٱلْأُسْتَاذِينَ ، خَاتِمَةِ ٱلْعُلَمَاءِ ٱلْعَامِلِينَ : ٱلشَّيْخِ إِبْرَاهِيمَ ٱلْبَاجُورِيِّ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ .

فَهَـٰذِهِ أُصُولُهُ ، لَمْ يَخْرُجْ عَنْهَا شَيْءٌ مِنْهُ . اَللَّهُمَّ إِلَّا أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ فِي تَفْسِيرِ ٱلْغَرِيبِ ، فَإِنِّي رَاجَعْتُ فِيمَا لَمْ أَجِدْهُ فِيهَا كُتُبَ ٱللُّغَةِ ، وَذَلِكَ نَزْرٌ يَسِيرٌ .

وَقَدْ ذَكَرْتُ فِي بَعْضِ « ٱلشَّمَائِلِ » ٱسْمَ ٱلصَّحَابِيِّ رَاوِي ٱلْحَدِيثِ وَٱلْإِمَامِ ٱلْمُخَرِّجِ لَهُ ، وَفِي بَعْضِهَا ٱسْمَ ٱلصَّحَابِيِّ فَقَط ، وَلَمْ أَذْكُرْ فِي بَعْضِهَا غَيْرَ مَتْنِ ٱلْحَدِيثِ تَابِعاً فِي جَمِيعِ ذَلِكَ ٱلْأُصُولَ ٱلْمَذْكُورَةَ .

وَقَدْ رَتَّبْتُهُ عَلَىٰ مُقَدَّمَةٍ[٢] ، وَثَمَانِيَةِ أَبْوَابٍ ، وَخَاتِمَةٍ .

اَلْمُقَدِّمَةُ تَشْتَمِلُ عَلَىٰ تَنْبِيهَيْنِ :

- **اَلتَّنْبِيهُ الْأَوَّلُ** : فِي مَعْنَىٰ لَفْظِ ٱلشَّمَائِلِ .

- **وَٱلتَّنْبِيهُ ٱلثَّانِي** : فِي ٱلْفَوَائِدِ ٱلْمَقْصُودَةِ مِنْ جَمْعِ شَمَائِلِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

* * *

(١) المسمَّاة : « المواهب اللدنية على الشمائل المحمدية » .

(٢) بفتح الدال وكسرها معاً .



ٱلْبَابُ ٱلْأَوَّلُ : فِي نَسَبِ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَسْمَائِهِ ٱلشَّرِيفَةِ ، وَفِيهِ فَصْلَانِ :

- ٱلْفَصْلُ ٱلْأَوَّلُ : فِي نَسَبِهِ ٱلشَّرِيفِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .
- ٱلْفَصْلُ ٱلثَّانِي : فِي أَسْمَائِهِ ٱلشَّرِيفَةِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

* * *

ٱلْبَابُ ٱلثَّانِي : فِي صِفَةِ خِلْقَةِ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَمَا يُنَاسِبُهَا مِنْ أَوْصَافِهِ ٱلشَّرِيفَةِ ، وَفِيهِ عَشَرَةُ فُصُولٍ :

- ٱلْفَصْلُ ٱلْأَوَّلُ : فِي جَمَالِ صُورَتِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَمَاشَاكَلَهَا .
- ٱلْفَصْلُ ٱلثَّانِي : فِي صِفَةِ بَصَرِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَٱكْتِحَالِهِ .
- ٱلْفَصْلُ ٱلثَّالِثُ : فِي صِفَةِ شَعْرِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَشَيْبِهِ وَخِضَابِهِ ، وَمَا يَتَعَلَّقُ بِذَلِكَ .
- ٱلْفَصْلُ ٱلرَّابِعُ : فِي صِفَةِ عَرَقِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَرَائِحَتِهِ ٱلطَّبِيعِيَّةِ[1] .
- ٱلْفَصْلُ ٱلْخَامِسُ : فِي صِفَةِ طِيبِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَطَيُّبِهِ .
- ٱلْفَصْلُ ٱلسَّادِسُ : فِي صِفَةِ صَوْتِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .
- ٱلْفَصْلُ ٱلسَّابِعُ : فِي صِفَةِ غَضَبِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَسُرُورِهِ .

---

(١) يعني : من غير أن يمسَّ طيباً صلَّى ٱلله عليه وسلَّم .

- اَلْفَصْلُ ٱلثَّامِنُ : فِي صِفَةِ ضَحِكِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبُكَائِهِ وَعُطَاسِهِ .

- اَلْفَصْلُ ٱلتَّاسِعُ : فِي صِفَةِ كَلَامِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَسُكُوتِهِ .

- اَلْفَصْلُ ٱلْعَاشِرُ : فِي صفَةِ قُوَّتِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

* * *

اَلْبَابُ ٱلثَّالِثُ : فِي صِفَةِ لِبَاسِ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفِرَاشِهِ وَسِلَاحِهِ ، وَفِيهِ سِتَّةُ فُصُولٍ :

- اَلْفَصْلُ ٱلْأَوَّلُ : فِي صِفَةِ لِبَاسِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ مِن قَمِيصٍ وَإِزَارٍ وَرِدَاءٍ وَقَلَنْسُوَةٍ[١] وَعِمَامَةٍ وَنَحْوِهَا .

- اَلْفَصْلُ ٱلثَّانِي : فِي صِفَةِ فِرَاشِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَا يُنَاسِبُهُ .

- اَلْفَصْلُ ٱلثَّالِثُ : فِي صِفَةِ خَاتَمِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

- اَلْفَصْلُ ٱلرَّابِعُ : فِي صِفَةِ نَعْلِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَخُفِّهِ .

- اَلْفَصْلُ ٱلْخَامِسُ : فِي صِفَةِ سِلَاحِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

- اَلْفَصْلُ ٱلسَّادِسُ : كَانَ مِنْ خُلُقِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُسَمِّيَ سِلَاحَهُ وَدَوَابَّهُ وَمَتَاعَهُ .

* * *

اَلْبَابُ ٱلرَّابِعُ : فِي صِفَةِ أَكْلِ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَشُرْبِهِ وَنَوْمِهِ ، وَفِيهِ سِتَّةُ فُصُولٍ :

---

(١) غشاء مبطن يستر الرأس ، يقال لها في عُرْفنا : (طاقيّة أو كوفيّة) .

- اَلْفَصْلُ ٱلْأَوَّلُ : فِي صِفَةِ عَيْشِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَخُبْزِهِ .

- اَلْفَصْلُ ٱلثَّانِي : فِي صِفَةِ أَكْلِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَإِدَامِهِ[1] .

- اَلْفَصْلُ ٱلثَّالِثُ : فِيمَا كَانَ يَقُولُهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبْلَ ٱلطَّعَامِ وَبَعْدَهُ .

- اَلْفَصْلُ ٱلرَّابِعُ : فِي صِفَةِ فَاكِهَتِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

- اَلْفَصْلُ ٱلْخَامِسُ : فِي صِفَةِ شَرَابِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَدَحِهِ .

- اَلْفَصْلُ ٱلسَّادِسُ : فِي صِفَةِ نَوْمِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

* * *

اَلْبَابُ ٱلْخَامِسُ : فِي صِفَةِ خُلُقِ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَحِلْمِهِ ، وَعِشْرَتِهِ مَعَ نِسَائِهِ ، وَأَمَانَتِهِ وَصِدْقِهِ ، وَحَيَائِهِ وَمِزَاحِهِ ، وَتَوَاضُعِهِ وَجُلُوسِهِ ، وَكَرَمِهِ وَشَجَاعَتِهِ ، وَفِيهِ سِتَّةُ فُصُول :

- اَلْفَصْلُ ٱلْأَوَّلُ : فِي صِفَةِ خُلُقِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَحِلْمِهِ .

- اَلْفَصْلُ ٱلثَّانِي : فِي صِفَةِ عِشْرَتِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَ نِسَائِهِ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُنَّ .

- اَلْفَصْلُ ٱلثَّالِثُ : فِي صِفَةِ أَمَانَتِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَصِدْقِهِ .

- اَلْفَصْلُ ٱلرَّابِعُ : فِي صِفَةِ حَيَائِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمِزَاحِهِ .

- اَلْفَصْلُ ٱلْخَامِسُ : فِي صِفَةِ تَوَاضُعِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَجُلُوسِهِ .

---

(١) ما يُساغ به الخبز ويُصلَح به الطعام جامداً كان أو سائلاً .

ـ اَلْفَصْلُ ٱلسَّادِسُ : فِي صِفَةِ كَرَمِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَشَجَاعَتِهِ .

* * *

اَلْبَابُ ٱلسَّادِسُ : فِي صِفَةِ عِبَادَةِ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَصَلَاتِهِ . وَصَوْمِهِ ، وَقِرَاءَتِهِ ، وَفِيهِ ثَلَاثَةُ فُصُولٍ .

ـ اَلْفَصْلُ ٱلْأَوَّلُ : فِي صِفَةِ عِبَادَتِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَصَلَاتِهِ .

ـ اَلْفَصْلُ ٱلثَّانِي : فِي صِفَةِ صَوْمِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

ـ اَلْفَصْلُ ٱلثَّالِثُ : فِي صِفَةِ قِرَاءَتِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

* * *

اَلْبَابُ ٱلسَّابِعُ : فِي أَخْبَارٍ شَتَّىٰ مِنْ أَحْوَالِ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَبَعْضِ أَذْكَارٍ وَأَدْعِيَةٍ كَانَ يَقُولُهَا فِي أَوْقَاتٍ مَخْصُوصَةٍ ، وَثَلَاثِ مِئَةٍ وَثَلَاثَةَ عَشَرَ حَدِيثاً مِنْ جَوَامِعِ كَلِمِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَفِيهِ ثَلَاثَةُ فُصُولٍ :

ـ اَلْفَصْلُ ٱلْأَوَّلُ : فِي أَخْبَارٍ شَتَّىٰ مِنْ أَحْوَالِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

ـ اَلْفَصْلُ ٱلثَّانِي : فِي بَعْضِ أَذْكَارٍ وَأَدْعِيَةٍ كَانَ يَقُولُهَا صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَوْقَاتٍ مَخْصُوصَةٍ .

ـ اَلْفَصْلُ ٱلثَّالِثُ : فِي ثَلَاثِ مِئَةٍ وَثَلَاثَةَ عَشَرَ حَدِيثاً مِنْ جَوَامِعِ كَلِمِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

* * *

اَلْبَابُ ٱلثَّامِنُ : فِي طِبِّهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَسِنِّهِ وَوَفَاتِهِ ، وَرُؤْيَتِهِ فِي ٱلْمَنَامِ ، وَفِيهِ ثَلَاثَةُ فُصُولٍ :

ـ اَلْفَصْلُ ٱلْأَوَّلُ : فِي طِبِّهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

ـ اَلْفَصْلُ ٱلثَّانِي : فِي سِنِّهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَوَفَاتِهِ .

ـ اَلْفَصْلُ ٱلثَّالِثُ : فِي رُؤْيَتِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي ٱلْمَنَامِ .

* * *

اَلْخَاتِمَةُ : تَشْتَمِلُ عَلَىٰ خَمْسِينَ حَدِيثاً ، أَكْثَرُهَا صِحَاحٌ وَحِسَانٌ مِنْ أَدْعِيَتِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[١] .

* * *

وَأَسْأَلُ ٱللهَ ٱلْعَظِيمَ رَبَّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ أَنْ يَجْعَلَ هَـٰذَا ٱلْكِتَابَ مِنْ أَفْضَلِ ٱلْحَسَنَاتِ ٱلْجَارِي نَفْعُهَا فِي ٱلْحَيَاةِ وَبَعْدَ ٱلْمَمَاتِ ، بِجَاهِ نَبِيِّهِ سَيِّدِ ٱلرُّسُلِ ٱلْكِرَامِ ، عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمُ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ .

* * *

---

(١) وهذه الأدعية منقسمة إلىٰ قسمين : استعاذات ، ودعوات ، معتبراً فيها أَول الحديث ، فما كان استعاذة جعل في القسم الأول ؛ وما كان دعاءً جعل في القسم الثاني . وأَفتتِحُها بالدعوات القرآنية .

المُقدّمةُ

وَهِيَ تَشْتَمِلُ عَلَىٰ تَنْبِيهَيْنِ

التنبيه الأوّل

في معنى لفظ الشمائل

هِيَ فِي ٱلْأَصْلِ : ٱلْأَخْلَاقُ وَٱلطَّبَائِعُ .

قَالَ فِي « ٱلْقَامُوسِ » : (اَلشِّمَالُ : ٱلطَّبْعُ ، وَٱلْجَمْعُ : شَمَائِلُ) اهـ

وَقَالَ فِي « لِسَانِ ٱلْعَرَبِ » : (مُفْرَدُهَا : شِمَالٌ ؛ بِكَسْرِ ٱلشِّينِ .

قَالَ جَرِيرٌ :

. . . . وَمَا لَوْمِي أَخِي مِنْ شِمَالِيَا[١]

وَقَالَ صَخْرٌ أَخُو ٱلْخَنْسَاءِ :

أَبَا ٱلشَّتْمِ إِنِّي قَدْ أَصَابُوا كَرِيمَتِي وَأَنْ لَيْسَ إِهْدَاءُ ٱلْخَنَا مِنْ شِمَالِيَا[٢]

وَقَالَ آخَرُ[٣] :

هُمُ قَوْمِي وَقَدْ أَنْكَرْتُ مِنْهُمْ شَمَائِلَ بُدِّلُوهَا مِنْ شِمَالِي

أَيْ : أَنْكَرْتُ أَخْلَاقَهُمْ) .

---

(١) والبيت بتمامه :

أَلَـمْ تَعْلَمَـا أَنَّ ٱلْمَـلَامَـةَ نَفْعُهَـا قَلِيلٌ وَمَالَوْمِي أَخِي مِنْ شِمَالِيَا

(٢) الخنا : فاحش الكلام .

(٣) أي : لبيد بن ربيعة العامري .

ثُمَّ قَالَ فِي مَادَّتِهَا أَيْضاً : (وَٱلشِّمَالُ : خَلِيقَةُ ٱلرَّجُلِ[1] ، وَجَمعُهَا : شَمَائِلُ . وَإِنَّهَا لَحَسَنَةُ ٱلشَّمَائِلِ ، وَرَجُلٌ كَرِيمُ ٱلشَّمَائِلِ ؛ أَيْ : فِي أَخْلَاقِهِ وَمُخَالَطَتِهِ) اهـ

وَقَدِ ٱسْتَعْمَلَ عُلَمَاءُ ٱلْحَدِيثِ ٱلشَّمَائِلَ فِي أَخْلَاقِهِ ٱلشَّرِيفَةِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَىٰ أَصْلِهَا ، وَفِي أَوْصَافِ صُورَتِهِ ٱلظَّاهِرَةِ أَيْضاً عَلَىٰ سَبِيلِ ٱلْمَجَازِ فَٱعْلَمْ ذلِكَ .

* * *

(١) أي : طبيعته وسجيَّته .

التنبيه الثاني

في الفوائد المقصودة من جمع شمائله صلّى الله عليه وسلّم

لَيْسَ ٱلْمَقْصُودُ مِنْ جَمْعِ شَمَائِلِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُجَرَّدَ مَعْرِفَةِ عِلْمٍ تَارِيخِيٍّ تَمِيلُ إِلَيْهِ ٱلنُّفُوسُ ، وَتَجْنَحُ إِلَيْهِ ٱلْقُلُوبُ ، وَيُتَحَدَّثُ بِهِ فِي ٱلْمَجَالِسِ ، وَيُسْتَشْهَدُ بِهِ عَلَى ٱلْمَقَاصِدِ ، وَنَحْوِ ذَٰلِكَ مِنَ ٱلْفَوَائِدِ .

وَإِنَّمَا ٱلْمَقْصُودُ مِنْ جَمْعِ شَمَائِلِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَوَائِدُ أُخْرَىٰ مُهِمَّةٌ فِي ٱلدِّينِ .

- مِنْهَا : ٱلتَّلَذُّذُ بِصِفَاتِهِ ٱلْعَلِيَّةِ وَشَمَائِلِهِ ٱلرَّضِيَّةِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

- وَمِنْهَا : ٱلتَّقَرُّبُ إِلَيْهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَٱسْتِجْلَابُ مَحَبَّتِهِ وَرِضَاهُ بِذِكْرِ أَوْصَافِهِ ٱلْكَامِلَةِ وَأَخْلَاقِهِ ٱلْفَاضِلَةِ ، كَمَا يَتَقَرَّبُ ٱلشَّاعِرُ إِلَى ٱلْكَرِيمِ بِذِكْرِ أَوْصَافِهِ ٱلْجَمِيلَةِ ، وَخِصَالِهِ ٱلنَّبِيلَةِ .

وَلَا شَكَّ أَنَّ جَمْعَ شَمَائِلِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَنَشْرَهَا . . هُوَ أَفْضَلُ وَأَكْمَلُ مِنْ مَدْحِهِ بِٱلْقَصَائِدِ ، وَقَدْ رَضِيَ عَمَّنْ مَدَحَهُ بِهَا كَـ : حَسَّانَ ، وَعَبْدِ ٱللهِ بْنِ رَوَاحَةَ ، وَكَعْبِ بْنِ زُهَيْرٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُمْ ، وَكَافَأَهُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكَ .

فَلَا شَكَّ أَنَّهُ يَرْضَىٰ عَمَّنْ يَعْتَنِي بِجَمْعِ شَمَائِلِهِ وَنَشْرِهَا صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

ـ **وَمِنْهَا** : تَعَرُّضُنَا لِمُكَافَأَتِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَىٰ إِحْسَانِهِ إِلَيْنَا ، وَإِنْقَاذِهِ إِيَّانَا مِنْ ظُلُمَاتِ ٱلضَّلَالِ إِلَىٰ أَنْوَارِ ٱلْهُدَىٰ ، وَمِنَ ٱلشَّقَاوَةِ ٱلْأَبَدِيَّةِ إِلَى ٱلسَّعَادَةِ ٱلسَّرْمَدِيَّةِ ، وَهَـٰذِهِ نِعْمَةٌ كُبْرَىٰ لَا تُمْكِنُ مُقَابَلَتُهَا بِشَيْءٍ ، وَلَا يَقْدِرُ عَلَىٰ مُكَافَأَتِهِ عَلَيْهَا إِلَّا ٱللهُ تَعَالَىٰ .

فَجَزَاهُ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنَّا أَفْضَلَ مَا جَزَىٰ بِهِ مُرْسَلاً عَمَّنْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ ، فَإِنَّهُ أَنْقَذَنَا بِهِ مِنَ ٱلْهَلَكَةِ(١) ، وَجَعَلَنَا مِنْ خَيْرِ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلْنَّاسِ ، دَائِنِينَ بِدِينِهِ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ وَٱصْطَفَىٰ بِهِ مَلَائِكَتَهُ ، وَمَنْ أَنْعَمَ عَلَيْهِ مِنْ خَلْقِهِ ، فَلَمْ تُمْسِ بِنَا نِعْمَةٌ ظَهَرَتْ وَلَا بَطَنَتْ نِلْنَا بِهَا حَظّاً فِي دِينٍ وَدُنْيَا ، أَوْ رُفِعَ بِهَا عَنَّا مَكْرُوهٌ فِيهِمَا ، أَوْ فِي أَحَدٍ مِنْهُمَا . إِلَّا وَمُحَمَّدٌ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَبَبُهَا ٱلْقَائِدُ إِلَىٰ خَيْرِهَا ، وَٱلْهَادِي إِلَىٰ رُشْدِهَا .

وَهَـٰذِهِ ٱلْعِبَارَةُ مِنْ قَوْلِهِ : (. . فَجَزَاهُ ٱللهُ . . . إِلَىٰ آخِرِهَا) عِبَارَةُ إِمَامِنَا ٱلشَّافِعِيِّ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ نَقَلْتُهَا مِنْ « رِسَالَتِهِ »(٢) ٱلَّتِي رَوَاهَا عَنْهُ صَاحِبُهُ ٱلرَّبِيعُ بْنُ سُلَيْمَانَ رَحِمَهُ ٱللهُ تَعَالَىٰ .

ـ **وَمِنْهَا** : أَنَّ مَعْرِفَةَ شَمَائِلِهِ ٱلشَّرِيفَةِ تَسْتَدْعِي مَحَبَّتَهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ لِأَنَّ ٱلْإِنْسَانَ مَجْبُولٌ عَلَىٰ حُبِّ ٱلصِّفَاتِ ٱلْجَمِيلَةِ وَمَنِ ٱتَّصَفَ بِهَا ، وَلَا أَجْمَلَ وَلَا أَكْمَلَ مِنْ صِفَاتِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

---

(١) أي : الهلاك ، وهو ظلمة الكفر .

(٢) المسماة بـ « الرسالة » وهي في أصول الفقه .

فَلَا شَكَّ أَنَّ مَنْ يَطَّلِعُ عَلَيْهَا وَلَمْ يَكُنْ مَطْبُوعاً عَلَىٰ قَلْبِهِ بِطَابَعِ ٱلضَّلَالِ . . يُحِبُّ صَاحِبَهَا صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِيَقِينٍ ، وَبِمِقْدَارِ زِيَادَةِ مَحَبَّتِهِ وَنَقْصِهَا تَكُونُ زِيَادَةُ ٱلْإِيمَانِ وَنَقْصُهُ ، بَلْ رِضَا ٱللهِ تَعَالَىٰ وَٱلسَّعَادَةُ ٱلْأَبَدِيَّةُ ، وَنَعِيمُ أَهْلِ ٱلْجَنَّةِ وَدَرَجَاتُهُمْ فِيهَا ، جَمِيعُ ذَلِكَ يَكُونُ بِمِقْدَارِ مَحَبَّةِ ٱلْعَبْدِ لَهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زِيَادَةً وَنَقْصاً ، كَمَا أَنَّ سَخَطَ ٱللهِ تَعَالَىٰ ، وَٱلشَّقَاوَةَ ٱلْأَبَدِيَّةَ وَعَذَابَ أَهْلِ ٱلنَّارِ وَدَرَكَاتِهِمْ فِيهَا . . يَكُونُ بِمِقْدَارِ بُغْضِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، زِيَادَةً وَنَقْصاً .

ـ **وَمِنْهَا** : ٱتِّبَاعُهُ وَٱلْاقْتِدَاءُ بِهِ لِمَنْ وَفَّقَهُ ٱللهُ تَعَالَىٰ فِيمَا يُمْكِنُ بِهِ ٱلْاقْتِدَاءُ ؛ كَسَخَائِهِ وَحِلْمِهِ ، وَتَوَاضُعِهِ ، وَزُهْدِهِ ، وَعِبَادَتِهِ ، وَغَيْرِهَا مِنْ مَكَارِمِ أَخْلَاقِهِ ، وَشَرَائِفِ أَحْوَالِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَذَلِكَ مُسْتَوْجِبٌ لِمَحَبَّةِ ٱللهِ تَعَالَى ٱلَّتِي فِيهَا سَعَادَةُ ٱلدَّارَيْنِ .

قَالَ تَعَالَىٰ : ﴿ **قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ** ﴾ [آل عمران : ٣١] . جَعَلَنَا ٱللهُ تَعَالَىٰ مِنَ ٱلْمُتَّبِعِينَ لَهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي شَرْعِهِ ٱلْقَوِيمِ ، وَصِرَاطِهِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ، وَحَشَرَنَا تَحْتَ لِوَائِهِ ، فِي زُمْرَةِ أَهْلِ مَحَبَّتِهِ ، عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمُ ٱلصَّلَاةُ وَٱلتَّسْلِيمُ .

* * *

البَابُ الأَوَّلُ

فِي نَسَبِ رَسُولِ ٱللهِ

صَلَّى ٱللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ

وَأَسْمَائِهِ ٱلشَّرِيفَةِ

وَفِيهِ فَصْلَانِ

الفَصْلُ الأَوَّلُ

في نسبه الشريف صلّى الله عليه وسلّم

هُوَ سَيِّدُنَا مُحَمَّدٌ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ٱبْنُ عَبْدِ ٱللهِ بْنِ عَبْدِ ٱلْمُطَّلِبِ(١) بْنِ هَاشِمٍ(٢) بْنِ عَبْدِ مَنَافِ(٣) بْنِ قُصَيٍّ(٤) بْنِ كِلَابِ(٥) بْنِ مُرَّةَ بْنِ كَعْبِ بْنِ لُؤَيِّ بْنِ غَالِبِ بْنِ فِهْرِ(٦) بْنِ مَالِكِ بْنِ ٱلنَّضْرِ(٧) بْنِ كِنَانَةَ بْنِ

---

(١) واسمه : شيبة الحمد ، وكنيته : أبو الحارث ، سمي بـ « عبد المطلب » لأن عمه المطلب جاء به إلى مكة رديفه ، وهو بهيئة رثة ، فكان يُسأَل عنه فيقول : (هو عبدي) ؛ حياءً من أن يقول ابن أخي ، فلما أُدخل مكة وأُصلح من حاله . . أظهر أنه ابن أخيه ؛ فلذلك قيل له : « عبد المطلب » . .

(٢) واسمه : عمرو ، وإنما قيل له : « هاشم » ؛ لأنه كان يهشم الثريد لِقُوتِهِ في الجدب .

(٣) واسمه : المغيرة ، لقب بذلك لأن أُمه حُبَّىٰ أخدمته صنماً عظيماً لهم يسمى : « مناة » ، ثم نظر أبوه فرآه يوافق عبد مناة بن كنانة ، فحوله « عبد مناف » .

(٤) واسمه : مُجَمِّعٌ ، ولقب بذلك لأنه بَعُدَ عن عشيرته في بلاد قضاعة حيث احتملته أمه فاطمة بنت سعد العذري في قصة طويلة .

(٥) واسمه : حكيم ، ولقب بـ « كلاب » لمحبته كلاب الصيد ، فكان يجمعها .

(٦) واسمه : قريشٌ ، وإليه تنسب قبائل قريش .

(٧) واسمه : قيس ، ولقب بـ« النضر » لنضارة وجهه وإشراقه وجماله .

خُزَيْمَةَ بْنِ مُدْرِكَةَ[1] بْنِ إِلْيَاسَ بْنِ مُضَرَ بْنِ نِزَارِ[2] بْنِ مَعَدِّ بْنِ عَدْنَانَ .

إِلَىٰ هُنَا إِجْمَاعُ ٱلْأُمَّةِ ، وَمَا بَعْدَهُ إِلَىٰ آدَمَ لَا يَصِحُّ فِيهِ شَيْءٌ يُعْتَمَدُ[3] .

وَقَدْ كَانَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا ٱنْتَسَبَ . . لَمْ يُجَاوِزْ فِي نِسْبَتِهِ مَعَدَّ بْنَ عَدْنَانَ بْنِ أُدَدٍ ، ثُمَّ يُمْسِكُ وَيَقُولُ : « كَذَبَ ٱلنَّسَّابُونَ » ؛ قَالَ ٱللهُ تَعَالَىٰ ﴿ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا ﴾ [الفرقان : ٣٨] .

وَهَـٰذَا ٱلنَّسَبُ أَشْرَفُ ٱلْأَنْسَابِ عَلَى ٱلْإِطْلَاقِ .

فَعَنِ ٱلْعَبَّاسِ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ أَنَّ ٱلنَّبِيَّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « إِنَّ ٱللهَ خَلَقَ ٱلْخَلْقَ فَجَعَلَنِي مِنْ خَيْرِهِمْ ، ثُمَّ تَخَيَّرَ ٱلْقَبَائِلَ فَجَعَلَنِي مِنْ خَيْرِ قَبِيلَةٍ ، ثُمَّ تَخَيَّرَ ٱلْبُيُوتَ فَجَعَلَنِي مِنْ خَيْرِ بُيُوتِهِمْ ، فَأَنَا خَيْرُهُمْ نَفْساً وَخَيْرُهُمْ بَيْتاً » .

وَعَنْ وَاثِلَةَ بْنِ ٱلْأَسْقَعِ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّ ٱللهَ ٱصْطَفَىٰ مِنْ وَلَدِ إِبْرَاهِيمَ إِسْمَاعِيلَ ،

---

(١) واسمه : عمرو ، ولقب بـ« مدركة » لإدراكه كل عز وفخر كان في آبائه .

(٢) واسمه : خَلْدان ، ولقب بـ « نزار » لأنه لما وُلِدَ ونظر أبوه إلى نور محمد صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بين عينيه . . فرح فرحاً شديداً ونحر وأطعم ، وقال : إن هـٰذا كله نزرٌ ـ أي قليل ـ لحقِّ هـٰذا المولود . فسمي : (نزاراً) لذلك .

(٣) وقد اختلف فيما بين عدنان وإسماعيل اختلافاً كثيراً ، ومن إسماعيل إلىٰ آدم متفق علىٰ أكثره ، وفيه خُلْفٌ يسير في عدد آبائه وكذلك في ضبط بعض الأسماء .

وقد جمع السيد العلامة عمر بن علوي ابن أبي بكرٍ الكافُ أسماء آبائه صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من عدنان إلىٰ آدم مع نبذة يسيرة عنهم في كتاب أسماه « الصرح الممرد والفخر المؤبد لآباء سيدنا محمد » ، وقد صدر عن دار الحاوي ـ بيروت .

وَٱصْطَفَىٰ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ بَنِي كِنَانَةَ ، وَٱصْطَفَىٰ مِنْ بَنِي كِنَانَةَ قُرَيْشاً ، وَٱصْطَفَىٰ مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ ، وَٱصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ » .

وَعَنِ ٱبْنِ عُمَرَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّ ٱللهَ ٱخْتَارَ خَلْقَهُ ؛ فَٱخْتَارَ مِنْهُمْ بَنِي آدَمَ ، ثُمَّ ٱخْتَارَ بَنِي آدَمَ فَٱخْتَارَ مِنْهُمُ ٱلْعَرَبَ ، ثُمَّ ٱخْتَارَ ٱلْعَرَبَ فَٱخْتَارَ مِنْهُمْ قُرَيْشاً ، ثُمَّ ٱخْتَارَ قُرَيْشاً فَٱخْتَارَ مِنْهُمْ بَنِي هَاشِمٍ ، ثُمَّ ٱخْتَارَ بَنِي هَاشِمٍ فَٱخْتَارَنِي ، فَلَمْ أَزَلْ خِيَاراً مِنْ خِيَارٍ ، أَلَا مَنْ أَحَبَّ ٱلْعَرَبَ فَبِحُبِّي أَحَبَّهُمْ ، وَمَنْ أَبْغَضَ ٱلْعَرَبَ فَبِبُغْضِي أَبْغَضَهُمْ » .

* * *

الفَصْلُ الثَّانِي
فِي أَسْمَائِهِ الشَّرِيفَةِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم

اِعْلَمْ . . أَنَّ لِرَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَسْمَاءً كَثِيرَةً .

قَالَ ٱلْإِمَامُ ٱلنَّوَوِيُّ فِي « ٱلتَّهْذِيبِ » : (قَالَ ٱلْإِمَامُ ٱلْحَافِظُ ٱلْقَاضِي أَبُو بَكْرٍ ٱبْنُ ٱلْعَرَبِيِّ ٱلْمَالِكِيُّ فِي كِتَابِهِ « عَارِضَةُ ٱلْأَحْوَذِيِّ فِي شَرْحِ ٱلتِّرْمِذِيِّ » : قَالَ بَعْضُ ٱلصُّوفِيَّةِ : لِلهِ عَزَّ وَجَلَّ أَلْفُ ٱسْمٍ ، وَلِلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَلْفُ ٱسْمٍ) ا هـ

وَعَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمِ بْنِ عَدِيٍّ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ ؛ قَالَ : قَالَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّ لِي أَسْمَاءً ، أَنَا **مُحَمَّدٌ** ، وَأَنَا **أَحْمَدُ** ، وَأَنَا **ٱلْمَاحِي** ٱلَّذِي يَمْحُو ٱللهُ بِيَ ٱلْكُفْرَ ، وَأَنَا **ٱلْحَاشِرُ** ٱلَّذِي يُحْشَرُ ٱلنَّاسُ عَلَىٰ قَدَمَيَّ[1] ، وَأَنَا **ٱلْعَاقِبُ** ٱلَّذِي لَيْسَ بَعْدَهُ نَبِيٌّ » .

وَعَنْ حُذَيْفَةَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ قَالَ : لَقِيتُ ٱلنَّبِيَّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَعْضِ طُرُقِ ٱلْمَدِينَةِ ؛ فَقَالَ : « أَنَا **مُحَمَّدٌ** ، وَأَنَا **أَحْمَدُ** ، وَأَنَا **نَبِيُّ**

---

(١) هٰكذا بتشديد الياء مع فتح الميم علىٰ التثنية ، أو (قَدَمِي) بكسر الميم وبتخفيف الياء علىٰ الإفراد ، روايتان .

ٱلـرَّحْمَـةِ ، وَنَبِـيُّ ٱلتَّـوْبَـةِ ، وَأَنَـا **ٱلْمُقَفِّـي**[1] ، وَأَنَـا **ٱلْحَـاشِـرُ** ، وَنَبِـيُّ **ٱلْمَلَاحِمِ** » .

وَمَعْنَى (ٱلْمُقَفِّي) : ٱلْمُتَّبِعُ مَنْ قَبْلَهُ مِنَ ٱلرُّسُلِ ، وَكَانَ آخِرَهُمْ وَخَاتِمَهُمْ .

وَ(ٱلْمَلَاحِمُ) هِيَ : ٱلْحُرُوبُ .

فَفِي تَسْمِيَتِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَبِيَّ ٱلْمَلَاحِمِ إِشَارَةٌ إِلَىٰ مَا بُعِثَ بِهِ مِنَ ٱلْقِتَالِ بِٱلسَّيْفِ .

وَلَمْ يُجَاهِدْ نَبِيٌّ وَأُمَّتُهُ قَطُّ مَا جَاهَدَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأُمَّتُهُ .

وَٱلْمَلَاحِمُ ٱلَّتِي وَقَعَتْ وَتَقَعُ بَيْنَ أُمَّتِهِ وَبَيْنَ ٱلْكُفَّارِ . لَمْ يُعْهَدْ مِثْلُهَا قَبْلَهُ ؛ فَإِنَّ أُمَّتَهُ يُقَاتِلُونَ ٱلْكُفَّارَ فِي أَقْطَارِ ٱلْأَرْضِ عَلَىٰ تَعَاقُبِ ٱلْأَعْصَارِ إِلَىٰ أَنْ يُقَاتِلُوا ٱلْأَعْوَرَ ٱلدَّجَّالَ .

وَفِي « ٱلتَّهْذِيبِ » : (سَمَّاهُ ٱللهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي ٱلْقُرْآنِ **رَسُولاً** ، **نَبِيّاً** ، **أُمِّيّاً** ، **شَاهِداً** ، **مُبَشِّراً** ، **نَذِيراً** ، **دَاعِياً إِلَى ٱللهِ بِإِذْنِهِ** ، **وَسِرَاجاً مُنِيراً** ، **وَرَؤُوفاً رَحِيماً** ، **وَمُذَكِّراً** ، وَجَعَلَهُ **رَحْمَةً وَنِعْمَةً وَهَادِياً** صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

قَالَ : وَعَنِ ٱبْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُمَا قَالَ : قَالَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « اِسْمِي فِي ٱلْقُرْآنِ : **مُحَمَّدٌ** ، وَفِي ٱلْإِنْجِيلِ :

---

(١) بكسر الفاء علىٰ أنه اسم فاعل ، أو (المقفَّىٰ) بفتحها علىٰ أنه اسم مفعول .

أَحْمَدُ ، وَفِي ٱلتَّوْرَاةِ : **أُحِيدُ**[1] ، وَإِنَّمَا سُمِّيتُ أَحِيدُ لِأَنِّي أُحِيدُ أُمَّتِي عَنْ نَارِ جَهَنَّمَ » .

وَزَادَ نَقْلاً عَنِ ٱبْنِ عَسَاكِرَ : **ٱلْفَاتِحَ** ، **وَطٰهٰ** ، **وَيَاسِين** ، **وَعَبْدَ ٱللهِ** ، **وَخَاتِمَ ٱلْأَنْبِيَاءِ** .

وَقَالَ ٱلْقُسْطُلَّانِيُّ فِي « ٱلْمَوَاهِبِ » ، وَٱلْبَاجُورِيُّ فِي « حَاشِيَةِ ٱلشَّمَائِلِ » : ذَكَرَ صَاحِبُ كِتَابِ « شَوْقُ ٱلْعَرُوسِ وَأُنْسُ ٱلنُّفُوسِ » ، وَهُوَ حُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ ٱلدَّامَغَانِيُّ نَقْلاً عَنْ كَعْبِ ٱلْأَحْبَارِ أَنَّهُ قَالَ : اِسْمُ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ أَهْلِ ٱلْجَنَّةِ : **عَبْدُ ٱلْكَرِيمِ** ، وَعِنْدَ أَهْلِ ٱلنَّارِ : **عَبْدُ ٱلْجَبَّارِ** ، وَعِنْدَ أَهْلِ ٱلْعَرْشِ : **عَبْدُ ٱلْحَمِيدِ** ، وَعِنْدَ سَائِرِ ٱلْمَلَائِكَةِ : **عَبْدُ ٱلْمَجِيدِ** ، وَعِنْدَ ٱلْأَنْبِيَاءِ : **عَبْدُ ٱلْوَهَّابِ** ، وَعِنْدَ ٱلشَّيَاطِينِ : **عَبْدُ ٱلْقَهَّارِ** ، وَعِنْدَ ٱلْجِنِّ : **عَبْدُ ٱلرَّحِيمِ** ، وَفِي ٱلْجِبَالِ : **عَبْدُ ٱلْخَالِقِ** ، وَفِي ٱلْبَرَارِي : **عَبْدُ ٱلْقَادِرِ** ، وفِي ٱلْبِحَارِ : **عَبْدُ ٱلْمُهَيْمِنِ** ، وَعِنْدَ ٱلْحِيتَانِ : **عَبْدُ ٱلْقُدُّوسِ** ، وَعِنْدَ ٱلْهَوَامِّ : **عَبْدُ ٱلْغِيَاثِ** ، وَعِنْدَ ٱلْوُحُوشِ : **عَبْدُ ٱلرَّزَّاقِ** ، وَعِنْدَ ٱلسِّبَاعِ : **عَبْدُ ٱلسَّلَامِ** ، وَعِنْدَ ٱلْبَهَائِمِ : **عَبْدُ ٱلْمُؤْمِنِ** ، وَعِنْدَ ٱلطُّيُورِ : **عَبْدُ ٱلْغَفَّارِ** ، وَفِي ٱلتَّوْرَاةِ : **مُؤذُ مُؤذُ** ، وَفِي ٱلْإِنْجِيلِ :

---

(١) بهمزة مضمومة ثم حاء مكسورة فمثناة تحتية ساكنة ثم دال مهملة ، هٰكذا ضبطه بعضهم علىٰ وزن الفعل ، فهو عربي .

والمشهور ضبطه : (أَحْيَدُ) بفتح الهمزة وسكون الحاء المهملة وفتح المثناة التحتية ، على وزن اسم التفضيل ، وبه ضبطه البرهان في « المقتفى » . قال الشُّمُنِّيُّ : وهو المحفوظ وهو غير عربي .

طَابَ طَابَ ، وفِي ٱلصُّحُفِ : **عَاقِبٌ** ، وَفِي ٱلزَّبُورِ : **فَارُوقٌ** ، وَعِنْدَ ٱللهِ : **طٰهٰ** ، **وَيَاسِينُ** ، وَعِنْدَ ٱلْمُؤْمِنِينَ : **مُحَمَّدٌ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** .

وَكُنْيَتُهُ : أَبُو ٱلْقَاسِمِ ؛ لأَنَّهُ يَقْسِمُ ٱلْجَنَّةَ بَيْنَ أَهْلِهَا .

قَوْلُهُ : (مُؤذُ مُؤذُ) : نَقَلَ فِي « ٱلْمَوَاهِبِ » عَنِ ٱلسُّهَيْلِيِّ : أَنَّهُ بِضَمِّ ٱلْمِيمِ ، وَإِشْمَامِ ٱلْهَمْزَةِ ضَمّاً بَيْنَ ٱلْوَاوِ وَٱلأَلِفِ ، مَمْدُوداً . وَقَالَ : نَقَلْتُهُ عَنْ رَجُلٍ أَسْلَمَ مِنْ عُلَمَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، وَقَالَ مَعْنَاهُ : طَيِّبٌ طَيِّبٌ) اهـ

فَيَكُونُ بِمَعْنَى ٱلاسْمِ ٱلْآخَرِ وَهُوَ : (طَابَ . . طَابَ) .

وَأَمَّا ٱلفَارُوقُ : فَهُوَ ٱلَّذِي يُفَرِّقُ بَيْنَ ٱلْحَقِّ وَٱلْبَاطِلِ ، وَهُوَ مَعْنَى ٱسْمِ (ٱلْبَارَقَلِيطِ)[1] ٱلْمَذْكُورِ فِي « إِنْجِيلِ يُوحَنَّا » .

وَقَدْ أَلَّفَ خَاتِمَةُ ٱلْحُفَّاظِ جَلَالُ ٱلدِّينِ ٱلسُّيُوطِيُّ رِسَالَةً سَمَّاهَا : « ٱلْبَهْجَةُ ٱلسَّنِيَّةُ فِي ٱلْأَسْمَاءِ ٱلنَّبَوِيَّةِ » جَمَعَ فِيهَا نَحْوَ ٱلْخَمْسِ مِئَةٍ .

وَنَقَلَ فِي « ٱلْمَوَاهِبِ » عَنْ كِتَابِ « أَحْكَامِ ٱلْقُرْآنِ » لأَبِي بَكْرٍ ٱبْنِ ٱلْعَرَبِيِّ : أَنَّ لِلهِ تَعَالَىٰ أَلْفَ ٱسْمٍ ، وَلِلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَلْفَ ٱسْمٍ .

قَالَ ٱلْقُسْطُلَّانِيُّ : (وَٱلْمُرَادُ : ٱلأَوْصَافُ ، فَكُلُّ ٱلأَسْمَاءِ ٱلَّتِي وَرَدَتْ أَوْصَافُ مَدْحٍ ، وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ . . فَلَهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ كُلِّ وَصْفٍ ٱسْمٌ .

---

(١) ٱلْبَارَقَلِيط ، وَٱلْبَارْقَلِيط ، وَٱلْبَارَقْلِيط ، وَٱلْبَارِقْلِيط ، ويُروىٰ أيضاً بالفاء دون الباء ؛ وهو : الذي يفرِّق بين الحق والباطل . وقال التقي الشمُنّي : وأكثر أهل الإنجيل علىٰ أن معناه : (المخلِّص) .

ثُمَّ إِنَّ مِنْهَا مَا هُوَ مُخْتَصٌّ بِهِ ، أَوِ ٱلْغَالِبُ عَلَيْهِ ، وَمِنْهَا مَا هُوَ مُشْتَرَكٌ . وَكُلُّ ذَلِكَ بَيِّنٌ بِٱلْمُشَاهَدَةِ لَا يَخْفَىٰ .

وَإِذَا جَعَلْنَا لَهُ مِنْ كُلِّ وَصْفٍ مِنْ أَوْصَافِهِ ٱسْماً . . بَلَغَتْ أَسْمَاؤُهُ مَا ذَكَرَ ، بَلْ أَكْثَرَ .

قَالَ : وَٱلَّذِي رَأَيْتُهُ فِي كَلَامِ شَيْخِنَا ـ يَعْنِي ٱلْحَافِظَ ٱلسَّخَاوِيَّ ـ فِي « ٱلْقَوْلِ ٱلْبَدِيعِ » ، وَٱلْقَاضِي عِيَاضٍ فِي « ٱلشِّفَا » ، وَٱبْنِ ٱلْعَرَبِيِّ فِي « ٱلْقَبَسِ » وَ« ٱلْأَحْكَامِ » ، وَٱبْنِ سَيِّدِ ٱلنَّاسِ وَغَيْرِهِمْ . . يَزِيدُ عَلَى ٱلْأَرْبَعِ مِئَةٍ ، ثُمَّ سَرَدَهَا مُرَتَّبَةً عَلَىٰ حُرُوفِ ٱلْمُعْجَمِ) .

وَذَكَرَ مِنْهَا ٱلْإِمَامُ ٱلْجُزُولِيُّ فِي « دَلَائِلِ ٱلْخَيْرَاتِ » مِئَتَيْنِ وَوَاحِداً .

وَقَالَ فِي « ٱلتَّهْذِيبِ » : (وَكُنْيَتُهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ٱلْمَشْهُورَةُ : أَبُو ٱلْقَاسِمِ ، وَكَنَّاهُ جِبْرِيلُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَبَا إِبْرَاهِيمَ) .

وَأَفْضَلُ أَسْمَائِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مُحَمَّدٌ .

قَالَ ٱلْقُسْطُلَّانِيُّ : (وَقَدْ سَمَّاهُ ٱللهُ تَعَالَىٰ بِهَـٰذَا ٱلِٱسْمِ قَبْلَ ٱلْخَلْقِ بِأَلْفَيْ عَامٍ ، كَمَا وَرَدَ فِي حَدِيثِ أَنَسٍ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ .

وَرَوَىٰ ٱبْنُ عَسَاكِرَ عَنْ كَعْبِ ٱلْأَحْبَارِ : أَنَّ آدَمَ أَوْصَى ٱبْنَهُ شِيثاً فَقَالَ : أَيْ بُنَيَّ ؛ أَنْتَ خَلِيفَتِي مِنْ بَعْدِي ، فَخُذْهَا بِعِمَارَةِ ٱلتَّقْوَىٰ وَٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ، وَكُلَّمَا ذَكَرْتَ ٱللهَ فَٱذْكُرْ إِلَىٰ جَنْبِهِ ٱسْمَ مُحَمَّدٍ ، فَإِنِّي رَأَيْتُ ٱسْمَهُ مَكْتُوباً عَلَىٰ سَاقِ ٱلْعَرْشِ ، ثُمَّ طُفْتُ ٱلسَّمَاوَاتِ فَلَمْ أَرَ فِيهَا مَوْضِعاً إِلَّا

وَرَأَيْتُ ٱسْمَ مُحَمَّدٍ مَكْتُوباً عَلَيْهِ ، وَإِنَّ رَبِّي أَسْكَنَنِي ٱلْجَنَّةَ ، فَلَمْ أَرَ فِيهَا قَصْراً وَلَا غُرْفَةً إِلَّا وَجَدْتُ ٱسْمَ مُحَمَّدٍ مَكْتُوباً عَلَيْهِ ، وَلَقَدْ رَأَيْتُ ٱسْمَ مُحَمَّدٍ مَكْتُوباً عَلَىٰ نُحُورِ ٱلْحُورِ ٱلْعِينِ ، وَعَلَىٰ وَرَقِ قَصَبِ آجَامِ ٱلْجَنَّةِ(١) ، وَعَلَىٰ وَرَقِ شَجَرَةِ طُوبَىٰ(٢) ، وَعَلَىٰ وَرَقِ سِدْرَةِ ٱلْمُنْتَهَىٰ ، وَعَلَىٰ أَطْرَافِ ٱلْحُجُبِ(٣) ، وَبَيْنَ أَعْيُنِ ٱلْمَلَائِكَةِ ، فَأَكْثِرْ ذِكْرَهُ ؛ فَإِنَّ ٱلْمَلَائِكَةَ تَذْكُرُهُ فِي كُلِّ سَاعَاتِهَا .

قَالَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ :

أَغَـــرُّ عَلَيْـــهِ لِلْنُّبُـــوَّةِ خَـــاتَـــمٌ ... مِـنَ ٱللهِ مِـنْ نُـورٍ يَلُـوحُ وَيُشْهَـدُ
وَضَمَّ ٱلْإِلَـٰهُ ٱسْمَ ٱلنَّبِيِّ إِلَى ٱسْمِهِ ... إِذَا قَالَ فِي ٱلْخَمْسِ ٱلْمُؤَذِّنُ : أَشْهَدُ
وَشَـــقَّ لَـــهُ مِـــنْ إِسْمِـــهِ لِيُجِلَّـــهُ ... فَذُو ٱلْعَرْشِ مَحْمُودٌ وَهَـٰذَا مُحَمَّدُ

وَأَمَّا ٱسْمُ أَحْمَدَ : فَقَدْ قَالَ ٱلْبَاجُورِيُّ فِي « حَاشِيَتِهِ » :

هُوَ فِي ٱلْأَصْلِ أَفْعَلُ تَفْضِيلٍ ، وَسُمِّيَ بِذَلِكَ لأَنَّهُ أَحْمَدُ ٱلْحَامِدِينَ لِرَبِّهِ ؛ فَفِي « ٱلصَّحِيحِ » : أَنَّهُ يُفْتَحُ عَلَيْهِ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ بِمَحَامِدَ لَمْ يُفْتَحْ بِهَا عَلَىٰ أَحَدٍ قَبْلَهُ ، وَكَذَلِكَ يُعْقَدُ لَهُ لِوَاءُ ٱلْحَمْدِ ، وَيُخَصُّ بِٱلْمَقَامِ ٱلْمَحْمُودِ .

وَبِٱلْجُمْلَةِ : فَهُوَ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ حَامِدِيَّةً وَمَحْمُودِيَّةً ، فَلِذَلِكَ سُمِّيَ أَحْمَدَ وَمُحَمَّداً . وَلِهَـٰذَيْنِ ٱلاسْمَيْنِ ٱلشَّرِيفَيْنِ مَزِيَّةٌ عَلَىٰ سَائِرِ ٱلْأَسْمَاءِ ، فَيَنْبَغِي

---

(١) جمع أجمة : الشجر الملتفّ ؛ أي : علىٰ أغصان شجر الجنّة .
(٢) تأنيث الأطيب ، شجرة في الجنّة .
(٣) الأستار التي في الجنة ، أو المحلات التي لا يتجاوزها الرائي إلىٰ ما وراءها .

تَحَرِّي ٱلتَّسْمِيَةِ بِهِمَا ، فَقَدْ وَرَدَ فِي ٱلْحَدِيثِ ٱلْقُدْسِيِّ : « إِنِّي آلَيْتُ عَلَىٰ نَفْسِي أَنْ لَا أُدْخِلَ ٱلنَّارَ مَنِ ٱسْمُهُ أَحْمَدُ ، وَلَا مُحَمَّدٌ » .

وَرَوَاهُ ٱلدَّيْلَمِيُّ عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ : مَا مِنْ مَائِدَةٍ وُضِعَتْ فَحَضَرَ عَلَيْهَا مَنِ ٱسْمُهُ مُحَمَّدٌ أَوْ أَحْمَدُ . . إِلَّا قَدَّسَ ٱللهُ ذَلِكَ ٱلْمَنْزِلَ فِي كُلِّ يَوْمٍ مَرَّتَيْنِ) اهـ

* * *

البَابُ الثَّانِي

فِي صِفَةِ خِلْقَةِ رَسُولِ ٱللهِ

صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

وَمَا يُنَاسِبُهَا مِنْ أَوْصَافِهِ ٱلشَّرِيفَةِ

وَفِيهِ عَشَرَةُ فُصُولٍ

الفصل الأول

في جمال صورته صلى الله عليه وسلم . وما شاكلها

قَالَ فِي « ٱلْمَوَاهِبِ » : (اِعْلَمْ أَنَّ مِنْ تَمَام ٱلْإِيمَانِ بِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . اَلْإِيمَانَ بِأَنَّ ٱللهَ تَعَالَىٰ جَعَلَ خَلْقَ بَدَنِهِ ٱلشَّرِيفِ عَلَىٰ وَجْهٍ لَمْ يَظْهَرْ قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ خَلْقُ آدَمِيٍّ مِثْلُهُ .

وَلِلّٰهِ دَرُّ ٱلْأَبُوصِيرِيِّ[1] حَيْثُ قَالَ :

فَهْوَ ٱلَّذِي تَمَّ مَعْنَاهُ وَصُورَتُهُ ثُمَّ ٱصْطَفَاهُ حَبِيباً بَارِئُ ٱلنَّسَمِ
مُنَزَّهٌ عَنْ شَرِيكٍ فِي مَحَاسِنِهِ فَجَوْهَرُ ٱلْحُسْنِ فِيهِ غَيْرُ مُنْقَسِمِ

وَقَدْ حَكَى ٱلْقُرْطُبِيُّ رَحِمَهُ ٱللهُ تَعَالَىٰ فِي (كِتَابِ ٱلصَّلَاةِ) ، أَنَّهُ قَالَ : لَمْ يَظْهَرْ لَنَا تَمَامُ حُسْنِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ لِأَنَّهُ لَوْ ظَهَرَ لَنَا تَمَامُ حُسْنِهِ . لَمَا طَاقَتْ أَعْيُنُنَا رُؤْيَتَهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) اهـ

كَانَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَسَنَ ٱلْجِسْمِ . رَوَاهُ غَيْرُ وَاحِدٍ .

وَرَوَى ٱلتِّرْمِذِيُّ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ ، قَالَ : كَانَ رَسُولُ ٱللهِ

---

(١) هو محمد بن سعيد الصنهاجي صاحب نظم « البردة » المشهور نشأ في قرية « البوصير » وإليها ينسب فيقال : (البوصيري) ؛ ولذا فإنَّ قوله : (الأبوصيري) منتقد . والله أعلم .

صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْسَ بِٱلطَّوِيلِ ٱلْبَائِنِ ، وَلَا بِٱلْقَصِيرِ ، وَلَا بِٱلْأَبْيَضِ ٱلْأَمْهَقِ ، وَلَا بِٱلْآدَمِ ، وَلَا بِٱلْجَعْدِ ٱلْقَطَطِ وَلَا بِٱلسَّبْطِ .

وَمَعْنَى (ٱلْبَائِنِ) : ٱلظَّاهِرُ طُولُهُ .

وَ(ٱلْأَمْهَقِ) : ٱلشَّدِيدُ ٱلْبَيَاضِ ، ٱلْخَالِي عَنِ ٱلْحُمْرَةِ .

وَ(ٱلْآدَمِ) : ٱلْأَسْمَرُ .

وَ(ٱلْجَعْدِ) : مَنْ فِي شَعْرِهِ ٱلْتِوَاءٌ .

وَ(القَطَطِ) : شَدِيدُ ٱلْجُعُودَةِ .

وَ(ٱلسَّبْطِ) : مُسْتَرْسِلُ ٱلشَّعْرِ .

وَكَانَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجِلاً مَرْبُوعاً[1] ، بَعِيدَ مَا بَيْنَ ٱلْمَنْكِبَيْنِ ، عَظِيمَ ٱلْجُمَّةِ إِلَىٰ شَحْمَةِ أُذُنَيْهِ .

وَمَعْنى (ٱلرَّجِلِ)[2] : مَنْ فِي شَعْرِهِ تَكَسُّرٌ قَلِيلٌ .

وَ(ٱلْجُمَّةُ) : مُجْتَمَعُ شَعْرِ ٱلرَّأْسِ ؛ وَهِيَ أَكْثَرُ مِنَ ٱلْوَفْرَةِ وَٱللِّمَّةِ[3] .

وَكَانَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَثْنَ ٱلْكَفَّيْنِ وَٱلْقَدَمَيْنِ ، ضَخْمَ ٱلرَّأْسِ ، ضَخْمَ ٱلْكَرَادِيسِ ، طَوِيلَ ٱلْمَسْرُبَةِ ، إِذَا مَشَىٰ تَكَفَّأَ تَكَفُّؤاً ؛ كَأَنَّمَا يَنْحَطُّ مِنْ صَبَبٍ .

وَمَعْنَىٰ(شَثْنٍ) : غَلِيظٌ .

---

(١) وهو المتوسط بين الطويل والقصير .

(٢) الرَّجل بفتح الراء وكسر الجيم ، وقد يضم ، وقد يفتح ، وقد يسكَّن .

(٣) **الوَفرة** : ما بلغت شحمة الأذن ، **والجُمَّة** : ما وصلت المنكب ، **واللِّمة** : ما بينهما .

وَ(ٱلْكَرَادِيسُ) ـ جَمْعُ كُرْدُوسٍ ـ وَهُوَ : مَجْمَعُ ٱلْعِظَامِ كَٱلرُّكْبَةِ وَٱلْمَنْكِبِ .

وَ(ٱلْمَسْرُبَةُ) : ٱلشَّعْرُ ٱلدَّقِيقُ ٱلَّذِي كَأَنَّهُ قَضِيبٌ مِنَ ٱلصَّدْرِ إِلَى ٱلسُّرَّةِ .

وَ(ٱلتَّكَفُّؤُ) : اَلْمَيْلُ إِلَىٰ سَنَنِ[1] ٱلْمَشْيِ ، وَهُوَ : مَا بَيْنَ يَدَيْهِ كَٱلسَّفِينَةِ فِي جَرْيِهَا .

وَ(ٱلصَّبَبُ) : اَلْمَكَانُ ٱلْمُنْحَدِرُ مِنَ ٱلْأَرْضِ .

وَكَانَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَعْداً رَجِلاً[2] ، وَلَمْ يَكُنْ بِٱلْمُطَهَّمِ ؛ وَلَا بِٱلْمُكَلْثَمِ ، وَكَانَ فِي وَجْهِهِ تَدْوِيرٌ ، أَبْيَضُ مُشَرَّبٌ[3] ، أَدْعَجَ ٱلْعَيْنَيْنِ ، أَهْدَبَ ٱلْأَشْفَارِ ، جَلِيلَ ٱلْمُشَاشِ وَٱلْكَتِدِ ، أَجْرَدَ ، ذَا مَسْرُبَةٍ ، شَثْنَ ٱلْكَفَّيْنِ وَٱلْقَدَمَيْنِ ، إِذَا مَشَىٰ . . تَقَلَّعَ كَأَنَّمَا يَنْحَطُّ مِنْ صَبَبٍ ، وَإِذَا ٱلْتَفَتَ . . ٱلْتَفَتَ مَعاً ، بَيْنَ كَتِفَيْهِ خَاتَمُ ٱلنُّبُوَّةِ .

وَهُوَ خَاتِمُ ٱلنَّبِيِّينَ ، أَجْوَدُ ٱلنَّاسِ صَدْراً ، وَأَصْدَقُ ٱلنَّاسِ لَهْجَةً ، وَأَلْيَنُهُمْ عَرِيكَةً ، وَأَكْرَمُهُمْ عِشْرَةً ، مَنْ رَآهُ بَدِيهَةً . . هَابَهُ ، وَمَنْ خَالَطَهُ مَعْرِفَةً . . أَحَبَّهُ ، يَقُولُ نَاعِتُهُ : لَمْ أَرَ قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ مِثْلَهُ .

---

(١) مثلث السين وبضمتين ؛ سُنَنٌ وسَنَنٌ وسِنَنٌ وسُنُنٌ .

(٢) **الجعد** : هو الشعر المتجعد والمتثني . .

(٣) مُشْرَب بتخفيف الراء من الإشراب ، وهو خلط لون بلونٍ كأنه سقي به ، أو (مُشَرَّب) بالتشديد من التشريب ، وهو مبالغة في الإشراب .

وَمَعْنَى(ٱلْمُطَهَّمِ) : ٱلْبَادِنُ ٱلْكَثِيرُ ٱللَّحْمِ[1] .

وَ(ٱلْمُكَلْثَمِ) : ٱلْمُدَوَّرُ ٱلْوَجْهِ .

وَ(أَدْعَجِ ٱلْعَيْنَيْنِ) : شَدِيدُ سَوَادِهِمَا .

وَ(أَهْدَبِ ٱلْأَشْفَارِ) : طَوِيلُ شَعْرِ ٱلْأَجْفَانِ .

وَ(ٱلْمُشَاشِ) : رُؤُوسُ ٱلْعِظَامِ .

وَ(ٱلْكَتَدِ) : مُجْتَمَعُ ٱلْكَتِفَيْنِ .

وَ(أَجْرَدَ) : غَيْرُ أَشْعَرَ .

وَ(تَقَلَّعَ) : مَشَىٰ بِقُوَّةٍ .

وَ(ٱللَّهْجَةِ) : ٱلْكَلَامُ .

وَ(ٱلْعَرِيكَةِ) : ٱلطَّبِيعَةُ .

وَ(ٱلْبَدِيهَةِ) : ٱلْمُفَاجَأَةُ .

وَكَانَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَهْلَ ٱلْخَدَّيْنِ[2] ، ضَلِيعَ ٱلْفَمِ ، سَوَاءَ ٱلْبَطْنِ وَٱلصَّدْرِ ، أَشْعَرَ ٱلْمَنْكِبَيْنِ وَٱلذِّرَاعَيْنِ وَأَعَالِي ٱلصَّدْرِ ، طَوِيلَ ٱلزَّنْدَيْنِ ، رَحْبَ ٱلرَّاحَةِ ، أَشْكَلَ ٱلْعَيْنَيْنِ ، أَحْمَرَ ٱلْمَآقِي ، مَنْهُوسَ ٱلْعَقِبَيْنِ .

وَمَعْنَىٰ (ضَلِيعِ ٱلْفَمِ) : وَاسِعُهُ، وَهُوَ مَمْدُوحٌ لِدَلَالَتِهِ عَلَى ٱلْفَصَاحَةِ .

وَ(أَشْكَلِ ٱلْعَيْنَيْنِ) : فِي بَيَاضِهِمَا حُمْرَةٌ .

---

(١) أي : عظيم البدن بكثرة لحمه .

(٢) أي : غير مرتفع الوجنتين .

وَ(مَنْهُوسِ ٱلْعَقِبَيْنِ) : قَلِيلُ لَحْمِهِمَا .

وَكَـانَ رَسُـولُ ٱللهِ صَلَّـى ٱللهُ عَلَيْـهِ وَسَلَّـمَ عَظِيـمَ ٱلْعَيْنَيْـنِ ، أَهْـدَبَ ٱلْأَشْفَارِ ، مُشَرَّبَ ٱلْعَيْنِ بِحُمْرَةٍ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَبْلَجَ ٱلْحَاجِبَيْنِ(١) ، كَأَنَّ مَا بَيْنَهُمَا ٱلْفِضَّةُ ٱلْمُخَلَّصَةُ . وَكَانَتْ عَيْنَاهُ نَجْلَاوَيْنِ(٢) ، أَدْعَجهُمَا(٣) ، وَكَانَ فِي عَيْنَيْهِ تَمَزُّجٌ مِنْ حُمْرَةٍ ، وَكَانَ أَهْدَبَ ٱلْأَشْفَارِ حَتَّىٰ تَكَادَ تَلْتَبِسُ مِنْ كَثْرَتِهَا .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ضَخْمَ ٱلرَّأْسِ وَٱلْيَدَيْنِ وَٱلْقَدَمَيْنِ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَهْلَ ٱلْخَدَّيْنِ صَلْتَهُمَا(٤) ، لَيْسَ بِٱلطَّوِيلِ ٱلْوَجْهِ ، وَلَا ٱلْمُكَلْثَمِ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحْسَنَ ٱلنَّاسِ صِفَةً وَأَجْمَلَهَا ، كَانَ رَبْعَةً إِلَى ٱلطُّولِ مَا هُوَ(٥) ، بَعِيدَ مَا بَيْنَ ٱلْمَنْكِبَيْنِ ، أَسِيلَ ٱلْخَدَّيْنِ ، شَدِيدَ سَوَادِ ٱلشَّعْرِ ، أَكْحَلَ ٱلْعَيْنَيْنِ ، أَهْدَبَ ٱلْأَشْفَارِ ، إِذَا وَطِىءَ بِقَدَمِهِ . . وَطِىءَ بِكُلِّهَا ، لَيْسَ لَهُ أَخْمَصُ(٦) ، إِذَا وَضَعَ رِدَاءَهُ عَنْ مَنْكِبَيْهِ . . فَكَأَنَّهُ سَبِيكَةُ فِضَّةٍ ، وإِذَا ضَحِكَ . . يَتَلَأْلَأُ .

---

(١) أي : كان بين حاجبيه فرجة بيضاء دقيقة لا تتبيّن إلا لمتأمِّل .

(٢) أي : واسعتين .

(٣) أي : شديد سواد حدقتهما .

(٤) أي : سائلهما من غير ارتفاع وجنتيه .

(٥) أي : هو يميل إلى الطول ميلاً قليلاً .

(٦) **الأخمص** : ما يتجافى من باطن القدم عن الأرض .

وَمَعْنَىٰ (أَسِيلِ ٱلْخَدَّيْنِ) : لَيْسَ فِيهِمَا ٱرْتِفَاعٌ .

وَ(ٱلْأَكْحَلِ) : أَسْوَدُ أَجْفَانِ ٱلْعَيْنِ خِلْقَةً .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَبَحَ ٱلذِّرَاعَيْنِ ، بَعِيدَ مَا بَيْنَ ٱلْمَنْكِبَيْنِ ، أَهْدَبَ أَشْفَارِ ٱلْعَيْنَيْنِ .

وَمَعْنَىٰ (شَبَحِ ٱلذِّرَاعَيْنِ) : عَرِيضُهُمَا مُمْتَدُّهُمَا .

وَكَانَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَبْلَ ٱلْعَضُدَيْنِ وَٱلذِّرَاعَيْنِ[1] ، وَمَا تَحْتَ ٱلْإِزَارِ مِنَ ٱلْفَخِذَيْنِ وَٱلسَّاقِ ، طَوِيلَ ٱلزَّنْدَيْنِ ، رَحْبَ ٱلرَّاحَتَيْنِ ، سَائِلَ ٱلْأَطْرَافِ ، كَأَنَّ أَصَابِعَهُ قُضْبَانُ ٱلْفِضَّةِ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُعْتَدِلَ ٱلْخَلْقِ فِي ٱلسِّمَنِ ، فَبَدُنَ فِي آخِرِ عُمُرِهِ ، وَكَانَ مَعَ ذَلِكَ لَحْمُهُ مُتَمَاسِكاً ، يَكَادُ يَكُونُ عَلَى ٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ ، لَمْ يَضُرَّهُ ٱلسِّنُّ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحْسَنَ ٱلنَّاسِ وَجْهاً ، وَأَحْسَنَهُمْ خَلْقاً ، لَيْسَ بِٱلطَّوِيلِ ٱلْبَائِنِ ، وَلَا بِٱلْقَصِيرِ ، بَلْ كَانَ يُنْسَبُ إِلَى ٱلرَّبْعَةِ[2] إِذَا مَشَىٰ وَحْدَهُ ، وَمَعَ ذَلِكَ فَلَمْ يَكُنْ يُمَاشِيهِ أَحَدٌ مِنَ ٱلنَّاسِ وَهُوَ يُنْسَبُ إِلَى ٱلطُّولِ . . إِلَّا طَالَهُ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَلَرُبَّمَا ٱكْتَنَفَهُ ٱلرَّجُلَانِ ٱلطَّوِيلَانِ فَيَطُولُهُمَا ، فَإِذَا فَارَقَاهُ . . نُسِبَا إِلَى ٱلطُّولِ ؛ وَنُسِبَ هُوَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى ٱلرَّبْعَةِ .

---

(١) أي : ضخمهما .

(٢) **الرَّبعة** : توسط القامة واعتدالها .

وَيَقُولُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « جُعِلَ ٱلْخَيْرُ كُلُّهُ فِي ٱلرَّبْعَةِ » .

وَزَادَ ٱبْنُ سَبْعٍ فِي « ٱلْخَصَائِصِ » : أَنَّهُ كَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا جَلَسَ . . يَكُونُ كَتِفُهُ أَعْلَىٰ مِنْ جَمِيعِ ٱلْجَالِسِينَ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَخْماً مُفَخَّماً ، يَتَلأْلأُ وَجْهُهُ تَلأْلُؤَ ٱلْقَمَرِ لَيْلَةَ ٱلْبَدْرِ ، أَطْوَلَ مِنَ ٱلْمَرْبُوعِ ، وَأَقْصَرَ مِنَ ٱلْمُشَذَّبِ ، عَظِيمَ ٱلْهَامَةِ(١) ، رَجِلَ ٱلشَّعْرِ ، إِنِ ٱنْفَرَقَتْ عَقِيقَتُهُ . . فَرَقَهَا ، وَإِلَّا . . فَلَا يُجَاوِزُ شَعْرُهُ شَحْمَةَ أُذُنَيْهِ إِذَا هُوَ وَفَرَهُ .

أَزْهَرَ ٱللَّوْنِ ، وَاسِعَ ٱلْجَبِينِ ، أَزَجَّ ٱلْحَوَاجِبِ ؛ سَوَابِغَ فِي غَيْرِ قَرَنٍ(٢) ، بَيْنَهُمَا عِرْقٌ يُدِرُّهُ ٱلْغَضَبُ ، أَقْنَى ٱلْعِرْنِينِ ، لَهُ نُورٌ يَعْلُوهُ ، يَحْسِبُهُ مَنْ لَمْ يَتَأَمَّلْهُ أَشَمَّ ، كَثَّ ٱللِّحْيَةِ ، سَهْلَ ٱلْخَدَّيْنِ ، ضَلِيعَ ٱلْفَمِ ، أَشْنَبَ ، مُفَلَّجَ ٱلْأَسْنَانِ ، دَقِيقَ ٱلْمَسْرُبَةِ ، كَأَنَّ عُنُقَهُ جِيدُ دُمْيَةٍ فِي صَفَاءِ ٱلْفِضَّةِ ، مُعْتَدِلَ ٱلْخَلْقِ .

بَادِنٌ مُتَمَاسِكٌ ، سَوَاءٌ ٱلْبَطْنُ وَٱلصَّدْرُ(٣) ، عَرِيضُ ٱلصَّدْرِ ، بَعِيدُ مَا بَيْنَ ٱلْمَنْكِبَيْنِ ، ضَخْمُ ٱلْكَرَادِيسِ ، أَنْوَرُ ٱلْمُتَجَرِّدِ(٤) ، مَوْصُولُ مَا بَيْنَ ٱللَّبَّةِ وَٱلسُّرَّةِ بِشَعْرٍ يَجْرِي كَٱلْخَطِّ ، عَارِي ٱلثَّدْيَيْنِ وَٱلْبَطْنِ مَا سِوَىٰ ذَلِكَ(٥) ،

---

(١) أي : عظيم الرأس .

(٢) والمراد : أن حاجبيه قد سبغا حتىٰ كادا يلتقيان ولم يلتقيا . والقرن غير محمود عند العرب ويستحبون البلجَ وهو الصحيح في صفته صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

(٣) في بعض النسخ : سواءُ البطنِ والصدرِ .

(٤) والمعنى : أنه نير العضو المتجرِّد عن الشعر أو عن الثوب .

(٥) وفي رواية : (ممَّا سوىٰ ذلك) ، وهي أنسب وأقربُ ؛ أي : سِوىٰ محل الشعر =

أشْعَرُ ٱلذِّرَاعَيْنِ وَٱلْمَنْكِبَيْنِ وَأَعَالِي ٱلصَّدْرِ ، طَوِيلُ ٱلزَّنْدَيْنِ .

رَحْبُ ٱلرَّاحَةِ ، شَثْنُ ٱلْكَفَّيْنِ وَٱلْقَدَمَيْنِ ، سَائِلُ ٱلْأَطْرَافِ ، خُمْصَانُ[1] ٱلْأَخْمَصَيْنِ ، مَسِيحُ ٱلْقَدَمَيْنِ يَنْبُو عَنْهُمَا ٱلْمَاءُ ؛ إِذَا زَالَ . . زَالَ قَلْعاً[2] ، يَخْطُو تَكَفِّياً وَيَمْشِي هَوْناً ، ذَرِيعُ ٱلْمِشْيَةِ ، إِذَا مَشَىٰ . . كَأَنَّمَا يَنْحَطُّ مِنْ صَبَبٍ ، وَإِذَا ٱلْتَفَتَ . . ٱلْتَفَتَ جَمِيعاً ، خَافِضُ ٱلطَّرْفِ ، نَظَرُهُ إِلَى ٱلْأَرْضِ أَطْوَلُ مِنْ نَظَرِهِ إِلَى ٱلسَّمَاءِ ، جُلُّ نَظَرِهِ ٱلْمُلَاحَظَةُ ، يَسُوقُ أَصْحَابَهُ ، وَيَبْدُرُ مَنْ لَقِيَهُ بِٱلسَّلَامِ .

وَمَعْنَى (ٱلْفَخْمِ) : اَلْعَظِيمُ فِي نَفْسِهِ .

وَ(ٱلْمُفَخَّمِ) : اَلْمُعَظَّمُ عِنْدَ غَيْرِهِ .

وَ(ٱلْمُشَذَّبِ) : ٱلظَّاهِرُ ٱلطُّولِ مَعَ نَحَافَةٍ .

وَ(رَجِلِ ٱلشَّعْرِ) : مُسْتَرْسِلُهُ .

وَ(ٱلْعَقِيقَةِ) : شَعْرُ ٱلرَّأْسِ .

وَ(وَفَرَهُ) : جَعَلَهُ وَفْرَةً ، وَهِيَ ٱلشَّعْرُ ٱلنَّازِلُ عَنْ شَحْمَةِ ٱلْأُذُنِ إِذَا لَمْ يَصِلْ إِلَى ٱلْمَنْكِبَيْنِ .

وَ(أَزْهَرَ) : مُشْرِقُ ٱللَّوْنِ ، نَيِّرُهُ .

وَ(أَزَجِّ ٱلْحَوَاجِبِ) : مُقَوَّسُهَا مَعَ طُولٍ .

= المذكور ، أما هو : ففيه الشعر الذي هو المسرُبة . والمعنىٰ : لم يكن علىٰ ثدييه وبطنه صلَّى ٱلله عليه وسلَّم شعر غير مسرُبته .

(١) بضم الخاء وسكون الميم كعثمان ، وبضمتين ، فسكون .

(٢) بفتح أوله مع تثليث ثانيه ، وضم أوله مع سكون ثانيه وفتحه .

وَ(ٱلسَّوَابِغِ) : اَلْكَامِلَاتُ .

وَ(أَقْنَى ٱلْعِرْنِينِ) : طَوِيلُ ٱلْأَنْفِ مَعَ دِقَّةِ أَرْنَبَتِهِ[1] ، فِي وَسَطِهِ بَعْضُ ٱرْتِفَاعٍ .

وَ(ٱلْأَشَمِّ) : مُرْتَفِعُ قَصَبَةِ ٱلْأَنْفِ .

وَ(ٱلْأَشْنَبِ) : أَبْيَضُ ٱلْأَسْنَانِ مَعَ بَرِيقٍ وَتَحْدِيدٍ فِيهَا .

وَ(ٱلْمُفَلَّجِ) : مُنْفَرِجُ ٱلثَّنَايَا .

وَ(ٱلدُّمْيَةِ) : صُورَةٌ مِنْ رُخَامٍ وَنَحْوِهِ .

وَ(ٱلْبَادِنِ) : ٱلسَّمِينُ سِمَناً مُعْتَدِلاً .

وَ(ٱلْمُتَجَرِّدِ) : اَلْعُضْوُ ٱلْعَارِي عَنِ ٱلشَّعَرِ .

وَ(ٱللَّبَّةِ) : ٱلنُّقْرَةُ ٱلَّتِي فَوْقَ ٱلصَّدْرِ .

وَ(ٱلرَّحْبِ) : اَلْوَاسِعُ .

وَ(سَائِلِ ٱلْأَطْرَافِ) : طَوِيلُهَا طُولاً مُعْتَدِلاً .

وَ(خُمْصَانِ ٱلْأَخْمَصَيْنِ) : مُتَجَافِيهِمَا عَنِ ٱلْأَرْضِ .

وَ(ٱلْأَخْمَصُ) : اَلْمَوْضِعُ ٱلَّذِي لَا يَمَسُّ ٱلْأَرْضَ عِنْدَ ٱلْوَطْءِ مِنْ وَسَطِ ٱلْقَدَمِ .

وَ(ٱلْمَسِيحَ) : اَلْأَمْلَسُ .

وَ(يَنْبُو) : يَتَبَاعَدُ .

---

(١) أي : طرف الأنف .

وَ(إِذَا زَالَ . . زَالَ قَلْعاً) : إِذَا مَشَىٰ . . رَفَعَ رِجْلَيْهِ بِقُوَّةٍ .

وَ(ذَرِيعِ ٱلْمِشْيَةِ) : وَاسِعُ ٱلْخَطْوِ خِلْقَةً لَا تَكَلُّفاً .

وَ(ٱلْمُلَاحَظَةِ) : ٱلنَّظَرُ بِٱللَّحَاظِ ؛ وَهُوَ : شِقُّ ٱلْعَيْنِ مِمَّا يَلِي ٱلصُّدْغَ .

وَ(يَسُوقُ أَصْحَابَهُ) : يُقَدِّمُهُمْ بَيْنَ يَدَيْهِ .

وَ(يَبْدُرُ) : يَبْتَدِئُ .

وَكَانَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَفْلَجَ ٱلثَّنِيَّتَيْنِ ، إِذَا تَكَلَّمَ رِيءَ[1] كَٱلنُّورِ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ ثَنَايَاهُ . وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحْسَنَ ٱلْبَشَرِ قَدَماً .

وَعَنْ مَيْمُونَةَ بِنْتِ كَرْدَمٍ ؛ قَالَتْ : رَأَيْتُ رَسُولَ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَمَا نَسِيتُ طُولَ إِصْبَعِ قَدَمِهِ ٱلسَّبَّابَةِ عَلَىٰ سَائِرِ أَصَابِعِهِ . رَوَاهُ ٱلْإِمَامُ أَحْمَدُ وَغَيْرُهُ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَاقَيْهِ حَمُوشَةٌ .

وَمَعْنَى (ٱلْحَمُوشَةِ) : ٱلدِّقَّةُ ، وَهِيَ مَحْمُودَةٌ فِي ٱلسَّاقَيْنِ .

وَكَانَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَمْشِي كَأَنَّمَا يَتَقَلَّعُ مِنْ صَخْرٍ ، وَيَنْحَدِرُ مِنْ صَبَبٍ ، يَخْطُو تَكَفِّياً ، وَيَمْشِي ٱلْهُوَيْنَا بِغَيْرِ تَبَخْتُرٍ .

وَمَعْنَى (ٱلْهُوَيْنَا) : تَقَارُبُ ٱلْخُطَا .

---

(١) على الأفصح ، ويُقال أيضاً : رُئِيَ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا مَشَىٰ . . مَشَىٰ مُجْتَمِعاً ؛ أَيْ : قَوِيَّ ٱلْأَعْضَاءِ ، غَيْرَ مُسْتَرْخٍ فِي ٱلْمَشْيِ .

وَكَانَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا مَشَىٰ . . مَشَىٰ أَصْحَابُهُ أَمَامَهُ ، وَتَرَكُوا ظَهْرَهُ لِلْمَلَائِكَةِ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا مَشَىٰ . . لَمْ يَلْتَفِتْ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَلْتَفِتُ وَرَاءَهُ إِذَا مَشَىٰ ، وَكَانَ رُبَّمَا تَعَلَّقَ رِدَاؤُهُ بِٱلشَّجَرِ فَلَا يَلْتَفِتُ حَتَّىٰ يَرْفَعُوهُ عَلَيْهِ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا مَشَىٰ . . كَأَنَّمَا يَتَوَكَّأُ(١) .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَمْشِي مَشْياً يُعْرَفُ فِيهِ أَنَّهُ لَيْسَ بِعَاجِزٍ وَلَا كَسْلَانَ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَطَأُ عَقِبَهُ رَجُلَانِ قَطُّ ، إِنْ كَانُوا ثَلَاثَةً . . مَشَىٰ بَيْنَهُمْ ، وَإِنْ كَانُوا جَمَاعَةً . . قَدَّمَ بَعْضَهُمْ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا لَبِسَ نَعْلَيْهِ . . بَدَأَ بِٱلْيُمْنَىٰ ، وَإِذَا خَلَعَ . . خَلَعَ ٱلْيُسْرَىٰ .

وَكَانَ إِذَا دَخَلَ ٱلْمَسْجِدَ . . أَدْخَلَ رِجْلَهُ ٱلْيُمْنَىٰ .

وَكَانَ يُحِبُّ التَّيَمُّنَ فِي كُلِّ شَيْءٍ أَخْذاً وَعَطَاءً .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ قَالَ : مَا رَأَيْتُ شَيْئاً أَحْسَنَ مِنْ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، كَأَنَّ ٱلشَّمْسَ تَجْرِي فِي وَجْهِهِ ،

---

(١) والمراد : سعىٰ سعياً شديداً .

وَلَا رَأَيْتُ أَحداً أَسْرَعَ فِي مِشْيَتِهِ مِنْ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، كَأَنَّمَا ٱلْأَرْضُ تُطْوَىٰ لَهُ ، إِنَّا لَنُجْهِدُ أَنْفُسَنا ، وَإِنَّهُ لَغَيْرُ مُكْتَرِثٍ .

وَكَانَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نُوراً ، فَكَانَ إِذَا مَشَىٰ فِي ٱلشَّمْسِ وَٱلْقَمَرِ . . لَا يَظْهَرُ لَهُ ظِلٌّ .

وَكَانَ وَجْهُهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِثْلَ ٱلشَّمْسِ(١) وَٱلْقَمَرِ ، وَكَانَ مُسْتَدِيراً .

وَعَنِ ٱلْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُمَا قَالَ : مَا رَأَيْتُ مِنْ ذِي لِمَّةٍ فِي حُلَّةٍ حَمْرَاءَ . . أَحْسَنَ مِنْ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ : مَا رَأَيْتُ شَيْئاً أَحْسَنَ مِنْ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، كَأَنَّ ٱلشَّمْسَ تَجْرِي فِي وَجْهِهِ ، وَإِذَا ضَحِكَ . . يَتَلَأْلأُ فِي ٱلْجُدُرِ .

وَقَالَتْ أُمُّ مَعْبَدٍ فِي بَعْضِ مَا وَصَفَتْهُ بِهِ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا : أَجْمَلُ ٱلنَّاسِ مِنْ بَعِيدٍ ، وَأَحْلَاهُ وَأَحْسَنُهُ مِنْ قَرِيبٍ .

وَعَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُمَا قَالَ : رَأَيْتُ رَسُولَ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي لَيْلَةٍ إِضْحِيَانٍ ؛ وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ حَمْرَاءُ ، فَجَعَلْتُ أَنْظُرُ إِلَيْهِ وَإِلَى ٱلْقَمَرِ ، فَلَهُوَ عِنْدِي أَحْسَنُ مِنَ ٱلْقَمَرِ .

وَمَعْنَىٰ (إِضْحِيَانٍ) : مُقْمِرَةٌ .

---

(١) في مزيد الإضاءة والإشراق ، لكنه ليس مثلها في كونه لا يستطاع النظر إليه .

وَسَأَلَ رَجُلٌ ٱلْبَرَاءَ بنَ عَازِبٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُمَا : أَكَانَ وَجْهُ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِثْلَ ٱلسَّيْفِ ؟ قَالَ : لَا ، بَلْ مِثْلَ ٱلْقَمَرِ .

وَكَانَ لَوْنُهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَزْهَرَ ، وَلَمْ يَكُنْ بِٱلْأَسْمَرِ ، وَلَا بِٱلشَّدِيدِ ٱلْبَيَاضِ .

وَنَعَتَهُ عَمُّهُ أَبُو طَالِبٍ فَقَالَ :

وَأَبْيَضَ يُسْتَسْقَى ٱلْغَمَامُ بِوَجْهِهِ ثِمَالَ ٱلْيَتَامَىٰ عِصْمَةً لِلْأَرَامِلِ

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَزْهَرَ ٱللَّوْنِ ، كَأَنَّ عَرَقَهُ ٱللُّؤْلُؤُ ، إِذَا مَشَىٰ . . تَكَفَّأَ .

وَكَانَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحْسَنَ ٱلنَّاسِ وَجْهاً وَأَنْوَرَهُمْ ، لَمْ يَصِفْهُ وَاصِفٌ إِلَّا شَبَّهَهُ بِٱلْقَمَرِ لَيْلَةَ ٱلْبَدْرِ .

وَكَانُوا يَقُولُونَ : هُوَ كَمَا وَصَفَهُ صَاحِبُهُ أَبُو بَكْرٍ ٱلصِّدِّيقُ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ حَيْثُ يَقُولُ :

أَمِينٌ مُصْطَفَىٰ لِلْخَيْرِ يَدْعُو كَضَوْءِ ٱلْبَدْرِ زَايَلَهُ ٱلْغَمَامُ

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَبْيَضَ كَأَنَّمَا صِيغَ مِنْ فِضَّةٍ ، رَجِلَ ٱلشَّعْرِ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَبْيَضَ مَلِيحاً مُقَصَّداً .

وَمَعْنَى (ٱلْمُقَصَّدِ) : ٱلْمُتَوَسِّطُ بَيْنَ ٱلطُّولِ وَٱلْقِصَرِ .

وَكَانَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَبْيَضَ مُشْرَباً بَيَاضُهُ بِحُمْرَةٍ ، وَكَانَ أَسْوَدَ ٱلْحَدَقَةِ ، أَهْدَبَ ٱلْأَشْفَارِ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَبْيَضَ مُشْرَباً بِحُمْرَةٍ ، ضَخْمَ ٱلْهَامَةِ ، أَغَرَّ أَبْلَجَ ، أَهْدَبَ ٱلْأَشْفَارِ .

وَمَعْنَى (ٱلْأَغَرِّ) : ٱلصَّبِيحُ .

وَ(ٱلْأَبْلَجِ) : اَلْحَسَنُ ٱلْمُشْرِقُ ٱلْمُضِيءُ .

وَكَانَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحْسَنَ عِبَادِ ٱللهِ عُنُقاً ، لَا يُنْسَبُ إِلَى ٱلطُّولِ وَلَا إِلَى ٱلْقِصَرِ ، مَا ظَهَرَ مِنْ عُنُقِهِ لِلشَّمْسِ وَٱلرِّيَاحِ فَكَأَنَّهُ إِبْرِيقُ فِضَّةٍ مُشَرَّبٌ ذَهَباً ، يَتَلَأْلَأُ فِي بَيَاضِ ٱلْفِضَّةِ وَفِي حُمْرَةِ ٱلذَّهَبِ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ أَحْسَنِ عِبَادِ ٱللهِ شَفَتَيْنِ وَأَلْطَفِهِمْ خَتْمَ فَمٍ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَرِيضَ ٱلصَّدْرِ لَا يَعْدُو لَحْمُ بَعْضِ بَدَنِهِ بَعْضاً ؛ كَٱلْمِرْآةِ فِي ٱسْتِوَائِهَا ، وَكَٱلْقَمَرِ فِي بَيَاضِهِ .

وَكَانَ لَهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَلَاثُ عُكَنٍ يُغَطِّي ٱلْإِزَارُ مِنْهَا وَاحِدَةً .

وَعَنْ أُمِّ هَانِيءٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا قَالَتْ : مَا رَأَيْتُ بَطْنَ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا ذَكَرْتُ ٱلْقَرَاطِيسَ ٱلْمَثْنِيَّةَ بَعْضُهَا عَلَىٰ بَعْضٍ .

وَعَنْ مُحَرِّشٍ ٱلْكَعْبِيِّ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ قَالَ : ٱعْتَمَرَ ٱلنَّبِيُّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ ٱلْجِعْرَانَةِ لَيْلاً فَنَظَرْتُ إِلَىٰ ظَهْرِهِ كَأَنَّهُ سَبِيكَةُ فِضَّةٍ .

وَفِي « ٱلْمَوَاهِبِ » : عَنْ مُقَاتِلِ بْنِ حَيَّانَ : قَالَ : أَوْحَى ٱللهُ تَعَالَىٰ إِلَىٰ عِيسَىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ : « اِسْمَعْ وَأَطِعْ ، يَا ٱبْنَ ٱلطَّاهِرَةِ ٱلْبِكْرِ ٱلْبَتُولِ ، إِنِّي خَلَقْتُكَ مِنْ غَيْرِ فَحْلٍ فَجَعَلْتُكَ آيَةً لِلْعَالَمِينَ ، فَإِيَّايَ فَٱعْبُدْ ، وَعَلَيَّ

فَتَوَكَّلْ ، فَسِّرْ لِأَهْلِ سُورانَ[1] إِنِّي أَنَا ٱللهُ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ ٱلَّذِي لَا أَزُولُ ، صَدِّقُوا ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ صَاحِبَ ٱلْجَمَلِ وَٱلْمِدْرَعَةِ ، وَٱلْعِمَامَةِ وَٱلنَّعْلَيْنِ وَٱلْهِرَاوَةِ ، ٱلْجَعْدَ ٱلرَّأْسِ ، ٱلصَّلْتَ ٱلْجَبِينِ ، ٱلْمَقْرُونَ ٱلْحَاجِبَيْنِ ، ٱلْأَهْدَبَ ٱلْأَشْفَارِ ، ٱلْأَدْعَجَ ٱلْعَيْنَيْنِ ، ٱلْأَقْنَى ٱلْأَنْفِ ، ٱلْوَاضِحَ ٱلْخَدَّيْنِ ، ٱلْكَثَّ ٱللِّحْيَةِ ، عَرَقُهُ فِي وَجْهِهِ كَٱللُّؤْلُؤِ ، وَرِيحُ ٱلْمِسْكِ يَنْفَحُ مِنْهُ ، كَأَنَّ عُنُقَهُ إِبْرِيقُ فِضَّةٍ » .

قَوْلُهُ : (صَلْتُ ٱلْجَبِينِ) : وَاضِحُهُ .

وَ(أَدْعَجُ ٱلْعَيْنَيْنِ) : شَدِيدُ سَوَادِ ٱلْعَيْنِ .

وَ(أَقْنَى ٱلْأَنْفِ) : طَوِيلُهُ مَعَ دِقَّةِ أَرْنَبَتِهِ ، فِي وَسَطِهِ بَعْضُ ٱرْتِفَاعٍ .

قَالَ ٱبْنُ ٱلْأَثِيرِ : وَٱلصَّحِيحُ فِي صِفَةِ حَوَاجِبِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهَا سَوَابِغُ مِنْ غَيْرِ قَرَنٍ .

وَكَانَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا نَظَرَ وَجْهَهُ فِي ٱلْمِرْآةِ . . قَالَ : « ٱلْحَمْدُ لِلهِ ٱلَّذِي سَوَّىٰ خَلْقِي فَعَدَّلَهُ ، وَكَرَّمَ صُورَةَ وَجْهِي فَحَسَّنَهَا ، وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ » .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا نَظَرَ فِي ٱلْمِرْآةِ . . قَالَ : « ٱلْحَمْدُ لِلهِ ٱلَّذِي حَسَّنَ خَلْقِي وَخُلُقِي ، وَزَانَ مِنِّي مَا شَانَ مِنْ غَيْرِي » .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « أَنَا أَشْبَهُ ٱلنَّاسِ بِآدَمَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ

---

(١) بالسريانية : بلِّغ مَن بين يديك .

وَسَلَّمَ ، وَكَانَ أَبِي إِبْرَاهِيمُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَشْبَهَ ٱلنَّاسِ بِي خَلْقاً وَخُلُقاً » .

وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ ٱللهِ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُمَا : أَنَّ رَسُولَ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « عُرِضَ عَلَيَّ ٱلْأَنْبِيَاءُ ، فَإِذَا مُوسَىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ضَرْبٌ مِنَ ٱلرِّجَالِ كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنُوءَةَ .

وَرَأَيْتُ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ [عَلَيهِ ٱلسَّلَامُ] ، فإِذَا أَقْرَبُ مَنْ رَأَيْتُ بِهِ شَبَهاً عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ .

وَرَأَيْتُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ، فَإِذَا أَقْرَبُ مَنْ رَأَيْتُ بِهِ شَبَهاً صَاحِبُكُمْ ؛ يَعْنِي نَفْسَهُ .

وَرَأَيْتُ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ، فَإِذَا أَقْرَبُ مَنْ رَأَيْتُ بِهِ شَبَهاً دِحْيَةُ » .

وَمَعْنَىٰ (ضَرْبٌ) : نَوْعٌ .

وَ(شَنُوءَةُ) : قَبِيلَةٌ مِنَ ٱلْيَمَنِ رِجَالُهَا مُتَوَسِّطُونَ .

وَكَانَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَاسِعَ ٱلظَّهْرِ ، مَا بَيْنَ كَتِفَيْهِ خَاتَمُ ٱلنُّبُوَّةِ ، وَهُوَ مِمَّا يَلِي مَنْكِبَهُ ٱلْأَيْمَنَ ، فِيهِ شَامَةٌ سَوْدَاءُ تَضْرِبُ إِلَى ٱلصُّفْرَةِ ، حَوْلَهَا شَعَرَاتٌ مُتَوَالِيَاتٌ كَأَنَّهَا مِنْ عُرْفِ فَرَسٍ .

وَكَانَ خَاتَمُهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غُدَّةً حَمْرَاءَ مِثْلَ بَيْضَةِ ٱلْحَمَامَةِ .

وَعَنْ بُرَيْدَةَ بْنِ ٱلْحُصَيْبِ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ قَالَ : جَاءَ سَلْمَانُ ٱلْفَارِسِيُّ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ إِلَىٰ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ قَدِمَ ٱلْمَدِينَةَ بِمَائِدَةٍ عَلَيْهَا رُطَبٌ ، فَوُضِعَتْ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ ؛ فقَالَ : « يَا سَلْمَانُ . مَا هَـٰذَا ؟ » . فقَالَ : صَدَقَةٌ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أَصْحَابِكَ . فقَالَ : « اِرْفعْهَا ؛ فَإِنَّا لَا نَأْكُلُ ٱلصَّدَقَةَ » . قَالَ : فرَفعَهَا . فجَاءَ ٱلْغَدَ بِمِثْلِهِ فوَضَعَهُ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . فقَالَ : « مَا هَـٰذَا يَا سَلْمَانُ ؟ » . فقَالَ : هَدِيَّةٌ لَكَ . فقَالَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَصْحَابِهِ : « أُبْسُطُوا »[1] . ثُمَّ نَظَرَ إِلَى ٱلْخَاتَمِ عَلَىٰ ظَهْرِ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ فَآمَنَ بِهِ .

وَكَانَ لِلْيَهُودِ[2] ، فَٱشْتَرَاهُ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِكَذَا وَكَذَا دِرْهَماً عَلَىٰ أَنْ يَغْرِسَ لَهُمْ نَخْلاً فَيَعْمَلَ سَلْمَانُ فِيهِ حَتَّىٰ يُطْعِمَ ، فَغَرَسَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ٱلنَّخِيلَ إِلَّا نَخْلَةً وَاحِدَةً غَرَسَهَا عُمَرُ ، فَحَمَلَتِ ٱلنَّخْلُ مِنْ عَامِهَا ، وَلَمْ تَحْمِلِ ٱلنَّخْلَةُ ، فقَالَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَا شَأْنُ هَـٰذِهِ ٱلنَّخْلَةِ؟ » . فقَالَ عُمَرُ : يَا رَسُولَ ٱللهِ ؛ أَنَا غَرَسْتُهَا ، فَنَزَعَهَا رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَغَرَسَهَا ، فَحَمَلَتْ مِنْ عَامِهَا .

* * *

---

(١) وفي رواية : اِنشَطوا ، أي : ميلوا للأكل معي ، وفي أخرىٰ : اِنشقُّوا ، أي : انفرجوا ليتسع المجلس .

(٢) يعني : أن سيدنا سلمان رضي الله تعالىٰ عنه كان رقيقاً لليهود .

الفَصْلُ الثَّانِي

فِي صفة بصره صلى الله عليه وسلم واكتحاله

كَانَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَرَىٰ بِٱللَّيْلِ فِي ٱلظُّلْمَةِ كَمَا يَرَىٰ بِٱلنَّهَارِ فِي ٱلضَّوْءِ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَرَىٰ مَنْ خَلْفَهُ مِنَ ٱلصُّفُوفِ كَمَا يَرَىٰ مَنْ بَيْنَ يَدَيْهِ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَرَىٰ فِي ٱلثُّرَيَّا(١) أَحَدَ عَشَرَ نَجْماً .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَقْعُدُ فِي بَيْتٍ مُظْلِمٍ حَتَّىٰ يُضَاءَ لَهُ بِٱلسِّرَاجِ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعْجِبُهُ ٱلنَّظَرُ إِلَى ٱلْخُضْرَةِ وَٱلْمَاءِ ٱلْجَارِي .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعْجِبُهُ ٱلنَّظَرُ إِلَى ٱلْأُتْرُجِّ .

وَكَانَ يُعْجِبُهُ ٱلنَّظَرُ إِلَى ٱلْحَمَامِ ٱلْأَحْمَرِ(٢) .

* * *

---

(١) **الثريا** ـ مصغّر ثروة ـ: منزل من منازل القمر فيه نجوم مجتمعة جُعلت علامة ، وحكي : أن الثريا اثنا عشر نجماً لم يحقِّق الناس منها غير ستة أو سبعة ، ولم ير جميعها غير النبي صلّى ٱلله عليه وسلّم ؛ لقوة جعلها الله تعالىٰ في بصره .

(٢) **الحمام** : التفّاح ، وهو من باب الاستعارة ، ولم يقل أحد من الشراح إن المراد به=

وَأَمَّا ٱكْتِحَالُ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : فَقَدْ كَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا ٱكْتَحَلَ . . جَعَلَ فِي عَيْنٍ ٱثْنَتَيْنِ وَوَاحِدَةً بَيْنَهُمَا ؛ أَيْ : جَعَلَ فِي كُلِّ عَيْنٍ مِرْوَدَيْنِ ، وَوَاحِدٌ يُقْسَمُ بَيْنَهُمَا ، فَٱلْمَجْمُوعُ وِتْرٌ ، وَهُوَ خَمْسَةُ مَرَاوِدَ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا ٱكْتَحَلَ . . ٱكْتَحَلَ وِتْراً ، وَإِذَا ٱسْتَجْمَرَ[1] . . ٱسْتَجْمَرَ وِتْراً .

وَكَانَ لَهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُكْحُلَةٌ يَكْتَحِلُ مِنْهَا كُلَّ لَيْلَةٍ ، ثَلَاثَةً فِي هَـٰذِهِ ، وَثَلَاثَةً فِي هَـٰذِهِ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يُفَارِقُهُ فِي ٱلْحَضَرِ ، وَلَا فِي ٱلسَّفَرِ خَمْسٌ : اَلْمِرْآةُ ، وَٱلْمُكْحُلَةُ ، وَٱلْمُشْطُ ، وَٱلسِّوَاكُ ، وَٱلْمِدْرَىٰ .

وَ(ٱلْمِدْرَىٰ) : شَيْءٌ يُعْمَلُ مِنْ حَدِيدٍ أَوْ خَشَبٍ ، عَلَىٰ شَكْلِ سِنٍّ مِنْ أَسْنَانِ ٱلْمُشْطِ وَأَطْوَلَ مِنْهُ ، يُسَرَّحُ بِهِ ٱلشَّعْرُ ٱلْمُتَلَبِّدُ ، وَيَسْتَعْمِلُهُ مَنْ لَا مُشْطَ لَهُ .

وَعَنِ ٱبْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُمَا : أَنَّ ٱلنَّبِيَّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « اِكْتَحِلُوا بِٱلْإِثْمِدِ ، فَإِنَّهُ يَجْلُو ٱلْبَصَرَ ، وَيُنْبِتُ ٱلشَّعَرَ » .

قَالَ ٱلْبَاجُورِيُّ : اَلْمُخَاطَبُ بِذَلِكَ ٱلْأَصِحَّاءُ ، أَمَّا ٱلْعَيْنُ ٱلْمَرِيضَةُ فَقَدْ

= الطير المعروف . فلينتبه .

(١) أي : تبخر بنحو عود ، وسمي التبخُّر (استجماراً) ؛ لأن نحو العود يوضع علىٰ الجمر .

يَضُرُّهَا ٱلْإِثْمِدُ ؛ وَهُوَ : حَجَرُ ٱلْكُحْلِ ٱلْمَعْدِنِيِّ ٱلْمَعْرُوفُ ، وَمَعْدِنُهُ بِٱلْمَشْرِقِ ، وَهُوَ أَسْوَدُ يَضْرِبُ إِلَىٰ حُمْرَةٍ .

وَقَالَ بَعْدَ قَوْلِهِ (يَجْلُو ٱلْبَصَرَ) : وَهَـٰذَا إِذَا ٱكْتَحَلَ بِهِ مَنِ ٱعْتَادَهُ ، فَإِنِ ٱكْتَحَلَ بِهِ مَنْ لَمْ يَعْتَدْهُ . . رَمِدَتْ عَيْنُهُ .

* * *

الفَصْلُ الثَّالِثُ
في صفة شعره صلى الله عليه وسلم وشيبه، وخضابه، وما يتعلق بذلك

كَانَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجِلَ ٱلشَّعَرِ حَسَنَهُ ، لَيْسَ بِٱلسَّبْطِ وَلَا ٱلْجَعْدِ ٱلْقَطَطِ(١) ، وَكَانَ إِذَا مَشَطَهُ بِٱلْمُشْطِ . يَأْتِي كَأَنَّهُ حُبُكُ ٱلرَّمْلِ ، وَرُبَّمَا جَعَلَهُ غَدَائِرَ أَرْبَعاً ؛ يُخْرِجُ كُلَّ أُذُنٍ مِنْ بَيْنِ غَدِيرَتَيْنِ ، وَرُبَّمَا جَعَلَ شَعْرَهُ عَلَىٰ أُذُنَيْهِ ؛ فَتَبْدُو سَوَالِفُهُ تَتَلَأْلَأُ(٢) .

وَمَعْنَى (ٱلْغَدَائِرِ) : ٱلذَّوَائِبُ ، وَاحِدَتُهَا غَدِيرَةٌ .

وَ(ٱلْحُبُكُ) ـ جَمْعُ حِبَاكٍ ـ كَكِتَابٍ ، وَهِيَ : ٱلطَّرِيقَةُ فِي ٱلرَّمْلِ وَنَحْوِهِ .

وَكَانَ شَعْرُ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دُونَ ٱلْجُمَّةِ ، وَفَوْقَ ٱلْوَفْرَةِ .

وَكَانَ شَعْرُهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَضْرِبُ إِلَىٰ مَنْكِبَيْهِ ، وَكَثِيراً مَا يَكُونُ إِلَىٰ شَحْمَةِ أُذُنَيْهِ .

---

(١) أي : أن شعره صلَّى الله عليه وسلَّم ليس نهاية في الجعودة ؛ وهو : تكسُّره الشديد ؛ كشعر الحبش والزنوج ، ولانهاية في السبوطة ؛ وهو عدم تكسُّره أصلاً ؛ كشعر الهنود والجاوة ، بل وسطاً بينهما ، و« خير الأمور أوساطها » .

(٢) **سوالفه** ـ جمع سالفة ـ وهي : صفحة العنق . **وتتلألأ** : تضيءُ وتتنوَّر من وبيص الطِّيب .

وَكَانَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَسَنَ ٱلْجِسْمِ ، بَعِيدَ مَا بَيْنَ ٱلْمَنْكِبَيْنِ ، لَهُ شَعْرٌ إِلَىٰ مَنْكِبَيْهِ ، وَفِي وَقْتٍ إِلَى شَحْمَتَيْ أُذُنَيْهِ ، وَفِي وَقْتٍ إِلَىٰ نِصْفِ أُذُنَيْهِ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْدِلُ شَعْرَهُ ، وَكَانَ ٱلْمُشْرِكُونَ يَفْرُقُونَ رُؤُوسَهُمْ ، وَكَانَ أَهْلُ ٱلْكِتَابِ يَسْدُلُونَ رُؤُوسَهُمْ ، وَكَانَ يُحِبُّ مُوَافَقَةَ أَهْلِ ٱلْكِتَابِ فِيمَا لَمْ يُؤْمَرْ فِيهِ بِشَيْءٍ ، ثُمَّ فَرَقَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأْسَهُ .

وَمَعْنَىٰ (سَدْلِ ٱلشَّعْرِ) : إِرْسَالُهُ .

وَكَانَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَسَنَ ٱلسَّبَلَةِ .

وَمَعْنَى (ٱلسَّبَلَةِ) : مُقَدَّمُ ٱللِّحْيَةِ ، وَمَا ٱنْحَدَرَ مِنْهَا عَلَى ٱلصَّدْرِ .

وَكَانَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَثَّ ٱللِّحْيَةِ ، وَكَانَ يُعْفِي لِحْيَتَهُ وَيَأْخُذُ مِنْ شَارِبِهِ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْخُذُ مِنْ لِحْيَتِهِ ٱلشَّرِيفَةِ، مِنْ عَرْضِهَا وَطُولِهَا.

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُكْثِرُ تَسْرِيحَ لِحْيَتِهِ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يُفَارِقُهُ سِوَاكُهُ وَلَا مُشْطُهُ ، وَكَانَ يَنْظُرُ فِي ٱلْمِرْآةِ إِذَا سَرَّحَ لِحْيَتَهُ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذا ٱهْتَمَّ . . أَكْثَرَ مِنْ مَسِّ لِحْيَتِهِ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا ٱغْتَمَّ . . أَخَذَ لِحْيَتَهُ بِيَدِهِ يَنْظُرُ فِيهَا .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا تَوَضَّأَ . . خَلَّلَ لِحْيَتَهُ بِٱلْمَاءِ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُكْثِرُ دَهْنَ رَأْسِهِ وَتَسْرِيحَ لِحْيَتِهِ ، وَيُكْثِرُ ٱتِّخَاذَ ٱلْقِنَاعِ .

وَ(ٱلْقِنَاعُ) : خِرْقَةٌ تُوضَعُ عَلَى ٱلرَّأْسِ حِينَ ٱسْتِعْمَالِ ٱلدُّهْنِ لِتَقِيَ ٱلْعِمَامَةَ وَٱلثِّيَابَ .

وَكَانَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا ٱدَّهَنَ . . صَبَّ فِي رَاحَتِهِ ٱلْيُسْرَىٰ ، فَبَدَأَ بِحَاجِبَيْهِ ، ثُمَّ عَيْنَيْهِ ، ثُمَّ رَأْسِهِ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحِبُّ ٱلتَّيَامُنَ فِي طُهُورِهِ إِذَا تَطَهَّرَ ، وَفِي تَرَجُّلِهِ إِذَا تَرَجَّلَ ، وفِي ٱنْتِعَالِهِ إِذَا ٱنْتَعَلَ ، وَفِي شَأْنِهِ كُلِّهِ .

وَكَانَتْ يَدُهُ ٱلْيُسْرَىٰ لِخَلَائِهِ ، وَمَا كَانَ مِنْ أَذَىً .

وَإِذَا نَامَ وَاضْطَجَعَ . . ٱضْطَجَعَ عَلَىٰ جَنْبِهِ ٱلْأَيْمَنِ مُسْتَقْبِلَ ٱلْقِبْلَةِ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَجْعَلُ يَمِينَهُ لِأَكْلِهِ وَشُرْبِهِ وَوُضُوئِهِ وَثِيَابِهِ وَأَخْذِهِ وَعَطَائِهِ ، وَشِمَالَهُ لِمَا سِوَىٰ ذَلِكَ .

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا قَالَتْ : كُنْتُ أُرَجِّلُ[١] رَأْسَ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَا حَائِضٌ .

وَكَانَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَرَجَّلُ غِبّاً؛ أَيْ : حِيناً بَعْدَ حِينٍ .

وَكَانَ شَيْبُهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي ٱلرَّأْسِ وَٱللِّحْيَةِ شَيْئاً قَلِيلاً ، نَحْوَ سَبْعَ عَشْرَةَ شَعْرَةً .

وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ : يَا رَسُولَ ٱللهِ ؛ قَدْ شِبْتَ؟! قَالَ :

---

(١) أي : أسرح وأُحسِّن .

« شَيَّبَتْنِي هُودٌ ، وَٱلْوَاقِعَةُ ، وَٱلْمُرْسَلَاتُ ، وَعَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ، وَإِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ » ؛ لِٱشْتِمَالِ هَـٰذِهِ ٱلسُّوَرِ عَلَىٰ بَيَانِ أَحْوَالِ ٱلْقِيَامَةِ مِمَّا يُوجِبُ خَوْفَهُ عَلَىٰ أُمَّتِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وَسُئِلَ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ : هَلْ خَضَبَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ قَالَ : نَعَمْ .

وَعَنْ عَبْدِ ٱللهِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَقِيلٍ قَالَ : رَأَيْتُ شَعَرَ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ مَخْضُوباً .

وَفِي « ٱلصَّحِيحَيْنِ » مِنْ طُرُقٍ كَثِيرَةٍ : أَنَّ ٱلنَّبِيَّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَخْضِبْ ، وَلَمْ يَبْلُغْ شَيْبُهُ أَوَانَ ٱلْخِضَابِ ، وَإِنَّمَا خَضَبَ مَنْ كَانَ عِنْدَهُ شَيْءٌ مِنْ شَعَرِهِ بَعْدَ وَفَاتِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيَكُونَ أَبْقَىٰ لَهُ .

وَفِي « ٱلصَّحِيحَيْنِ » أَيْضاً وَ« سُنَنِ أَبِي دَاوُودَ » : عَنِ ٱبْنِ عُمَرَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُمَا : أَنَّ رَسُولَ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يُصَفِّرُ لِحْيَتَهُ بِٱلْوَرْسِ وَٱلزَّعْفَرَانِ .

وَعَنْ قَتَادَةَ قَالَ : قُلْتُ لِأَنَسِ بْنِ مَالِكٍ : هَلْ خَضَبَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ قَالَ : لَمْ يَبْلُغْ ذَلِكَ ، إِنَّمَا كَانَ شَيْئاً فِي صُدْغَيْهِ ، وَلَـٰكِنْ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ خَضَبَ بِٱلْحِنَّاءِ وَٱلْكَتَمِ .

وَ(ٱلْكَتَمُ) : نَبْتٌ فِيهِ حُمْرَةٌ .

وَقَالَ ٱلنَّوَوِيُّ : اَلْمُخْتَارُ أَنَّهُ صَبَغَهُ فِي وَقْتٍ ، وَتَرَكَهُ فِي مُعْظَمِ ٱلْأَوْقَاتِ ، فَأَخْبَرَ كُلٌّ بِمَا رَأَىٰ ، وَهُوَ صَادِقٌ .

وَكَانَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْمُرُ بِتَغْيِيرِ ٱلشَّعْرِ مُخَالَفَةً لِلْأَعَاجِمِ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَنَوَّرُ[1] فِي كُلِّ شَهْرٍ ، وَيُقَلِّمُ أَظْفَارَهُ فِي كُلِّ خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْماً .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا ٱطَّلَىٰ بِٱلنُّورَةِ . . وَلِيَ عَانَتَهُ وَفَرْجَهُ بِيَدِهِ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا ٱطَّلَىٰ . . بَدَأَ بِعَوْرَتِهِ فَطَلَاهَا بِٱلنُّورَةِ ، وَسَائِرَ جَسَدِهِ أَهْلُهُ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُقَلِّمُ أَظْفَارَهُ وَيَقُصُّ شَارِبَهُ يَوْمَ ٱلْجُمُعَةِ ، قَبْلَ أَنْ يَرُوحَ إِلَى ٱلصَّلَاةِ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْمُرُ بِدَفْنِ ٱلشَّعَرِ وَٱلْأَظْفَارِ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْمُرُ بِدَفْنِ سَبْعَةِ أَشْيَاءَ مِنَ ٱلْإِنْسَانِ : ٱلشَّعَرُ ، وَٱلظُّفْرُ ، وَٱلدَّمُ ، وَٱلْحِيضَةُ[2] ، وَٱلسِّنُّ ، وَٱلْعَلَقَةُ ، وَٱلْمَشِيمَةُ .

وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ قَالَ : رَأَيْتُ رَسُولَ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَٱلْحَلَّاقُ يَحْلِقُهُ ، وَأَطَافَ بِهِ أَصْحَابُهُ فَمَا يُرِيدُونَ أَنْ تَقَعَ شَعَرَةٌ إِلَّا فِي يَدِ رَجُلٍ .

* * *

---

(١) أي : يستعمل النُّورة لإزالة الشعر ، وهي من أملاح الكالسيوم والباريون .

(٢) خرقة الحيض .

الفصل الرابع

في صفة عرقه صلى الله عليه وسلم ورائحته الطبيعية

رَوَىٰ مُسْلِمٌ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ : كَانَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَثِيرَ ٱلْعَرَقِ .

وَكَانَ عَرَقُهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي وَجْهِهِ كَٱللُّؤْلُؤِ ، وَأَطْيَبَ مِنَ ٱلْمِسْكِ ٱلْأَذْفَرِ(١) .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا نَزَلَ عَلَيْهِ ٱلْوَحْيُ . ثَقُلَ لِذَلِكَ ، وَتَحَدَّرَ جَبِينُهُ عَرَقاً كَأَنَّهُ جُمَانٌ(٢) ، وَإِنْ كَانَ فِي ٱلْبَرْدِ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْتِي أُمَّ سُلَيْمٍ فَيَقِيلُ عِنْدَهَا ، فَتَبْسُطُ لَهُ نِطْعاً(٣) فَيَقِيلُ عَلَيْهِ ، وَكَانَ كَثِيرَ ٱلْعَرَقِ ، فَكَانَتْ تَجْمَعُ عَرَقَهُ فَتَجْعَلُهُ فِي ٱلطِّيبِ ، فَقَالَ ٱلنَّبِيُّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « يَا أُمَّ سُلَيْمٍ ؛ مَا هَـٰذَا؟ » . قَالَتْ : عَرَقُكَ نَجْعَلُهُ فِي طِيبِنَا ، وَهُوَ مِنْ أَطْيَبِ ٱلطِّيبِ .

---

(١) **الأذفر** : شديد الرائحة .

(٢) أي : لؤلؤ .

(٣) **النطع** : ـ بفتح النون وكسرها مع فتح الطاء وسكونها ، أربع لغات ـ وهو : بساط من أديم معروف .

وَفِي رِوَايَةٍ قَالَتْ : يَارَسُولَ ٱللهِ ؛ نَرْجُو بَرَكَتَهُ لِصِبْيَانِنَا . قَالَ : « أَصَبْتِ » .

وَكَانَ كَفُّهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَلْيَنَ مِنَ ٱلْحَرِيرِ ، وَكَانَتْ رَائِحَتُهُ كَرَائِحَةِ كَفِّ ٱلْعَطَّارِ ، مَسَّهَا صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِطِيبٍ أَمْ لَمْ يَمَسَّهَا ، وَكَانَ يُصَافِحُ ٱلرَّجُلَ فَيَظَلُّ يَوْمَهُ يَجِدُ رِيحَهَا ، وَيَضَعُ يَدَهُ عَلَىٰ رَأْسِ ٱلصَّبِيِّ فَيُعْرَفُ مِنْ بَيْنِ ٱلصِّبْيَانِ بِرِيحِهَا عَلَىٰ رَأْسِهِ .

وَقَالَ أَنَسٌ : مَا مَسِسْتُ دِيبَاجاً وَلَا حَرِيراً أَلْيَنَ مِنْ كَفِّ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وَعَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُمَا : أَنَّ رَسُولَ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَسَحَ خَدَّهُ ، قَالَ : فَوَجَدْتُ لِيَدِهِ بَرْداً وَرِيحاً ؛ كَأَنَّمَا أَخْرَجَهَا مِنْ جُؤْنَةِ[1] عَطَّارٍ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعْرَفُ مِنْهُ رِيحُ الطِّيبِ إِذَا أَقْبَلَ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَسْلُكُ طَرِيقاً فَيَتْبَعُهُ أَحَدٌ . . إِلَّا عَرَفَ أَنَّهُ قَدْ سَلَكَهُ مِنْ طِيبِ عَرْفِهِ[2] .

وَذَكَرَ إِسْحَاقُ بْنُ رَاهَوَيْهِ : أَنَّ تِلْكَ كَانَتْ رَائِحَتَهُ بِلَا طِيبٍ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وَعَنْ أُمِّ عَاصِمٍ ٱمْرَأَةِ عُتْبَةَ بْنِ فَرْقَدٍ ٱلسُّلَمِيِّ قَالَتْ : كُنَّا عِنْدَ عُتْبَةَ أَرْبَعَ

---

(١) **الجؤنة** : شبه صندوق صغير مغشّىٰ بجلد ، يضع العطار فيها عطره .

(٢) **العَرْف** : رائحة الطِّيب .

نِسْوَةٍ ، فَمَا مِنَّا ٱمْرَأَةٌ إِلَّا وَهِيَ تَجْتَهِدُ فِي ٱلطِّيبِ ؛ لِتَكُونَ أَطْيَبَ مِنْ صَاحِبَتِهَا ، وَمَا يَمَسُّ عُتْبَةُ ٱلطِّيبَ إِلَّا أَنْ يَمَسَّ دُهْناً يَمْسَحُ بِهِ لِحْيَتَهُ ، وَلَهُوَ أَطْيَبُ رِيحاً مِنَّا ، وَكَانَ إِذَا خَرَجَ إِلَى ٱلنَّاسِ. . قَالُوا : مَا شَمَمْنَا رِيحاً أَطْيَبَ مِنْ رِيحِ عُتْبَةَ ، فَقُلْتُ لَهُ يَوْماً : إِنَّا لَنَجْتَهِدُ فِي ٱلطِّيبِ ، وَلأَنْتَ أَطْيَبُ رِيحاً مِنَّا ! فَمِمَّ ذَلِكَ ؟! فَقَالَ : أَخَذَنِي ٱلشَّرَىٰ[١] عَلَىٰ عَهْدِ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَأَتَيْتُهُ ، فَشَكَوْتُ ذَلِكَ إِلَيْهِ ، فَأَمَرَنِي أَنْ أَتَجَرَّدَ ، فَتَجَرَّدْتُ عَنْ ثَوْبِي ، وَقَعَدْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَأَلْقَيْتُ ثَوْبِي عَلَىٰ فَرْجِي ، فَنَفَثَ فِي يَدِهِ ، ثُمَّ مَسَحَ ظَهْرِي وَبَطْنِي بِيَدِهِ ، فَعَبَقَ بِي هَـٰذَا ٱلطِّيبُ مِنْ يَوْمِئِذٍ . رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي « مُعْجَمِهِ ٱلصَّغِيرِ » .

وَرَوَىٰ أَبُو يَعْلَىٰ وَٱلطَّبَرَانِيُّ قِصَّةَ ٱلَّذِي ٱسْتَعَانَ بِٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَىٰ تَجْهِيزِ ٱبْنَتِهِ ، فَلَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ شَيْءٌ ، فَٱسْتَدْعَاهُ بِقَارُورَةٍ فَسَلَتَ[٢] لَهُ فِيهَا مِنْ عَرَقِهِ ، وَقَالَ : « مُرْهَا فَلْتَطَّيَّبْ بِهِ » ، فَكَانَتْ إِذَا تَطَيَّبَتْ بِهِ شَمَّ أَهْلُ ٱلْمَدِينَةِ ذَلِكَ ٱلطِّيبَ ، فَسُمُّوا « بَيْتَ ٱلْمُطَيَّبِينَ » .

* * *

---

(١) الشَّرى : بُثورٌ صِغارٌ حمرٌ حكَّاكةٌ مُكرِبة .

(٢) أي : مسح بأُصبعه .

الفصل الخامس

في صفة طيبه صلى الله عليه وسلم وتطيبه

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ : كَانَ لِرَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُكَّةٌ يَتَطَيَّبُ مِنْهَا .

وَمَعْنَى (ٱلسُّكَّةِ) : طِيبٌ مَجْمُوعٌ مِنْ أَخْلَاطٍ ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ وِعَاءً .

وَكَانَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْخُذُ ٱلْمِسْكَ فَيَمْسَحُ بِهِ رَأْسَهُ وَلِحْيَتَهُ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُضَمِّخُ رَأْسَهُ بِٱلْمِسْكِ .

وَكَانَ أَنَسٌ لَا يَرُدُّ ٱلطِّيبَ ؛ وَقَالَ : إِنَّ ٱلنَّبِيَّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ لَا يَرُدُّ ٱلطِّيبَ .

وَعَنْ أَبِي عُثْمَانَ ٱلنَّهْدِيِّ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ ؛ قَالَ : قَالَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِذَا أُعْطِيَ أَحَدُكُمُ ٱلرَّيْحَانَ . . فَلَا يَرُدَّهُ ؛ فَإِنَّهُ خَرَجَ مِنَ ٱلْجَنَّةِ » .

وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ : كَانَ أَحَبَّ ٱلرَّيَاحِينِ إِلَيْهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ٱلْفَاغِيَةُ .

وَ(ٱلْفَاغِيَةُ) : زَهْرُ ٱلْحِنَّاءِ .

وَكَانَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعْجِبُهُ ٱلرِّيحُ ٱلطَّيِّبَةُ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحِبُّ ٱلطِّيبَ وَٱلرَّائِحَةَ ٱلْحَسَنَةَ ، وَيَسْتَعْمِلُهُمَا كَثِيراً ، وَيَحُضُّ عَلَيْهِمَا ، وَيَقُولُ : « حُبِّبَ إِلَيَّ مِنْ دُنْيَاكُمْ : ٱلنِّسَاءُ ، وَٱلطِّيبُ ، وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي ٱلصَّلَاةِ » .

وَرِوَايَةُ : « حُبِّبَ إِلَيَّ مِنْ دُنيَاكُمْ ثَلَاثٌ » . . لَا أَصْلَ لَهَا ، فَفِي « ٱلْمَوَاهِبِ » : قَالَ شَيْخُ ٱلْإِسْلَامِ ٱلْحَافِظُ ٱبْنُ حَجَرٍ :

إِنَّ لَفْظَ « ثَلَاثٌ » لَمْ يَقَعْ فِي شَيْءٍ مِنْ طُرُقِهِ ، وَزِيَادَتُهُ تُفْسِدُ ٱلْمَعْنَىٰ ، وَكَذَٰلِكَ قَالَهُ ٱلْوَلِيُّ ٱلْعِرَاقِيُّ فِي « أَمَالِيهِ » ، وَعِبَارَتُهُ : (لَيْسَتْ هَٰذِهِ ٱللَّفْظَةُ : وَهِيَ (ثَلَاثٌ) فِي شَيْءٍ مِنْ كُتُبِ ٱلْحَدِيثِ وَهِيَ مُفْسِدَةٌ لِلْمَعْنَىٰ ؛ فَإِنَّ ٱلصَّلَاةَ لَيْسَتْ مِنْ أُمُورِ ٱلدُّنْيَا ، وَكَذَا صَرَّحَ بِهِ ٱلزَّرْكَشِيُّ وَغَيْرُهُ ، كَمَا حَكَاهُ شَيْخُنَا ـ يَعْنِي ٱلْحَافِظَ ٱلسَّخَاوِيَّ فِي « ٱلْمَقَاصِدِ ٱلْحَسَنَةِ » ـ وَأَقَرَّهُ) اهـ وَأَنْكَرَهُ أَيْضاً ٱبْنُ ٱلْقَيِّمِ .

وَكَانَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحِبُّ ٱلطِّيبَ وَيَكْرَهُ ٱلرَّائِحَةَ ٱلرَّدِيئَةَ .

* * *

الفصل السادس

في صفة صوته صلى الله عليه وسلم

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ : مَا بَعَثَ ٱللهُ نَبِيّاً إِلَّا حَسَنَ ٱلْوَجْهِ ، حَسَنَ ٱلصَّوْتِ ، وَكَانَ نَبِيُّكُمْ أَحْسَنَهُمْ وَجْهاً ، وَأَحْسَنَهُمْ صَوْتاً .

وَكَانَ صَوْتُ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَبْلُغُ حَيْثُ لَا يَبْلُغُهُ صَوْتُ غَيْرِهِ .

فَعَنِ ٱلْبَرَاءِ قَالَ : خَطَبَنَا رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّىٰ أَسْمَعَ ٱلْعَوَاتِقَ[1] فِي خُدُورِهِنَّ .

وَقَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا : جَلَسَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ ٱلْجُمُعَةِ عَلَى ٱلْمِنبَرِ ، فَقَالَ لِلنَّاسِ : « اِجْلِسُوا » ، فَسَمِعَهُ عَبْدُ ٱللهِ بْنُ رَوَاحَةَ وَهُوَ فِي بَنِي غَنْمٍ ، فَجَلَسَ فِي مَكَانِهِ .

وَقَالَ عَبْدُ ٱلرَّحْمَـٰنِ بْنُ مُعَاذٍ ٱلتَّيْمِيُّ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ : خَطَبَنَا

---

(١) جمع عاتق ؛ وهي : الشابة أول ما تُدرك ، وقيل : التي لم تَبِن من والديها ، ولم تتزوج ، وقد أدركت وشبَّت . وخصَّهُنَّ بالذكر لبُعدهنَّ واحتجابهنَّ في البيوت ، فسماعهُنَّ آيةُ عُلُوِّ صوتِهِ زِيادةً علىٰ غيره .

رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمِنىً ، فَفَتَحَ ٱللهُ أَسْمَاعَنَا ، حَتَّىٰ إِنْ كُنَّا لَنَسْمَعُ مَا يَقُولُ وَنَحْنُ فِي مَنَازِلِنَا .

وَعَنْ أُمِّ هَانِىءٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا قَالَتْ : كُنَّا نَسْمَعُ قِرَاءَةَ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي جَوْفِ ٱللَّيْلِ عِنْدَ ٱلْكَعْبَةِ ، وَأَنَا عَلَىٰ عَرِيشِي .

وَكَانَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا خَطَبَ . . ٱشْتَدَّ غَضَبُهُ وَعَلَا صَوْتُهُ ، كَأَنَّهُ مُنْذِرُ جَيْشٍ يَقُولُ : صَبَّحَكُمْ وَمَسَّاكُمْ .

* * *

الفصل السابع

في صفة غضبه صلى الله عليه وسلم وسروره

كَانَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا غَضِبَ . . يُرَىٰ رِضَاهُ وَغَضَبُهُ فِي وَجْهِهِ لِصَفَاءِ بَشَرَتِهِ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا غَضِبَ . . ٱحْمَرَّتْ وَجْنَتَاهُ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا غَضِبَ وَهُوَ قَائِمٌ . . جَلَسَ ، وَإِذا غَضِبَ وَهُوَ جَالِسٌ . . ٱضْطَجَعَ ، فَيَذْهَبُ غَضَبُهُ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا غَضِبَ . . لَمْ يَجْتَرِئْ عَلَيْهِ أَحَدٌ إِلَّا عَلِيٌّ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَبْعَدَ ٱلنَّاسِ غَضَباً ، وَأَسْرَعَهُمْ رِضاً .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَغْضَبُ لِرَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَلَا يَغْضَبُ لِنَفْسِهِ .

وَكَانَ يُنَفِّذُ ٱلْحَقَّ وإِنْ عَادَ ذَلِكَ بِٱلضَّرَرِ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ أَصْحَابِهِ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا كَرِهَ شَيْئاً . . عُرِفَ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ .

وَأَمَّا سُرُورُ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

فَقَدْ كَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا سُرَّ . ٱسْتَنَارَ وَجْهُهُ كَأَنَّهُ ٱلْقَمَرُ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا سُرَّ . فَكَأَنَّ وَجْهَهُ ٱلْمِرْآةُ ، وَكَأَنَّ ٱلْجُدُرَ يُرَىٰ شَخْصُهَا فِيهِ .

* * *

الفَصْلُ الثَّامِنُ

في صفة ضحكه صلّى الله عليه وسلّم وبكائه وعطاسه

كَانَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا ٱفْتَرَّ[1] ضَاحِكاً . ٱفْتَرَّ عَنْ مِثْلِ سَنَا ٱلْبَرْقِ إِذَا تَلَأْلَأَ ، وَعَنْ مِثْلِ حَبِّ ٱلْغَمَامِ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جُلُّ ضَحِكِهِ ٱلتَّبَسُّمُ .

وَعَنْ عَبْدِ ٱللهِ بْنِ ٱلْحَارِثِ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ قَالَ : مَا رَأَيْتُ أَحَداً أَكْثَرَ تَبَسُّماً مِنْ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ ٱللهُ [تَعَالَىٰ] عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ : مَا رَأَيْتُ رَسُولَ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَطُّ مُسْتَجْمِعاً ضَاحِكاً حَتَّىٰ أَرَىٰ مِنْهُ لَهَوَاتِهِ[2] .

وَعَنْ عَبْدِ ٱللهِ بْنِ ٱلْحَارِثِ أَيْضاً قَالَ : مَا ضَحِكَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا تَبَسُّماً .

---

(١) **افترَّ** : أبدىٰ أسنانه حالة كونه ضاحكاً .

(٢) جمع لَهاة ؛ وهي : اللَّحمة المُشْرِفة على الحلق . **والمعنىٰ** : ما رأيته مستجمعاً من جهة الضحك ، أي : مطمئناً قاصداً للضحك الذي يغلب وقوعه للناس ، بحيث يضحك ضحكاً تاماً ، مقبلاً بكليته علىٰ الضحك ، إنما كان يبتسم ، والتبسم أقل الضحك وأحسنه .

وَكَانَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يُحَدِّثُ حَدِيثاً إِلَّا تبَسَّمَ .

وَكَانَ ضَحِكُ أَصْحَابِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَهُ ٱلتَّبَسُّمَ مِنْ غَيْرِ صَوْتٍ ، ٱقْتِدَاءً بِهِ ، وَتَوْقِيراً لَهُ ، وَكَانُوا إِذَا جَلَسُوا عِنْدَهُ . . كَأَنَّمَا عَلَىٰ رُؤُوسِهِمُ ٱلطَّيْرُ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا جَرَىٰ بِهِ ٱلضَّحِكُ . . وَضَعَ يَدَهُ عَلَىٰ فِيهِ[(١)] .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ أَضْحَكِ ٱلنَّاسِ ، وَأَطْيَبِهِمْ نَفْساً .

وَوَرَدَ فِي أَحَادِيث أَنَّ ٱلنَّبِيَّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ضَحِكَ حَتَّىٰ بَدَتْ نَوَاجِذُهُ ـ أَيْ : أَضْرَاسُهُ ـ وَإِنْ كَانَ ٱلْغَالِبُ مِنْ أَحْوَالِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ٱلتَّبَسُّمَ

فَعَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ ٱللهُ [تَعَالَىٰ] عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنِّي لَأَعْلَمُ أَوَّلَ رَجُلٍ يَدْخُلُ ٱلْجَنَّةَ ، وَآخِرَ رَجُلٍ يَخْرُجُ مِنَ ٱلنَّارِ ، يُؤْتَىٰ بِٱلرَّجُلِ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ فَيُقَالُ : ٱعْرِضُوا عَلَيْهِ صِغَارَ ذُنُوبِهِ ، وَيُخْبَأُ عَنْهُ كِبَارُهَا ، فَيُقَالُ لَهُ : عَمِلْتَ يَوْمَ كَذَا . . كَذَا وَكَذَا ، وَهُوَ مُقِرٌّ لَا يُنكِرُ ، وَهُوَ مُشْفِقٌ مِنْ كِبَارِهَا ، فَيُقَالُ : أَعْطُوهُ مَكَانَ كُلِّ سَيِّئَةٍ عَمِلَهَا حَسَنَةً ، فَيَقُولُ : إِنَّ لِي ذُنُوباً لَا أَرَاهَا هَـٰهُنَا » .

قَالَ أَبُو ذَرٍّ : فَلَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ضَحِكَ حَتَّىٰ بَدَتْ نَوَاجِذُهُ .

---

(١) حتىٰ لا يبدو شيء من باطن فمه ، ولئلا يقهقه ، وهـٰذا كان نادراً .

وَعَنْ عَبْدِ ٱللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنِّي لَأَعْرِفُ آخِرَ أَهْلِ ٱلنَّارِ خُرُوجاً ، رَجُلٌ يَخْرُجُ مِنْهَا زَحْفاً ، فَيُقَالُ لَهُ : ٱنْطَلِقْ فَٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ .

قَالَ : فَيَذْهَبُ لِيَدْخُلَ فَيَجِدُ ٱلنَّاسَ قَدْ أَخَذُوا ٱلْمَنَازِلَ ، فَيَرْجِعُ فَيَقُولُ : رَبِّ ؛ قَدْ أَخَذَ ٱلنَّاسُ ٱلْمَنَازِلَ ، فَيُقَالُ لَهُ : أَتَذْكُرُ ٱلزَّمَانَ ٱلَّذِي كُنْتَ فِيهِ؟ فَيَقُولُ : نَعَمْ ، فَيُقَالُ لَهُ : تَمَنَّ .

قَالَ : فَيَتَمَنَّىٰ ، فَيُقَالُ لَهُ : فَإِنَّ لَكَ ٱلَّذِي تَمَنَّيْتَهُ وَعَشْرَةَ أَضْعَافِ ٱلدُّنْيَا .

قَالَ : فَيَقُولُ : أَتَسْخَرُ بِي وَأَنْتَ ٱلْمَلِكُ » .

قَالَ : فَلَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ضَحِكَ حَتَّىٰ بَدَتْ نَوَاجِذُهُ .

وَعَنْ عَامِرِ بْنِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ قَالَ : قَالَ سَعْدٌ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ : لَقَدْ رَأَيْتُ ٱلنَّبِيَّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ضَحِكَ يَوْمَ ٱلْخَنْدَقِ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ .

قَالَ : قُلْتُ : كَيْفَ كَانَ ضَحِكُهُ ؟

قَالَ : كَانَ رَجُلٌ مَعَهُ تُرْسٌ ، وَكَانَ سَعْدٌ رَامِياً ، وَكَانَ ٱلرَّجُلُ يَقُولُ كَذَا وَكَذَا بِٱلتُّرْسِ يُغَطِّي جَبْهَتَهُ(١) ، فَنَزَعَ لَهُ سَعْدٌ بِسَهْمٍ ، فَلَمَّا رَفَعَ رَأْسَهُ . .

---

(١) أي : يفعل كذا وكذا بالترس ، أي : يشير به يميناً وشمالاً ، والمراد بالقول هنا الفعلُ .

رَمَاهُ فَلَمْ يُخْطِئْ هَـٰذِهِ مِنْهُ ـ يَعْنِي : جَبْهَتَهُ ـ وَٱنْقَلَبَ ٱلرَّجُلُ وَشَالَ بِرِجْلِهِ[1] ، فَضَحِكَ ٱلنَّبِيُّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّىٰ بَدَتْ نَوَاجِذُهُ . قَالَ : قُلْتُ : مِنْ أَيِّ شَيْءٍ ضَحِكَ[2]؟

قَالَ : مِنْ فِعْلِهِ بِٱلرَّجُلِ[3] .

وَعَنْ عَلِيِّ بْنِ رَبِيعَةَ قَالَ : شَهِدْتُ عَلِيّاً رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ أُتِيَ بِدَابَّةٍ لِيَرْكَبَهَا ، فَلَمَّا وَضَعَ رِجْلَهُ فِي ٱلرِّكَابِ . . قَالَ : بِٱسْمِ ٱللهِ . فَلَمَّا ٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ ظَهْرِهَا . . قَالَ : ٱلْحَمْدُ لِلهِ ، ثُمَّ قَالَ : ﴿ سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَـٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ۝ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴾ [الزخرف : ١٣ـ١٤] .

ثُمَّ قَالَ : ٱلْحَمْدُ لِلهِ (ثَلَاثاً) ، وَٱللهُ أَكْبَرُ (ثَلَاثاً) ، سُبْحَانَكَ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي ؛ فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ . ثُمَّ ضَحِكَ .

فَقُلْتُ : مِنْ أَيِّ شَيْءٍ ضَحِكْتَ يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ؟

قَالَ : رَأَيْتُ رَسُولَ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَنَعَ كَمَا صَنَعْتُ ثُمَّ ضَحِكَ .

فَقُلْتُ : مِنْ أَيِّ شَيْءٍ ضَحِكْتَ يَا رَسُولَ ٱللهِ؟

---

(١) أي : صار أعلاه أسفله ، وسقط علىٰ أسته . **وشال برجله** : رفعها ، والباء هنا للتعدية أو زائدة .

(٢) أي : من أجل أي سبب ضحك النبي صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ هل من رمي سعد للرجل وإصابته؟ أو من رفعه لرجله وافتضاحه بكشف عورته؟ ولأجل هـٰذا الاحتمال استفسر الراوي ـ وهو عامر ـ سعداً عن سبب ضحكه صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

(٣) أي : ضحك صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أجل رميه الرجل وإصابته ؛ لا من رفعه لرجله وافتضاحه بكشف عورته ، لأنه لا يليق بالنبي صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ولا ينبغي أن يضحك لهـٰذا ؛ بل لذاك .

قَالَ : « إِنَّ رَبَّكَ لَيَعْجَبُ مِنْ عَبْدِهِ إِذَا قَالَ : رَبِّ ٱغْفِرْ لِي ذُنُوبِي ، يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ أَحَدٌ غَيْرُهُ » .

وَأَمَّا بُكَاءُ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

فَكَانَ مِنْ جِنْسِ ضَحِكِهِ ، لَمْ يَكُنْ بِشَهِيقٍ وَرَفْعِ صَوْتٍ ، كَمَا لَمْ يَكُنْ ضَحِكُهُ بِقَهْقَهَةٍ ، وَلَـٰكِنْ تَدْمَعُ عَيْنَاهُ حَتَّىٰ تَهْمُلَانِ(١) ، وَيُسْمَعُ لِصَدْرِهِ أَزِيزٌ ، يَبْكِي : رَحْمَةً لِمَيِّتٍ ، وَ : خَوْفاً عَلَىٰ أُمَّتِهِ وَشَفَقَةً ، وَ : مِنْ خَشْيَةِ ٱللهِ تَعَالَىٰ ، وَ : عِنْدَ سَمَاعِ ٱلْقُرْآنِ ، وَ : أَحْيَاناً فِي صَلَاةِ ٱللَّيْلِ .

فَعَنْ عَبْدِ ٱللهِ بْنِ ٱلشِّخِّيرِ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ قَالَ : أَتَيْتُ رَسُولَ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يُصَلِّي ، وَلِجَوْفِهِ أَزِيزٌ كَأَزِيزِ ٱلْمِرْجَلِ(٢) مِنَ ٱلْبُكَاءِ .

وَعَنْ عَبْدِ ٱللهِ بْنِ مَسْعُود رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ قَالَ : قَالَ لِي رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « اِقْرَأْ عَلَيَّ » ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ ٱللهِ ؛ أَقْرَأُ عَلَيكَ وَعَلَيْكَ أُنْزِلْ ؟! قَالَ : « إِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْ غَيْرِي » . فَقَرَأْتُ سُورَةَ ٱلنِّسَاءِ حَتَّىٰ بَلَغْتُ : ﴿وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَـٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا﴾ [النساء : ٤١] . قَالَ : فَرَأَيْتُ عَيْنَيْ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَهْمُلَانِ .

وَعَنِ ٱبْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُمَا قَالَ : أَخَذَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ

---

(١) تسيل دمعها .

(٢) **المرجل** : قدر من النحاس ، وقيل : كل قدر يُطبخ فيه ، وسمي بذلك لأنه إذا نُصب فكأنه أُقيم علىٰ رجلين .

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ٱبنَةٌ لَهُ صَغِيرَةٌ[١] تَقْضِي[٢] ، فَٱحْتَضَنَهَا فَوَضَعَهَا بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَمَاتَتْ وَهِيَ بَيْنَ يَدَيْهِ[٣] وَصَاحَتْ أُمُّ أَيْمَنَ ، فَقَالَ : ـ يَعْنِي : ٱلنَّبِيَّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ : « أَتَبْكِينَ عِنْدَ رَسُولِ ٱللهِ ؟! » . أَيْ : بُكَاءً مَحْظُوراً مُقْتَرِناً بِٱلصِّيَاحِ دَالّاً عَلَى ٱلْجَزَعِ . فَقَالَتْ : أَلَسْتُ أَرَاكَ تَبْكِي ؟ قَالَ : « إِنِّي لَسْتُ أَبْكِي ، إِنَّمَا هِيَ رَحْمَةٌ ، إِنَّ ٱلْمُؤْمِنَ بِكُلِّ خَيْرٍ عَلَىٰ كُلِّ حَالٍ ، إِنَّ نَفْسَهُ تُنْزَعُ مِنْ بَيْنِ جَنْبَيْهِ ؛ وَهُوَ يَحْمَدُ ٱللهَ عَزَّ وَجَلَّ » .

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ قَالَ : شَهِدْنَا ٱبْنَةً[٤] لِرَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَرَسُولُ ٱللهِ جَالِسٌ عَلَى ٱلْقَبْرِ ، فَرَأَيْتُ عَيْنَيْهِ تَدْمَعَانِ .

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهَا : أَنَّ رَسُولَ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبَّلَ عُثْمَانَ بْنَ مَظْعُونٍ ، وَهُوَ مَيِّتٌ ، وَهُوَ يَبْكِي .

هُوَ أَخُوهُ مِنَ ٱلرَّضَاعَةِ[٥] .

وَكَانَتْ عَيْنَاهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَثِيرَةَ ٱلدُّمُوعِ وَٱلْهَمَلَانِ .

وَكَسَفَتِ ٱلشَّمْسُ مَرَّةً ، فَجَعَلَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَبْكِي فِي ٱلصَّلَاةِ

---

(١) وهي : بنت بنته زينب ، وٱسمها : أمامة .
(٢) تشرف على الموت .
(٣) أشرفت على الموت ، ولم تمت حينئذٍ ، بل عاشت بعده صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتىٰ تزوجها علي بن أبي طالب ، ومات ـ رضي الله عنه ـ عنها .
(٤) وهي : أم كلثوم رضي الله عنها .
(٥) وهـٰذه الجملة من قول المصنف رحمه الله .

وَيَنْفُخُ ، وَيَقُولُ : « يَا رَبِّ ؛ أَلَمْ تَعِدْنِي أَنْ لَا تُعَذِّبَهُمْ وَأَنَا فِيهِمْ ، وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَكَ ؟ وَنَحْنُ نَسْتَغْفِرُكَ يَا رَبِّ » .

وَأَمَّا عُطَاسُ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

فَقَدْ كَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا عَطَسَ . . وَضَعَ يَدَهُ أَوْ ثَوْبَهُ عَلَىٰ فِيهِ ، وَخَفَضَ بِهَا صَوْتَهُ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا عَطَسَ . . حَمِدَ ٱللهَ ، فَيُقَالُ لَهُ : يَرْحَمُكَ ٱللهُ ، فَيَقُولُ : « يَهْدِيكُمُ ٱللهُ وَيُصْلِحُ بَالَكُمْ » .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَكْرَهُ ٱلْعَطْسَةَ ٱلشَّدِيدَةَ فِي ٱلْمَسْجِدِ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَكْرَهُ رَفْعَ ٱلصَّوْتِ بِٱلْعُطَاسِ .

أَمَّا ٱلتَّثَاؤُبُ : فَقَدْ كَانَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَكْرَهُهُ مِنْ غَيْرِهِ ، وَقَدْ حَفِظَهُ ٱللهُ تَعَالَىٰ مِنْهُ ، وَمَا تَثَاءَبَ نَبِيٌّ قَطُّ .

* * *

الفَصْلُ التَّاسِع

في صفة كلامه صلى الله عليه وسلم وسكوته

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَى عَنْهَا قَالَتْ : مَا كَانَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْرُدُ كَسَرْدِكُمْ هَـٰذَا ، وَلَـٰكِنْ كَانَ يَتَكَلَّمُ بِكَلَامٍ بَيِّنٍ فَصْلٍ ، يَحْفَظُهُ مَنْ جَلَسَ إِلَيْهِ .

وَكَانَ فِي كَلَامِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَرْتِيلٌ .

وَكَانَ كَلَامُهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَحْفَظُهُ كُلُّ مَنْ سَمِعَهُ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ . . أَعَادَهَا ثَلَاثاً حَتَّىٰ تُفْهَمَ عَنْهُ ، وَإِذَا أَتَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ . . سَلَّمَ عَلَيْهِمْ ثَلَاثاً .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا جَلَسَ يَتَحَدَّثُ . . يُكْثِرُ أَنْ يَرْفَعَ طَرْفَهُ إِلَى ٱلسَّمَاءِ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحَدِّثُ حَدِيثاً ، لَوْ عَدَّهُ ٱلْعَادُّ . . لَأَحْصَاهُ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طَوِيلَ ٱلصَّمْتِ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَثِيرَ ٱلسُّكُوتِ ، لَا يَتَكَلَّمُ فِي غَيْرِ حَاجَةٍ ، وَيُعْرِضُ عَمَّنْ تَكَلَّمَ بِغَيْرِ جَمِيلٍ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْزُنُ لِسَانَهُ إِلَّا فِيمَا يَعْنِيهِ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَزْرَ ٱلْكَلَامِ ، سَمْحَ ٱلْمَقَالَةِ ، يُعِيدُ ٱلْكَلَامَ مَرَّتَيْنِ لِيُفْهَمَ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَلَامُهُ كَخَرَزَاتِ ٱلنَّظْمِ .

وَكَانَ يُعْرِضُ عَنْ كُلِّ كَلَامٍ قَبِيحٍ ، وَيَكْنِي عَنِ ٱلْأُمُورِ ٱلْمُسْتَقْبَحَةِ فِي ٱلْعُرْفِ إِذَا ٱضْطَرَّهُ ٱلْكَلَامُ إِلَىٰ ذِكْرِهَا .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَذْكُرُ ٱللهَ تَعَالَىٰ بَيْنَ كُلِّ خَطْوَتَيْنِ .

* * *

الفصل العاشر

في صفة قوته صلى الله عليه وسلم

كَانَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَدِيدَ ٱلْبَطْشِ .

وَعَنِ ٱبْنِ إِسْحَاقَ وَغَيْرِهِ : أَنَّهُ كَانَ بِمَكَّةَ رَجُلٌ شَدِيدُ ٱلْقُوَّةِ يُحْسِنُ ٱلصِّرَاعَ ، وَكَانَ ٱلنَّاسُ يَأْتُونَهُ مِنَ ٱلْبِلَادِ لِلْمُصَارَعَةِ فَيَصْرَعُهُمْ ، فَبَيْنَمَا هُوَ ذَاتَ يَوْمٍ فِي شِعْبٍ مِنْ شِعَابِ مَكَّةَ إِذْ لَقِيَهُ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ لَهُ : « يَا رُكَانَةُ ؛ أَلَا تَتَّقِي ٱللهَ وَتَقْبَلُ مَا أَدْعُوكَ إِلَيْهِ؟ » .

فَقَالَ لَهُ : يَا مُحَمَّدُ ؛ هَلْ مِنْ شَاهِدٍ يَدُلُّ عَلَىٰ صِدْقِكَ؟

فَقَالَ : « أَرَأَيْتَكَ إِنْ صَرَعْتُكَ ، أَتُؤْمِنُ بِٱللهِ وَرَسُولِهِ؟ » .

قَالَ : نَعَمْ يَا مُحَمَّدُ .

فَقَالَ لَهُ : « تَهَيَّأْ لِلْمُصَارَعَةِ » .

فَقَالَ : تَهَيَّأْتُ .

فَدَنَا رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخَذَهُ ، ثُمَّ صَرَعَهُ .

قَالَ : فَتَعَجَّبَ رُكَانَةُ مِنْ ذَلِكَ ، ثُمَّ سَأَلَهُ ٱلْإِقَالَةَ وَٱلْعَوْدَ ، فَفَعَلَ بِهِ ثَانِياً وَثَالِثاً ، فَوَقَفَ رُكَانَةُ مُتَعَجِّباً ، وَقَالَ : إِنَّ شَأْنَكَ لَعَجِيبٌ .

وَقَدْ صَارَعَ ٱلنَّبِيُّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَمَاعَةً غَيْرَ رُكَانَةَ ، مِنْهُمْ أَبُو

ٱلْأَسْوَدِ ٱلْجُمَحِيُّ ، وَكَانَ شَدِيداً ، بَلَغَ مِنْ شِدَّتِهِ أَنَّهُ كَانَ يَقِفُ عَلَىٰ جِلْدِ ٱلْبَقَرَةِ ، وَيَتَجَاذَبُ أَطْرَافَهُ عَشَرَةٌ لِيَنْزِعُوهُ مِنْ تَحْتِ قَدَمَيْهِ ، فَيَتَفَرَّى ٱلْجِلْدُ[1] ، وَلَمْ يَتَزَحْزَحْ عَنْهُ ، فَدَعَا رَسُولَ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى ٱلْمُصَارَعَةِ ، وَقَالَ : إِنْ صَرَعْتَنِي . . آمَنْتُ بِكَ ، فَصَرَعَهُ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمْ يُؤْمِنْ .

وَأَمَّا قُوَّةُ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى ٱلْجِمَاعِ :

فَقَدْ قَالَ أَنَسٌ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ : إِنَّهُ كَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدُورُ عَلَىٰ نِسَائِهِ فِي ٱلسَّاعَةِ ٱلْوَاحِدَةِ مِنَ ٱللَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ؛ وَهُنَّ إِحْدَىٰ عَشْرَةَ .

وَأَخْرَجَ ٱبْنُ مَنِيعٍ : أَنَّ رَسُولَ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَطُوفُ عَلَىٰ تِسْعِ نِسْوَةٍ فِي ضَحْوَةٍ .

وَعَنْ صَفْوَانَ بْنِ سُلَيْمٍ **مَرْفُوعاً** : « أَتَانِي جِبْرِيلُ بِقِدْرٍ فَأَكَلْتُ مِنْهَا ، فَأُعْطِيتُ قُوَّةَ أَرْبَعِينَ رَجُلاً فِي ٱلْجِمَاعِ » .

وَعَنْ طَاوُوسٍ وَمُجَاهِدٍ : أُعْطِيَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُوَّةَ أَرْبَعِينَ رَجُلاً فِي ٱلْجِمَاعِ .

وَفِي رِوَايَةٍ عَنْ مُجَاهِدٍ : قُوَّةَ بِضْعٍ وَأَرْبَعِيْنَ رَجُلاً مِنْ أَهْلِ ٱلْجَنَّةِ .

وَعَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ **رَفَعَهُ** : « إِنَّ ٱلرَّجُلَ مِنْ أَهْلِ ٱلْجَنَّةِ لَيُعْطَىٰ قُوَّةَ مِئَةٍ فِي ٱلْأَكْلِ وَٱلشُّرْبِ وَٱلْجِمَاعِ وَٱلشَّهْوَةِ » .

* * *

---

(١) يتفرَّىٰ : ينشقُّ ويتقطَّعُ .

البَابُ الثَّالِثُ

فِي صِفَةِ لِبَاسِ رَسُولِ ٱللهِ

صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

وَفِرَاشِهِ وَسِلَاحِهِ

وَفِيهِ سِتَّةُ فُصُولٍ

الفَصْلُ الأوَّلُ

في صفة لباسه صلى الله عليه وسلم
من قميص وإزار ورداء وقلنسوة وعمامة ونحوها

قَالَ ٱلْقَاضِي عِيَاضٌ رَحِمَهُ ٱللهُ تَعَالَىٰ فِي « ٱلشِّفَا » : (ٱنْظُرْ سِيرَةَ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَخُلُقَهُ فِي ٱلْمَالِ . . تَجِدْهُ قَدْ أُوتِيَ خَزَائِنَ ٱلْأَرْضِ وَمَفَاتِيحَ ٱلْبِلَادِ ، وَأُحِلَّتْ لَهُ ٱلْغَنَائِمُ ؛ وَلَمْ تَحِلَّ لِنَبِيٍّ قَبْلَهُ ، وَفُتِحَ عَلَيْهِ فِي حَيَاتِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِلَادُ ٱلْحِجَازِ وَٱلْيَمَنُ وَجَمِيعُ جَزِيرَةِ ٱلْعَرَبِ وَمَا دَانَىٰ ذَلِكَ مِنَ ٱلشَّامِ وَٱلْعِرَاقِ ، وَجُلِبَ إِلَيْهِ مِنْ أَخْمَاسِهَا وَجِزْيَتِهَا وَصَدَقَاتِهَا مَا لَا يُجْبَىٰ لِلْمُلُوكِ إِلَّا بَعْضُهُ ، وَهَادَنَهُ جَمَاعَةٌ مِنْ مُلُوكِ ٱلْأَقَالِيمِ فَمَا ٱسْتَأْثَرَ بِشَيْءٍ مِنْهُ ، وَلَا أَمْسَكَ مِنْهُ دِرْهَماً ، بَلْ صَرَفَهُ فِي مَصَارِفِهِ ، وَأَغْنَىٰ بِهِ غَيْرَهُ ، وَقَوَّىٰ بِهِ ٱلْمُسْلِمِينَ ، وَقَالَ : « مَا يَسُرُّنِي أَنَّ لِيْ أُحُداً ذَهَباً يَبِيتُ عِنْدِي مِنْهُ دِينَارٌ ، إِلَّا دِينَاراً أَرْصُدُهُ لِدَيْنٍ » .

وَأَتَتْهُ دَنَانِيرُ مَرَّةً ، فَقَسَمَهَا ، وَبَقِيَتْ مِنْهَا بَقِيَّةٌ ، فَدَفَعَهَا لِبَعْضِ نِسَائِهِ ، فَلَمْ يَأْخُذْهُ نَوْمٌ حَتَّىٰ قَامَ وَقَسَمَهَا ، وَقَالَ : « ٱلْآنَ ٱسْتَرَحْتُ » .

وَمَاتَ وَدِرْعُهُ مَرْهُونَةٌ فِي نَفَقَةِ عِيَالِهِ ، وَٱقْتَصَرَ مِنْ نَفَقَتِهِ وَمَلْبَسِهِ

وَمَسْكَنِهِ عَلَىٰ مَا تَدْعُوهُ إِلَيْهِ ضَرُورَتُهُ ، وَزَهِدَ فِيمَا سِوَاهُ .

فَكَانَ يَلْبَسُ مَا وَجَدَهُ ، فَيَلْبَسُ فِي ٱلْغَالِبِ ٱلشَّمْلَةَ ، وَٱلْكِسَاءَ ٱلْخَشِنَ ، وَٱلْبُرْدَ ٱلْغَلِيظَ ، وَيَقْسِمُ عَلَىٰ مَنْ حَضَرَهُ أَقْبِيَةَ[1] ٱلدِّيبَاجِ ٱلْمُخَوَّصَةَ[2] بِٱلذَّهَبِ ، وَيَرْفَعُ لِمَنْ لَمْ يَحْضُرْ ؛ إِذِ ٱلْمُبَاهَاةُ فِي ٱلْمَلَابِسِ وَٱلتَّزَيُّنُ بِهَا . . لَيْسَتْ مِنْ خِصَالِ ٱلشَّرَفِ وَٱلْجَلَالَةِ ، وَهِيَ مِنْ سِمَاتِ ٱلنِّسَاءِ . وَٱلْمَحْمُودُ مِنْهَا نَقَاوَةُ ٱلثَّوْبِ ، وَٱلتَّوَسُّطُ فِي جِنْسِهِ ، وَكَوْنُهُ لُبْسَ مِثْلِهِ . . غَيْرُ مُسْقِطٍ لِمُرُوءَةِ جِنْسِهِ .

وَفِي « ٱلْمَوَاهِبِ » : إِنَّ ٱلْجَمَالَ فِي ٱلصُّورَةِ وَٱللِّبَاسِ وَٱلْهَيْئَةِ ثَلَاثَةُ أَنْوَاعٍ : مِنْهُ مَا يُحْمَدُ ، وَمِنْهُ مَا يُذَمُّ ، وَمِنْهُ مَا لَا يَتَعَلَّقُ بِهِ مَدْحٌ وَلَا ذَمٌّ :

فَٱلْمَحْمُودُ مِنْهُ : مَا كَانَ لِلهِ ، وَأَعَانَ عَلَىٰ طَاعَةِ ٱللهِ تَعَالَىٰ ، وَتَنْفِيذِ أَوَامِرِهِ ، وَٱلِٱسْتِجَابَةِ لَهُ ؛ كَمَا كَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَجَمَّلُ لِلْوُفُودِ ، وَهَٰذَا نَظِيرُ لِبَاسِ آلَةِ ٱلْحَرْبِ لِلْقِتَالِ ، وَلِبَاسِ ٱلْحَرِيرِ فِي ٱلْحَرْبِ ، وَٱلْخُيَلَاءِ فِيهِ ؛ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مَحْمُودٌ إِذَا تَضَمَّنَ إِعْلَاءَ كَلِمَةِ ٱللهِ تَعَالَىٰ ، وَنَصْرَ دِينِهِ ، وَغَيْظَ عَدُوِّهِ .

وَٱلْمَذْمُومُ مِنْهُ : مَا كَانَ لِلدُّنْيَا ، وَٱلرِّئَاسَةِ ، وَٱلْفَخْرِ وَٱلْخُيَلَاءِ ، وَأَنْ يَكُونَ هُوَ غَايَةَ ٱلْعَبْدِ وَأَقْصَىٰ مَطْلَبِهِ .

وَأَمَّا مَا لَا يُحْمَدُ وَلَا يُذَمُّ : فَهُوَ مَا خَلَا عَنْ هَٰذَيْنِ ٱلْقَصْدَيْنِ ، وَتَجَرَّدَ عَنِ ٱلْوَصْفَيْنِ ، وَقَدْ كَانَ ٱلنَّبِيُّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يُضَيِّقُ بِٱلِٱقْتِصَارِ

---

(١) **الأقبية** ـ جمع قَباء ـ وهو : المخيط من اللّباس .

(٢) **المخوصة** : المزيَّنة .

عَلَى صِنْفٍ مِنَ ٱللِّبَاسِ بِعَيْنِهِ ، وَلَا يَطْلُبُ ٱلنَّفِيسَ ٱلْغَالِيَ ، بَلْ يَسْتَعْمِلُ مَا تَيَسَّرَ .

ثُمَّ قَالَ[1] : رَوَىٰ أَبُو نُعَيْمٍ فِي « ٱلْحِلْيَةِ » عَنِ ٱبْنِ عُمَرَ **مَرْفُوعاً** : « إِنَّ مِنْ كَرَامَةِ ٱلْمُؤْمِنِ عَلَى ٱللهِ عَزَّ وَجَلَّ . . نَقَاءَ ثَوْبِهِ ، وَرِضَاهُ بِٱلْيَسِيرِ » .

وَلَهُ مِنْ حَدِيثِ جَابِرٍ : أَنَّ ٱلنَّبِيَّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَىٰ رَجُلاً وَسِخَةً ثِيَابُهُ فَقَالَ : « أَمَا وَجَدَ هَـٰذَا شَيْئاً يُنَقِّي بِهِ ثِيَابَهُ؟ » .

قَالَ[2] : وَكَانَتْ سِيرَتُهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَلْبَسِهِ أَتَمَّ وَأَنْفَعَ لِلْبَدَنِ وَأَخَفَّ عَلَيْهِ ؛ فَإِنَّهُ لَمْ تَكُنْ عِمَامَتُهُ بِٱلْكَبِيرَةِ ٱلَّتِي يُؤْذِي حَمْلُهَا وَيُضْعِفُهُ وَيَجْعَلُهُ عُرْضَةً لِلْآفَاتِ ، وَلَا بِٱلصَّغِيرَةِ ٱلَّتِي تَقْصُرُ عَنْ وِقَايَةِ ٱلرَّأْسِ مِنَ ٱلْحَرِّ وَٱلْبَرْدِ ، وَكَذَلِكَ ٱلْأَرْدِيَةُ وَٱلْأُزُرُ أَخَفُّ عَلَى ٱلْبَدَنِ مِنْ غَيْرِهَا ، وَلَمْ يَكُنْ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُطَوِّلُ أَكْمَامَهُ وَيُوَسِّعُهَا) اهـ

وَكَانَ أَحَبَّ ٱلثِّيَابِ إِلَىٰ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَلْبَسُهُ . . ٱلْقَمِيصُ .

وَ(ٱلْقَمِيصُ) : ٱسْمٌ لِمَا يُلْبَسُ مِنَ ٱلْمَخِيطِ ٱلَّذِي لَهُ كُمَّانِ وَجَيْبٌ ، يُلْبَسُ تَحْتَ ٱلثِّيَابِ ، وَلَا يَكُونُ مِنْ صُوفٍ . كَذَا فِي « ٱلْقَامُوسِ » .

وَلَمْ يَكُنْ لَهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سِوَىٰ قَمِيصٍ وَاحِدٍ ؛ فَقَدْ وَرَدَ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ : مَا رَفَعَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَدَاءً لِعَشَاءٍ ، وَلَا عَشَاءً لِغَدَاءٍ ، وَلَا ٱتَّخَذَ مِنْ شَيْءٍ زَوْجَيْنِ ، وَلَا

---

(١) أي : القسطلاني في « المواهب » .

(٢) أيضاً في « المواهب » .

قَمِيصَيْنِ وَلَا رِدَاءَيْنِ وَلَا إِزَارَيْنِ ، وَلَا زَوْجَيْنِ مِنَ ٱلنِّعَالِ .

وَكَانَ كُمُّ قَمِيصِ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى ٱلرُّسْغِ .

وَ(ٱلرُّسْغُ) : مَفْصِلُ مَا بَيْنَ ٱلْكَفِّ وَٱلسَّاعِدِ مِنَ ٱلْإِنْسَانِ .

وَكَانَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُمُّهُ مَعَ ٱلْأَصَابِعِ .

وَكَانَ قَمِيصُهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَوْقَ ٱلْكَعْبَيْنِ ، وَكَانَ كُمُّهُ مَعَ ٱلْأَصَابِعِ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا لَبِسَ قَمِيصاً . . بَدَأَ بِمَيَامِنِهِ .

وَعَنْ قُرَّةَ بْنِ إِيَاسٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ قَالَ : أَتَيْتُ رَسُولَ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي رَهْطٍ مِنْ مُزَيْنَةَ لِنُبَايِعَهُ ، وَإِنَّ زِرَّ قَمِيصِهِ مُطْلَقٌ ، قَالَ : فَأَدْخَلْتُ يَدِيَ فِي جَيْبِ قَمِيصِهِ ، فَمَسِسْتُ ٱلْخَاتَمَ(١) .

وَكَانَ أَحَبُّ ٱلثِّيَابِ إِلَىٰ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ٱلْحِبَرَةَ ـ بِوَزْنِ عِنَبَةٍ ـ بُرْدٌ يَمَانِيٌّ مُحَبَّرٌ ؛ أَيْ : مُزَيَّنٌ مُحَسَّنٌ .

وَكَانَ لِرَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بُرْدَانِ أَخْضَرَانِ ، فِيهِمَا خُطُوطٌ خُضْرٌ لَا بَحْتاً(٢) .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعْجِبُهُ ٱلثِّيَابُ ٱلْخُضْرُ .

وَعَنْ أَبِي جُحَيْفَةَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ قَالَ : رَأَيْتُ ٱلنَّبِيَّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ حَمْرَاءُ كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَىٰ بَرِيقِ سَاقَيْهِ .

وَ(ٱلْحُلَّةُ) بِٱلضَّمِّ : إِزَارٌ وَرِدَاءٌ ، وَلَا تَكُونُ حُلَّةً إِلَّا مِنْ ثَوْبَيْنِ ، أَوْ

---

(١) أي : خاتم النبوة .

(٢) أي : لم يكن أخضر خالصاً .

ثَوْبٍ لَهُ بِطَانَةٌ .

وَكَانَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَكْسُو بَنَاتِهِ خُمُرَ ٱلْقَزِّ وَٱلْإِبْرَيْسَمِ[1] .

وَ(الْخُمُرُ) ـ كـ « كُتُبٍ » ، جَمْعُ خِمَارٍ ـ وَهُوَ : مَا تُغَطِّي بِهِ ٱلْمَرْأَةُ رَأْسَهَا .

وَكَانَ يَتَّبِعُ ٱلْحَرِيرَ مِنَ ٱلثِّيَابِ . . فَيَنْزِعُهُ .

وَكَانَ قِيمَةُ ثَوْبِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَشَرَةَ دَرَاهِمَ .

وَعَنْ قَيْلَةَ بِنْتِ مَخْرَمَةَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا قَالَتْ : رَأَيْتُ ٱلنَّبِيَّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَيْهِ أَسْمَالُ[2] مُلَيَّتَيْنِ .

وَقَوْلُهُ (مُلَيَّتَيْنِ) ـ تَصْغِيرُ مُلَاءَةٍ ـ وَهِيَ : كُلُّ ثَوْبٍ لَمْ يُضَمَّ بَعْضُهُ إِلَىٰ بَعْضٍ بِخَيْطٍ ، بَلْ كُلُّهُ نَسْجٌ وَاحِدٌ .

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ : أَنَّ ٱلنَّبِيَّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ وَهُوَ يَتَوَكَّأُ عَلَىٰ أُسَامَةَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ ، وَعَلَيْهِ ثَوْبٌ قِطْرِيٌّ قَدْ تَوَشَّحَ بِهِ . . فَصَلَّىٰ بِهِمْ .

وَ(قِطْرِيٌّ) : نِسْبَةٌ إِلَى ٱلْقِطْرِ ؛ وَهُوَ : نَوْعٌ مِنَ ٱلْبُرُودِ ٱلْيَمَانِيَّةِ تُتَّخَذُ مِنْ قُطْنٍ ، وَفِيهِ حُمْرَةٌ وَأَعْلَامٌ مَعَ خُشُونَةٍ .

---

(١) **القزُّ** : هوما يعمل منه الإبريسم ، ولهٰذا قال بعضهم : القزُّ والإبريسم مثل الحنطة والدقيق ؛ فالإبريسم ما يؤخذ من القزّ كأخذ الدقيق من الحنطة .

(٢) **الأَسْمَالُ** ـ جمع سَمَل ـ وهو : الثوب الخَلَق .

وَ(تَوَشَّحَ بِهِ) أَيْ : وَضَعَهُ فَوْقَ عَاتِقَيْهِ ، أَوْ خَالَفَ بَيْنَ طَرَفَيْه وَرَبَطَهُمَا بِعُنُقِهِ .

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا قَالَتْ : خَرَجَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ غَدَاةٍ وَعَلَيْه مِرْطٌ مِنْ شَعَرٍ أَسْوَدُ .

وَ(ٱلْمِرْطُ) : كِسَاءٌ طَوِيلٌ وَاسِعٌ .

وَعَنِ ٱلْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ : أَنَّ ٱلنَّبِيَّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَبِسَ جُبَّةً رُومِيَّةً ضَيِّقَةَ ٱلْكُمَّيْنِ .

وَ(ٱلْجُبَّةُ) : ثَوْبَانِ بَيْنَهُمَا حَشْوٌ ، وَقَدْ تُقَالُ لِمَا لَا حَشْوَ لَهُ إِذَا كَانَتْ ظِهَارَتُهُ[1] مِنْ صُوفٍ .

وَكَانَ كُمُّهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى ٱلرُّسْغِ ، وَلَبِسَ ٱلْقَبَاءَ[2] وَٱلْفَرَجِيَّةَ ، وَلَبِسَ جُبَّةً ضَيِّقَةَ ٱلْكُمَّيْنِ فِي سَفَرِهِ .

وَعَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُمَا : أَنَّهَا أَخْرَجَتْ جُبَّةَ طَيَالِسَةٍ[3] كِسْرَوَانِيَّةً ، لَهَا لِبْنَةُ دِيْبَاجٍ ، وَفَرْجَاهَا مَكْفُوفَانِ[4] بِٱلدِّيبَاجِ ، قَالَتْ : هَـٰذِهِ جُبَّةُ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، كَانَتْ عِنْدَ عَائِشَةَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا ، فَلَمَّا قُبِضَتْ . قَبَضْتُهَا ، وَكَانَ ٱلنَّبِيُّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ

---

(١) **ظهارته** : ما يظهر للعين ، بخلاف البطانة .

(٢) **القباء** : الثوب المشقوق من أمام ؛ كالجبَّة المعهودة .

(٣) **طيالسة** : نوع من الثياب لها عَلَمٌ .

(٤) وفي رواية : وفرجيها مكفوفين ، وفي رواية : وفروجاً مكفوفة . و(الفرج في الثوب) : الشق في أسفله من خلف وأمام .

وَسَلَّمَ يَلْبَسُهَا ، فَنَحْنُ نَغْسِلُهَا لِلْمَرْضَىٰ نَسْتَشْفِي بِهَا .

وَمَعْنَى (ٱللِّبْنَةِ) : رُقْعَةٌ فِي جَيْبِ ٱلْقَمِيصِ .

وَكَانَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَلْبَسُ مَا وَجَدَ ؛ فَمَرَّةً شَمْلَةً ، وَمَرَّةً بُرْدَ حِبَرَةٍ يَمَانِيَّةٍ ، وَمَرَّةً جُبَّةَ صُوفٍ ، مَا وَجَدَ مِنَ ٱلْمُبَاحِ لَبِسَ .

وَ(ٱلشَّمْلَةُ) : كِسَاءٌ صَغِيرٌ يُؤْتَزَرُ بِهِ .

وَعَنْ أَبِي مُوسَى ٱلْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ قَالَ : أَخْرَجَتْ إِلَيْنَا عَائِشَةُ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا كِسَاءً مُلَبَّداً وَإِزَاراً غَلِيظاً ؛ فَقَالَتْ : قُبِضَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي هَـٰذَيْنِ .

وَ(ٱلْكِسَاءُ) : مَا يَسْتُرُ أَعْلَى ٱلْبَدَنِ .

وَ(ٱلْمُلَبَّدُ) : ٱلْمُرَقَّعُ .

وَ(ٱلْإِزَارُ) : مَا يَسْتُرُ أَسْفَلَ ٱلْبَدَنِ .

وَ(غِلَظُهُ) : خُشُونَتُهُ .

وَكَانَ لَهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كِسَاءٌ مُلَبَّدٌ يَلْبَسُهُ وَيَقُولُ : « إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ ، أَلْبَسُ كَمَا يَلْبَسُ ٱلْعَبْدُ » .

وَكَانَ لَهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كِسَاءٌ أَسْوَدُ ، فَوَهَبَهُ ، فَقَالَتْ لَهُ أُمُّ سَلَمَةَ : بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي مَا فَعَلَ ذَلِكَ ٱلْكِسَاءُ ٱلْأَسْوَدُ ؟ فَقَالَ : « كَسَوْتُهُ » ، فَقَالَتْ : مَا رَأَيْتُ شَيْئاً قَطُّ أَحْسَنَ مِنْ بَيَاضِكَ عَلَىٰ سَوَادِهِ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَقَنَّعُ بِرِدَائِهِ تَارَةً وَيَتْرُكُهُ أُخْرَىٰ ، وَهُوَ[١]

---

(١) أي : رداؤه صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

ٱلَّذِي يُسَمَّىٰ فِي ٱلْعُرْفِ : ٱلطَّيْلَسَانَ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَالِبُ مَا يَلْبَسُ هُوَ وَأَصْحَابُهُ مَا نُسِجَ مِنَ ٱلْقُطْنِ ، وَرُبَّمَا لَبِسُوا مَا نُسِجَ مِنَ ٱلصُّوفِ وَٱلْكَتَّانِ .

وَلَبِسَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ٱلشَّعَرَ ٱلْأَسْوَدَ . وَلَبِسَ مَرَّةً بُرْدَةً مِنَ ٱلصُّوفِ . . فَوَجَدَ رِيحَ ٱلضَّأْنِ فَطَرَحَهَا .

وَكَانَ لِرَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَرَاوِيلُ ، وَلَبِسَ ٱلنَّعْلَ ٱلَّتِي تُسَمَّى : ٱلتَّاسُومَةَ[1] .

وَكَانَ لَهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُلَاءَةٌ مَصْبُوغَةٌ بِٱلزَّعْفَرَانِ ، تُنْقَلُ مَعَهُ إِلَىٰ بُيُوتِ أَزْوَاجِهِ ، فَتُرْسِلُهَا مَنْ كَانَ نَائِماً عِنْدَهَا إِلَىٰ صَاحِبَةِ ٱلنَّوْبَةِ ، فَتَرُشُّهَا بِٱلْمَاءِ ، فَتَظْهَرُ رَائِحَةُ ٱلزَّعْفَرَانِ ، فَيَنَامُ مَعَهَا فِيهَا .

وَكَانَتْ لَهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِلْحَفَةٌ مَصْبُوغَةٌ بِٱلزَّعْفَرَانِ ، وَرُبَّمَا صَلَّىٰ بِٱلنَّاسِ فِيهَا وَحْدَهَا ، وَرُبَّمَا لَبِسَ ٱلْكِسَاءَ وَحْدَهُ وَمَا عَلَيْهِ غَيْرُهُ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رُبَّمَا صَلَّىٰ بِٱللَّيْلِ فِي ٱلْإِزَارِ ، وَٱرْتَدَىٰ بِبَعْضِهِ مِمَّا يَلِي هُدْبَهُ ، وَأَلْقَى ٱلْبَقِيَّةَ عَلَىٰ بَعْضِ نِسَائِهِ ، فَيُصَلِّي كَذَلِكَ .

وَكَانَتْ ثِيَابُهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُلُّهَا مُشَمَّرَةً فَوْقَ ٱلْكَعْبَيْنِ ، وَكَانَ إِزَارُهُ فَوْقَ ذَلِكَ إِلَىٰ نِصْفِ ٱلسَّاقِ ، وَكَانَ قَمِيصُهُ مَشْدُودَ ٱلْأَزْرَارِ ، وَرُبَّمَا حَلَّ ٱلْأَزْرَارَ فِي ٱلصَّلَاةِ وَغَيْرِهَا .

---

(١) **التاسومة** : ما له سير يستر بعض الأصابع مما يلي أصولها ، وبعض ظهر القدم من تلك الجهة .

وَعَنْ عُبَيْدِ بْنِ خَالِدٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ قَالَ : بَيْنَا أَنَا أَمْشِي بِٱلْمَدِينَةِ إِذَا إِنْسَانٌ خَلْفِي يَقُولُ : « ٱرْفَعْ إِزَارَكَ فَإِنَّهُ أَتْقَىٰ وَأَبْقَىٰ » ، فَإِذَا هُوَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ ٱللهِ ؛ إِنَّمَا هِيَ بُرْدَةٌ مَلْحَاءُ ، قَالَ : « أَمَا لَكَ فِيَّ أُسْوَةٌ؟! » ، فَنَظَرْتُ فَإِذَا إِزَارُهُ إِلَىٰ نِصْفِ سَاقَيْهِ .

وَمَعْنَىٰ (مَلْحَاءُ) : سَوْدَاءُ فِيهَا خُطُوطٌ بِيضٌ يَلْبَسُهَا ٱلْأَعْرَابُ ، لَيْسَتْ مِنَ ٱلثِّيَابِ ٱلْفَاخِرَةِ .

وَ(ٱلْأُسْوَةُ) : ٱلْقُدْوَةُ .

وَعَنْ سَلَمَةَ بْنِ ٱلْأَكْوَعِ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ قَالَ : كَانَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ يَأْتَزِرُ إِلَىٰ أَنْصَافِ سَاقَيْهِ ، وَقَالَ : هَـٰكَذَا كَانَتْ إِزْرَةُ[1] صَاحِبِي ؛ يَعْنِي ٱلنَّبِيَّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وعَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ ٱلْيَمَانِ رَضِيَ ٱللهُ [تَعَالَىٰ] عَنْهُمَا قَالَ : أَخَذَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِعَضْلَةِ سَاقِي فَقَالَ : « هَـٰذَا مَوْضِعُ ٱلْإِزَارِ ، فَإِنْ أَبَيْتَ . . فَأَسْفَلُ ، فَإِنْ أَبَيْتَ . . فَلَا حَقَّ لِلْإِزَارِ فِي ٱلْكَعْبَيْنِ » .

وَعَنِ ٱبْنِ عُمَرَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُمَا قَالَ : رَآنِي ٱلنَّبِيُّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَسْبَلْتُ إِزَارِي فَقَالَ : « يَا ٱبْنَ عُمَرَ ؛ كُلُّ شَيْءٍ لَمَسَ ٱلْأَرْضَ مِنَ ٱلثِّيَابِ فِي ٱلنَّارِ » .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ ، عَنِ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَا أَسْفَلَ مِنَ ٱلْكَعْبَيْنِ مِنَ ٱلْإِزَارِ . . فِي ٱلنَّارِ » ، وَهُوَ مَحْمُولٌ

---

(١) الإزرة : اسم لهيئة الاتِّزار .

عَلَىٰ مَا وَرَدَ مِنْ قَيْدِ ٱلْخُيَلَاءِ ، فَهُوَ ٱلَّذِي وَرَدَ فِيهِ ٱلْوَعِيدُ .

وَكَانَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُرْخِي إِزَارَهُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ ، وَيَرْفَعُهُ مِنْ وَرَائِهِ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا ٱسْتَجَدَّ ثَوْباً . سَمَّاهُ بِٱسْمِهِ ؛ قَمِيصاً ، أَوْ عِمَامَةً ، أَوْ رِدَاءً ، ثُمَّ يَقُولُ : « ٱللّٰهُمَّ ؛ لَكَ ٱلْحَمْدُ أَنْتَ كَسَوْتَنِيهِ ، أَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِهِ وَخَيْرِ مَا صُنِعَ لَهُ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهِ وَشَرِّ ما صُنِعَ لَهُ » .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا لَبِسَ ثَوْباً جَدِيداً . حَمِدَ ٱللهَ تَعَالَىٰ ، وَصَلَّىٰ رَكْعَتَيْنِ ، وَكَسَا ٱلْخَلَقَ(١) .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا ٱسْتَجَدَّ ثَوْباً . لَبِسَهُ يَوْمَ ٱلْجُمُعَةِ .

وَكَانَ لَهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بُرْدٌ يَلْبَسُهُ فِي ٱلْعِيدَيْنِ وَٱلْجُمُعَةِ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَلْبَسُ بُرْدَةً حَمْرَاءَ فِي كُلِّ عِيدٍ .

وَكَانَ لَهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بُرْدٌ حِبَرَةٌ يَلْبَسُهُ فِي كُلِّ عِيدٍ .

وَمَرَّ عُمَرُ بْنُ ٱلْخَطَّابِ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ مَعَ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِٱلسُّوقِ فَرَأَىٰ حُلَّةً مِنْ سُنْدُسٍ . فَقَالَ : يَا رَسُولَ ٱللهِ ؛ لَوِ ٱتَّخَذْتَ هَـٰذِهِ لِلْعِيدِ ، فَقَالَ : « إِنَّمَا يَلْبَسُ هَـٰذِهِ مَنْ لَا خَلَاقَ لَهُ فِي ٱلْآخِرَةِ » .

وَكَانَتِ ٱلصَّحَابَةُ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُمْ يُلْبِسُونَ ذُكُورَهُمُ ٱلصِّغَارَ يَوْمَ ٱلْعِيدِ أَحْسَنَ مَا يَقْدِرُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحُلِيِّ ، وَٱلْمُصَبَّغَاتِ مِنَ ٱلثِّيَابِ .

وَكَانَ لَهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَوْبَانِ لِجُمُعَتِهِ خَاصَّةً سِوَىٰ ثِيَابِهِ فِي غَيْرِ

---

(١) **الخلق** : الثوب البالي ، والمعنىٰ : أنه يتصدق به .

ٱلْجُمُعَةِ ، وَرُبَّمَا لَبِسَ ٱلْإِزَارَ ٱلْوَاحِدَ لَيْسَ عَلَيهِ غَيْرُهُ ؛ يَعْقِدُ طَرَفَيْهِ بَيْنَ كَتِفَيْهِ ، وَرُبَّمَا أَمَّ بِهِ ٱلنَّاسَ عَلَى ٱلْجَنَائِزِ ، وَرُبَّمَا صَلَّىٰ فِي بَيْتِهِ فِي ٱلْإِزَارِ ٱلْوَاحِدِ مُلْتَحِفاً بِهِ مُخَالِفاً بَيْنَ طَرَفَيْهِ ، وَيَكُونُ ذَلِكَ ٱلْإِزَارُ هُوَ ٱلَّذِي جَامَعَ فِيهِ يَوْمَئِذٍ .

وَكَانَ إِذَا قَدِمَ عَلَيْهِ ٱلْوَفْدُ . . لَبِسَ أَحْسَنَ ثِيَابِهِ ، وَأَمَرَ عِلْيَةَ أَصْحَابِهِ بِذَلِكَ .

وَكَانَ رِدَاؤُهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طُولُهُ سِتَّةُ أَذْرُعٍ ، فِي ثَلَاثَةٍ وَشِبْرٍ . وَكَانَ إِزَارُهُ أَرْبَعَةً وَشِبْراً ، فِي عَرْضِ ذِرَاعَيْنِ وَشِبْرٍ .

وَلَبِسَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ٱلْأَبْرَادَ ٱلَّتِي فِيهَا خُطُوطٌ حُمْرٌ .

وَكَانَ يَنْهَىٰ أَصْحَابَهُ عَنْ لُبْسِ ٱلْأَحْمَرِ ٱلْخَالِصِ .

وَعَنِ ٱبْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُمَا قَالَ : قَالَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « عَلَيْكُمْ بِٱلْبَيَاضِ مِنَ ٱلثِّيَابِ ؛ لِيَلْبَسْهَا أَحْيَاؤُكُمْ ، وَكَفِّنُوا فِيهَا مَوْتَاكُمْ ؛ فَإِنَّهَا مِنْ خَيْرِ ثِيَابِكُمْ » .

وَفِي « ٱلْمَوَاهِبِ » :

عَنْ عُرْوَةَ : أَنَّ طُولَ رِدَاءِ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرْبَعَةُ أَذْرُعٍ ، وَعَرْضَهُ ذِرَاعَانِ وَشِبْرٌ .

وَفِيهَا :

لَطِيفَةٌ : قِيلَ : لَمَّا كَانَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَبْدُو مِنْهُ إِلَّا طِيبٌ . كَانَ آيَةُ ذَلِكَ فِي بَدَنِهِ ٱلشَّرِيفِ أَنَّهُ لَا يَتَّسِخُ لَهُ ثَوْبٌ . قِيلَ : وَلَمْ يَقْمَلْ ثَوْبُهُ .

وَقَالَ ٱبْنُ سَبْعٍ فِي « ٱلشِّفَا » ، وَٱلسَّبْتِيُّ فِي « أَعْذَبِ ٱلْمَوَارِدِ وَأَطْيَبِ ٱلْمَوَالِدِ » : لَمْ يَكُنِ ٱلْقَمْلُ يُؤْذِيهِ تَعْظِيماً لَهُ وَتَكْرِيماً صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

ثُمَّ قَالَ :

وَنَقَلَ ٱلْفَخْرُ ٱلرَّازِيُّ : إِنَّ ٱلذُّبَابَ لَا يَقَعُ عَلَىٰ ثِيَابِهِ قَطُّ ، وَإِنَّهُ لَا يَمْتَصُّ دَمَهُ ٱلْبَعُوضُ .

وَكَانَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَلْبَسُ قَلَنْسُوَةً بَيْضَاءَ .

وَ(ٱلْقَلَنْسُوَةُ) : غِشَاءٌ مُبَطَّنٌ يَسْتُرُ ٱلرَّأْسَ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَلْبَسُ ٱلْقَلَانِسَ تَحْتَ ٱلْعَمَائِمِ وَبِغَيْرِ ٱلْعَمَائِمِ ، وَيَلْبَسُ ٱلْعَمَائِمَ بِغَيْرِ ٱلْقَلَانِسِ ، وَكَانَ يَلْبَسُ ٱلْقَلَانِسَ ٱلْيَمَانِيَّةَ ؛ وَهُنَّ ٱلْبِيضُ ٱلْمُضَرَّبَةُ[1] ، وَيَلْبَسُ ٱلْقَلَانِسَ ذَوَاتِ ٱلْآذَانِ فِي ٱلْحَرْبِ .

وَكَانَ رُبَّمَا نَزَعَ قَلَنسُوَتَهُ ، فَجَعَلَهَا سُتْرَةً بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُوَ يُصَلِّي ، وَرُبَّمَا لَمْ تَكُنِ ٱلْعِمَامَةُ ، فَيَشُدُّ ٱلْعِصَابَةَ عَلَىٰ رَأْسِهِ وَعَلَىٰ جَبْهَتِهِ .

وَكَانَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا ٱعْتَمَّ . سَدَلَ عِمَامَتَهُ بَيْنَ كَتِفَيْهِ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُدِيرُ ٱلْعِمَامَةَ عَلَىٰ رَأْسِهِ وَيَغْرِزُهَا مِنْ وَرَائِهِ ، وَيُرْسِلُ لَهَا ذُؤَابَةً بَيْنَ كَتِفَيْهِ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا ٱعْتَمَّ . سَدَلَ عِمَامَتَهُ بَيْنَ كَتِفَيْهِ ، وَفِي أَوْقَاتٍ كَانَ يَضُمُّهَا وَيَرْشُقُهَا ، وَأَوْقَاتٍ لَا يُرْخِيهَا جُمْلَةً .

---

(١) المضربة : المحشوّة .

وَكانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَثِيراً مَا يَلْتَحِي بِٱلْعِمَامَةِ مِنْ تَحْتِ ٱلْحَنَكِ كَطَرِيقِ ٱلْمَغَارِبَةِ .

وَكَانَتْ لَهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِمَامَةٌ تُسَمَّى (ٱلسَّحَابَ) ، فَوَهَبَهَا لِعَلِيٍّ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ ، فَرُبَّمَا طَلَعَ عَلِيٌّ فِيهَا فَيَقُولُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَتَاكُمْ عَلِيٌّ فِي ٱلسَّحَابِ » .

وَعَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ قَالَ : عَمَّمَنِي رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِعِمَامَةٍ سَدَلَ طَرَفَهَا عَلَىٰ مَنْكِبِي ، وَقَالَ : « إِنَّ ٱللهَ أَمَدَّنِي يَوْمَ بَدْرٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ بِمَلَائِكَةٍ مُعَمَّمِينَ هَـٰذِهِ ٱلْعِمَّةَ » .

وقَالَ : « إِنَّ ٱلْعِمَامَةَ حَاجِزٌ بَيْنَ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُشْرِكِينَ » .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يُوَلِّي وَالِياً حَتَّىٰ يُعَمِّمَهُ ، وَيُرْخِي لَهَا عَذَبَةً مِنْ جَانِبِ ٱلْأَيْمَنِ نَحْوَ ٱلْأُذُنِ .

وَعَنْ جابِرٍ رَضِيَ ٱللهُ تعالَىٰ عَنْهُ قالَ : دَخَلَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَكَّةَ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ وَعَلَيْهِ عِمَامَةٌ سَوْدَاءُ .

وَقَالَ ٱبْنُ حَجَرٍ ٱلْمَكِّيُّ : ٱعْلَمْ أَنَّهُ لَمْ يَتَحَرَّرْ ـ كَمَا قَالَهُ بَعْضُ ٱلْحُفَّاظِ ـ فِي طُولِ عِمَامَتِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَرْضِهَا شَيْءٌ .

وَكَانَ لِرَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خِرْقَةٌ ، إِذَا تَوَضَّأَ . تَمَسَّحَ بِهَا .

وَكَانَ مِنْدِيلُهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَاطِنَ قَدَمَيْهِ .

* * *

الفَصْلُ الثَّانِي

فِي صِفَةِ فِرَاشِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَا يُنَاسِبُهُ

كَانَ لِرَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِرَاشٌ مِنْ أَدَمٍ ، حَشْوُهُ لِيفٌ ، طُولُهُ ذِرَاعَانِ أَوْ نَحْوُهُمَا ، وَعَرْضُهُ ذِرَاعٌ وَشِبْرٌ أَوْ نَحْوُهُ .

وَكَانَ مُتَقَلِّلاً مِنْ أَمْتِعَةِ ٱلدُّنْيَا كُلِّهَا ، وَقَدْ أَعْطَاهُ ٱللهُ تَعَالَىٰ مَفَاتِيحَ خَزَائِنِ ٱلْأَرْضِ كُلِّهَا . . فَأَبَىٰ أَنْ يَأْخُذَهَا ، وَٱخْتَارَ ٱلْآخِرَةَ عَلَيْهَا .

وَسُئِلَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا : مَا كَانَ فِرَاشُ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَيْتِكِ ؟ قَالَتْ : مِنْ أَدَمٍ ، حَشْوُهُ لِيفٌ .

وَ(ٱلْأَدَمُ) ـ جَمْعُ أَدِيمٍ عَلَىٰ غَيْرِ ٱلْقِيَاسِ ـ وَهُوَ : ٱلْجِلْدُ ٱلْمَدْبُوغُ ، وَيُجْمَعُ عَلَىٰ : أُدُمٍ .

وَعَنْهَا رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا قَالَتْ : دَخَلَتْ عَلَيَّ ٱمْرَأَةٌ مِنَ ٱلْأَنْصَارِ ، فَرَأَتْ فِرَاشَ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَطِيفَةً مَثْنِيَّةً ، فَبَعَثَتْ إِلَيَّ بِفِرَاشٍ حَشْوُهُ ٱلصُّوفُ ، فَدَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : « مَا هَـٰذَا يَا عَائِشَةُ؟! » ، قُلْتُ : يَا رَسُولَ ٱللهِ ؛ فُلَانَةُ ٱلْأَنْصَارِيَّةُ دَخَلَتْ فَرَأَتْ فِرَاشَكَ فَبَعَثَتْ إِلَيَّ بِهَـٰذَا ، فَقَالَ : « رُدِّيهِ يَا عَائِشَةُ ، فَوَٱللهِ لَوْ شِئْتُ لَأَجْرَى ٱللهُ تَعَالَىٰ مَعِيَ جِبَالَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ » .

وَ(ٱلْقَطِيفَةُ) : دِثَارٌ لَهُ خَمْلٌ[1] .

وَسُئِلَتْ حَفْصَةُ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا : مَا كَانَ فِرَاشُ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَيْتِكِ ؟ قَالَتْ : مِسْحاً نَثْنِيهِ ثِنْيَتَيْنِ فَيَنَامُ عَلَيْهِ ، فَلَمَّا كَانَ ذَاتَ لَيْلَةٍ . . قُلْتُ : لَوْ ثَنَيْتُهُ أَرْبَعَ ثِنْيَاتٍ لَكَانَ أَوْطَأَ لَهُ ، فَثَنَيْنَاهُ لَهُ بِأَرْبَعِ ثِنْيَاتٍ ، فَلَمَّا أَصْبَحَ . . قَالَ : « مَا فَرَشْتُمُوا لِيَ ٱللَّيْلَةَ؟ » .

قَالَتْ : قُلْنَا : هُوَ فِرَاشُكَ ، إِلَّا أَنَّا ثَنَيْنَاهُ بِأَرْبَعِ ثِنْيَاتٍ ، قُلْنَا : هُوَ أَوْطَأُ لَكَ ، قَالَ : « رُدُّوهُ لِحَالَتِهِ ٱلْأُولَىٰ ؛ فَإِنَّهُ مَنَعَتْنِي وَطْأَتُهُ صَلَاتِيَ ٱللَّيْلَةَ » .

و(ٱلْمِسْحُ) : كِسَاءٌ خَشِنٌ مِنْ صُوفٍ يُعَدُّ لِلْفِرَاشِ .

وَمَعْنَىٰ (أَوْطَأُ) : أَلْيَنُ ؛ مِنْ وَطُؤَ ٱلْفِرَاشُ فَهُوَ وَطِيءٌ ، كَقَرُبَ فَهُوَ قَرِيبٌ .

وَكَانَ لَهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَبَاءَةٌ تُفْرَشُ لَهُ حَيْثُمَا ٱنْتَقَلَ ، تُثْنَىٰ طَاقَيْنِ تَحْتَهُ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَثِيراً مَا يَنَامُ عَلَى ٱلْحَصِيرِ وَحْدَهُ ، لَيْسَ تَحْتَهُ شَيْءٌ غَيْرُهُ .

وَعَنْ عَبْدِ ٱللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ قَالَ : دَخَلْتُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ فِي غُرْفَةٍ كَأَنَّهَا بَيْتُ حَمَّامٍ ، وَهُوَ نَائِمٌ عَلَىٰ حَصِيرٍ قَدْ أَثَّرَ بِجَنْبِهِ ، فَبَكَيْتُ ، فَقَالَ : « مَا يُبْكِيكَ يَا عَبْدَ ٱللهِ ؟ » ، قُلْتُ : يَا رَسُولَ ٱللهِ ؛ كِسْرَىٰ وَقَيْصَرُ يَطَؤُونَ عَلَى ٱلْخَزِّ وَٱلدِّيبَاجِ وَٱلْحَرِيرِ ؛ وَأَنْتَ

(١) **الخمل** : الهدب .

نَائِمٌ عَلَىٰ هَـٰذَا ٱلْحَصِيرِ ، قَدْ أَثَّرَ بِجَنْبِكَ . فَقَالَ : « فَلَا تَبْكِ يَا عَبْدَ ٱللهِ ، فَإِنَّ لَهُمُ ٱلدُّنْيَا وَلَنَا ٱلْآخِرَةُ » .

وَعَنِ ٱبْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُمَا قَالَ : حَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ ٱلْخَطَّابِ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ قَالَ :

دَخَلْتُ عَلَىٰ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ عَلَىٰ حَصِيرٍ ، قَالَ : فَجَلَسْتُ فَإِذَا عَلَيْهِ إِزَارُهُ وَلَيْسَ عَلَيهِ غَيْرُهُ ، وَإِذَا ٱلْحَصِيرُ قَدْ أَثَّرَ فِي جَنْبِهِ ، وَإِذَا أَنَا بِقَبْضَةٍ مِنْ شَعِيرٍ نَحْوَ ٱلصَّاعِ ، وَإِذَا إِهَابٌ مُعَلَّقٌ ، فَٱبْتَدَرَتْ عَيْنَايَ ، فَقَالَ : « مَا يُبْكِيكَ يَا ٱبْنَ ٱلْخَطَّابِ؟ » . فَقُلْتُ : يَا نَبِيَّ ٱللهِ ؛ وَمَا لِيَ لَا أَبْكِي وَهَـٰذَا ٱلْحَصِيرُ قَدْ أَثَّرَ فِي جَنْبَيْكَ ، وَهَـٰذِهِ خَزَائِنُكَ لاَ أَرَىٰ فِيهَا إِلاَّ مَا أَرَىٰ ، وَذَاكَ كِسْرَىٰ وَقَيْصَرُ فِي ٱلثِّمَارِ وَٱلْأَنْهَارِ ، وَأَنْتَ نَبِيُّ ٱللهِ وَصَفْوَتُهُ وَهَـٰذِهِ خَزَائِنُكَ؟! قَالَ : « يَا ٱبْنَ ٱلْخَطَّابِ ؛ أَمَا تَرْضَىٰ أَنْ تَكُونَ لَنَا ٱلْآخِرَةُ وَلَهُمُ ٱلدُّنْيَا؟! أُولَـٰئِكَ قَوْمٌ عُجِّلَتْ لَهُمْ طَيِّبَاتُهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا ، وَهِيَ وَشِيكَةُ ٱلِٱنْقِطَاعِ ، وَإِنَّا قَوْمٌ أُخِّرَتْ لَنَا طَيِّبَاتُنَا فِي آخِرَتِنَا » .

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا قَالَتْ : كَانَ لِرَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَرِيرٌ مُرَمَّلٌ بِٱلْبَرْدِيِّ ، وَعَلَيْهِ كِسَاءٌ أَسْوَدُ ، وَقَدْ حَشَوْنَاهُ بِٱلْبَرْدِيِّ ، فَدَخَلَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُمَا عَلَيْهِ ، فَإِذَا ٱلنَّبِيُّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَائِمٌ عَلَيْهِ ، فَلَمَّا رآهُمَا . ٱسْتَوَىٰ جَالِساً ، فَنَظَرَا ، فَإِذَا أَثَرُ ٱلسَّرِيرِ فِي جَنْبِ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَا : يَا رَسُولَ ٱللهِ ؛ مَا يُؤْذِيكَ خُشُونَةُ مَا نَرَىٰ مِنْ فِرَاشِكَ وَسَرِيرِكَ ؛ وَهَـٰذَا كِسْرَىٰ وَقَيْصَرُ عَلَىٰ فُرُشِ ٱلدِّيبَاجِ وَٱلْحَرِيرِ؟! فَقَالَ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ :

« لَا تقُولَا هَـٰذَا ؛ فَإِنَّ فِرَاشَ كِسْرَىٰ وَقَيْصَرَ فِي ٱلنَّارِ ، وَإِنَّ فِرَاشِي وَسَرِيرِي هَـٰذَا عَاقِبَتُهُ إِلَى ٱلْجَنَّةِ » .

وَمَا عَابَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَضْجعاً قَطُّ ، إِنْ فُرِشَ لَه . . ٱضْطَجَعَ ، وَإِلَّا . . ٱضْطجَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ .

ومَعْنَىٰ(مُرَمَّلٍ) : مَنْسُوجٍ .

وَ(ٱلْبَرْدِيُّ) : نَبَاتٌ .

وَتَغَطَّىٰ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِٱللِّحَافِ ، قَالَ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ : « مَا أَتَانِي جِبْرِيلُ وَأَنَا فِي لِحَافِ ٱمْرَأَةٍ مِنْكُنَّ . . غَيْرِ عَائِشَةَ » .

وَكَانَ وِسَادُهُ ٱلَّذِي يَتَّكِىءُ عَلَيْهِ مِنْ أَدَمٍ ، حَشْوُهُ لِيفٌ .

وَعَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ قَالَ : رَأَيْتُ ٱلنَّبِيَّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُتَّكِئاً عَلَىٰ وِسَادَةٍ عَلَىٰ يَسَارِهِ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي عَلَى ٱلْحَصِيرِ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي عَلَىٰ بِسَاطٍ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْتَحِبُّ أَنْ تَكُونَ لَهُ فَرْوَةٌ مَدْبُوغَةٌ يُصَلِّي عَلَيْهَا .

* * *

الفصل الثالث
في صفة خاتمه صلى الله عليه وسلم

كَانَ خَاتَمُ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ وَرِقٍ ، وَكَانَ فُصُّهُ حَبَشِيّاً .

وَ(ٱلْوَرِقُ) : ٱلْفِضَّةُ .

وَ(ٱلْفَصُّ) : مَا يُكْتَبُ عَلَيْهِ ٱسْمُ صَاحِبِهِ .

وَ(ٱلْحَبَشِيُّ) : مَنْسُوبٌ إِلَى ٱلْحَبَشِ ، فَإِنَّهُ كَانَ مِنْ جَزْعٍ ؛ وَهُوَ : خَرَزٌ فِيهِ بَيَاضٌ وَسَوَادٌ ، أَوْ مِنْ عَقِيقٍ ، وَمَعْدِنُهُمَا بِٱلْحَبَشَةِ .

وَلَمْ يَرِدْ عَنْهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ لَبِسَ خَاتَماً كُلَّهُ عَقِيقاً .

وَكَانَ خَاتَمُهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ فِضَّةٍ فُصُّهُ مِنْهُ .

وَعَنِ ٱبْنِ عُمَرَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُمَا : أَنَّ ٱلنَّبِيَّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ٱتَّخَذَ خَاتَماً مِنْ فِضَّةٍ ، فَكَانَ يَخْتِمُ بِهِ وَلَا يَلْبَسُهُ .

وَكَانَ ٱلنَّبِيُّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَلْبَسُ خَاتَمَهُ فِي يَمِينِهِ .

وَٱلتَّخَتُّمُ فِي ٱلْيَسَارِ لَيْسَ مَكْرُوهاً ، وَلَا خِلَافَ ٱلْأَوْلَىٰ ، بَلْ هُوَ سُنَّةٌ لِوُرُودِهِ فِي أَحَادِيثَ صَحِيحَةٍ ، لَـٰكِنِ ٱلتَّخَتُّمُ فِي ٱلْيَمِينِ أَفْضَلُ ؛ لِأَنَّ أَحَادِيثَهُ أَصَحُّ . قَالَهُ ٱلْبَاجُورِيُّ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَخَتَّمُ فِي يَسَارِهِ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَجْعَلُ فُصَّ خَاتَمِهِ مِمَّا يَلِي كَفَّهُ .

وَكَانَ نَقْشُ خَاتَمِ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (مُحَمَّدٌ) سَطْرٌ ، وَ(رَسُولُ) سَطْرٌ ، وَ(ٱللهُ) سَطْرٌ .

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ قَالَ : لَمَّا أَرَادَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَكْتُبَ إِلَى ٱلْعَجَمِ . . قِيلَ لَهُ : إِنَّ ٱلْعَجَمَ لَا يَقْبَلُونَ إِلاَّ كِتَاباً عَلَيْهِ خَاتَمٌ . فَٱصْطَنَعَ خَاتَماً ، فَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَىٰ بَيَاضِهِ فِي كَفِّهِ .

وَعَنْ أَنَسٍ أَيْضاً : أَنَّ ٱلنَّبِيَّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَتَبَ إِلَىٰ كِسْرَىٰ ، وَقَيْصَرَ ، وَٱلنَّجَاشِيِّ ، فَقِيلَ لَهُ : إِنَّهُمْ لَا يَقْبَلُونَ كِتَاباً إِلَّا بَخَاتَمٍ ، فَصَاغَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَاتَماً حَلْقَتُهُ فِضَّةٌ ، وَنَقَشَ فِيهِ : (مُحَمَّدٌ رَسُولُ ٱللهِ) .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْتِمُ ٱلْكُتُبَ وَيَقُولُ : « ٱلْخَاتَمُ عَلَى ٱلْكِتَابِ خَيْرٌ مِنَ ٱلتُّهْمَةِ » .

وَعَنِ ٱبْنِ عُمَرَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُمَا قَالَ : اِتَّخَذَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَاتَماً مِنْ ذَهَبٍ ، فَكَانَ يَلْبَسُهُ فِي يَمِينِهِ ، فَٱتَّخَذَ ٱلنَّاسُ خَوَاتِيمَ مِنْ ذَهَبٍ ، فَطَرَحَهُ ، وَقَالَ : « لَا أَلْبَسُهُ أَبَداً » ، فَطَرَحَ ٱلنَّاسُ خَوَاتِيمَهُمْ .

وَعَنِ ٱبْنِ عُمَرَ أَيْضاً : أَنَّ ٱلنَّبِيَّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ٱتَّخَذَ خَاتَماً مِنْ فِضَّةٍ ، وَجَعَلَ فَصَّهُ مِمَّا يَلِي كَفَّهُ ، وَنَقَشَ فِيهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ ٱللهِ ، وَنَهَىٰ أَنْ يَنْقُشَ أَحَدٌ عَلَيْهِ .

وَهُوَ ٱلَّذِي سَقَطَ مِنْ مُعَيْقِيبَ فِي بِئْرِ أَرِيسٍ .

وَ(مُعَيْقِيبُ) : هُوَ مِنْ أَهْلِ بَدْرٍ ، وَكَانَ يَلِي خَاتَمَ ٱلْمُصْطَفَىٰ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَٱلْخُلَفَاءِ مِنْ بَعْدِهِ .

وَعَنْ عَبْدِ ٱللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُمَا قَالَ : اِتَّخَذَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَاتَماً مِنْ وَرِقٍ ، فَكَانَ فِي يَدِهِ ، ثُمَّ كَانَ فِي يَدِ أَبِي بَكْرٍ ، وَفِي يَدِ عُمَرَ ، ثُمَّ كَانَ فِي يَدِ عُثْمَانَ حَتَّىٰ وَقَعَ فِي بِئْرِ أَرِيسٍ ، نَقْشُهُ : مُحَمَّدٌ رَسُولُ ٱللهِ .

قَالَ ٱلْبَاجُورِيُّ : (وَفِي وُقُوعِهِ إِشَارَةٌ إِلَىٰ أَنَّ أَمْرَ ٱلْخِلَافَةِ كَانَ مَنُوطاً بِهِ ، فَقَدْ تَوَاصَلَتِ ٱلْفِتَنُ ، وَتَفَرَّقَتِ ٱلْكَلِمَةُ ، وَحَصَلَ ٱلْهَرْجُ(١) ، وَلِذَلِكَ قَالَ بَعْضُهُمْ : كَانَ فِي خَاتَمِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا فِي خَاتَمِ سُلَيْمَانَ مِنَ ٱلْأَسْرَارِ ؛ لِأَنَّ خَاتَمَ سُلَيْمَانَ لَمَّا فُقِدَ . . ذَهَبَ مُلْكُهُ ، وَخَاتَمُهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا فُقِدَ مِنْ عُثْمَانَ . . ٱنْتَقَضَ عَلَيْهِ ٱلْأَمْرُ ، وَحَصَلَتِ ٱلْفِتَنُ ٱلَّتِي أَفْضَتْ إِلَىٰ قَتْلِهِ ، وَٱتَّصَلَتْ إِلَىٰ آخِرِ ٱلزَّمَانِ) اهـ .

وَكَانَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَشْفَقَ مِنَ ٱلْحَاجَةِ يَنْسَاهَا . . رَبَطَ فِي خِنْصَرِهِ ، أَوْ فِي خَاتَمِهِ ٱلْخَيْطَ .

وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ : أَنَّ ٱلنَّبِيَّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا دَخَلَ ٱلْخَلَاءَ . . نَزَعَ خَاتَمَهُ .

---

(١) **الهرج** : القتل بين الفريقين .

وَجَاءَ رَجُلٌ وَعَلَيْهِ خَاتَمٌ مِنْ شَبَهٍ[1] .

وَفِي رِوَايَةٍ : مِنْ صُفْرٍ ؛ وَهُوَ : نَوْعٌ مِنَ ٱلنُّحَاسِ كَانَتِ ٱلْأَصْنَامُ تُتَّخَذُ مِنْهُ ، فَقَالَ : « مَا لِي أَجِدُ مِنْكَ رِيحَ ٱلْأَصْنَامِ؟! » ، فَطَرَحَهُ ، ثُمَّ جَاءَ وَعَلَيْهِ خَاتَمٌ مِنْ حَدِيدٍ ؛ فَقَالَ : « مَا لِي أَرَىٰ عَلَيْكَ حُلْيَةَ أَهْلِ ٱلنَّارِ؟! » ، فَطَرَحَهُ ، وَقَالَ : يَا رَسُولَ ٱللهِ ؛ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ أَتَّخِذُهُ؟ قَالَ : « مِنْ وَرِقٍ وَلَا تُتِمَّهُ مِثْقَالاً »[2] .

* * *

(١) **شَبَه وشِبْه** ـ لغتان ـ : ضربٌ من النحاس كانت الأصنام تتخذ منه ، وسمي بذلك لشبهه بالذهب لوناً .

(٢) **المثقال** : هو زنة الدينار الإسلامي ، ويساوي : (٤,٢٣١) غراماً ، أو : (٤,٤٦) غراماً .

الفصل الرابع

في صفة نعله صلى الله عليه وسلم وخفه

كَانَ لِنَعْلِ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قِبَالَانِ مُثَنًّى شِرَاكُهُمَا .

وَ(ٱلْقِبَالُ) : هُوَ زِمَامٌ يُوضَعُ بَيْنَ ٱلْأُصْبُعِ ٱلْوُسْطَىٰ وَٱلَّتِي تَلِيهَا ، وَيُسَمَّىٰ شِسْعاً .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَضَعُ أَحَدَ ٱلْقِبَالَيْنِ بَيْنَ ٱلْإِبْهَامِ وَٱلَّتِي تَلِيهَا ، وَٱلْآخَرَ بَيْنَ ٱلْوُسْطَىٰ وَٱلَّتِي تَلِيهَا .

وَ(ٱلشِّرَاكُ) : ٱلسَّيْرُ .

وَعَنِ ٱبْنِ عُمَرَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُمَا : أَنَّهُ كَانَ يَلْبَسُ ٱلنِّعَالَ ٱلسِّبْتِيَّةَ ؛ وَهِيَ ٱلَّتِي لَا شَعْرَ عَلَيْهَا ، وَقَالَ : إِنِّي رَأَيْتُ رَسُولَ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَلْبَسُ ٱلنِّعَالَ ٱلَّتِي لَيْسَ فِيهَا شَعْرٌ ، وَيَتَوَضَّأُ فِيهَا ، فَأَنَا أُحِبُّ أَنْ أَلْبَسَهَا .

وَعَنْ عَمْرِو بْنِ حُرَيْثٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ : رَأَيْتُ رَسُولَ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي فِي نَعْلَيْنِ مَخْصُوفَتَيْنِ ـ أَيْ : مَخْرُوزَتَيْنِ ـ ضُمَّ فِيهِمَا طَاقٌ إِلَىٰ طَاقٍ .

وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ ٱللهِ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُمَا : أَنَّ ٱلنَّبِيَّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ نَهَىٰ أَنْ يَأْكُلَ ـ يَعْنِي ٱلرَّجُلَ ـ بِشِمَالِهِ ، أَوْ يَمْشِيَ فِي نَعْلٍ وَاحِدَةٍ .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ : أَنَّ ٱلنَّبِيَّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « إِذَا ٱنْتَعَلَ أَحَدُكُمْ . فَلْيَبْدَأْ بِٱلْيَمِينِ ، وَإِذَا نَزَعَ . فَلْيَبْدَأْ بِٱلشِّمَالِ ، فَلْتَكُنِ ٱلْيَمِينُ أَوَّلَهُمَا تُنْعَلُ وَآخِرَهُمَا تُنْزَعُ » .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا جَلَسَ يَتَحَدَّثُ . . يَخْلَعُ نَعْلَيْهِ .

قَالَ ٱلْبَاجُورِيُّ : (كَانَتْ نَعْلُهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُخَصَّرَةً ، مُعَقَّبَةً ، مُلَسَّنَةً ، كَمَا رَوَاهُ ٱبْنُ سَعْدٍ فِي « ٱلطَّبَقَاتِ ») .

وَ(ٱلْمُخَصَّرَةُ) : هِيَ ٱلَّتِي لَهَا خَصْرٌ دَقِيقٌ .

وَ(ٱلْمُعَقَّبَةُ) : هِيَ ٱلَّتِي لَهَا عَقِبٌ ، أَيْ : سَيْرٌ مِنْ جِلْدٍ فِي مُؤَخَّرِ ٱلنَّعْلِ يُمْسِكُ بِهِ عَقِبَ ٱلْقَدَمِ .

وَ(ٱلْمُلَسَّنَةُ) : هِيَ ٱلَّتِي فِي مُقَدَّمِهَا طُولٌ عَلَىٰ هَيْئَةِ ٱللِّسَانِ .

قَالَ ٱلْحَافِظُ ٱلْكَبِيرُ زَيْنُ ٱلدِّينِ ٱلْعِرَاقِيُّ رَحِمَهُ ٱللهُ تَعَالَىٰ فِي « أَلْفِيَّةِ ٱلسِّيرَةِ ٱلنَّبَوِيَّةِ » عَلَى صَاحِبِهَا أَفْضَلُ ٱلصَّلَاةِ وَٱلسَّلَامِ :

وَنَعْلُهُ ٱلْكَرِيمَةُ ٱلْمَصُونَهْ ... طُوبَىٰ لِمَنْ مَسَّ بِهَا جَبِينَهْ
لَهَا قِبَالَانِ بِسَيْرٍ وَهُمَا ... سِبْتِيَّتَانِ سَبَتُوا شَعْرَهُمَا
وَطُولُهَا شِبْرٌ وَإِصْبَعَانِ ... وَعَرْضُهَا مِمَّا يَلِي ٱلْكَعْبَانِ
سَبْعُ أَصَابِعٍ وَبَطْنُ ٱلْقَدَمِ ... خَمْسٌ ، وَفَوْقَ ذَا فَسِتٌّ فَٱعْلَمِ
وَرَأْسُهَا مُحَدَّدٌ وَعَرْضُ مَا ... بَيْنَ ٱلْقِبَالَيْنِ ٱصْبِعَانِ ٱضْبِطْهُمَا
وَهَٰذِهِ مِثَالُ تِلْكَ ٱلنَّعْلِ ... وَدَوْرُهَا أَكْرِمْ بِهَا مِنْ نَعْلِ

فَائِدَةٌ :

قَالَ فِي « ٱلْمَوَاهِبِ » : ذَكَرَ ٱبْنُ عَسَاكِرَ تِمْثَالَ نَعْلِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي جُزْءٍ مُفْرَدٍ ، وَأَفْرَدَهُ بِٱلتَّأْلِيفِ أَبُو إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ خَلَفٍ ٱلسُّلَمِيُّ ٱلْأَنْدَلُسِيُّ ، وَكَذَا غَيْرُهُمَا .

قَالَ : وَلَمْ أُثْبِتْهَا ٱتِّكَالاً عَلَىٰ شُهْرَتِهَا ، وَلِصُعُوبَةِ ضَبْطِ تَسْطِيرِهَا إِلَّا عَلَىٰ حَاذِقٍ .

وَمِنْ بَعْضِ مَا ذُكِرَ مِنْ فَضْلِهَا ، وَجُرِّبَ مِنْ نَفْعِهَا وَبَرَكَتِهَا أَنَّ أَبَا جَعْفَرٍ أَحْمَدَ بْنَ عَبْدِ ٱلْمَجِيدِ ـ وَكَانَ شَيْخاً صَالِحاً ـ أَعْطَىٰ مِثَالَهَا لِبَعْضِ ٱلطَّلَبَةِ ، فَجَاءَهُ وَقَالَ لَهُ : رَأَيْتُ ٱلْبَارِحَةَ مِنْ بَرَكَةِ هَـٰذَا ٱلنَّعْلِ عَجَباً ؛ أَصَابَ زَوْجَتِي وَجَعٌ شَدِيدٌ كَادَ يُهْلِكُهَا فَجَعَلْتُ ٱلنَّعْلَ عَلَىٰ مَوْضِعِ الْوَجَعِ ، وَقُلْتُ : ٱللّٰهُمَّ أَرِنِي بَرَكَةَ صَاحِبِ هَـٰذَا ٱلنَّعْلِ . . فَشَفَاهَا ٱللهُ تَعَالَىٰ لِلْحِينِ .

وَقَالَ أَبُو إِسْحَاقَ : قَالَ أَبُو ٱلْقَاسِمِ بْنُ مُحَمَّدٍ : وَمِمَّا جُرِّبَ مِنْ بَرَكَتِهِ : أَنَّ مَنْ أَمْسَكَهُ عِنْدَهُ مُتَبَرِّكاً بِهِ . . كَانَ لَهُ أَمَاناً مِنْ بَغْيِ ٱلْبُغَاةِ ، وَغَلَبَةِ ٱلْعُدَاةِ ، وَحِرْزاً مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ ، وَعَيْنِ كُلِّ حَاسِدٍ ، وَإِنْ أَمْسَكَتْهُ ٱلْحَامِلُ بِيَمِينِهَا وَقَدْ ٱشْتَدَّ عَلَيْهَا ٱلطَّلْقُ . . تَيَسَّرَ أَمْرُهَا بِحَوْلِ ٱللهِ تَعَالَىٰ وَقُوَّتِهِ .

وَمَا أَحْسَنَ قَوْلَ أَبِي بَكْرٍ ٱلْقُرْطُبِيِّ رَحِمَهُ ٱللهُ تَعَالَىٰ :

وَنَعْلٍ خَضَعْنَا هَيْبَةً لِبَهَائِهَا ... وَإِنَّا مَتَىٰ نَخْضَعْ لَهَا أَبَداً نَعْلُو
فَضَعْهَا عَلَىٰ أَعْلَى ٱلْمَفَارِقِ إِنَّهَا ... حَقِيقَتُهَا تَاجٌ وَصُورَتُهَا نَعْلُ

بِأَخْمَصِ خَيْرِ ٱلْخَلْقِ حَازَتْ مَزِيَّةً عَلَى ٱلتَّاجِ حَتَّىٰ بَاهَتِ ٱلْمَفْرِقَ ٱلرِّجْلُ
شِفَاءٌ لِذِي سُقْمٍ ، رَجَاءٌ لِبَائِسٍ أَمَانٌ لِذِي خَوْفٍ ، كَذَا يُحْسَبُ ٱلْفَضْلُ

وَعَنْ بُرَيْدَةَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ : أَنَّ ٱلنَّجَاشِيَّ أَهْدَىٰ لِلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خُفَّيْنِ أَسْوَدَيْنِ سَاذَجَيْنِ ، فَلَبِسَهُمَا ، ثُمَّ تَوَضَّأَ وَمَسَحَ عَلَيْهِمَا .

وَمَعْنَىٰ (سَاذَجَيْنِ) : لَمْ يُخَالِطْ سَوَادَهُمَا شَيْءٌ آخَرُ[1] .

وَعَنِ ٱلْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ قَالَ : أَهْدَىٰ دِحْيَةُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خُفَّيْنِ ، فَلَبِسَهُمَا .

وَرَوَى ٱلطَّبَرَانِيُّ فِي « ٱلْأَوْسَطِ » عَنِ ٱلْحَبْرِ[2] : قَالَ : كَانَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَرَادَ ٱلْحَاجَةَ . أَبْعَدَ ٱلْمَشْيَ ، فَٱنْطَلَقَ ذَاتَ يَوْمٍ لِحَاجَتِهِ ، ثُمَّ تَوَضَّأَ وَلَبِسَ خُفَّهُ ، فَجَاءَ طَائِرٌ أَخْضَرُ فَأَخَذَ ٱلْخُفَّ ٱلْآخَرَ فَٱرْتَفَعَ بِهِ ، ثُمَّ أَلْقَاهُ ، فَخَرَجَ مِنْهُ أَسْوَدُ سَالِخٌ ـ أَيْ : حَيَّةٌ ـ فَقَالَ ٱلنَّبِيُّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « هَٰذِهِ كَرَامَةٌ أَكْرَمَنِي ٱللهُ بِهَا . ٱللَّهُمَّ ؛ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَنْ يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِ ، وَمِنْ شَرِّ مَنْ يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْهِ ، وَمِنْ شَرِّ مَنْ يَمْشِي عَلَىٰ أَرْبَعٍ » .

* * *

---

(١) أو : غير منقوشين ، أو : لا شعر عليهما .

(٢) **الحبر** : أي العالِم ، وهو الصحابي الجليل عبد الله بن عباس بن عبد المطلب رضي الله تعالى عنهما . وسمي بذلك : لأنه يَحبُر في عبارته ؛ أي يُحسنها .

الفصل الخامس

في صفة سلاحه صلى الله عليه وسلم

عَنِ ٱبنِ سِيرِينَ قَالَ : صَنَعْتُ سَيْفِي عَلَىٰ سَيْفِ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدُبٍ ، وَزَعَمَ سَمُرَةُ أَنَّهُ صَنَعَ سَيْفَهُ عَلَىٰ سَيْفِ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَكَانَ حَنَفِيّاً ؛ نِسْبَةً لِبَنِي حَنِيفَةَ ؛ لِأَنَّهُمْ مَعْرُوفُونَ بِحُسْنِ صَنْعَةِ ٱلسُّيُوفِ .

وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ قَالَ : كَانَتْ قَبِيعَةُ سَيْفِ[1] رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ فِضَّةٍ .

وَ(ٱلْقَبِيعَةُ) ـ بِوَزْنِ ٱلطَّبِيعَةِ ـ : مَا عَلَىٰ طَرَفِ مِقْبَضِ ٱلسَّيْفِ ، يَعْتَمِدُ ٱلْكَفُّ عَلَيْهَا لِئَلَّا يَزْلَقَ .

وَعَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ أَبِيهِ : كَانَ نَعْلُ سَيْفِ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ أَيْ : أَسْفَلُهُ ـ وحَلْقَتُهُ وقَبِيعَتُهُ . . مِنْ فِضَّةٍ .

وَقَدْ كَانَ لَهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُيُوفٌ مُتَعَدِّدَةٌ ؛ فَقَدْ كَانَ لَهُ :

سَيْفٌ يُقَالُ لَهُ : (ٱلْمَأْثُورُ) ؛ وَهُوَ أَوَّلُ سَيْفٍ مَلَكَهُ عَنْ أَبِيهِ .

وَلَهُ سَيْفٌ يُقَالُ لَهُ : (ٱلْقَضِيبُ) .

---

(١) المراد بالسَّيفِ هنا : (ذو الفقار) .

وَلَهُ سَيْفٌ يُقَالُ لَهُ : (ٱلْقُلَعِي) ـ نِسْبَةً إِلَىٰ قلَعٍ ـ مَوْضِعٌ بِٱلْبَادِيَةِ .

وَلَهُ سَيْفٌ يُقَالُ لَهُ : (ٱلْبَتَّارُ) .

وَسَيْفٌ يُدْعَى : (ٱلْحَتْفَ) .

وَسَيْفٌ يُدْعَى : (ٱلْمِخْذَمَ)[1] ، بِكَسْرِ ٱلْمِيمِ .

وَسَيْفٌ يُدْعَى : (ٱلرَّسُوبَ)[2] .

وَسَيْفٌ يُقَالُ لَهُ : (ٱلصَّمْصَامَةُ)[3] .

وَسَيْفٌ يُقَالُ لَهُ : (ٱللَّحِيفُ) .

وَسَيْفٌ يُقَالُ لَهُ : (ذُو ٱلْفِقَارِ)[4] .

وَ(ٱلْفُقَرُ) : ٱلْحُفَرُ .

---

(١) **المخذم** : القاطع .

(٢) **الرسوب** : الذي يمضي في المضروب فيه ويغوص فيه .

(٣) **الصمصامة** : السيف الصارم الذي لا ينثني .

(٤) **ذو الفقار** : سمي كذلك ؛ لأنه كان في وسطه حُفَر صغار ، أو في وسطه مثل فقرات الظهر . وهو من أشهر أسيافه صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وكان لا يكاد يفارقه ودخل به مكة يوم الفتح وهو الذي رأىٰ فيه الرؤيا يوم أحد ، وهو سيف سليمان بن داوود عليهما الصلاة والسلام ، أهدته بلقيس مع ستة أسياف ، ثم وصل إلىٰ العاص بن منبه بن الحجاج المقتول كافراً ببدر ، قتله علي ابن أبي طالب رضي الله عنه ، وأخذ سيفه منه ، ثم صار إلىٰ النبي صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم بدر من الغنيمة ، وكان هـٰذا السيف لا يفارقه في حروبه كافة .

ويقال : إنه صار لأمير المؤمنين علي ابن أبي طالب ـ كرم الله وجهه ـ في الجنة ، ولعله : كان يأخذه منه في الحروب ، أو أنه أعطاه له عند موته ، وفيه قيل :

لا فتىٰ إلا علي ... ولا سيف إلا ذو الفقار

وَقَدْ ذَكَرُوا فِي مُعْجزَاتِهِ : أَنَّهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَفعَ لِعُكَّاشَةَ[1] جِذْلَ[2] حَطَبٍ ؛ حِينَ ٱنْكَسَرَ سَيْفُهُ يَوْمَ بَدْرٍ ، وَقَالَ : « اِضْرِبْ بِهِ » ، فَعَادَ فِي يَدِهِ سَيْفاً صَارِماً طَوِيلاً أَبْيَضَ شَدِيدَ ٱلْمَتْنِ ، فَقَاتَلَ بِهِ ، ثُمَّ لَمْ يَزَلْ عِنْدَهُ يَشْهَدُ بِهِ ٱلْمَشَاهِدَ إِلَىٰ أَنِ ٱسْتُشْهِدَ .

وَدَفعَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِعَبْدِ ٱللهِ بْنِ جَحْشٍ يَوْمَ أُحُدٍ ـ وَقَدْ ذَهَبَ سَيْفُهُ ـ عَسِيبَ نَخْلٍ[3] ، فَرَجَعَ فِي يَدِهِ سَيْفاً .

وَكَانَ لِرَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَرْبَةٌ يُمْشَىٰ بِهَا بَيْنَ يَدَيْهِ ؛ فَإِذَا صَلَّىٰ . . رَكَزَهَا بَيْنَ يَدَيْهِ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَايَتُهُ سَوْدَاءُ ، وَلِوَاؤُهُ أَبْيَضُ[4] .

وَعَنِ ٱلزُّبَيْرِ بْنِ ٱلْعَوَّامِ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ قَالَ : كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ أُحُدٍ دِرْعَانِ ، فَنَهَضَ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ ؛ فَلَمْ يَسْتَطِعْ ، فَأَقْعَدَ طَلْحَةَ تَحْتَهُ ، وَصَعِدَ ٱلنَّبِيُّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّىٰ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلصَّخْرَةِ ، قَالَ : سَمِعْتُ ٱلنَّبِيَّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « أَوْجَبَ طَلْحَةُ » ـ أَيْ : فَعَلَ فِعْلاً أَوْجَبَ لِنَفْسِهِ بِسَبَبِهِ ٱلْجَنَّةَ .

وَكَانَ لَهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَبْعَةُ أَدْرُعٍ ؛ فَقَدْ كَانَ لَهُ :

---

(١) بالتخفيف والتشديد وجهان .

(٢) **جذل** : أصل .

(٣) أي : عرجون نخلة .

(٤) **الراية** : العلم الكبير . **واللِّواء** : العلم الصغير . فالراية : هي التي يتولاها صاحب الحرب ويقاتل عليها ، واللِّواء : علامة يتخذها الأمير تدور معه حيث دار .

دِرْعٌ تُسْمَىٰ : (ذَاتَ ٱلْفُضُولِ) ؛ سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِطُولِهَا .

وَدِرْعٌ تُسْمَىٰ : (ذَاتَ ٱلْوِشَاحِ) .

وَدِرْعٌ تُسْمَىٰ : (ذَاتَ ٱلْحَوَاشِي) .

وَدِرْعٌ تُسْمَىٰ : (فِضَّةً) .

وَدِرْعٌ تُسْمَى : (ٱلسُّغْدِيَّةَ)[١] ؛ قِيلَ : هِيَ دِرْعُ سَيِّدِنَا دَاوُودَ ٱلَّتِي لَبِسَهَا لِقِتَالِ جَالُوتَ .

وَدِرْعٌ تُسْمَى : (ٱلْبَتْرَاءَ)[٢] .

وَدِرْعٌ تُسْمَى : (ٱلْخِرْنِقَ) .

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ : أَنَّ ٱلنَّبِيَّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَخَلَ مَكَّةَ وَعَلَيْهِ مِغْفَرٌ .

وَ(ٱلْمِغْفَرُ) ـ بِوَزْنِ مِنْبَر ـ زَرَدٌ مِنْ حَدِيدٍ يُنْسَجُ بِقَدْرِ ٱلرَّأْسِ يُلْبَسُ تَحْتَ ٱلْقَلَنْسُوَةِ .

* * *

(١) السُّغْدِيَّة : ـ ويقال : السَّعدية ، نسبة إلى السعد ـ : جبال معروفة .

(٢) سميت بذلك لقصرها .

الفصل السادس

كان من خلقه صلى الله عليه وسلم أن يسمي سلاحه ودوابه ومتاعه

كَانَ ٱسْمُ رَايَتِهِ : (اَلْعُقَابَ) ، وَكَانَتْ سَوْدَاءَ ، وَمَرَّةً كَانَ يَجعَلُهَا صَفْرَاءَ ، وَمَرَّةً بَيْضَاءَ فِيهَا خُطُوطٌ سُودٌ .

وَكَانَ ٱسْمُ خَيْمَتِهِ : (اَلْكِنَّ) . وَقَضِيبِهِ(١) : (اَلْمَمْشُوقَ) .

وَٱسْمُ قَدَحِهِ : (ٱلرَّيَّانَ) .

وَرَكْوَتِهِ : (ٱلصَّادِرَ) .

وَسَرْجِهِ : (ٱلرَّاجَّ) .

وَمِقْرَاضِهِ : (اَلْجَامِعَ) .

وَسَيْفِهِ ٱلَّذِي كَانَ يَشْهَدُ بِهِ ٱلْحُرُوبَ : (ذُو ٱلْفِقَارِ) .

وَكَانَتْ لَهُ أَسْيَافٌ أُخَرُ .

وَكَانَتْ لَهُ مِنْطَقَةٌ(٢) مِنْ أَدَمٍ(٣) ، فِيهَا ثَلَاثُ حِلَقٍ مِنْ فِضَّةٍ .

---

(١) غصن مقطوع من شجر جبال السَّراة تتخذ منه القِسي .

(٢) أي : حزام .

(٣) أي : من جلد .

وَكَانَ ٱسْمُ جَعْبَتِهِ[1] : (اَلْكَافُورَ) .

وَاسْمُ نَاقَتِهِ : (اَلْقَصْوَاءَ) ؛ وَهِيَ ٱلَّتِي يُقَالُ لَهَا : (اَلْعَضْبَاءُ)[2] .

وَكَانَ ٱسْمُ بَغْلَتِهِ : (دُلْدُلَ) .

وَٱسْمُ حِمَارِهِ : (يَعْفُوراً)[3] .

وَٱسْمُ شَاتِهِ ٱلَّتِي كَانَ يَشْرَبُ لَبَنَهَا : (غَيْثَةَ)[4] .

وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ : كَانَ لِرَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَيْفٌ مُحَلًّى ، قَائِمَتُهُ مِنْ فِضَّةٍ ، وَنَعْلُهُ مِنْ فِضَّةٍ ، وَفِيهِ حِلَقٌ مِنْ فِضَّةٍ ، وَكَانَ يُسْمَىٰ : (ذَا ٱلْفِقَارِ) .

وَكَانَ لَهُ قَوْسٌ تُسْمَىٰ : (ذَا ٱلسَّدَادِ) .

وَكَانَتْ لَهُ كِنَانَةٌ تُسْمَىٰ : (ذَا ٱلْجُمْعِ) .

وَكَانَ لَهُ دِرْعٌ مُوَشَّحَةٌ بِنُحَاسٍ تُسْمَىٰ : (ذَاتَ ٱلْفُضُولِ) .

وَكَانَ لَهُ حَرْبَةٌ تُسْمَى : (ٱلنَّبْعَاءَ) .

وَكَانَ لَهُ مِجَنٌّ[5] يُسْمَى : (ٱلذَّقْنَ)[6] .

وَكَانَ لَهُ فَرَسٌ أَشْقَرُ يُسْمَى : (اَلْمُرْتَجِزَ) .

---

(١) **الجعبة** : الكنانة يجمع فيها نبله .

(٢) **العضباء** : المقطوعة الآذان أو المشقوقتها .

(٣) **يعفور** : اسم ولد الظبي ؛ كأنه سمي بذلك لسرعته ، أو تشبيهاً به في عدوه .

(٤) **غيثة** : وقيل غوثة ، بواو بدل الياء .

(٥) أي : الترس .

(٦) وفي بعض النسخ بالقاف بدل الفاء .

وَكَانَ لَهُ فَرَسٌ أَدْهَمُ يُسْمَى : (ٱلسَّكْبَ) .

وَكَانَ لَهُ سَرْجٌ يُسْمَى : (ٱلرَّاجَّ) .

وَكَانَ لَهُ بَغْلَةٌ شَهْبَاءُ تُسْمَى : (ٱلدُّلْدُلَ) .

وَكَانَ لَهُ نَاقَةٌ تُسْمَى : (اَلْقَصْوَاءَ) .

وَكَانَ لَهُ حِمَارٌ يُسْمَىٰ : (يَعْفُوراً) .

وَكَانَ لَهُ بِسَاطٌ يُسْمَى : (اَلْكَزَّ) .

وَكَانَ لَهُ عَنَزَةٌ تُسْمَى : (ٱلنَّمِرَ) .

وَكَانَ لَهُ رَكْوَةٌ تُسْمَى : (ٱلصَّادِرَ) .

وَكَانَ لَهُ مِرْآةٌ تُسْمَى : (ٱلْمُدِلَّةَ) .

وَكَانَ لَهُ مِقْرَاضٌ يُسْمَى : (ٱلْجَامِعَ) .

وَكَانَ لَهُ قَضِيبُ شَوْحَطٍ[1] يُسْمَى : (اَلْمَمْشُوقَ) .

وَكَانَ لَهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَبْعَةٌ[2] يَجْعَلُ فِيهَا ٱلْمِرْآةَ وَٱلْمُشْطَ وَٱلْمِقْرَاضَيْنِ وَٱلسِّوَاكَ .

وَكَانَ لَهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَرَسٌ يُقَالُ لَهُ : (ٱللَّحِيفُ)[3] .

---

(١) **الشوحط** : ضرب من شجر جبال السَّراة تتخذ منه القِسيُّ .

(٢) **ربعة** : حقيبة يجعل فيها الأمتعة المذكورة وهي جلد كجؤنة العطار التي يجعل فيها الطيب .

(٣) وقيل : اللُّحَيْف ، وقيل : بالخاء ، وقيل : بالجيم ، وهو عند ابن الجوزي بالنون بدل اللام من النحافة .

وَفَرَسٌ يُقَالُ لَهُ : (ٱلظَّرِبُ)[1] .

وَفَرَسٌ يُقَالُ لَهُ : (ٱللِّزَازُ)[2] .

وَكَانَ لَهُ قَصْعَةٌ يُقَالُ لَهَا : (اَلْغَرَّاءُ) ؛ يَحْمِلُهَا أَرْبَعَةُ رِجَالٍ .

وكَانَ لَهُ جَارِيَةٌ تُسْمَىٰ : (خَضْرَةَ)[3] .

* * *

---

(١) وقيل : الظِّرْب .

(٢) اَللِّزَازُ : سمي به لشدة تلززه أو اجتماع خلقه ، والملزَّز : المجتمع . ولزَّ به الشيءُ : لزق به ، كأنه يلتزق بالمطلوب لسرعته .

(٣) وقال المناوي وتبعه الحفني : الخَضِرة ؛ بكسر الضاد .

البَابُ الرَّابِعُ

فِي صِفَةِ أَكْلِ رَسُولِ ٱللهِ

صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

وَشُرْبِهِ ، وَنَوْمِهِ

وَفِيهِ سِتَّةُ فُصُولٍ

الفَصْلُ الأَوَّلُ

في صفة عيشه صلّى الله عليه وسلّم وخبزه

عَنْ سِمَاكِ بْنِ حَرْبٍ [رَحِمَهُ ٱللهُ تَعَالَىٰ] قَالَ : سَمِعْتُ ٱلنُّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُمَا يَقُولُ : أَلَسْتُمْ فِي طَعَامٍ وَشَرَابٍ مَا شِئْتُمْ؟ لَقَدْ رَأَيْتُ نَبِيَّكُمْ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَا يَجِدُ مِنَ ٱلدَّقَلِ مَا يَمْلأُ بَطْنَهُ .

وَ(ٱلدَّقَلُ) : رَدِيءُ ٱلتَّمْرِ .

وَكَانَ أَكْثَرَ طَعَامِ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ٱلتَّمْرُ وَٱلْمَاءُ .

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا قَالَتْ : كُنَّا آلَ مُحَمَّدٍ نَمْكُثُ شَهْراً مَا نَسْتَوْقِدُ بِنَارٍ ، إِنْ هُوَ إِلَّا ٱلتَّمْرُ وَٱلْمَاءُ .

وَفِي رِوَايَةِ ٱلْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ : كَانَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا تَقُولُ لِعُرْوَةَ : وَٱللهِ يَا ٱبْنَ أُخْتِي ؛ إِنْ كُنَّا لَنَنْظُرُ إِلَى ٱلْهِلَالِ ثُمَّ ٱلْهِلَالِ ثُمَّ ٱلْهِلَالِ ؛ ثَلَاثَةِ أَهِلَّةٍ فِي شَهْرَيْنِ وَمَا أُوقِدَ فِي أَبْيَاتِ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَارٌ .

قَالَ : قُلْتُ يَا خَالَةُ ؛ فَمَا كَانَ يُعَيِّشُكُمْ؟

قَالَتْ : ٱلْأَسْوَدَانِ ؛ ٱلتَّمْرُ وَٱلْمَاءُ ، إِلَّا أَنَّهُ كَانَ لِرَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جِيرَانٌ مِنَ ٱلْأَنْصَارِ ، وَكَانَتْ لَهُمْ مَنَائِحُ[1] ، فَكَانُوا يُرْسِلُونَ إِلَىٰ

---

(١) منائح ـ جمع منيحة ـ وهي : العطيّة لفظاً ومعنىً . . وأصلها عطية الناقة أو الشاة .

رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ أَلْبَانِهَا ، فَيُسْقِينَاهُ .

وَعَنْ أَبِي طَلْحَةَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ قَالَ : شَكَوْنَا إِلَىٰ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ٱلْجُوعَ ، وَرَفَعْنَا عَنْ بُطُونِنَا عَنْ حَجَرٍ حَجَرٍ ، فَرَفَعَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ بَطْنِهِ عَنْ حَجَرَيْنِ .

وَقَالَ ٱلْإِمَامُ ٱلتِّرْمِذِيُّ : وَمَعْنَىٰ قَوْلِهِ (وَرَفَعْنَا عَنْ بُطُونِنَا عَنْ حَجَرٍ حَجَرٍ) : وَكَانَ أَحَدُهُمْ يَشُدُّ فِي بَطْنِهِ ٱلْحَجَرَ مِنَ ٱلْجُهْدِ وَٱلضُّعْفِ ٱلَّذِي بِهِ مِنَ ٱلْجُوعِ .

وَفِي كِتَابِ « ٱلْمَوَاهِبِ » : عَنِ ٱبْنِ بُجَيْرٍ [رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ] قَالَ : أَصَابَ ٱلنَّبِيَّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جُوعٌ يَوْماً ، فَعَمَدَ إِلَىٰ حَجَرٍ ، فَوَضَعَهُ عَلَىٰ بَطْنِهِ ، ثُمَّ قَالَ : « أَلَا رُبَّ نَفْسٍ طَاعِمَةٍ نَاعِمَةٍ فِي ٱلدُّنْيَا . . جَائِعَةٌ عَارِيَةٌ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ ، أَلَا رُبَّ مُكْرِمٍ لِنَفْسِهِ . . وَهُوَ لَهَا مُهِينٌ ، أَلَا رُبَّ مُهِينٍ لِنَفْسِهِ . . وَهُوَ لَهَا مُكْرِمٌ » .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ قَالَ : خَرَجَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَاعَةٍ لَا يَخْرُجُ فِيهَا وَلَا يَلْقَاهُ فِيهَا أَحَدٌ ، فَأَتَاهُ أَبُو بَكْرٍ ، فَقَالَ : « مَا جَاءَ بِكَ يَا أَبَا بَكْرٍ ؟ » ، قَالَ : خَرَجْتُ أَلْقَىٰ رَسُولَ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنْظُرَ فِي وَجْهِهِ ، وَٱلتَّسْلِيمَ عَلَيْهِ ، فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ جَاءَ عُمَرُ فَقَالَ : « مَا جَاءَ بِكَ يَا عُمَرُ ؟ » ، قَالَ : اَلْجُوعُ يَا رَسُولَ ٱللهِ ، قَالَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « وَأَنَا قَدْ وَجَدْتُ بَعْضَ ذَلِكَ » .

فَٱنْطَلَقُوا إِلَىٰ مَنْزِلِ أَبِي ٱلْهَيْثَمِ بْنِ ٱلتَّيِّهَانِ ٱلْأَنْصَارِيِّ [رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ] ـ وَكَانَ رَجُلاً كَثِيرَ ٱلنَّخْلِ وَٱلشَّاءِ ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ خَدَمٌ ـ فَلَمْ يَجِدُوهُ ،

فَقالُوا لِٱمْرَأَتِهِ : « أَيْنَ صاحِبُكِ؟ » ، فَقالَتْ : اِنْطَلَقَ يَسْتَعْذِبُ لَنَا ٱلْمَاءَ .

فَلَمْ يَلْبَثُوا أَنْ جاءَ أَبُو ٱلْهَيْثَمِ بِقِرْبَةٍ يَزْعَبُهَا ـ أَيْ : يَمْلَؤُهَا ـ فَوَضَعَهَا ، ثُمَّ جاءَ يَلْتَزِمُ ٱلنَّبِيَّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَيُفَدِّيهِ بِأَبِيهِ وَأُمِّهِ .

ثُمَّ ٱنْطَلَقَ بِهِمْ إِلَىٰ حَدِيقَتِهِ ، فَبَسَطَ لَهُمْ بِساطاً ، ثُمَّ ٱنْطَلَقَ إِلَىٰ نَخْلَةٍ فَجاءَ بِقِنْوٍ[1] فَوَضَعَهُ ، فَقالَ ٱلنَّبِيُّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَفَلَا تَنَقَّيْتَ لَنَا مِنْ رُطَبِهِ؟! » ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ ٱللهِ ؛ إِنِّي أَرَدْتُ أَنْ تَخْتَارُوا مِنْ رُطَبِهِ وَبُسْرِهِ .

فَأَكَلُوا وَشَرِبُوا مِنْ ذَلِكَ ٱلْمَاءِ .

فَقَالَ ٱلنَّبِيُّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « هَـٰذَا ـ وَٱلَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ـ مِنَ ٱلنَّعِيمِ ٱلَّذِي تُسْأَلُونَ عَنْهُ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ ؛ ظِلٌّ بَارِدٌ ، وَرُطَبٌ طَيِّبٌ ، وَمَاءٌ بَارِدٌ » .

فَٱنْطَلَقَ أَبُو ٱلْهَيْثَمِ لِيَصْنَعَ لَهُمْ طَعَاماً ، فَقَالَ ٱلنَّبِيُّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَا تَذْبَحَنَّ لَنَا ذَاتَ دَرٍّ » ، فَذَبَحَ لَهُمْ عَنَاقاً[2] ؛ أَوْ جَدْياً[3] ، فَأَتَاهُمْ بِهَا فَأَكَلُوا .

فَقَالَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « هَلْ لَكَ خَادِمٌ ؟ »

قَالَ : لَا .

قَالَ : « فَإِذَا أَتَانَا سَبْيٌ . . فَأْتِنَا » .

---

(١) الغصن من النخلة المسمّىٰ بالعرجون .

(٢) وهي : أنثىٰ المعز لها أربعة أشهر .

(٣) وهو : ذكر المعز ما لم يبلغ سنة .

فَأُتِيَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِرَأْسَيْنِ[١] لَيْسَ مَعَهُمَا ثَالِثٌ ، فَأَتَاهُ أَبُو ٱلْهَيْثَمِ ، فَقَالَ ٱلنَّبِيُّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « اِخْتَرْ مِنْهُمَا » .

قَالَ : يَا رَسُولَ ٱللهِ ؛ اِخْتَرْ لِي .

فَقَالَ ٱلنَّبِيُّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّ ٱلْمُسْتَشَارَ مُؤْتَمَنٌ ، خُذْ هَـٰذَا فَإِنِّي رَأَيْتُهُ يُصَلِّي ، وَٱسْتَوْصِ بِهِ مَعْرُوفاً » .

فَٱنْطَلَقَ أَبُو ٱلْهَيْثَمِ إِلَى ٱمْرَأَتِهِ فَأَخْبَرَهَا بِقَوْلِ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ فَقَالَتِ ٱمْرَأَتُهُ : مَا أَنْتَ بِبَالِغٍ حَقَّ مَا قَالَ فِيهِ ٱلنَّبِيُّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . . إِلَّا أَنْ تُعْتِقَهُ .

قَالَ : فَهُوَ عَتِيقٌ .

فَقَالَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّ ٱللهَ لَمْ يَبْعَثْ نَبِيّاً وَلَا خَلِيفَةً . . إِلَّا وَلَهُ بِطَانَتَانِ : بِطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَاهُ عَنِ ٱلْمُنْكَرِ ، وَبِطَانَةٌ لَا تَأْلُوهُ خَبَالاً[٢] ، وَمَنْ يُوقَ بِطَانَةَ ٱلسُّوءِ فَقَدْ وُقِيَ ، وَٱلْمَعْصُومُ مَنْ عَصَمَهُ ٱللهُ تَعَالَىٰ » .

وَعَنْ عُتْبَةَ بْنِ غَزْوَانَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ قَالَ : لَقَدْ رَأَيْتُنِي وَإِنِّي لَسَابِعُ سَبْعَةٍ مَعَ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، مَا لَنَا طَعَامٌ إِلَّا وَرَقُ ٱلشَّجَرِ ، حَتَّىٰ تَقَرَّحَتْ أَشْدَاقُنَا[٣] ، فَٱلْتَقَطْتُ بُرْدَةً فَقَسَمْتُهَا بَيْنِي وَبَيْنَ سَعْدِ بْنِ

---

(١) يعني : أسيرين اثنين .

(٢) خبالاً : فساداً . وفي هـٰذا التعبير تنبيه علىٰ أن بطانة السوء يكفي فيها السكوت علىٰ الشر ، وعدم النَّهي عن الفساد .

(٣) أي : ظهر في جوانب أفواهنا قروح من خشونة ذلك الورق وحرارته .

مَالِكٍ ؛ فَأْتَزَرْتُ بِنِصْفِهَا وَأْتزَرَ سَعْدٌ بِنِصْفِهَا ، فَمَا مِنَّا مِنْ أُولَـٰئِكَ ٱلسَّبْعَةِ أَحَدٌ . إِلَّا وَهُوَ أَمِيرُ مِصْرٍ مِنَ ٱلْأَمْصَارِ ، وَسَتُجَرِّبُونَ ٱلْأُمَرَاءَ بَعْدَنَا .

وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَقَدْ أُخِفْتُ فِي ٱللهِ وَمَا يُخَافُ أَحَدٌ ، وَلَقَدْ أُوذِيتُ فِي ٱللهِ وَمَا يُؤْذَىٰ أَحَدٌ ، وَلَقَدْ أَتَتْ عَلَيَّ ثَلَاثُونَ مِنْ بَيْنِ لَيْلَةٍ وَيَوْمٍ مَا لِي وَلِبِلَالٍ طَعَامٌ يَأْكُلُهُ ذُو كَبِدٍ إِلَّا شَيْءٌ يُوَارِيهِ إِبْطُ بِلَالٍ » .

قَالَ ٱلْمُصَنِّفُ فِي « جَامِعِهِ »[1] : مَعْنَىٰ هَـٰذَا ٱلْحَدِيثِ : أَنَّهُ إِنَّمَا كَانَ مَعَ بِلَالٍ حِينَ خَرَجَ ٱلنَّبِيُّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ مَكَّةَ هَارِباً ؛ وَمَعَ بِلَالٍ مِنَ ٱلطَّعَامِ مَا يُوَارِيهِ تَحْتَ إِبْطِهِ .

وَعَنْ أَنَسٍ أَيْضاً : أَنَّ ٱلنَّبِيَّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَجْتَمِعْ عِنْدَهُ غَدَاءٌ وَلَا عَشَاءٌ مِنْ خُبْزٍ وَلَحْمٍ إِلَّا عَلَىٰ ضَفَفٍ .

و(ٱلضَّفَفُ) : كَثْرَةُ أَيْدِي ٱلْأَضْيَافِ .

فَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَجْتَمِعُ عِنْدَهُ ٱلْخُبْزُ وَٱللَّحْمُ فِي ٱلْغَدَاءِ وَٱلْعَشَاءِ ؛ إِلَّا إِذَا كَانَ عِنْدَهُ ٱلْأَضْيَافُ فَيَجْمَعُهُمَا لِأَجْلِهِمْ .

وَعَنْ نَوْفَلِ بْنِ إِيَاسٍ ٱلْهُذَلِيِّ [رَحِمَهُ ٱللهُ تَعَالَىٰ] قَالَ : كَانَ عَبْدُ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱبْنُ عَوْفٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ لَنَا جَلِيساً ، وَكَانَ نِعْمَ ٱلْجَلِيسُ ، وَإِنَّهُ ٱنْقَلَبَ بِنَا ذَاتَ يَوْمٍ حَتَّىٰ إِذَا دَخَلْنَا بَيْتَهُ . . دَخَلَ فَٱغْتَسَلَ ، ثُمَّ خَرَجَ وَأُتِينَا بِصَحْفَةٍ[2] فِيهَا خُبْزٌ وَلَحْمٌ ، فَلَمَّا وُضِعَتْ . . بَكَىٰ عَبْدُ ٱلرَّحْمَـٰنِ .

---

(١) أي : الترمذي في « الجامع الصحيح » .

(٢) هي إناء كالقصعة ، وقيل : إناء مبسوط كالصحيفة .

فَقُلْتُ : يَا أَبَا مُحَمَّدٍ ؛ مَا يُبْكِيكَ؟ .

فَقَالَ : تُوُفِّيَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَمْ يَشْبَعْ هُوَ وَأَهْلُ بَيْتِهِ مِنْ خُبْزِ ٱلشَّعِيرِ ، فَلَا أُرَانَا أُخِّرْنَا لِمَا هُوَ خَيْرٌ لَنَا .

وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ : أَنَّهُ أُتِيَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِتَمْرٍ ؛ فَرَأَيْتُهُ يَأْكُلُ وَهُوَ مُقْعٍ مِنَ ٱلْجُوعِ .

وَمَعْنَى (ٱلْإِقْعَاءِ) : ٱلتَّسَانُدُ إِلَىٰ وَرَاءٍ .

وَكَانَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَأْخُذُ مِمَّا آتَاهُ ٱللهُ تَعَالَىٰ إِلَّا قُوتَ عَامِهِ فَقَطْ ، مِنْ أَيْسَرِ مَا يَجِدُ مِنَ ٱلتَّمْرِ وَٱلشَّعِيرِ ، وَيَضَعُ سَائِرَ ذَٰلِكَ فِي سَبِيلِ ٱللهِ عَزَّ وَجَلَّ .

وَرَوَى ٱلْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ : أَنَّ رَسُولَ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَعْزِلُ نَفَقَةَ أَهْلِهِ سَنَةً .

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا قَالَتْ : مَا رَفَعَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَدَاءً لِعَشَاءٍ ، وَلَا عَشَاءً لِغَدَاءٍ .

وَرَوَى ٱلتِّرْمِذِيُّ عَنْ أَنَسٍ [رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ] : أَنَّ رَسُولَ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ لَا يَدَّخِرُ شَيْئاً لِغَدٍ .

وَكَانَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا تَغَدَّىٰ . . لَمْ يَتَعَشَّ ، وَإِذَا تَعَشَّىٰ . . لَمْ يَتَغَدَّ .

قَالَ ٱلْقَسْطَلَّانِيُّ فِي « ٱلْمَوَاهِبِ ٱللَّدُنِّيَّةِ » : (قَدِ ٱسْتُشْكِلَ كَوْنُهُ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وَأَصْحَابِهِ كَانُوا يَطْوُونَ ٱلْأَيَّامَ جُوعاً ؛ مَعَ مَا ثَبَتَ :

أَنَّهُ كَانَ يَرْفَعُ لِأَهْلِهِ قُوتَ سَنَةٍ .

وَأَنَّهُ قَسَمَ بَيْنَ أَرْبَعَةِ أَنْفُسٍ مِنْ أَصْحَابِهِ أَلْفَ بَعِيرٍ مِمَّا أَفَاءَ ٱللهُ عَلَيْهِ .

وَأَنَّهُ سَاقَ فِي عُمْرَتِهِ مِئَةَ بَدَنَةٍ ؛ فَنَحَرَهَا وَأَطْعَمَهَا ٱلْمَسَاكِينَ .

وَأَنَّهُ أَمَرَ لِأَعْرَابِيٍّ بِقَطِيعٍ مِنَ ٱلْغَنَمِ . . وَغَيْرُ ذَلِكَ .

مَعَ مَنْ كَانَ مَعَهُ مِنْ أَصْحَابِ ٱلْأَمْوَالِ ؛ كَأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَطَلْحَةَ وَغَيْرِهِمْ ، مَعَ بَذْلِهِمْ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بَيْنَ يَدَيْهِ .

وَقَدْ أَمَرَ بِٱلصَّدَقَةِ فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ بِجَمِيعِ مَالِهِ ، وَعُمَرُ بِنِصْفِهِ .

وَحَثَّ عَلَىٰ تَجْهِيزِ جَيْشِ ٱلْعُسْرَةِ ؛ فَجَهَّزَهُمْ عُثْمَانُ بِأَلْفِ بَعِيرٍ . . . إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ؟ .

وَأَجَابَ عَنْهُ ٱلطَّبَرِيُّ ـ كَمَا حَكَاهُ فِي « فَتْحِ ٱلْبَارِي » ـ : بِأَنَّ ذَلِكَ كَانَ مِنْهُمْ فِي حَالَةٍ دُونَ حَالَةٍ ؛ لَا لِعَوَزٍ وَضِيقٍ ، بَلْ تَارَةً لِلْإِيثَارِ ، وَتَارَةً لِكَرَاهَةِ ٱلشِّبَعِ وَكَثْرَةِ ٱلْأَكْلِ .

قَالَ ٱلْحَافِظُ ٱبْنُ حَجَرٍ : وَٱلْحَقُّ أَنَّ ٱلْكَثِيرَ مِنْهُمْ كَانُوا فِي حَالِ ضِيقٍ قَبْلَ ٱلْهِجْرَةِ حَيْثُ كَانُوا بِمَكَّةَ ، ثُمَّ لَمَّا هَاجَرُوا إِلَى ٱلْمَدِينَةِ كَانَ أَكْثَرُهُمْ كَذَلِكَ ، فَوَاسَاهُمُ ٱلْأَنْصَارُ بِٱلْمَنَازِلِ وَٱلْمَنَائِحِ ، فَلَمَّا فُتِحَتْ لَهُمُ ٱلنَّضِيرُ وَمَا بَعْدَهَا . . رَدُّوا عَلَيْهِمْ مَنَائِحَهُمْ .

نَعَمْ . . كَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْتَارُ ذَلِكَ مَعَ إِمْكَانِ حُصُولِ ٱلتَّوَسُّعِ وَٱلتَّبَسُّطِ فِي ٱلدُّنْيَا لَهُ ؛ كَمَا أَخْرَجَ ٱلتِّرْمِذِيُّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي أُمَامَةَ : أَنَّ ٱلنَّبِيَّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « عَرَضَ عَلَيَّ رَبِّي لِيَجْعَلَ لِي بَطْحَاءَ مَكَّةَ

ذَهباً ، فَقُلْتُ : لَا يَارَبِّ ، وَلَـٰكِنْ أَشْبَعُ يَوْماً وَأَجُوعُ يَوْماً ، فَإِذَا جُعْتُ . . تَضَرَّعْتُ إِلَيْكَ وَذَكَرْتُكَ ، وَإِذَا شَبِعْتُ . . شَكَرْتُكَ وَحَمِدْتُكَ » .

وَعَنِ ٱبْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُمَا قَالَ : كَانَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ وَجِبْرِيلُ عَلَى ٱلصَّفَا ، فَقَالَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « يَا جِبْرِيلُ ؛ وَٱلَّذِي بَعَثَكَ بِٱلْحَقِّ مَا أَمْسَىٰ لِآلِ مُحَمَّدٍ سُفَّةٌ[1] مِنْ دَقِيقٍ ، وَلَا كَفٌّ مِنْ سَوِيقٍ[2] » .

فَلَمْ يَكُنْ كَلَامُهُ بِأَسْرَعَ مِنْ أَنْ سَمِعَ هَدَّةً مِنَ ٱلسَّمَاءِ أَفْزَعَتْهُ ، فَقَالَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَمَرَ ٱللهُ ٱلْقِيَامَةَ أَنْ تَقُومَ؟ » .

قَالَ : لَا ، وَلَـٰكِنْ أَمَرَ إِسْرَافِيلَ فَنَزَلَ إِلَيْكَ حِينَ سَمِعَ كَلَامَكَ .

فَأَتَاهُ إِسْرَافِيلُ ، فَقَالَ : إِنَّ ٱللهَ تَعَالَىٰ قَدْ سَمِعَ مَا ذَكَرْتَ فَبَعَثَنِي إِلَيْكَ بِمَفَاتِيحِ خَزَائِنِ ٱلْأَرْضِ ، وَأَمَرَنِي أَنْ أَعْرِضَ عَلَيْكَ : إِنْ أَرَدْتَ أَنْ أُسَيِّرَ مَعَكَ جِبَالَ تِهَامَةَ زُمُرُّذاً وَيَاقُوتاً ، وَذَهَباً وَفِضَةً . . فَعَلْتُ ، فَإِنْ شِئْتَ : نَبِيّاً مَلِكاً ، وَإِنْ شِئْتَ نَبِيّاً عَبْداً ؟

فَأَوْمَأَ إِلَيْهِ جِبْرِيلُ أَنْ تَوَاضَعْ .

فَقَالَ : « بَلْ نَبِيّاً عَبْداً » (ثَلَاثاً) . رَوَاهُ ٱلطَّبَرَانِيُّ بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ .

وَلِلهِ دَرُّ ٱلْأَبُوصِيرِيِّ حَيْثُ قَالَ :

وَرَاوَدَتْهُ ٱلْجِبَالُ ٱلشُّمُّ مِنْ ذَهَبٍ   عَنْ نَفْسِهِ فَأَرَاهَا أَيَّمَا شَمَمِ)

---

(١) قبضة .

(٢) دقيق الشعير المقلو ، ويكون من القمح ، والأكثر جعله من الشعير .

وَأَمَّا خُبْزُ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

فَعَنِ ٱبْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُمَا قَالَ : كَانَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَبِيتُ ٱللَّيَالِيَ ٱلْمُتَتَابِعَةَ طَاوِياً(١) هُوَ وَأَهْلُهُ ؛ لَا يَجِدُونَ عَشَاءً ، وَكَانَ أَكْثَرَ خُبْزِهِمْ خُبْزُ ٱلشَّعِيرِ .

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا قَالَتْ : مَا شَبِعَ آلُ مُحَمَّدٍ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ خُبْزِ ٱلشَّعِيرِ يَوْمَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ حَتَّىٰ قُبِضَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وَعَنْ سُلَيْمِ بْنِ عَامِرٍ [رَحِمَهُ ٱللهُ تَعَالَىٰ] قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا أُمَامَةَ [ٱلْبَاهِلِيَّ] رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ يَقُولُ : مَا كَانَ يَفْضُلُ(٢) عَنْ أَهْلِ بَيْتِ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خُبْزُ ٱلشَّعِيرِ .

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا : مَا رُفِعَ عَنْ مَائِدَتِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كِسْرَةُ خُبْزٍ حَتَّىٰ قُبِضَ .

وَقَدْ وَرَدَ عَنْهَا أَيْضاً [رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا] أَنَّهَا قَالَتْ : تُوُفِّيَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَيْسَ عِنْدِي شَيْءٌ يَأْكُلُهُ ذُو كَبِدٍ إِلَّا شَطْرُ شَعِيرٍ فِي رَفٍّ لِي ـ أَيْ : نِصْفُ وَسْقٍ ـ فَأَكَلْتُ مِنْهُ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيَّ فَكِلْتُهُ فَفَنِيَ(٣) .

---

(١) طاوياً : خالي البطن جائعاً .

(٢) أي : ما كان يزيد عن كفايتهم ، بل كان ما يجدونه لا يشبعهم في الأكثر .

(٣) زادت في رواية : (فياليتني لم أكِلْهُ) . والبركة تكون في كيل الطعام عند البيع والشراء ، أما عند الإنفاق فإن الكيل سبب لذهاب البركة ، وفي هٰذا الأمر أسرار للبركة غفل عنها المسلمون اليوم . . والله المستعان .

وَكَانَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْكُلُ خُبْزَ ٱلشَّعِيرِ غَيْرَ مَنْخُولٍ ، وَرُبَّمَا وَقَفَ فِي حَلْقِهِ فَلَا يُسِيغُهُ إِلَّا بِجُرْعَةٍ مِنْ مَاءٍ .

وَعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُمَا أَنَّهُ قِيلَ لَهُ : أَكَلَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ٱلنَّقِيَّ(1) يَعْنِي : ٱلْحُوَّارَىٰ؟(2)

فَقَالَ سَهْلٌ : مَا رَأَىٰ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ٱلنَّقِيَّ حَتَّىٰ لَقِيَ ٱللهَ عَزَّ وَجَلَّ .

فَقِيلَ لَهُ: هَلْ كَانَتْ لَكُمْ مَنَاخِلُ عَلَىٰ عَهْدِ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟

قَالَ : مَا كَانَتْ لَنَا مَنَاخِلُ .

قِيلَ : كَيْفَ كُنْتُمْ تَصْنَعُونَ بِٱلشَّعِيرِ؟

قَالَ : كُنَّا نَنْفُخُهُ فَيَطِيرُ مِنْهُ مَا طَارَ ، ثُمَّ نَعْجِنُهُ .

وَفِي رِوَايَةٍ لَهُ : هَلْ كَانَتْ لَكُمْ فِي عَهْدِ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنَاخِلُ؟

فَقَالَ : مَا رَأَى ٱلنَّبِيُّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُنْخُلاً مِنْ حِينِ ٱبْتَعَثَهُ ٱللهُ تَعَالَىٰ حَتَّىٰ قَبَضَهُ ٱللهُ تَعَالَىٰ .

وَقَالَ أَنَسٌ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ : مَا أَعْلَمُ أَنَّ رَسُولَ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَىٰ رَغِيفاً مُرَقَّقاً حَتَّىٰ لَحِقَ بِٱللهِ ، وَلَا رَأَىٰ شَاةً سَمِيطاً بِعَيْنِهِ حَتَّىٰ لَحِقَ بِٱللهِ . رَوَاهُ ٱلْبُخَارِيُّ .

---

(1) الخبز المنقَّىٰ من النخالة ؛ أي : المنخول دقيقه .

(2) هو ما حوِّرَ من الدقيق بنخله مراراً ، وهـٰذه الزيادة التفسيرية من كلام الراوي .

وَ(ٱلشَّاةُ ٱلسَّمِيطُ) : هِيَ ٱلَّتِي أُزِيلَ شَعْرُهَا بِٱلْمَاءِ ٱلْمُسَخَّنِ ، وَشُوِيَتْ بِجِلْدِهَا ، وَهُوَ مِنْ فِعْلِ ٱلْمُتَرَفِّهِينَ .

وَعَنْ قَتَادَةَ [رَحِمَهُ ٱللهُ تَعَالَىٰ] ، عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ قَالَ : مَا أَكَلَ نَبِيُّ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَىٰ خُوَانٍ ، وَلَا فِي سُكُرُّجَةٍ ، وَلَا خُبِزَ لَهُ مُرَقَّقٌ .

قَالَ قَتَادَةُ [رَحِمَهُ ٱللهُ تَعَالَىٰ] : كَانُوا يأْكُلُونَ عَلَىٰ هَـٰذِهِ ٱلسُّفَرِ .

وَ(ٱلْخُوَانُ) : هُوَ مُرْتَفَعٌ يُهَيَّأُ لِيُؤْكَلَ ٱلطَّعَامُ عَلَيْهِ .

وَ(ٱلسُّكُرُّجَةُ) : إِنَاءٌ صَغِيرٌ يُوضَعُ فِيهِ ٱلشَّيْءُ ٱلْقَلِيلُ ٱلْمُشَهِّي لِلطَّعَامِ ؛ كَٱلسَّلَطَةِ .

وَ(ٱلسُّفَرُ) ـ جَمْعُ سُفْرَةٍ ـ وَهِيَ : مَا يُتَّخَذُ مِنْ جِلْدٍ مُسْتَدِيرٍ لِيُؤْكَلَ عَلَيْهِ ٱلطَّعَامُ .

وَعَنْ مَسْرُوقٍ [رَحِمَهُ ٱللهُ تَعَالَىٰ] قَالَ : دَخَلْتُ عَلَىٰ عَائِشَةَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا ، فَدَعَتْ لِي بِطَعَامٍ ، وَقَالَتْ : مَا أَشْبَعُ مِنْ طَعَامٍ فَأَشَاءُ أَنْ أَبْكِيَ إِلَّا بَكَيْتُ .

قَالَ : قُلْتُ : لِمَ ؟

قَالَتْ : أَذْكُرُ ٱلْحَالَ ٱلَّتِي فَارَقَ عَلَيْهَا رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ٱلدُّنْيَا ، وَٱللهِ مَا شَبِعَ مِنْ خُبْزٍ وَلَا لَحْمٍ مَرَّتَيْنِ فِي يَوْمٍ .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ قَالَ : مَا شَبِعَ آلُ مُحَمَّدٍ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ طَعَامٍ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ تِبَاعاً حَتَّىٰ قُبِضَ . رَوَاهُ ٱلْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ .

وَرَوَىٰ مُسْلِمٌ : مَا شَبِعَ آلُ مُحَمَّدٍ يَوْمَيْنِ مِنْ خُبْزِ ٱلْبُرِّ إِلَّا وَأَحَدُهُمَا تَمْرٌ .

وَرَوَىٰ مُسْلِمٌ أَيْضاً : عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا قَالَتْ : لَقَدْ مَاتَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَا شَبِعَ مِنْ خُبْزٍ وَزَيْتٍ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ مَرَّتَيْنِ .

وَعَنْهَا رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا قَالَتْ : مَا شَبِعَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ خُبْزِ ٱلشَّعِيرِ يَوْمَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ حَتَّىٰ قُبِضَ .

وَفِي رِوَايَةٍ عَنْهَا [رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا] أَيْضاً : مَا شَبِعَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ خُبْزِ شَعِيرٍ يَوْمَيْنِ مُتَوَالِيَيْنِ ، وَلَوْ شَاءَ . . لَأَعْطَاهُ ٱللهُ عَزَّ وَجَلَّ مَا لَا يَخْطُرُ بِبَالٍ .

قَالَ ٱلْقُسْطُلَّانِيُّ فِي « ٱلْمَوَاهِبِ » : (وَقَدْ تَتَبَّعْتُ هَلْ كَانَتْ أَقْرَاصُ خُبْزِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صِغَاراً أَمْ كِبَاراً ؟ فَلَمْ أَجِدْ فِي ذَٰلِكَ شَيْئاً بَعْدَ ٱلتَّفْتِيشِ .

نَعَمْ . . رُوِيَ أَمْرُهُ بِتَصْغِيرِهَا فِي حَدِيثٍ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَى عَنْهَا ، رَفَعَتْهُ بِلَفْظِ : « صَغِّرُوا ٱلْخُبْزَ ، وَأَكْثِرُوا عَدَدَهُ . . يُبَارَكْ لَكُمْ فِيهِ » .

وَكَانَ شَيْخِي ٱلْعَارِفُ ٱلرَّبَّانِيُّ إِبْرَاهِيمُ ٱلْمَتْبُولِيُّ يُصَغِّرُ أَرْغِفَةَ سِمَاطِهِ ، كَٱلشَّيْخِ أَبِي ٱلْعَبَّاسِ أَحْمَدَ ٱلْبَدَوِيِّ وَٱلسَّادَاتِ بَنِي ٱلْوَفَاءِ . أَعَادَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَلَيْنَا مِنْ بَرَكَاتِهِمْ) .

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا قَالَتْ : خَرَجَ ـ تَعْنِي ٱلنَّبِيَّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ مِنَ ٱلدُّنْيَا وَلَمْ يَمْلأْ بَطْنَهُ فِي يَوْمٍ مِنْ طَعَامَيْنِ ، كَانَ إِذَا شَبِعَ مِنَ ٱلتَّمْرِ . . لَمْ يَشْبَعْ مِنَ ٱلشَّعِيرِ ، وَإِذَا شَبِعَ مِنَ ٱلشَّعِيرِ . . لَمْ يَشْبَعْ مِنَ ٱلتَّمْرِ .

قَالَ ٱلْقُسْطُلَّانِيُّ : (وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱلشِّبَعَ بِدْعَةٌ ظَهَرَتْ بَعْدَ ٱلْقَرْنِ ٱلْأَوَّلِ .

وَقَدْ رَوَى ٱلنَّسَائِيُّ وَٱبْنُ مَاجَهْ وَصَحَّحَهُ ٱلْحَاكِمُ مِنْ حَدِيثِ ٱلْمِقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرِبٍ : أَنَّ رَسُولَ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « مَا مَلَأَ ٱبْنُ آدَمَ وِعَاءً شَرّاً مِنْ بَطْنِهِ ، حَسْبُ ٱبْنِ آدَمَ لُقَيْمَاتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ ، فَإِنْ غَلَبَتِ ٱلْآدَمِيَّ نَفْسُهُ . . فَثُلُثٌ لِلطَّعَامِ ، وَثُلُثٌ لِلشَّرَابِ ، وَثُلُثٌ لِلنَّفَسِ » .

قَالَ ٱلْقُرْطُبِيُّ : لَوْ سَمِعَ بُقْرَاطُ هَـٰذِهِ ٱلْقِسْمَةَ لَعَجِبَ مِنْ هَـٰذِهِ ٱلْحِكْمَةِ) .

وَعَنِ ٱلْحَسَنِ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ قَالَ : خَطَبَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : « وَٱللهِ مَا أَمْسَىٰ فِي آلِ مُحَمَّدٍ صَاعٌ مِنْ طَعَامٍ ، وَإِنَّهَا لَتِسْعَةُ أَبْيَاتٍ » .

وَٱللهِ مَا قَالَهَا ٱسْتِقْلَالاً لِرِزْقِ ٱللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ، وَلَـٰكِنْ أَرَادَ أَنْ تَتَأَسَّىٰ بِهِ أُمَّتُهُ .

وَفِي « ٱلشِّفَا » لِلْقَاضِي عِيَاضٍ رَحِمَهُ ٱللهُ تَعَالَىٰ : عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا قَالَتْ : لَمْ يَمْتَلِئْ جَوْفُ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شِبَعاً قَطُّ ، وَلَمْ يَبُثَّ شَكْوَىٰ إِلَىٰ أَحَدٍ ، وَكَانَتِ ٱلْفَاقَةُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنَ ٱلْغِنَىٰ ، وَإِنْ كَانَ لَيَظَلُّ جَائِعاً يَلْتَوِي طُولَ لَيْلَتِهِ مِنَ ٱلْجُوعِ فَلَا يَمْنَعُهُ صِيَامَ يَوْمِهِ ، وَلَوْ شَاءَ . . سَأَلَ رَبَّهُ جَمِيعَ كُنُوزِ ٱلْأَرْضِ وَثِمَارِهَا ، وَرَغَدَ عَيْشِهَا ، وَلَقَدْ كُنْتُ

أَبْكِي رَحْمَةً لَهُ مِمَّا أَرَىٰ بِهِ وَأَمْسَحُ بِيَدِي عَلَىٰ بَطْنِهِ مِمَّا بِهِ مِنَ ٱلْجُوعِ ، وَأَقُولُ : نَفْسِي لَكَ ٱلْفِدَاءُ ؛ لَوْ تَبَلَّغْتَ مِنَ ٱلدُّنْيَا بِمَا يَقُوتُكَ ؟ فَيَقُولُ : « يَا عَائِشَةُ ؛ مَا لِيْ وَلِلدُّنْيَا ؟! إِخْوَانِي مِنْ أُولِي ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ صَبَرُوا عَلَىٰ مَا هُوَ أَشَدُّ مِنْ هَـٰذَا ، فَمَضَوْا عَلَىٰ حَالِهِمْ ، فَقَدِمُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ ، فَأَكْرَمَ مَآبَهُمْ ، وَأَجْزَلَ ثَوَابَهُمْ ، فَأَجِدُنِي أَسْتَحْيِي إِنْ تَرَفَّهْتُ فِي مَعِيشَتِي أَنْ يُقَصَّرَ بِي غَداً دُونَهُمْ ، وَمَا مِنْ شَيْءٍ هُوَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ ٱللُّحُوقِ بِإِخْوَانِي وَأَخِلَّائِي » .

قَالَتْ : فَمَا أَقَامَ بَعْدُ شَهْراً حَتَىٰ تُوُفِّيَ صَلَوَاتُ ٱللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ .

ثُمَّ قَالَ رَحِمَهُ ٱللهُ تَعَالَىٰ بَعْدَ ثَلَاثِ وَرَقَاتٍ : كَانَ دَاوُودُ عَلَيْهِ ٱلصَّـلَاةُ وَٱلسَّـلَامُ يَلْبَسُ ٱلصُّوفَ ، وَيَفْتَرِشُ ٱلشَّعْرَ ، وَيَأْكُلُ خُبْزَ ٱلشَّعِيرِ بِٱلْمِلْحِ وَٱلرَّمَادِ ، وَيَمزُجُ شَرَابَهُ بِٱلدُّمُوعِ .

وَقِيلَ لِعِيسَىٰ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ : لَوِ ٱتَّخَذْتَ حِمَاراً؟

فَقَالَ : أَنَا أَكْرَمُ عَلَى ٱللهِ مِنْ أَنْ يَشْغَلَنِي بِحِمَارٍ .

وَكَانَ يَلْبَسُ ٱلشَّعْرَ وَيَأْكُلُ ٱلشَّجَرَ ؛ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ بَيْتٌ ، أَيْنَمَا أَدْرَكَهُ ٱلنَّوْمُ . نَامَ . وَكَانَ أَحَبَّ ٱلْأَسَامِي إِلَيْهِ أَنْ يُقَالَ لَهُ : (يَا مِسْكِينُ) .

وَقِيلَ : إِنَّ مُوسَىٰ [عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ] لَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ كَانَتْ تُرَىٰ خُضْرَةُ ٱلْبَقْلِ فِي بَطْنِهِ مِنَ ٱلْهُزَالِ .

وَقَالَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَقَدْ كَانَ ٱلْأَنْبِيَاءُ قَبْلِي يُبْتَلَىٰ أَحَدُهُمْ بِٱلْفَقْرِ وَٱلْقَمْلِ ، وَكَانَ ذَلِكَ أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ ٱلْعَطَاءِ إِلَيْكُمْ » .

وَقَالَ مُجَاهِدٌ : كَانَ طَعَامُ يَحْيَىٰ : ٱلْعُشْبَ ، وَكَانَ يَبْكِي مِنْ خَشْيَةِ ٱللهِ تَعَالَىٰ عَزَّ وَجَلَّ ، حَتَّى ٱتَّخَذَ ٱلدَّمْعُ مَجْرَىً فِي خَدِّهِ .

وَحَكَى ٱلطَّبَرِيُّ عَنْ وَهْبٍ : أَنَّ مُوسَىٰ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ كَانَ يَسْتَظِلُّ بِعَرِيشٍ ، وَيَأْكُلُ فِي نُقْرَةٍ(١) مِنْ حَجَرٍ ، وَيَكْرَعُ فِيهَا إِذَا أَرَادَ أَنْ يَشْرَبَ كَمَا تَكْرَعُ ٱلدَّابَّةُ ؛ تَوَاضُعاً لِلهِ تَعَالَىٰ بِمَا أَكْرَمَهُ مِنْ كَلَامِهِ) اهـ

* * *

---

(١) أي : حفرة .

الفَصْلُ الثَّانِي

فِي صِفَةِ أَكْلِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَإِدَامِهِ

عَنْ كَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ قَالَ : رَأَيْتُ رَسُولَ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْكُلُ بِأَصَابِعِهِ ٱلثَّلَاثِ ؛ بِٱلْإِبْهَامِ ، وَٱلَّتِي تَلِيهَا ، وَٱلْوُسْطَىٰ . ثُمَّ رَأَيْتُهُ يَلْعَقُ أَصَابِعَهُ ٱلثَّلَاثَ قَبْلَ أَنْ يَمْسَحَهَا ؛ اَلْوُسْطَىٰ ، ثُمَّ ٱلَّتِي تَلِيهَا ، ثُمَّ ٱلْإِبْهَامَ .

وَكَانَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَكْرَهُ أَنْ يَأْكُلَ ٱلطَّعَامَ ٱلْحَارَّ حَتَّىٰ تَذْهَبَ فَوْرَةُ دُخَانِهِ(١) .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ ٱلْحَارَّ ، وَيَقُولُ : « إِنَّهُ غَيْرُ ذِي بَرَكَةٍ ، فَأَبْرِدُوهُ ؛ فَإِنَّ ٱللهَ لَمْ يُطْعِمْنَا نَاراً » .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْكُلُ بِأَصَابِعِهِ ٱلثَّلَاثِ ، وَرُبَّمَا ٱسْتَعَانَ بِٱلرَّابِعَةِ ، وَلَمْ يَكُنْ يَأْكُلْ قَطُّ بِأُصْبُعَيْنِ ، وَيُخْبِرُ أَنَّ ذَلِكَ مِنْ فِعْلِ ٱلشَّيْطَانِ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَلْعَقُ ٱلصَّحْفَةَ بِأَصَابِعِهِ ، وَيَقُولُ : « آخِرُ ٱلطَّعَامِ أَكْثَرُ بَرَكَةً » .

---

(١) أي : حدته وغليانه .

وَكَانَ [صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ] يَلْعَقُ أَصَابِعَهُ مِنَ ٱلطَّعَامِ حَتَّىٰ تَحْمَرَّ .

وَكَانَ [صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ] لَا يَمْسَحُ يَدَهُ بِٱلْمِنْدِيلِ حَتَّىٰ يَلْعَقَ أَصَابِعَهُ وَاحِدَةً وَاحِدَةً ، وَيَقُولُ : « إِنَّهُ لَا يَدْرِي فِي أَيِّ ٱلطَّعَامِ ٱلْبَرَكَةُ » .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَكَلَ ٱلْخُبْزَ وَٱللَّحْمَ خَاصَّةً . . غَسَلَ يَدَيْهِ غَسْلاً جَيِّداً ، ثُمَّ يَمْسَحُ بِفَضْلِ ٱلْمَاءِ عَلَىٰ وَجْهِهِ .

وَعَنِ ٱبْنِ عُمَرَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُمَا قَالَ : قَالَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ أَكَلَ مِنْ هَـٰذِهِ ٱللُّحُومِ شَيْئاً . . فَلْيَغْسِلْ يَدَهُ مِنْ رِيحِ وَضَرِهِ[1] ، وَلَا يُؤْذِي مَنْ حِذَاءَهُ » .

وَكَانَ أَكْثَرُ جُلُوسِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلْأَكْلِ أَنْ يَجْمَعَ بَيْنَ رُكْبَتَيْهِ وَبَيْنَ قَدَمَيْهِ ؛ كَمَا يَجْلِسُ ٱلْمُصَلِّي ، إِلَّا أَنَّ ٱلرُّكْبَةَ تَكُونُ فَوْقَ ٱلرُّكْبَةِ ، وَٱلْقَدَمَ فَوْقَ ٱلْقَدَمِ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ آكُلُ كَمَا يَأْكُلُ ٱلْعَبْدُ ، وَأَجْلِسُ كَمَا يَجْلِسُ ٱلْعَبْدُ » .

وَعَنْ أَبِي جُحَيْفَةَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَمَّا أَنَا فَلَا آكُلُ مُتَّكِئاً » .

وَرَوَى ٱبْنُ مَاجَهْ : أَنَّ رَسُولَ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَىٰ أَنْ يَأْكُلَ ٱلرَّجُلُ وَهُوَ مُنْبَطِحٌ عَلَىٰ وَجْهِهِ .

---

(١) **الوضر** : وسخ الدسم واللبن .

وَأَخْرَجَ ٱبْنُ عَدِيٍّ : أَنَّ رَسُولَ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زَجَرَ أَنْ يَعْتَمِدَ ٱلرَّجُلُ عَلَىٰ يَدِهِ ٱلْيُسْرَىٰ عِنْدَ ٱلْأَكْلِ .

وَأَمَّا إِدَامُ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

فَقَدْ كَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَتَوَرَّعُ عَنْ مَطْعَمٍ حَلَالٍ ؛ إِنْ وَجَدَ تَمْراً دُونَ خُبْزٍ . . أَكَلَهُ ، وَإِنْ وَجَدَ لَحْماً مَشْوِيّاً . . أَكَلَهُ ، وَإِنْ وَجَدَ خُبْزَ بُرٍّ . . أَكَلَهُ ، أَوْ شَعِيراً . . أَكَلَهُ ، وَإِنْ وَجَدَ حَلْوَىٰ ، أَوْ عَسَلاً . . أَكَلَهُ ، وَإِنْ وَجَدَ لَبَناً دُونَ خُبْزٍ . . أَكَلَهُ وَٱكْتَفَىٰ بِهِ ، وَإِنْ وَجَدَ بِطِّيخاً ، أَوْ رُطَباً . . أَكَلَهُ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْكُلُ مَا حَضَرَ ، وَلَا يَرُدُّ مَا وَجَدَ .

وَعَنْ زَهْدَمٍ ٱلْجَرْمِيِّ [رَحِمَهُ ٱللهُ تَعَالَىٰ] قَالَ : كُنَّا عِنْدَ أَبِي مُوسَى ٱلْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ ، فَأُتِيَ بِلَحْمِ دَجَاجٍ ، فَتَنَحَّىٰ رَجُلٌ مِنَ ٱلْقَوْمِ ، فَقَالَ : مَا لَكَ؟ فَقَالَ : إِنِّي رَأَيْتُهَا تَأْكُلُ شَيْئاً ، فَحَلَفْتُ أَنْ لَا آكُلَهَا . قَالَ : اُدْنُ ، فَإِنِّي رَأَيْتُ رَسُولَ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْكُلُ لَحْمَ ٱلدَّجَاجِ .

وَعَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عُمَرَ بْنِ سَفِينَةَ ، عَنْ أَبِيهِ [رَحِمَهُمَا ٱللهُ تَعَالَىٰ] ، عَنْ جَدِّهِ سَفِينَةَ [رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ] مَوْلَىٰ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : أَكَلْتُ مَعَ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَحْمَ حُبَارَىٰ .

وَ(ٱلْحُبَارَىٰ) : طَائِرٌ طَوِيلُ ٱلْعُنُقِ ، فِي مِنْقَارِهِ طُولٌ ، رَمَادِيُّ ٱللَّوْنِ ، شَدِيدُ ٱلطَّيَرَانِ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْكُلُ لَحْمَ ٱلدَّجَاجِ وَٱلطَّيْرِ ٱلَّذِي يُصَادُ ، وَكَانَ لَا يَشْتَرِيهِ وَلَا يَصِيدُهُ ، وَيُحِبُّ أَنْ يُصَادَ لَهُ ، فَيُؤْتَىٰ بِهِ فَيَأْكُلَهُ .

وَكَانَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ لِعَائِشَةَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا : « إِذَا طَبَخْتُمْ قِدْراً . . فَأَكْثِرُوا فِيهَا مِنَ ٱلدُّبَّاءِ ؛ فَإِنَّهَا تَشُدُّ قَلْبَ ٱلْحَزِينِ » .

وَكَانَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْكُلُ ٱلثَّرِيدَ بِٱللَّحْمِ وَٱلْقَرْعِ .

وَكَانَ [صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ] يُحِبُّ ٱلْقَرْعَ ، وَيَقُولُ : « إِنَّهَا شَجَرَةُ أَخِي يُونُسَ » .

وَعَنْ جَابِرِ بْنِ طَارِقٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ قَالَ : دَخَلْتُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَرَأَيْتُ عِنْدَهُ دُبَّاءَ يُقَطَّعُ ، فَقُلْتُ : مَا هَـٰذَا؟ فَقَالَ : « نُكَثِّرُ بِهِ طَعَامَنَا » .

وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ قَالَ : إِنَّ خَيَّاطاً دَعَا رَسُولَ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِطَعَامٍ صَنَعَهُ .

قَالَ أَنَسٌ : فَذَهَبْتُ مَعَ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَىٰ ذَٰلِكَ ٱلطَّعَامِ ، فَقَرَّبَ إِلَىٰ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خُبْزاً مِنْ شَعِيرٍ ، وَمَرَقاً فِيهِ دُبَّاءُ ، وَقَدِيدٌ(١) .

قَالَ أَنَسٌ : فَرَأَيْتُ ٱلنَّبِيَّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَتَبَّعُ ٱلدُّبَّاءَ حَوَالَيِ ٱلْقَصْعَةِ ، فَلَمْ أَزَلْ أُحِبُّ ٱلدُّبَّاءَ مِنْ يَوْمِئِذٍ .

---

(١) أي : لحم مملوح مجفف في الشمس .

قَالَ ٱلنَّوَوِيُّ : (فِيهِ أَنَّهُ يُسْتَحَبُّ أَنْ يُحِبَّ ٱلْمَرْءُ ٱلدُّبَّاءَ ، وَكَذَلِكَ كُلَّ شَيْءٍ كَانَ يُحِبُّهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) .

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا قَالَتْ : كَانَ ٱلنَّبِيُّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحِبُّ ٱلْحَلْوَاءَ وَٱلْعَسَلَ .

وَكَانَ أَحَبَّ ٱلشَّرَابِ إِلَىٰ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . . ٱلْعَسَلُ .

وَكَانَ أَحَبَّ ٱلشَّرابِ إِلَىٰ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . . ٱللَّبَنُ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا شَرِبَ ٱللَّبَنَ . . قَالَ : « إِنَّ لَهُ دَسَماً » .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَشْرَبُ ٱللَّبَنَ خَالِصاً تَارَةً ، وَتَارَةً مَشُوباً بِٱلْمَاءِ ٱلْبَارِدِ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أُتِيَ بِلَبَنٍ . . قَالَ : « بَرَكَةٌ » .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَمَجَّعُ ٱلتَّمْرَ بِٱللَّبَنِ(١) ، وَيُسَمِّيهِمَا : « ٱلْأَطْيَبَيْنِ » .

وَأَكَلَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ٱلتَّمْرَ بِٱلزُّبْدِ(٢) ، وَكَانَ يُحِبُّهُ .

وَفِي « ٱلْإِحْيَاءِ » : أَنَّهُ جَاءَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ بِفَالُوذَجٍ ، فَأَكَلَ مِنْهُ ، وَقَالَ : « مَا هَٰذَا يَا أَبَا عَبْدِ ٱللهِ؟ » .

---

(١) يأكلهما معاً ، أو يأكل التمر ويشرب عليه اللَّبن .

(٢) وهو ما يستخرج بالخض من لبن البقر والغنم . أما المستخرج من لبن الإبل فلا يسمىٰ زبداً ، بل يسمىٰ : (حُباباً) .

قَالَ : بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي ، نَجْعَلُ ٱلسَّمْنَ وَٱلْعَسَلَ فِي ٱلْبُرْمَةِ[١] ، وَنَضَعُهَا عَلَى ٱلنَّارِ ، حَتَّىٰ نَغْلِيَهُ ، ثُمَّ نَأْخُذُ مُخَّ ٱلْحِنْطَةِ إِذَا طُحِنَتْ ، فَنُلْقِيهِ عَلَى ٱلسَّمْنِ وَٱلْعَسَلِ فِي ٱلْبُرْمَةِ ، ثُمَّ نَسُوطُهُ[٢] حَتَّىٰ يَنْضُجَ ؛ فَيَأْتِي كَمَا تَرَىٰ .

فَقَالَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّ هَـٰذَا ٱلطَّعَامَ طَيِّبٌ » .

وَذَكَرَ هَـٰذِهِ ٱلْقِصَّةَ فِي « ٱلْمَوَاهِبِ » عَنْ عَبْدِ ٱللهِ بْنِ سَلَامٍ بِوَجْهٍ آخَرَ ، مَعَ تَسْمِيَةِ هَـٰذَا ٱلطَّعَامِ : ٱلْخَبِيصَ .

وَكَانَ أَحَبَّ ٱلطَّعَامِ إِلَىٰ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ٱللَّحْمُ ، وَيَقُولُ : « إِنَّهُ يَزِيدُ فِي ٱلسَّمْعِ ، وَهُوَ سَيِّدُ ٱلطَّعَامِ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ ، وَلَوْ سَأَلْتُ رَبِّي أَنْ يُطْعِمَنِيهِ كُلَّ يَوْمٍ . لَفَعَلَ » .

وَعَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ : أَنَّ أُمَّ سَلَمَةَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا أَخْبَرَتْهُ أَنَّهَا قَرَّبَتْ إِلَىٰ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَنْباً مَشْوِيّاً فَأَكَلَ مِنْهُ .

وَعَنْ عَبْدِ ٱللهِ بْنِ ٱلْحَارِثِ قَالَ : أَكَلْنَا مَعَ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شِوَاءً فِي ٱلْمَسْجِدِ .

وَعَنِ ٱلْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ قَالَ : ضِفْتُ مَعَ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ لَيْلَةٍ ، فَأُتِيَ بِجَنْبٍ مَشْوِيٍّ ، ثُمَّ أَخَذَ ٱلشَّفْرَةَ[٣] ؛ فَجَعَلَ يَحُزُّ ، فَحَزَّ لِي بِهَا مِنْهُ .

---

(١) **البرمة** : قِدر من فخار .

(٢) أي : نحركه بالسوط .

(٣) **الشفرة** : السكين العريض العظيم .

قَالَ : فَجَاءَ بِلَالٌ يُؤْذِنُهُ بِٱلصَّلَاةِ ، فَأَلْقَى ٱلشَّفْرَةَ ، فَقَالَ : « مَا لَهُ ؟! تَرِبَتْ يَدَاهُ »[١] .

قَالَ : وَكَانَ شَارِبُهُ قَدْ وَفَا[٢] ، فَقَالَ لَهُ[٣] : « أَقُصُّهُ لَكَ عَلَىٰ سِوَاكٍ ؟ أَوْ : قُصَّهُ عَلَىٰ سِوَاكٍ » .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يأْكُلُ مِنَ ٱلْكَبِدِ إِذَا شُوِيَتْ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحِبُّ مِنَ ٱلشَّاةِ ٱلذِّرَاعَ وَٱلْكَتِفَ .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ قَالَ : أُتِيَ ٱلنَّبِيُّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِلَحْمٍ ، فَرُفِعَ إِلَيْهِ ٱلذِّرَاعُ ـ وَكَانَتْ تُعْجِبُهُ ـ فَنَهَسَ مِنْهَا[٤] .

وَعَنِ ٱبْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ قَالَ : كَانَ ٱلنَّبِيُّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعْجِبُهُ ٱلذِّرَاعُ ، وَسُمَّ فِي ٱلذِّرَاعِ ، وَكَانَ يُرَىٰ أَنَّ ٱلْيَهُودَ سَمُّوهُ .

وَعَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ قَالَ : طَبَخْتُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قِدْراً[٥] ، وَكَانَ يُعْجِبُهُ ٱلذِّرَاعُ ، فَنَاوَلْتُهُ ٱلذِّرَاعَ ، ثُمَّ قَالَ : « نَاوِلْنِي

---

(١) والمقصود منه : الزجر عن ذلك ، لا حقيقة الدعاء بذلك ، فإنه كره صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من سيدنا بلال رضي ٱلله عنه إعلامه بالصلاة بحضرة الطعام ، والصلاة بحضرة طعام تتوق إليه النفس . . مكروهةٌ ، مع ما في ذلك من إيذاء المضيف وكسر خاطره . مع ملاحظة أن وجوب الصلاة في أول الوقت وجوبٌ موسعٌ .

(٢) أي : كان شارب سيدنا بلال رضي ٱلله عنه قد طال وأشرف على فمه .

(٣) أي : النبي صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

(٤) أي : تناوله بأطراف أسنانه .

(٥) أي : شاةً في قِدر .

ٱلذِّرَاعَ »، فَنَاوَلْتُهُ ، ثُمَّ قَالَ : « نَاوِلْنِي ٱلذِّرَاعَ » ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ ٱللهِ ؛ وَكَمْ لِلشَّاةِ مِنْ ذِرَاعٍ؟! فَقَالَ : « وَٱلَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ؛ لَوْ سَكَتَّ.. لَنَاوَلْتَنِي ٱلذِّرَاعَ مَا دَعَوْتُ » .

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا قَالَتْ : مَا كَانَتِ ٱلذِّرَاعُ أَحَبَّ ٱللَّحْمِ إِلَىٰ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَلَـٰكِنَّهُ كَانَ لَا يَجِدُ ٱللَّحْمَ إِلَّا غِبّاً[1] ، وَكَانَ يَعْجَلُ إِلَيْهَا ؛ لِأَنَّهَا أَعْجَلُهَا نُضْجاً .

وَكَانَ أَحَبَّ ٱلشَّاةِ إِلَىٰ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُقَدَّمُهَا .

وَعَنْ عَبْدِ ٱللهِ بْنِ جَعْفَرٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُمَا قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « إِنَّ أَطْيَبَ ٱللَّحْمِ لَحْمُ ٱلظَّهْرِ » .

وَعَنْ ضُبَاعَةَ بِنْتِ ٱلزُّبَيْرِ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا : أَنَّهَا ذَبَحَتْ فِي بَيْتِهَا شَاةً ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَنْ أَطْعِمِينَا مِنْ شَاتِكُمْ » . فَقَالَتْ : مَا بَقِيَ عِنْدَنَا إِلَّا ٱلرَّقَبَةُ ، وَإِنِّي لَأَسْتَحِي أَنْ أُرْسِلَ إِلَىٰ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَرَجَعَ ٱلرَّسُولُ ، فَأَخْبَرَهُ بِقَوْلِهَا . فَقَالَ : « ٱرْجِعْ إِلَيْهَا ، فَقُلْ لَهَا : أَرْسِلِي بِهَا ، فَإِنَّهَا هَادِيَةُ ٱلشَّاةِ ، وَأَقْرَبُ ٱلشَّاةِ إِلَى ٱلْخَيْرِ ، وَأَبْعَدُهَا عَنِ ٱلْأَذَىٰ » .

وَكَانَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَكَلَ ٱللَّحْمَ.. لَمْ يُطَأْطِئْ رَأْسَهُ إِلَيْهِ ، بَلْ يَرْفَعُهُ إِلَىٰ فِيهِ ، ثُمَّ يَنْهَسُهُ ٱنْتِهَاساً[2] .

---

(١) أي : وقتاً دون وقت .

(٢) ويجوز بالشين : ينهشه انتهاشاً .

وَأَكَلَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ٱلْقَدِيدَ ؛ كَمَا فِي حَدِيثِ « ٱلسُّنَنِ » عَنْ رَجُلٍ قَالَ : ذَبَحْتُ لِرَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَاةً وَنَحْنُ مُسَافِرُونَ ، فَقَالَ : « أَصْلِحْ لَحْمَهَا » ، فَلَمْ أَزَلْ أُطْعِمُهُ مِنْهُ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ .

وَأَكَلَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَحْمَ حِمَارِ ٱلْوَحْشِ .

وَأَكَلَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَحْمَ ٱلضَّأْنِ ، وأَكَلَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَحْمَ ٱلْجِمَالِ سَفَراً وَحَضَراً .

وَأَكَلَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَحْمَ ٱلْأَرْنَبِ .

وَأَكَلَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ دَوَابِّ ٱلْبَحْرِ .

وَأَكَلَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ٱلثَّرِيدَ ؛ وَهُوَ أَنْ يُثْرَدَ ٱلْخُبْزُ بِمَرَقِ ٱللَّحْمِ ، وَقَدْ يَكُونُ مَعَهُ لَحْمٌ .

وَمِنْ أَمْثَالِهِمْ : (اَلثَّرِيدُ أَحَدُ ٱللَّحْمَيْنِ) .

وَأَكَلَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ٱلْخُبْزَ بِٱلزَّيْتِ .

وَعَنْ عُمَرَ بْنِ ٱلْخَطَّابِ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « كُلُوا ٱلزَّيْتَ وَٱدَّهِنُوا بِهِ ، فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ » .

وأَكَلَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ٱلسِّلْقَ(١) مَطْبُوخاً .

---

(١) **السِّلْق** : بقلةٌ ؛ وهو نبت له ورق طوال ، يقال له : السِّلك ـ بالكاف بدل القاف ـ وقوله : (مطبوخاً) أي : بالشعير .

وَأَكَلَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ٱلْخَزِيرَةَ ؛ وَهِيَ : مَا يُتَّخَذُ مِنَ ٱلدَّقِيقِ عَلَىٰ هَيْئَةِ ٱلْعَصِيدَةِ ، لَـٰكِنَّهُ أَرَقُّ مِنْهَا[١] .

وَأَكَلَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ٱلْأُقْطَ[٢] ؛ وَهُوَ : جُبْنُ ٱللَّبَنِ ٱلْمُسْتَخْرَجِ زُبْدُهُ ، وَهُوَ أَشْبَهُ شَيْءٍ بِٱلْكَشْكِ .

وَأَكَلَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ٱلرُّطَبَ وَٱلتَّمْرَ وَٱلْبُسْرَ[٣] .

وَأَكَلَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ٱلْكَبَاثَ ؛ وَهُوَ : ثَمَرُ ٱلْأَرَاكِ .

وَأَكَلَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ٱلْجُبْنَ .

عَنِ ٱبْنِ عُمَرَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُمَا قَالَ : أُتِيَ ٱلنَّبِيُّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِجُبْنَةٍ فِي تَبُوكَ ، فَدَعَا بِسِكِّينٍ فَسَمَّىٰ وَقَطَعَ .

وَأَمَّا ٱلْبَصَلُ : فَرَوَىٰ أَبُو دَاوُودَ فِي « سُنَنِهِ » : عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا أَنَّهَا سُئِلَتْ عَنِ ٱلْبَصَلِ فَقَالَتْ : إِنَّ آخِرَ طَعَامٍ أَكَلَهُ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهِ بَصَلٌ .

وَٱلظَّاهِرُ أَنَّ هَـٰذَا ٱلْبَصَلَ كَانَ مَطْبُوخاً ، حَتَّىٰ لَمْ يَبْقَ لَهُ رَائِحَةٌ كَرِيهَةٌ .

وَيَدُلُّ عَلَىٰ هَـٰذَا قَوْلُهَا : (إِنَّ آخِرَ طَعَامٍ أَكَلَهُ فِيهِ بَصَلٌ) ، وَلَمْ تَقُلْ أَكَلَ ٱلْبَصَلَ .

---

(١) **الخزيرة** : أن يؤخذ اللحم فيقطعَ قطعاً صغاراً ويصبَّ عليه ماء كثير ، فإذا نضج ذُرَّ عليه الدقيق . فإن لم يكن فيها لحم فهي : **عصيدة** .

(٢) بتثليث الهمزة مع سكون القاف ، ويحرَّك . وككَتِف ، ورَجُلٍ ، وإبِلٍ .

(٣) البُسْر : هو البلح الطريّ .

وَكَانَ أَحَبَّ ٱلصِّبَاغِ إِلَىٰ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ٱلْخَلُّ .

وعَنْ عائِشَةَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا أَنَّ رَسُولَ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « نِعْمَ ٱلْإِدَامُ ٱلْخَلُّ » .

وَعَنِ ٱبْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُمَا قَالَ : دَخَلَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ عَلَىٰ أُمِّ هَانِىءٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا وَكَانَ جَائِعاً ، فَقَالَ لَهَا : « أَعِنْدَكُمْ طَعَامٌ آكُلُهُ؟ » ، فَقَالَتْ : إِنَّ عِنْدِيْ لَكِسَراً يَابِسَةً ، وَإِنِّي لأَسْتَحْيِي أَنْ أُقَدِّمَهَا إِلَيْكَ . فَقَالَ : « هَلُمِّيهَا » ، فَكَسَّرَهَا فِي مَاءٍ ، وَجَاءَتْهُ بِمِلْحٍ ، فَقَالَ : « مَا مِنْ إِدَامٍ؟ » ، فَقَالَتْ : مَا عِنْدِي إِلَّا شَيْءٌ مِنْ خَلٍّ ، فَقَالَ : « هَلُمِّيهِ » .

فَلَمَّا جَاءَتْهُ بِهِ . . صَبَّهُ عَلَىٰ طَعَامِهِ ؛ فَأَكَلَ مِنْهُ ، ثُمَّ حَمِدَ ٱللهَ عَزَّ وَجَلَّ ، وَأَثْنَىٰ عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ : « نِعْمَ ٱلْإِدَامُ ٱلْخَلُّ ، يَا أُمَّ هَانِىءٍ ؛ لَا يَقْفَرُ بَيْتٌ فِيهِ خَلٌّ » .

وَعَنْ أُمِّ سَعْدٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا قَالَتْ : دَخَلَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَىٰ عَائِشَةَ وَأَنَا عِنْدَهَا ، فَقَالَ : « هَلْ مِنْ غَدَاءٍ؟ » ، فَقَالَتْ : عِنْدَنَا خُبْزٌ وَتَمْرٌ وَخَلٌّ ، فَقَالَ : « نِعْمَ ٱلْإِدَامُ ٱلْخَلُّ ، اَللَّهُمَّ ؛ بَارِكْ فِي ٱلْخَلِّ ؛ فَإِنَّهُ كَانَ إِدَامَ ٱلْأَنْبِيَاءِ قَبْلِي ، وَلَمْ يَقْفَرْ بَيْتٌ فِيهِ خَلٌّ » .

وَهَـٰذَا مَدْحٌ لِلْخَلِّ بِحَسَبِ ٱلْوَقْتِ ـ كَمَا قَالَهُ ٱبْنُ ٱلْقَيِّمِ ـ لَا لِتَفْضِيلِهِ عَلَىٰ غَيْرِهِ ، بَلْ هُوَ جَبْرٌ لِقَلْبِ مَنْ قَدَّمَهُ لَهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَتَطْيِيباً لِنَفْسِهِ ، لَا تَفْضِيلاً لَهُ عَلَىٰ غَيْرِهِ ؛ إِذْ لَوْ حَضَرَ نَحْوُ لَحْمٍ أَوْ عَسَلٍ أَوْ لَبَنٍ . . لَكَانَ أَحَقَّ بِٱلْمَدْحِ .

وبِهَـٰذَا عُلِمَ أَنَّهُ لَا تَنَافِيَ بَيْنَ هَـٰذَا وَبَيْنَ قَوْلِهِ : « بِئْسَ ٱلْإِدَامُ ٱلْخَلُّ » .

وَعَنْ أَبِي مُوسَى ٱلْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ ، عَنِ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « فَضْلُ عَائِشَةَ عَلَى ٱلنِّسَاءِ . . كَفَضْلِ ٱلثَّرِيدِ عَلَىٰ سَائِرِ ٱلطَّعَامِ » .

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ قَالَ : أَوْلَمَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَىٰ صَفِيَّةَ بِتَمْرٍ وَسَوِيقٍ ؛ وَهُوَ : مَا يُعْمَلُ مِنَ ٱلْحِنْطَةِ ، أَوِ ٱلشَّعِيرِ .

وَعَنْ سَلْمَىٰ زَوْجِ أَبِي رَافِعٍ ـ مَوْلَى ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ : أَنَّ ٱلْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ ، وَٱبْنَ عَبَّاسٍ وَٱبْنَ جَعْفَرٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُمْ . . أَتَوْهَا ، فَقَالُوا : اِصْنَعِي لَنَا طَعَاماً مِمَّا كَانَ يُعْجِبُ رَسُولَ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَيُحْسِنُ أَكْلَهُ .

فَقَالَتْ : يَا بُنَيَّ ؛ لَا تَشْتَهِيهِ ٱلْيَوْمَ .

قَالَ : بَلَىٰ ، اِصْنَعِيهِ لَنَا .

قَالَ : فَقَامَتْ ، فَأَخَذَتْ شَيْئاً مِنْ شَعِيرٍ ، فَطَحَنَتْهُ ، ثُمَّ جَعَلَتْهُ فِي قِدْرٍ ، وَصَبَّتْ عَلَيْهِ شَيْئاً مِنْ زَيْتٍ ، وَدَقَّتِ ٱلْفُلْفُلَ وَٱلتَّوَابِلَ ، فَقَرَّبَتْهُ إِلَيْهِمْ .

فَقَالَتْ : هَـٰذَا مِمَّا كَانَ يُعْجِبُ ٱلنَّبِيَّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَيُحْسِنُ أَكْلَهُ .

قَوْلُهُ (ٱلتَّوَابِلُ) : هِيَ أَدْوِيَةٌ حَارَّةٌ يُؤْتَىٰ بِهَا مِنَ ٱلْهِنْدِ ، وَقِيلَ : إِنَّهَا مُرَكَّبَةٌ مِنَ ٱلْكُزْبَرَةِ وَٱلزَّنْجَبِيلِ وَٱلْكَمُّونِ .

ويُؤْخَذُ مِنْ هَـٰذَا : أَنَّهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يُحِبُّ تَطْيِيبَ ٱلطَّعَامِ بِمَا تَيَسَّرَ وَسَهُلَ ، وَأَنَّ ذَلِكَ لَا يُنَافِي ٱلزُّهْدَ .

وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ ٱللهِ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُمَا قَالَ فِي غَزْوَةِ ٱلْخَنْدَقِ : ٱنْكَفَيْتُ ـ أَي : ٱنْطَلَقْتُ إِلَى ٱمْرَأَتِي ـ فَقُلْتُ : هَلْ عِنْدَكِ شَيْءٌ؟ فَإِنِّي رَأَيْتُ بِٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جُوعاً شَدِيداً .

فَأَخْرَجَتْ جِرَاباً فِيهِ صَاعٌ مِنْ شَعِيرٍ وَلَنَا بُهَيْمَةٌ دَاجِنٌ ، فَذَبَحْتُهَا ، وَطَحَنَتِ ٱلشَّعِيرَ حَتَّىٰ جَعَلْنَا ٱللَّحْمَ فِي ٱلْبُرْمَةِ ، ثُمَّ جِئْتُهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَخْبَرْتُهُ ٱلْخَبَرَ سِرّاً ، وَقُلْتُ لَهُ : تَعَالَ أَنْتَ وَنَفَرٌ مَعَكَ .

فَصَاحَ : « يَا أَهْلَ ٱلْخَنْدَقِ ؛ إِنَّ جَابِراً صَنَعَ سُوراً[1] فَحَيَّ هَلاً بِكُمْ » ، وَقَالَ : « لَا تُنْزِلُنَّ بُرْمَتَكُمْ ، وَلَا تَخْبِزُنَّ عَجِينَتَكُمْ حَتَّىٰ أَجِيءَ » .

فَلَمَّا جَاءَ . . أَخْرَجَتْ لَهُ ٱلْعَجِينَ ؛ فَبَصَقَ فِيهِ ، وَبَارَكَ ، ثُمَّ عَمَدَ إِلَىٰ بُرْمَتِنَا ، فَبَصَقَ ، وَبَارَكَ ، ثُمَّ قَالَ : « ٱدْعِي خَابِزَةً فَلْتَخْبِزْ مَعَكِ ، وَٱغْرِفِي مِنْ بُرْمَتِكُمْ ، وَلَا تُنْزِلُوهَا » .

وَٱلْقَوْمُ أَلْفٌ ، فَأُقْسِمُ بِٱللهِ لَقَدْ أَكَلُوا حَتَّىٰ تَرَكُوهُ ، وَٱنْصَرَفُوا ، وَإِنَّ بُرْمَتَنَا لَتَغِطُّ ـ أَي : تَغْلِي ـ كَمَا هِيَ ، وَإِنَّ عَجِينَنَا لَيُخْبَزُ كَمَا هُوَ . رَوَاهُ ٱلْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ .

وَعَنْ جَابِرٍ أَيْضاً قَالَ : خَرَجَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَا مَعَهُ ، فَدَخَلَ عَلَى ٱمْرَأَةٍ مِنَ ٱلْأَنْصَارِ ، فَذَبَحَتْ لَهُ شَاةً ؛ فَأَكَلَ مِنْهَا ، وَأَتَتْهُ بِقِنَاعٍ ـ

---

(١) أي : طعاماً يدعو الناس إليها ، أو : هو الطعام مطلقاً .

أَيْ : طَبَقٍ مِنْ رُطَبٍ ـ فَأَكَلَ مِنْهُ ، ثُمَّ تَوَضَّأَ لِلظُّهْرِ ، وَصَلَّىٰ ، ثُمَّ ٱنْصَرَفَ ، فَأَتَتْهُ بِعُلَالَةٍ مِنْ عُلَالَةِ ٱلشَّاةِ[1] ، فَأَكَلَ ، ثُمَّ صَلَّى ٱلْعَصْرَ ، وَلَمْ يَتَوَضَّأْ .

وَعَنْ أُمِّ ٱلْمُنْذِرِ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا قَالَتْ : دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَعَهُ عَلِيٌّ وَلَنَا دَوَالٍ[2] مُعَلَّقَةٌ .

قَالَتْ : فَجَعَلَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْكُلُ ، وَعَلِيٌّ مَعَهُ يَأْكُلُ . فَقَالَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِعَلِيٍّ : « مَهْ يَا عَلِيُّ ، فَإِنَّكَ نَاقِهٌ[3] » .

قَالَتْ : فَجَلَسَ عَلِيٌّ وَٱلنَّبِيُّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْكُلُ .

قَالَتْ : فَجَعَلْتُ لَهُمْ سِلْقاً وَشَعِيراً .

فَقَالَ ٱلنَّبِيُّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِعَلِيٍّ : « مِنْ هَـٰذَا فَأَصِبْ ؛ فَإِنَّ هَـٰذَا أَوْفَقُ لَكَ » .

وَعَنْ عَبْدِ ٱللهِ بْنِ سَلَامٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ قَالَ : رَأَيْتُ ٱلنَّبِيَّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخَذَ كِسْرَةً مِنْ خُبْزٍ ، فَوَضَعَ عَلَيْهَا تَمْرَةً وَقَالَ : « هَـٰذِهِ إِدَامُ هَـٰذِهِ » .

وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ : أَنَّ رَسُولَ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يُعْجِبُهُ ٱلثُّفْلُ .

---

(١) **العلالة** : بقية الشيء .

(٢) وهي كالعناقيد من بُسر النخل تعلَّق ، كلّما أرطبت . . أُكل منها على التدريج .

(٣) أي : قريب برءٍ من المرض .

و(ٱلثُّفْلُ) : مَا بَقِيَ مِنَ ٱلطَّعَامِ فِي أَسَافِلِ ٱلْقِدْرِ وَٱلْقَصْعَةِ وَٱلصَّحْفَةِ وَنَحْوِهَا .

وَكَانَ أَحَبَّ ٱلطَّعَامِ إِلَىٰ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ٱلثَّرِيدُ مِنَ ٱلْخُبْزِ ، وَٱلثَّرِيدُ مِنَ ٱلْحَيْسِ .

وَ(ٱلْحَيْسُ) : ٱلتَّمْرُ مَعَ ٱلسَّمْنِ وَٱلْأُقْطِ ، وَقَدْ يُجْعَلُ عِوَضَ ٱلْأُقْطِ ٱلدَّقِيقُ أَوِ ٱلْفَتِيتُ ، فَيُدْلَكُ ٱلْجَمِيعُ حَتَّىٰ يَخْتَلِطَ .

وَكَانَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحِبُّ مِنَ ٱلشَّاةِ ٱلذِّرَاعَ وَٱلْكَتِفَ ، وَمِنَ ٱلْقِدْرِ[1] ٱلدُّبَّاءَ ، وَمِنَ ٱلتَّمْرِ ٱلْعَجْوَةَ . وَدَعَا فِي ٱلْعَجْوَةِ بِٱلْبَرَكَةِ ، وَكَانَ يَقُولُ : « إِنَّهَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ وَهِيَ شِفَاءٌ مِنَ ٱلسُّمِّ وَٱلسِّحْرِ » .

وَكَانَ أَحَبَّ ٱلتَّمْرِ إِلَىٰ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ٱلْعَجْوَةُ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحِبُّ ٱلزُّبْدَ وَٱلتَّمْرَ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحِبُّ مِنَ ٱلْبُقُولِ ٱلْهِنْدِبَاءَ ، وَٱلشَّمَرَ[2] ، وَٱلرِّجْلَةَ[3] .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحِبُّ ٱلْقِثَّاءَ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحِبُّ ٱلْجَذَبَ .

---

(١) أي : المطبوخ في القدر .

(٢) بقلة ، منه نوع حلو يزرع ويؤكل ورقه وسوقه نيئاً ، ونوع آخر سكريٌّ يؤكل مطبوخاً .

(٣) البقلة الحمقاء ؛ التي تنبت على الطريق وفي مسيل الماء .

وَ(ٱلْجذَبُ) : ٱلْجُمَّارُ ؛ وَهُوَ : شَحْمُ ٱلنَّخْلِ ، وَاحِدَتُهُ : جَذَبه .

وَكَانَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَكْرَهُ أَكْلَ ٱلْكُلْيَتَيْنِ ؛ لِمَكَانِهِمَا مِنَ ٱلْبَوْلِ .

وَكَانَ لَا يَأْكُلُ مِنَ ٱلشَّاةِ سَبْعاً : ٱلذَّكَرَ ، وَٱلْأُنْثَيَيْنِ ، وَٱلْحَيَا ـ وَهُوَ ٱلْفَرْجُ ـ وَٱلدَّمَ ، وَٱلْمَثَانَةَ ، وَٱلْمَرَارَةَ ، وَٱلْغُدَدَ . وَيَكْرَهُ لِغَيْرِهِ أَكْلَهَا .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَأْكُلُ ٱلْجَرَادَ ، وَلَا ٱلْكُلْيَتَيْنِ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعَافُ ٱلضَّبَّ ، وَٱلطِّحَالَ ، وَلَا يُحَرِّمُهُمَا .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَأْكُلُ ٱلثُّومَ وَلَا ٱلْبَصَلَ ، وَلَا ٱلْكُرَّاثَ ؛ مِنْ أَجْلِ أَنَّ ٱلْمَلَائِكَةَ تَأْتِيهِ ، وَأَنَّهُ يُكَلِّمُ جِبْرِيلَ .

وَمَا ذَمَّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طَعَاماً قَطُّ ؛ إِنِ ٱشْتَهَاهُ . . أَكَلَهُ ، وَإِلَّا . . تَرَكَهُ .

وَعَنْ عَائِشَةَ أُمِّ ٱلْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا قَالَتْ : كَانَ ٱلنَّبِيُّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْتِينِي فَيَقُولُ : « أَعِنْدَكِ غَدَاءٌ » ، فَأَقُولُ : لَا ، فَيَقُولُ : « إِنِّي صَائِمٌ » ، قَالَتْ : فَأَتَانِي يَوْماً ؛ فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ ٱللهِ ؛ إِنَّهُ أُهْدِيَتْ لَنَا هَدِيَّةٌ ، قَالَ : « وَمَا هِيَ ؟ » ، قُلْتُ : حَيْسٌ . قَالَ : « أَمَا إِنِّي أَصْبَحْتُ صَائِماً » ، قَالَتْ : ثُمَّ أَكَلَ .

وَكَانَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أُتِيَ بِطَعَامٍ . . سَأَلَ عَنْهُ : « أَهَدِيَّةٌ أَمْ صَدَقَةٌ؟ » ، فَإِنْ قِيلَ صَدَقَةٌ . . قَالَ لِأَصْحَابِهِ : « كُلُوا » ، وَلَمْ يَأْكُلْ . وَإِنْ قِيلَ هَدِيَّةٌ . . ضَرَبَ بِيَدِهِ فَأَكَلَ مَعَهُمْ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَأْكُلُ مِنْ هَدِيَّةٍ حَتَّىٰ يَأْمُرَ صَاحِبَهَا أَنْ يَأْكُلَ مِنْهَا ؛ لِلشَّاةِ ٱلَّتِي أُهْدِيَتْ لَهُ[1] .

وَكَانَ لَهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِقَاحٌ[2] وَغَنَمٌ يَتَقَوَّتُ مِنْ أَلْبَانِهَا هُوَ وَأَهْلُهُ ، وَكَانَ لَا يُحِبُّ أَنْ تَزِيدَ عَلَىٰ مِئَةٍ ، وَإِنْ زَادَتْ . . ذَبَحَ ٱلزَّائِدَ .

وَكَانَ لَهُ [صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ] جِيرَانٌ لَهُمْ مَنَائِحُ ، يُرْسِلُونَ لَهُ مِنْ أَلْبَانِهَا فَيَأْكُلُ مِنْهَا وَيَشْرَبُ ، وَكَانَ لَهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَبْعَةُ أَعْنُزٍ مَنَائِحُ تَرْعَاهُنَّ أُمُّ أَيْمَنَ حَاضِنَتُهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْرُجُ كَثِيراً إِلَىٰ بَسَاتِينِ أَصْحَابِهِ ، فَيَأْكُلُ مِنْهَا وَيَحْتَطِبُ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدِ ، وَيَقْبَلُ ٱلْهَدِيَّةَ ؛ وَلَوْ أَنَّهَا جُرْعَةُ لَبَنٍ ، أَوْ فَخِذُ أَرْنَبٍ ، وَيُكَافِئُ عَلَيْهَا وَيَأْكُلُهَا ؛ وَلَا يَأْكُلُ ٱلصَّدَقَةَ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا دُعِيَ لِطَعَامٍ وَتَبِعَهُ أَحَدٌ . . أَعْلَمَ بِهِ رَبَّ ٱلْمَنْزِلِ ؛ فَيَقُولُ : « إِنَّ هَـٰذَا تَبِعَنَا ، فَإِنْ شِئْتَ . . رَجَعَ » .

وَكَانَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَأْكُلُ وَحْدَهُ .

وَكَانَ أَحَبَّ ٱلطَّعَامِ إِلَىٰ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا كَثُرَتْ عَلَيْهِ ٱلْأَيْدِي .

---

(١) أي : لأجل قصة الشاة المسمومة التي أهديت له يوم خيبر .

(٢) الناقة القريبة العهد بالولادة إلى ثلاثة أشهر .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُكَرِّرُ عَلَىٰ أَضْيَافِهِ ، وَيَعْرِضُ عَلَيْهِمُ ٱلْأَكْلَ مِرَاراً .

وَقَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا وَعَنْ وَالِدَيْهَا : لَمْ يَمْتَلِئْ جَوْفُ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شِبَعاً قَطُّ ، وَإِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ لَا يَسْأَلُهُمْ طَعَاماً وَلَا يَتَشَهَّاهُ ، إِنْ أَطْعَمُوهُ . . أَكَلَ ، وَمَا أَطْعَمُوهُ . . [قَبِلَهُ] ، وَمَا سَقَوْهُ . . شَرِبَ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رُبَّمَا قَامَ فَأَخَذَ مَا يَأْكُلُ بِنَفْسِهِ ، أَوْ يَشْرَبُ .

وَعَنْ سَلْمَانَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ قَالَ : قَرَأْتُ فِي « ٱلتَّوْرَاةِ » : إِنَّ بَرَكَةَ ٱلطَّعَامِ ٱلْوُضُوءُ بَعْدَهُ ، فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَخْبَرْتُهُ بِمَا قَرَأْتُ فِي ٱلتَّوْرَاةِ ، فَقَالَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « بَرَكَةُ ٱلطَّعَامِ ٱلْوُضُوءُ قَبْلَهُ وَٱلْوُضُوءُ بَعْدَهُ » .

وَٱلْمُرَادُ بِٱلْوُضُوءِ هُنَا ٱلْمَعْنَى ٱللُّغَوِيُّ ؛ وَهُوَ : غَسْلُ ٱلْكَفَّيْنِ .

* * *

الفَصْلُ الثَّالِثُ

في ما كان يقوله صلى الله عليه وسلم قبل الطعام وبعده

كَانَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا وُضِعَتِ ٱلْمَائِدَةُ.. قَالَ: « بِٱسْمِ ٱللهِ، اَللَّهُمَّ؛ ٱجْعَلْهَا نِعْمَةً مَشْكُورَةً تَصِلُ بِهَا نِعْمَةَ ٱلْجَنَّةِ ».

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا قُرِّبَ إِلَيْهِ طَعَامٌ.. يَقُولُ: « بِٱسْمِ ٱللهِ »، فَإِذَا فَرَغَ.. قَالَ: « اَللَّهُمَّ؛ أَطْعَمْتَ وَسَقَيْتَ، وَأَغْنَيْتَ وَأَقْنَيْتَ[1]، وَهَدَيْتَ وَٱجْتَبَيْتَ، فَلَكَ ٱلْحَمْدُ عَلَىٰ مَا أَعْطَيْتَ ».

وكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا رُفِعَتْ مَائِدَتُهُ.. قَالَ: « اَلْحَمْدُ لِلهِ حَمْداً كَثِيراً طَيِّباً مُبَارَكاً فِيهِ، ٱلْحَمْدُ لِلهِ ٱلَّذِي كَفَانَا وَآوَانَا، غَيْرَ مَكْفِيٍّ وَلَا مَكْفُورٍ وَلَا مُوَدَّعٍ وَلَا مُسْتَغْنَىً عَنْهُ رَبُّنَا ».

وَكَانَ [صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ] إِذَا فَرَغَ مِنْ طَعَامِهِ.. قَالَ: « اَللَّهُمَّ؛ لَكَ ٱلْحَمْدُ، أَطْعَمْتَ وَسَقَيْتَ، وَأَشْبَعْتَ وَأَرْوَيْتَ، فَلَكَ ٱلْحَمْدُ غَيْرَ مَكْفُورٍ وَلَا مُوَدَّعٍ وَلَا مُسْتَغْنَىً عَنْكَ ».

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ ٱلْخُدْرِيِّ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ قَالَ: كَانَ رَسُولُ ٱللهِ

---

(١) أقنىٰ: أرضىٰ.

صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا فَرَغَ مِنْ طَعَامِهِ . قَالَ : « اَلْحَمْدُ لِلهِ ٱلَّذِي أَطْعَمَنَا وَسَقَانَا وَجَعَلَنَا مُسْلِمِينَ » .

وَكَانَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَكَلَ أَوْ شَرِبَ . . قَالَ : « اَلْحَمْدُ لِلهِ ٱلَّذِي أَطْعَمَ وَسَقَىٰ ، وَسَوَّغَهُ وَجَعَلَ لَهُ مَخْرَجاً » .

وَعَنْ أَبِي أَيُّوبَ ٱلْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ قَالَ : كُنَّا عِنْدَ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْماً فَقُرِّبَ طَعَامٌ ، فَلَمْ أَرَ طَعَاماً أَعْظَمَ بَرَكَةً مِنْهُ أَوَّلَ مَا أَكَلْنَا ، وَلَا أَقَلَّ بَرَكَةً فِي آخِرِهِ . فَقُلْنَا : يَا رَسُولَ ٱللهِ ؛ كَيْفَ هَـٰذَا؟ قَالَ : « إِنَّا ذَكَرْنَا ٱسْمَ ٱللهِ تَعَالَىٰ حِينَ أَكَلْنَا ، ثُمَّ قَعَدَ مَنْ أَكَلَ ؛ وَلَمْ يُسَمِّ ٱللهَ تَعَالَىٰ ، فَأَكَلَ مَعَهُ ٱلشَّيْطَانُ » .

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا قَالَتْ : كَانَ ٱلنَّبِيُّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ فِي سِتَّةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ ، فَجَاءَ أَعْرَابِيٌّ فَأَكَلَهُ بِلُقْمَتَيْنِ ، فَقَالَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَوْ سَمَّىٰ . . لَكَفَاكُمْ » .

وَعَنْهَا رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا قَالَتْ : قَالَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ فَنَسِيَ أَنْ يَذْكُرَ ٱللهَ تَعَالَىٰ عَلَىٰ طَعَامِهِ . فَلْيَقُلْ : بِٱسْمِ ٱللهِ أَوَّلَهُ وَآخِرَهُ » .

وَكَانَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَكَلَ عِنْدَ قَوْمٍ . . لَمْ يَخْرُجْ حَتَّىٰ يَدْعُوَ لَهُمْ ، فَكَانَ يَقُولُ : « اَللّٰهُمَّ ؛ بَارِكْ لَهُمْ وَٱرْحَمْهُمْ » ، وَكَانَ يَقُولُ : « أَفْطَرَ عِنْدَكُمُ ٱلصَّائِمُونَ ، وَأَكَلَ طَعَامَكُمُ ٱلْأَبْرَارُ ، وَصَلَّتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَلَائِكَةُ » .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَكَلَ مَعَ قَوْمٍ . . كَانَ آخِرَهُمْ أَكْلاً .

وَرُوِيَ عَنْهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « إِذَا وُضِعَتِ ٱلْمَائِدَةُ . . فَلَا يَقُومُ ٱلرَّجُلُ وَإِنْ شَبِعَ حَتَّىٰ يَفْرُغَ [ٱلْقَوْمُ] ؛ فَإِنَّ ذَٰلِكَ يُخْجِلُ جَلِيسَهُ ، وَعَسَىٰ أَنْ يَكُونَ لَهُ فِي ٱلطَّعَامِ حَاجَةٌ » .

وَعَنْ عُمَرَ بْنِ أَبِي سَلَمَةَ ـ رَبِيبِ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ أَنَّهُ دَخَلَ عَلَىٰ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعِنْدَهُ طَعَامٌ ؛ فَقَالَ : « أُدْنُ يَا بُنَيَّ . ، فَسَمِّ ٱللهَ تَعَالَىٰ ، [وَكُلْ بِيَمِينِكَ] ، وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ » .

[وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا قَالَتْ] : كَانَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أُتِيَ بِطَعَامٍ . . أَكَلَ مِمَّا يَلِيهِ ، وَإِذَا أُتِيَ بِٱلتَّمْرِ . . جَالَتْ يَدُهُ [فِيهِ] .

وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّ ٱللهَ لَيَرْضَىٰ عَنِ ٱلْعَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ ٱلْأَكْلَةَ . . فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا ، أَوْ يَشْرَبَ ٱلشَّرْبَةَ . . فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا » .

* * *

الفصل الرابع

في صفة فاكهته صلى الله عليه وسلم

كَانَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْخُذُ ٱلرُّطَبَ بِيَمِينِهِ ، وَٱلْبِطِّيخَ بِيَسَارِهِ ؛ وَيَأْكُلُ ٱلرُّطَبَ بِٱلْبِطِّيخِ ، وَكَانَ أَحَبَّ ٱلْفَاكِهَةِ إِلَيْهِ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْكُلُ ٱلرُّطَبَ ، وَيُلْقِي ٱلنَّوَىٰ عَلَى ٱلطَّبَقِ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْكُلُ ٱلْبِطِّيخَ بِٱلرُّطَبِ ، وَيَقُولُ : « يُكْسَرُ حَرُّ هَـٰذَا بِبَرْدِ هَـٰذَا ، وَبَرْدُ هَـٰذَا بِحَرِّ هَـٰذَا » .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْكُلُ ٱلْبِطِّيخَ بِٱلْخُبْزِ وَبِٱلسُّكَّرِ ، وَرُبَّمَا أَكَلَهُ بِٱلرُّطَبِ ، وَيَسْتَعِينُ بِٱلْيَدَيْنِ جَمِيعاً .

وَأَكَلَ [صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ] يَوْماً ٱلرُّطَبَ فِي يَمِينِهِ ، وَكَانَ يَحْفَظُ ٱلنَّوَىٰ فِي يَسَارِهِ ، فَمَرَّتْ شَاةٌ ، فَأَشَارَ إِلَيْهَا بِٱلنَّوَىٰ ، فَجَعَلَتْ تَأْكُلُ مِنْ كَفِّهِ ٱلْيُسْرَىٰ وَهُوَ يَأْكُلُ بِيَمِينِهِ حَتَّىٰ فَرَغَ ، وَٱنْصَرَفَتِ ٱلشَّاةُ .

وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ : رَأَيْتُ رَسُولَ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَجْمَعُ بَيْنَ ٱلْخِرْبِزِ وَٱلرُّطَبِ .

وَ(ٱلْخِرْبِزُ) : ٱلْبِطِّيخُ ٱلْأَصْفَرُ .

وَكَانَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْكُلُ ٱلْقِثَّاءَ بِٱلرُّطَبِ .

قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا : أَرَادَتْ أُمِّي مُعَالَجَتِي لِلسُّمْنَةِ لِتُدْخِلَنِي عَلَىٰ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ فَمَا ٱسْتَقَامَ لَهَا ذَٰلِكَ حَتَّىٰ أَكَلْتُ ٱلرُّطَبَ بِٱلْقِثَّاءِ ، فَسَمِنْتُ عَلَيْهِ كَأَحْسَنِ سُمْنَةٍ . أَخْرَجَهُ ٱبْنُ مَاجَهْ ، وَرَوَاهُ ٱلنَّسَائِيُّ : بِإِبْدَالِ (ٱلتَّمْرِ) مَكَانَ (ٱلرُّطَبِ) .

وَكَانَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْكُلُ ٱلْقِثَّاءَ بِٱلرُّطَبِ وَبِٱلْمِلْحِ .

وَكَانَ أَحَبَّ ٱلْفَوَاكِهِ ٱلرَّطْبَةِ إِلَيْهِ [صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ] : ٱلرُّطَبُ وَٱلْعِنَبُ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْكُلُ ٱلْعِنَبَ خَرْطاً ؛ يُرَىٰ رُؤَالُهُ عَلَىٰ لِحْيَتِهِ كَخَرَزِ ٱللُّؤْلُؤِ .

وَرُؤَالُهُ : مَاؤُهُ ٱلَّذِي يَتَقَطَّرُ مِنْهُ .

وَعَنِ ٱلرُّبَيِّعِ بِنْتِ مُعَوِّذِ ٱبْنِ عَفْرَاءَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا قَالَتْ : بَعَثَنِي مُعَاذٌ بِقِنَاعٍ[1] مِنْ رُطَبٍ ، وَعَلَيْهِ أَجْرٍ مِنْ قِثَّاءٍ زُغْبٍ[2] .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحِبُّ ٱلْقِثَّاءَ ، فَأَتَيْتُهُ بِهِ وَعِنْدَهُ حِلْيَةٌ قَدْ قَدِمَتْ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْبَحْرَيْنِ ، فَمَلأَ يَدَهُ مِنْهَا ، فَأَعْطَانِيهِ .

---

(١) أي : بطبقٍ يُهدىٰ عليه .

(٢) صغار الريش أول ما يطلع نبته ، ووصف به القثاء تشبيهاً لما عليه بالرِّيش الصغير .

قَوْلُهُ (أَجْرٍ) ـ [جَمْعُ جِرْوٍ] ـ وَهُوَ : ٱلصَّغِيرُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ . وَهُنَا : ٱلصَّغِيرُ مِنَ ٱلْقِثَّاءِ .

وَكَانَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أُتِيَ بِبَاكُورَةِ ٱلثَّمَرَةِ . . وَضَعَهَا عَلَىٰ عَيْنَيْهِ ، ثُمَّ عَلَىٰ شَفَتَيْهِ ، وَقَالَ : « ٱللّٰهُمَّ ؛ كَمَا أَرَيْتَنَا أَوَّلَهُ . . فَأَرِنَا آخِرَهُ » ، ثُمَّ يُعْطِيهِ مَنْ يَكُونُ عِنْدَهُ مِنَ ٱلصِّبْيَانِ .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ قَالَ : كَانَ ٱلنَّاسُ إِذَا رَأَوْا أَوَّلَ ٱلثَّمَرِ . . جَاؤُوا بِهِ إِلَىٰ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَإِذَا أَخَذَهُ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . . قَالَ : « ٱللّٰهُمَّ ؛ بَارِكْ لَنَا فِي ثِمَارِنَا ، [وَبَارِكْ لَنَا فِي مَدِينَتِنَا] ، وَبَارِكْ لَنَا فِي صَاعِنَا ، وَفِي مُدِّنَا . ٱللّٰهُمَّ ؛ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ عَبْدُكَ ، وَخَلِيلُكَ ، وَنَبِيُّكَ ، وَإِنِّي عَبْدُكَ ، وَنَبِيُّكَ ، وَإِنَّهُ دَعَاكَ لِمَكَّةَ ، وَإِنِّي أَدْعُوكَ لِلْمَدِينَةِ بِمِثْلِ مَا دَعَاكَ بِهِ لِمَكَّةَ وَمِثْلِهِ مَعَهُ » .

قَالَ : ثُمَّ يَدْعُو أَصْغَرَ وَلِيدٍ يَرَاهُ فَيُعْطِيهِ ذَٰلِكَ ٱلثَّمَرَ .

قَالَ ٱلْعُلَمَاءُ : وَقَدِ ٱسْتُجِيبَتْ دَعْوَةُ ٱلْخَلِيلِ لِمَكَّةَ ، وَٱلْحَبِيبِ لِلْمَدِينَةِ ، فَصَارَ يُجْبَىٰ إِلَيْهِمَا مِنْ مَشَارِقِ ٱلْأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ .

وَكَانَ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يَأْكُلُ مِنْ فَاكِهَةِ بَلَدِهِ عِنْدَ مَجِيئِهَا ، وَلَا يَحْتَمِي عَنْهَا .

فَائِدَةٌ :

قَالَ ٱلْقُسْطُلَّانِيُّ : وَهَٰذَا مِنْ أَكْبَرِ أَسْبَابِ ٱلصِّحَّةِ ، فَإِنَّ ٱللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بِحِكْمَتِهِ جَعَلَ فِي كُلِّ بَلَدٍ مِنَ ٱلْفَاكِهَةِ مَا يَنْتَفِعُ بِهِ أَهْلُهَا فِي وَقْتِهِ ،

فَيَكُونُ تَنَاوُلُهُ مِنْ أَسْبَابِ صِحَّتِهِمْ وَعَافِيَتِهِمْ ، وَيُغْنِي عَنْ كَثِيرٍ مِنَ ٱلْأَدْوِيَةِ ، وَقَلَّ مَنِ ٱحْتَمَىٰ عَنْ فَاكِهَةِ بَلَدِهِ خَشْيَةَ ٱلسَّقَمِ ؛ إِلَّا وَهُوَ مِنْ أَسْقَمِ ٱلنَّاسِ جِسْماً ، وَأَبْعَدِهِمْ عَنِ ٱلصِّحَّةِ وَٱلْقُوَّةِ .

فَمَنْ أَكَلَ مِنْهَا مَا يَنْبَغِي ، فِي ٱلْوَقْتِ ٱلَّذِي يَنبَغِي ، عَلَى ٱلْوَجْهِ ٱلَّذِي يَنْبَغِي . . كَانَ لَهُ دَوَاءً نَافِعاً .

* * *

الفصل الخامس

في صفة شراب صلى الله عليه وسلم وقدحه

عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ ٱلْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا قَالَتْ : كَانَ أَحَبَّ ٱلشَّرَابِ إِلَىٰ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ٱلْحُلْوُ ٱلْبَارِدُ .

وَكَانَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَشْرَبُ ٱلْعَسَلَ ٱلْمَمْزُوجَ بِٱلْمَاءِ ٱلْبَارِدِ .

وَعَنْ جَابِرٍ : أَنَّهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَخَلَ عَلَىٰ رَجُلٍ مِنَ ٱلْأَنْصَارِ ـ وَمَعَهُ صَاحِبٌ لَهُ ـ فَسَلَّمَ ، فَرَدَّ ٱلرَّجُلُ وَهُوَ يُحَوِّلُ ٱلْمَاءَ فِي حَائِطِهِ ، فَقَالَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنْ كَانَ عِنْدَكَ مَاءٌ بَاتَ فِي شَنَّةٍ ، وَإِلَّا . . كَرَعْنَا » ، فَقَالَ : عِنْدِي مَاءٌ بَاتَ فِي شَنٍّ ، فَٱنْطَلَقَ إِلَى ٱلْعَرِيشِ فَسَكَبَ فِي قَدَحٍ مَاءً ، ثُمَّ حَلَبَ عَلَيْهِ مِنْ دَاجِنٍ [لَهُ] ؛ فَشَرِبَ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ .

وَ(ٱلشَّنُّ) : اَلْجِلْدُ ٱلْبَالِي .

وَ(ٱلدَّاجِنُ) : مَا يَأْلَفُ ٱلْبُيُوتَ مِنَ ٱلشِّيَاهِ وَنَحْوِهَا .

وَكَانَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا ٱسْتَنَّ(١) . . أَعْطَى ٱلسِّوَاكَ

---

(١) من الاستنان ، وهو : تنظيف الأسنان بدلكها بالسِّواك .

ٱلْأَكْبَرَ ، وَإِذَا شَرِبَ . . أَعْطَى ٱلَّذِي عَنْ يَمِينِهِ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَمُصُّ الْمَاءَ مَصّاً ، وَلَا يَعُبُّ عَبّاً . وَكَانَ [صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ] يَدْفَعُ فَضْلَ سُؤْرِهِ إِلَىٰ مَنْ عَلَىٰ يَمِينِهِ ، فَإِنْ كَانَ مَنْ عَلَىٰ يَسَارِهِ أَجَلَّ رُتْبَةً . . قَالَ لِلَّذِي عَلَىٰ يَمِينِهِ : « اَلسُّنَّةُ أَنْ تُعْطَىٰ ، فَإِنْ أَحْبَبْتَ . . آثَرْتَهُمْ » .

وَعَنِ ٱبْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُمَا قَالَ : دَخَلْتُ مَعَ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَا وَخَالِدُ بْنُ ٱلْوَلِيدِ عَلَىٰ مَيْمُونَةَ ، فَجَاءَتْنَا بِإِنَاءٍ مِنْ لَبَنٍ ، فَشَرِبَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَنَا عَلَىٰ يَمِينِهِ ، وَخَالِدٌ عَنْ شِمَالِهِ .

فَقَالَ لِي : « اَلشَّرْبَةُ لَكَ ، فَإِنْ شِئْتَ آثَرْتَ بِهَا خَالِداً » .

فَقُلْتُ : مَا كُنْتُ لِأُؤْثِرَ عَلَىٰ سُؤْرِكَ أَحَداً .

ثُمَّ قَالَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ أَطْعَمَهُ ٱللهُ طَعَاماً . . فَلْيَقُلِ : (اَللَّهُمَّ ؛ بَارِكْ لَنَا فِيهِ ، وَأَطْعِمْنَا خَيْراً مِنْهُ) ، وَمَنْ سَقَاهُ ٱللهُ لَبَناً . . فَلْيَقُلِ : (اَللَّهُمَّ ؛ بَارِكْ لَنَا فِيهِ ، وَزِدْنَا مِنْهُ) .

ثُمَّ قَالَ : قَالَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَيْسَ شَيْءٌ يُجْزِىءُ مَكَانَ ٱلطَّعَامِ وَٱلشَّرَابِ غَيْرَ اللَّبَنِ » .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَشْرَبُ قَاعِداً ، وَكَانَ ذَلِكَ عَادَتَهُ . رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

وَفِي رِوَايَةٍ لَهُ أَيْضاً : أَنَّهُ [صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ] نَهَىٰ عَنِ ٱلشُّرْبِ قَائِماً .

وَعَنِ ٱبْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُما أَنَّ ٱلنَّبِيَّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَرِبَ مِنْ زَمْزَمَ وَهُوَ قَائِمٌ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يُتْحِفَ ٱلرَّجُلَ بِتُحْفَةٍ . . سَقَاهُ مِنْ مَاءِ زَمْزَمَ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَحْمِلُ مَاءَ زَمْزَمَ .

وَعَنْ عَبْدِ ٱللهِ بنِ عَمْرِو بنِ ٱلْعَاصِي[1] رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُمَا قَالَ : رَأَيْتُ رَسُولَ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَشْرَبُ قَائِماً وَقَاعِداً .

وَعَنِ ٱلنَّزَّالِ بْنِ سَبْرَةَ قَالَ : أُتِيَ عَلِيٌّ بِكُوزٍ مِنْ مَاءٍ وَهُوَ فِي ٱلرَّحْبَةِ[2] ، فَأَخَذَ مِنْهُ كَفّاً فَغَسَلَ يَدَيْهِ ، وَمَضْمَضَ ، وَٱسْتَنْشَقَ ، وَمَسَحَ وَجْهَهُ وَذِرَاعَيْهِ وَرَأْسَهُ ، ثُمَّ شَرِبَ وَهُوَ قَائِمٌ ، ثُمَّ قَالَ : هَـٰذَا وُضُوءُ مَنْ لَمْ يُحْدِثْ ، هَـٰكَذَا رَأَيْتُ رَسُولَ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَعَلَ .

وَعَنْ كَبْشَةَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا قَالَتْ : دَخَلَ عَلَيَّ ٱلنَّبِيُّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَشَرِبَ مِنْ فِي قِرْبَةٍ مُعَلَّقَةٍ قَائِماً ، فَقُمْتُ إِلَىٰ فِيهَا فَقَطَعْتُهُ ـ أَي : قَطَعَتْ فَمَ ٱلْقِرْبَةِ لِلتَّبَرُّكِ وَٱلِاسْتِشْفَاءِ .

وَوَقَعَ مِثْلُ ذَلِكَ لِأُمِّ سُلَيْمٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا .

وَكَانَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَنْفُخُ فِي طَعَامٍ وَلَا شَرَابٍ ، وَلَا يَتَنَفَّسُ فِي ٱلْإِنَاءِ .

---

(١) الجمهور علىٰ كتابته بالياء ، وهو الفصيح عند أهل العربية ، ويقع في كثير من كتب الحديث والفقه أو أكثرها بحذف الياء ؛ وهي لغة .

(٢) المكان المتَّسع ؛ وهو هنا : رحبة الكوفة ، وكان يجلس فيها للحكم أو للوعظ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا شَرِبَ . . تَنَفَّسَ ثَلاثاً ، وَيَقُولُ : « هُوَ أَهْنَأُ ، وَأَمْرَأُ ، وَأَبْرَأُ » .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا شَرِبَ . . تَنَفَّسَ مَرَّتَيْنِ ، وَرُبَّمَا كَانَ يَشْرَبُ بِنَفَسٍ وَاحِدٍ حَتَّىٰ يَفْرُغَ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَشْرَبُ فِي ثَلَاثَةِ أَنْفَاسٍ ، وَإِذَا أَدْنَى ٱلْإِنَاءَ إِلَىٰ فِيهِ . . سَمَّى ٱللهَ تَعَالَىٰ ، وَإِذَا أَخَّرَهُ . . حَمِدَ ٱللهَ تَعَالَىٰ . (يَفْعَلُ ذَلِكَ ثَلَاثاً) .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَتَنَفَّسُ فِي ٱلْإِنَاءِ ، بَلْ يَنْحَرِفُ عَنْهُ .

وَأَتَوْهُ مَرَّةً بِإِنَاءٍ فِيهِ عَسَلٌ وَلَبَنٌ ، فَأَبَىٰ أَنْ يَشْرَبَهُ ، وَقَالَ : « شُرْبَتَانِ فِي شُرْبَةٍ ، وَإِدَامَانِ فِي إِنَاءٍ وَاحِدٍ ؟! » ، ثُمَّ قَالَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَا أُحَرِّمُهُ ، وَلَٰكِنِّي أَكْرَهُ ٱلْفَخْرَ وَٱلْحِسَابَ بِفُضُولِ ٱلدُّنْيَا [غداً] ، وأُحِبُّ ٱلتَّوَاضُعَ [لِرَبِّي عَزَّ وَجَلَّ] ؛ فَإِنَّ مَنْ تَوَاضَعَ لِلهِ . . رَفَعَهُ [ٱللهُ] » .

وَكَانَ يُسْتَعْذَبُ لَهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ٱلْمَاءُ مِنْ بُيُوتِ ٱلسُّقْيَا .

وَفِي لَفْظٍ : يُسْتَسْقَىٰ لَهُ ٱلْمَاءُ ٱلْعَذْبُ مِنْ بِئْرِ ٱلسُّقْيَا .

قَالَ ٱبْنُ ٱلْقَيِّمِ رَحِمَهُ ٱللهُ تَعَالَىٰ : وَلَمْ يَكُنْ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَشْرَبُ عَلَىٰ طَعَامِهِ ؛ لِئَلَّا يُفْسِدَهُ ، وَلَا سِيَّمَا إِنْ كَانَ ٱلْمَاءُ حَارّاً ، أَوْ بَارِداً ، فَإِنَّهُ رَدِيءٌ جِدّاً .

وَكَانَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا شَرِبَ ٱلْمَاءَ . . قَالَ : « اَلْحَمْدُ لِلهِ ٱلَّذِي سَقَانَا عَذْباً فُرَاتاً بِرَحْمَتِهِ ، وَلَمْ يَجْعَلْهُ مِلْحاً أُجَاجاً بِذُنُوبِنَا » .

وَأَمَّا قَدَحُ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

فَقَدْ رُوِيَ عَنْ ثَابِتٍ قَالَ : أَخْرَجَ إِلَيْنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ قَدَحَ خَشَبٍ غَلِيظاً مُضَبَّباً بِحَدِيدٍ ، فَقَالَ : يَا ثَابِتُ ؛ هَـٰذَا قَدَحُ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، لَقَدْ سَقَيْتُ رَسُولَ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِهَـٰذَا ٱلْقَدَحِ ٱلشَّرَابَ كُلَّهُ : اَلْمَاءَ وَٱلنَّبِيذَ ، وَٱلْعَسَلَ وَٱللَّبَنَ .

قَالَ ٱلْبَاجُورِيُّ : (قَوْلُهُ : (ٱلنَّبِيذُ) ـ أَيِ : ٱلْمَنْبُوذُ فِيهِ ـ وَهُوَ : مَاءٌ حُلْوٌ يُجْعَلُ فِيهِ تَمَرَاتٌ لِيَحْلُوَ .

وَكَانَ يُنْبَذُ لَهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوَّلَ ٱللَّيْلِ ، وَيَشْرَبُ مِنْهُ إِذَا أَصْبَحَ يَوْمَهُ ذَلِكَ وَلَيْلَتَهُ ٱلَّتِي يَجِيءُ ، وَٱلْغَدَ إِلَى ٱلْعَصْرِ ، فَإِنْ بَقِيَ مِنْهُ شَيْءٌ . . سَقَاهُ ٱلْخَادِمَ إِنْ لَمْ يَخَفْ مِنْهُ إِسْكَاراً ، وَإِلَّا . . أَمَرَ بِصَبِّهِ ، وَهُوَ لَهُ نَفْعٌ عَظِيمٌ فِي زِيَادَةِ ٱلْقُوَّةِ) اهـ

وَعِنْدَ ٱلْبُخَارِيِّ : مِنْ حَدِيثِ عَاصِمٍ ٱلْأَحْوَلِ قَالَ : رَأَيْتُ قَدَحَ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ـ وَكَانَ قَدِ ٱنْصَدَعَ ـ فَسَلْسَلَهُ بِفِضَّةٍ ؛ قَالَ : وَهُوَ قَدَحٌ جَيِّدٌ عَرِيضٌ مِنْ نُضَارٍ .

قَالَ أَنَسٌ : لَقَدْ سَقَيْتُ رَسُولَ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي هَـٰذَا ٱلْقَدَحِ أَكْثَرَ مِنْ كَذَا وَكَذَا .

[قَالَ] : وَقَالَ ٱبْنُ سِيرِينَ : إِنَّهُ كَانَ فِيهِ حَلْقَةٌ مِنْ حَدِيدٍ ، فَأَرَادَ أَنَسٌ أَنْ يَجْعَلَ مَكَانَهَا حَلْقَةً مِنْ ذَهَبٍ أَوْ فِضَّةٍ . فَقَالَ أَبُو طَلْحَةَ : لَا تُغَيِّرَنَّ شَيْئاً صَنَعَهُ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَتَرَكَهُ .

وَمَعْنَى (ٱلنُّضَارِ) : اَلْخَالِصُ مِنَ ٱلْعُودِ ، وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ ، وَيُقَالُ :

أَصْلُ ذَلِكَ ٱلْقَدَحِ مِنْ شَجَرِ ٱلنَّبْعِ ، وَقِيلَ : مِنَ ٱلْأَثْلِ . وَلَوْنُهُ يَمِيلُ إِلَى ٱلصُّفْرَةِ .

وَكَانَ لِرَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدَحُ قَوَارِيرَ يَشْرَبُ فِيهِ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعْجِبُهُ أَنْ يَتَوَضَّأَ مِنْ مِخْضَبٍ مِنْ صُفْرٍ .

وَ(ٱلْمِخْضَبُ) : إِنَاءٌ .

وَ(ٱلصُّفْرُ) : اَلنُّحَاسُ ٱلْأَصْفَرُ .

وَكَانَ لَهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدَحٌ مِنْ عَيْدَانٍ[1] تَحْتَ سَرِيرِهِ يَبُولُ فِيهِ بِٱللَّيْلِ .

وَكَانَ لِرَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَطْهَرَةٌ مِنْ فَخَّارٍ يَتَوَضَّأُ وَيَشْرَبُ مِنْهَا ، وَكَانَ ٱلنَّاسُ يُرْسِلُونَ أَوْلاَدَهُمْ ٱلصِّغَارَ ٱلَّذِينَ عَقَلُوا فَيَدْخُلُونَ عَلَيْهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَا يُدْفَعُونَ ، فَإِذَا وَجَدُوا فِي ٱلْمَطْهَرَةِ مَاءً شَرِبُوا مِنْهُ ، وَمَسَحُوا عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ، وَأَجْسَامِهِمْ ، يَبْتَغُونَ بِذَلِكَ ٱلْبَرَكَةَ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا صَلَّى ٱلْغَدَاةَ . . [جاءَهُ] خَدَمُ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ بِآنِيَتِهِمْ فِيهَا ٱلْمَاءُ ، فَمَا يُؤْتَىٰ بِإِنَاءٍ . . إِلَّا غَمَسَ يَدَهُ فِيهِ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَبْعَثُ إِلَى ٱلْمَطَاهِرِ فَيُؤْتَىٰ بِٱلْمَاءِ فَيَشْرَبُهُ ، يَرْجُو بَرَكَةَ أَيْدِي ٱلْمُسْلِمِينَ .

* * *

---

(١) وهي : الطوال من النخل ، والواحدة : عيدانة .

الفَصْلُ السَّادِسُ

فِي صِفَةِ نَوْمِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم

قَالَ فِي « ٱلْمَوَاهِبِ » : (كَانَ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يَنَامُ أَوَّلَ ٱللَّيْلِ ، وَيَسْتَيْقِظُ فِي أَوَّلِ ٱلنِّصْفِ ٱلثَّانِي ، فَيَقُومُ فَيَسْتَاكُ ، فَيَتَوَضَّأُ ، وَلَمْ يَكُنْ يَأْخُذُ مِنَ ٱلنَّوْمِ فَوْقَ ٱلْقَدْرِ ٱلْمُحْتَاجِ إِلَيْهِ مِنْهُ ، وَلَا يَمْنَعُ نَفْسَهُ مِنَ ٱلْقَدْرِ ٱلْمُحْتَاجِ مِنْهُ ، وَكَانَ يَنَامُ عَلَىٰ جَنْبِهِ ٱلْأَيْمَنِ ؛ ذَاكِراً ٱللهَ تَعَالَىٰ حَتَّىٰ تَغْلِبَهُ عَيْنَاهُ ، غَيْرَ مُمْتَلِئٍ ٱلْبَطْنِ مِنَ ٱلطَّعَامِ وَٱلشَّرَابِ .

قَالَ : وَكَانَ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يَنَامُ عَلَى ٱلْفِرَاشِ تَارَةً ، وَعَلَى ٱلنِّطْعِ تَارَةً ، وَعَلَى ٱلْحَصِيرِ تَارَةً ، وَعَلَى ٱلْأَرْضِ تَارَةً .

وَكَانَ فِرَاشُهُ [صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ] أَدَماً ؛ حَشْوُهُ لِيفٌ ، وَكَانَ لَهُ مِسْحٌ[1] يَنَامُ عَلَيْهِ) اهـ

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَنَامُ أَوَّلَ ٱللَّيْلِ وَيُحْيِي آخِرَهُ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَنَامُ حَتَّىٰ يَسْتَنَّ .

---

(١) **المسح** : فراشٌ خشنٌ غليظ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَرْقُدُ مِنْ لَيْلٍ وَلَا نَهَارٍ فَيَسْتَيْقِظُ . . إِلَّا تَسَوَّكَ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَنَامُ . . إِلَّا وَٱلسِّوَاكُ عِنْدَ رَأْسِهِ ، فَإِذَا ٱسْتَيْقَظَ . . بَدَأَ بِٱلسِّوَاكِ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْتَاكُ فِي ٱللَّيْلِ مِرَاراً .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَرْقُدَ . . وَضَعَ يَدَهُ ٱلْيُمْنَىٰ تَحْتَ خَدِّهِ ، ثُمَّ يَقُولُ : « ٱللَّهُمَّ ؛ قِنِي عَذَابَكَ يَوْمَ تَبْعَثُ عِبَادَكَ » (ثَلَاثَ مَرَّاتٍ) .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَخَذَ مَضْجَعَهُ مِنَ ٱللَّيْلِ . . وَضَعَ يَدَهُ تَحْتَ خَدِّهِ ، ثُمَّ يَقُولُ : « بِٱسْمِكَ ٱللَّهُمَّ أَحْيَا ، وَبِٱسْمِكَ أَمُوتُ » .

وَإِذَا ٱسْتَيْقَظَ . . قَالَ : « ٱلْحَمْدُ لِلهِ ٱلَّذِي أَحْيَانَا بَعْدَ مَا أَمَاتَنَا وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ » .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَخَذَ مَضْجَعَهُ مِنَ ٱللَّيْلِ . . قَالَ : « بِٱسْمِ ٱللهِ وَضَعْتُ جَنْبِي ، ٱللَّهُمَّ ؛ ٱغْفِرْ لِي ذَنْبِي ، وَأَخْسِئْ شَيْطَانِي ، وَفُكَّ رِهَانِي ، وَثَقِّلْ مِيزَانِي ، وَٱجْعَلْنِي فِي ٱلنَّدِيِّ[1] ٱلْأَعْلَىٰ » .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَخَذَ مَضْجَعَهُ . . قَرَأَ (قل يا أيها الكافرون) حَتَّىٰ يَخْتِمَهَا .

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا قَالَتْ : كَانَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ

---

(١) **النديّ** : هم القوم المجتمعون في مجلس .

وَسَلَّمَ إِذَا أَوَىٰ إِلَىٰ فِرَاشِهِ كُلَّ لَيْلَةٍ . . جَمَعَ كَفَّيْهِ فَنَفَثَ[1] فِيهِمَا وَقَرَأَ فِيهِمَا (قل هو ٱلله أحد) ، وَ : (قل أعوذ برب ٱلفلق) ، وَ : (قل أعوذ برب ٱلناس) ، ثُمَّ مَسَحَ بِهِمَا مَا ٱسْتَطَاعَ مِنْ جَسَدِهِ ، يَبْدَأُ بِهِمَا رَأْسَهُ وَوَجْهَهُ وَمَا أَقْبَلَ مِنْ جَسَدِهِ ؛ يَصْنَعُ ذَٰلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ .

وَكَانَ [صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ] لَا يَنَامُ حَتَّىٰ يَقْرَأَ : (بَنِي إِسْرَائِيلَ)[2] وَ : (ٱلزُّمَرَ) .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَنَامُ حَتَّىٰ يَقْرَأَ : (ألم تنزيل) ٱلسَّجْدَةَ ، وَ : (تبارك ٱلذي بيده ٱلملك) .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْمُرُ نِسَاءَهُ إِذَا أَرَادَتْ إِحْدَاهُنَّ أَنْ تَنَامَ . . أَنْ تَحْمَدَ ثَلَاثاً وَثَلَاثِينَ ، وَتُسَبِّحَ ثَلَاثاً وَثَلَاثِينَ ، وَتُكَبِّرَ ثَلَاثاً وَثَلَاثِينَ .

وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ : أَنَّ رَسُولَ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا أَوَىٰ إِلَىٰ فِرَاشِهِ . . قَالَ : « ٱلْحَمْدُ لِلهِ ٱلَّذِي أَطْعَمَنَا وَسَقَانَا وَكَفَانَا وَآوَانَا ، فَكَمْ مِمَّنْ لَا كَافِيَ لَهُ وَلَا مُؤْوِيَ لَهُ » .

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا قَالَتْ : كَانَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا تَضَوَّرَ مِنَ ٱللَّيْلِ . . قَالَ : « لَا إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللهُ ٱلْوَاحِدُ ٱلْقَهَّارُ ، رَبُّ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّارُ » .

وَمَعْنَىٰ (تَضَوَّرَ) : تَلَوَّىٰ وَتَقَلَّبَ فِي فِرَاشِهِ .

---

(١) نفخ نفخاً لطيفاً بلا ريق .

(٢) ويقال لها : سورة الإسراء .

وَكَانَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا تَعَارَّ مِنَ ٱللَّيْلِ . . قَالَ : « رَبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ ، وَٱهْدِ لِلسَّبِيلِ ٱلْأَقْوَمْ » .

وَمَعْنَىٰ (تَعَارَّ) : هَبَّ مِنْ نَوْمِهِ وَٱسْتَيْقَظَ .

وَعَنْ أَبِي قَتَادَةَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ : أَنَّ ٱلنَّبِيَّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا عَرَّسَ بِلَيْلٍ . . ٱضْطَجَعَ عَلَىٰ شِقِّهِ ٱلْأَيْمَنِ ، وَإِذَا عَرَّسَ قُبَيْلَ ٱلصُّبْحِ . . نَصَبَ ذِرَاعَهُ ، وَوَضَعَ رَأْسَهُ عَلَىٰ كَفِّهِ .

وَمَعْنَى (ٱلتَّعْرِيسِ) : نُزُولُ ٱلْقَوْمِ فِي ٱلسَّفَرِ آخِرَ ٱللَّيْلِ .

وَكَانَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَنَامَ وَهُوَ جُنُبٌ . . تَوَضَّأَ وُضُوءَهُ لِلصَّلَاةِ ، وَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَأْكُلَ أَوْ يَشْرَبَ وَهُوَ جُنُبٌ . . غَسَلَ يَدَيْهِ ثُمَّ يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَنَامَ وَهُوَ جُنُبٌ . . غَسَلَ فَرْجَهُ وَتَوَضَّأَ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَنَامُ عَيْنَاهُ وَلَا يَنَامُ قَلْبُهُ .

وَلِذَلِكَ كَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَنَامُ حَتَّىٰ يَنْفُخَ(١) ، ثُمَّ يَقُومُ فَيُصَلِّيَ .

* * *

---

(١) وهو : إرسال الهواء من الفم بقوة ؛ والمراد هنا : ما يخرج من النائم حين استغراقه في نومه .

البَابُ الخَامِسُ

فِي صِفَةِ خُلُقِ رَسُولِ ٱللهِ
صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
وَحِلْمِهِ ، وَعِشْرَتِهِ مَعَ نِسَائِهِ ، وَأَمَانَتِهِ ، وَصِدْقِهِ ، وَحَيَائِهِ ، وَمِزَاحِهِ ، وَتَوَاضُعِهِ ، وَجُلُوسِهِ ، وَكَرَمِهِ ، وشَجَاعَتِهِ
وَفِيهِ سِتَّةُ فُصُولٍ

الفصل الأول

في وفور عقله صلى الله عليه وسلم وحلمه

قَالَ ٱلْقَاضِي عِيَاضٌ فِي « ٱلشِّفَا » : (قَالَ وَهْبُ بْنُ مُنَبِّهٍ : قَرَأْتُ فِي أَحَدٍ وَسَبْعِينَ كِتَاباً ، فَوَجَدْتُ فِي جَمِيعِهَا : أَنَّ ٱلنَّبِيَّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرْجَحُ ٱلنَّاسِ عَقْلاً ، وَأَفْضَلُهُمْ رَأْياً .

وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَىٰ : فَوَجَدْتُ فِي جَمِيعِهَا : أَنَّ ٱللهَ تَعَالَىٰ لَمْ يُعْطِ جَمِيعَ ٱلنَّاسِ مِنْ بَدْءِ ٱلدُّنْيَا إِلَى ٱنْقِضَائِهَا مِنَ ٱلْعَقْلِ فِي جَنْبِ عَقْلِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا كَحَبَّةِ رَمْلٍ مِنْ بَيْنِ رِمَالِ ٱلدُّنْيَا) .

وَذَكَرَ ٱلْقُسْطُلَّانِيُّ فِي « ٱلْمَوَاهِبِ » ، عَنْ « عَوَارِفِ ٱلْمَعَارِفِ » : (اَللُّبُّ وَٱلْعَقْلُ مِئَةُ جُزْءٍ ؛ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ فِي ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَجُزْءٌ فِي سَائِرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ .

قَالَ : وَمَنْ تَأَمَّلَ حُسْنَ تَدْبِيرِهِ لِلْعَرَبِ ٱلَّذِينَ هُمْ كَٱلْوَحْشِ ٱلشَّارِدِ ، مَعَ ٱلطَّبْعِ ٱلْمُتَنَافِرِ ٱلْمُتَبَاعِدِ ، وَكَيْفَ سَاسَهُمْ وَٱحْتَمَلَ جَفَاهُمْ ، وَصَبَرَ عَلَىٰ أَذَاهُمْ إِلَىٰ أَنِ ٱنْقَادُوا إِلَيْهِ ، وَٱجْتَمَعُوا عَلَيْهِ ، وَقَاتَلُوا دُونَهُ أَهْلِيهِمْ وَآبَاءَهُمْ وَأَبْنَاءَهُمْ ، وَٱخْتَارُوهُ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ ، وَهَجَرُوا فِي رِضَاهُ أَوْطَانَهُمْ وَأَحِبَّاءَهُمْ ، مِنْ غَيْرِ مُمَارَسَةٍ سَبَقَتْ لَهُ ، وَلَا مُطَالَعَةِ كُتُبٍ يَتَعَلَّمُ مِنْهَا سِيَرَ

ٱلْمَاضِينَ . . تَحَقَّقَ لَهُ أَنَّهُ أَعْقَلُ ٱلْعَالَمِينَ .

وَلَمَّا كَانَ عَقْلُهُ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أَوْسَعَ ٱلْعُقُولِ . . لَا جَرَمَ ٱتَّسَعَتْ أَخْلَاقُ نَفْسِهِ ٱلْكَرِيمَةِ ٱتِّسَاعاً ، لَا يَضِيقُ عَنْ شَيْءٍ) .

كَانَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خُلُقُهُ ٱلْقُرْآنُ .

قَالَ ٱلْإِمَامُ ٱلْغَزَالِيُّ فِي « ٱلْإِحْيَاءِ » : (قَالَ سَعْدُ بْنُ هِشَامٍ : دَخَلْتُ عَلَىٰ عَائِشَةَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا وَعَنْ أَبِيهَا ، فَسَأَلْتُهَا عَنْ أَخْلَاقِ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟

فَقَالَتْ : أَمَا تَقْرَأُ ٱلْقُرْآنَ؟!

قُلْتُ : بَلَىٰ .

قَالَتْ : كَانَ خُلُقُ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ٱلْقُرْآنَ .

وَإِنَّمَا أَدَّبَهُ ٱلْقُرْآنُ بِمِثْلِ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ : ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ [الأعراف : ١٩٩] .

وَقَوْلِهِ : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ﴾ [النحل : ٩٠] .

وَقَوْلِهِ : ﴿ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾ [لقمان : ١٧] .

وَقَوْلِهِ : ﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾ [الشورى : ٤٣] .

وَقَوْلِهِ : ﴿ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [المائدة : ١٣] .

وَقَوْلِهِ : ﴿ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا۟ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ﴾ [الحجرات : ١٢]) .

وَأَمْثَالُ هَـٰذِهِ ٱلتَّأْدِيبَاتِ فِي ٱلْقُرْآنِ لَا تَنْحَصِرُ .

وَهُوَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ٱلْمَقْصُودُ ٱلْأَوَّلُ بِٱلتَّأْدِيبِ وَٱلتَّهْذِيبِ ، ثُمَّ مِنْهُ يُشْرِقُ ٱلنُّورُ عَلَىٰ كَافَّةِ ٱلْخَلْقِ ؛ فَإِنَّهُ أُدِّبَ بِٱلْقُرْآنِ فَتَأَدَّبَ بِهِ ، وَأَدَّبَ ٱلْخَلْقَ بِهِ ؛ وَلِذَلِكَ قَالَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ مَكَارِمَ ٱلْأَخْلَاقِ » .

ثُمَّ لَمَّا أَكْمَلَ ٱللهُ تَعَالَىٰ خُلُقَهُ . أَثْنَىٰ عَلَيْهِ فَقَالَ تَعَالَىٰ : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم : ٤] .

ثُمَّ قَالَ ٱلْغَزَالِيُّ : (وَعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ ، عَنِ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « إِنَّ ٱللهَ حَفَّ ٱلْإِسْلَامَ بِمَكَارِمِ ٱلْأَخْلَاقِ وَمَحَاسِنِ ٱلْأَعْمَالِ » .

وَمِنْ ذَلِكَ : حُسْنُ ٱلْمُعَاشَرَةِ ، وَكَرَمُ ٱلصَّنِيعَةِ ، وَلِينُ ٱلْجَانِبِ ، وَبَذْلُ ٱلْمَعْرُوفِ ، وإِطْعَامُ ٱلطَّعَامِ ، وَإِفْشَاءُ ٱلسَّلَامِ ، وَعِيَادَةُ ٱلْمَرِيضِ ٱلْمُسْلِمِ ؛ بَرّاً كَانَ أَوْ فَاجِراً ، وَتَشْيِيعُ جَنَازَةِ ٱلْمُسْلِمِ ، وَحُسْنُ ٱلْجِوَارِ لِمَنْ جَاوَرْتَ ؛ مُسْلِماً كَانَ أَوْ كَافِراً ، وَتَوْقِيرُ ذِي ٱلشَّيْبَةِ ٱلْمُسْلِمِ ، وَإِجَابَةُ دَعْوَةِ ٱلطَّعَامِ ، وَٱلدُّعَاءُ عَلَيْهِ ، وَٱلْعَفْوُ ، وَٱلْإِصْلَاحُ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ، وَٱلْجُودُ ، وَٱلْكَرَمُ ، وَٱلسَّمَاحَةُ ، وَٱلِٱبْتِدَاءُ بِٱلسَّلَامِ ، وَكَظْمُ ٱلْغَيْظِ ، وَٱلْعَفْوُ عَنِ ٱلنَّاسِ ، وَٱجْتِنَابُ مَا حَرَّمَهُ ٱلْإِسْلَامُ مِنَ ٱللَّهْوِ ، وَٱلْبَاطِلِ ، وَٱلْغِنَاءِ ، وَٱلْمَعَازِفِ كُلِّهَا ، وَكُلِّ ذِي وَتْرٍ ، وَكُلِّ ذِي ذَخْلٍ ، وَٱلْغِيبَةِ ، وَٱلْكَذِبِ ، وَٱلْبُخْلِ ، وَٱلشُّحِّ ، وَٱلْجَفَاءِ ، وَٱلْمَكْرِ ، وَٱلْخَدِيعَةِ ، وَٱلنَّمِيمَةِ ، وَسُوءِ ذَاتِ ٱلْبَيْنِ ، وَقَطِيعَةِ ٱلْأَرْحَامِ ، وَسُوءِ ٱلْخُلُقِ وَٱلتَّكَبُّرِ ، وَٱلْفَخْرِ ، وَٱلِٱخْتِيَالِ ، وَٱلِٱسْتِطَالَةِ ، وَٱلْبَذَخِ ، وَٱلْفُحْشِ ، وَٱلتَّفَحُّشِ ، وَٱلْحِقْدِ ، وَٱلْحَسَدِ ، وَٱلطِّيَرَةِ ، وَٱلْبَغْيِ ، وَٱلْعُدْوَانِ ، وَٱلظُّلْمِ .

قَوْلُهُ وَتْرٌ : (ٱلْوَتْرُ) : ٱلثَّأْرُ .

وَ(ٱلذَّحْلُ) : ٱلحِقْدُ وَٱلْعَدَاوَةُ ، وَٱلثَّأْرُ أَيْضاً .

قَالَ أَنَسٌ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ : فَلَمْ يَدَعْ نَصِيحَةً جَمِيلَةً إِلَّا وَقَدْ دَعَانَا إِلَيْهَا وَأَمَرَنَا بِهَا ، وَلَمْ يَدَعْ غِشّاً ـ أَوْ قَالَ : عَيْباً ، أَوْ قَالَ : شَيْئاً ـ إِلَّا حَذَّرَنَاهُ وَنَهَانَا عَنْهُ ، وَيَكْفِي مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ هَـٰذِهِ ٱلْآيَةُ : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [النحل : ٩٠] .

وَقَالَ مُعَاذٌ : أَوْصَانِي رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : « يَا مُعَاذُ ؛ **أُوصِيكَ** بِٱتِّقَاءِ ٱللهِ ، وَصِدْقِ ٱلْحَدِيثِ ، وَٱلْوَفَاءِ بِٱلْعَهْدِ ، وَأَدَاءِ ٱلْأَمَانَةِ ، وَتَرْكِ ٱلْخِيَانَةِ ، وَحِفْظِ ٱلْجَارِ ، وَرَحْمَةِ ٱلْيَتِيمِ ، وَلِينِ ٱلْكَلَامِ ، وَبَذْلِ ٱلسَّلَامِ ، وَحُسْنِ ٱلْعَمَلِ ، وَقِصَرِ ٱلْأَمَلِ ، وَلُزُومِ ٱلْإِيمَانِ ، وَٱلتَّفَقُّهِ فِي ٱلْقُرْآنِ ، وَحُبِّ ٱلْآخِرَةِ ، وَٱلْجَزَعِ مِنَ ٱلْحِسَابِ ، وَخَفْضِ ٱلْجَنَاحِ ، وَأَنْهَاكَ أَنْ تَسُبَّ حَكِيماً ، أَوْ تُكَذِّبَ صَادِقاً ، أَوْ تُطِيعَ آثِماً ، أَوْ تَعْصِيَ إِمَاماً عَادِلاً ، أَوْ تُفْسِدَ أَرْضاً . .

وَأُوصِيكَ بِٱتِّقَاءِ ٱللهِ تَعَالَىٰ عِنْدَ كُلِّ حَجَرٍ وَشَجَرٍ وَمَدَرٍ ، وَأَنْ تُحْدِثَ لِكُلِّ ذَنْبٍ تَوْبَةً ؛ ٱلسِّرُّ بِٱلسِّرِّ ، وَٱلْعَلَانِيَةُ بِٱلْعَلَانِيَةِ ») .

فَهَـٰكَذَا أَدَّبَ [صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ] عِبَادَ ٱللهِ ، وَدَعَاهُمْ إِلَىٰ مَكَارِمِ ٱلْأَخْلَاقِ وَمَحَاسِنِ ٱلْآدَابِ .

وَعَنِ ٱلْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ قَالَ : سَأَلْتُ خَالِي هِنْدَ بْنَ

أَبِي هَالَةَ[1] ـ وَكَانَ وَصَّافاً ـ عَنْ حِلْيَةِ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ وَأَنَا أَشْتَهِي أَنْ يَصِفَ لِي مِنْهَا شَيْئاً ـ فَقَالَ :

كَانَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَخْماً ، مُفَخَّماً ، يَتَلأْلأُ وَجْهُهُ تَلأْلُؤَ ٱلْقَمَرِ لَيْلَةَ ٱلْبَدْرِ . . . فَذَكَرَ ٱلْحَدِيثَ بِطُولِهِ .

قَالَ ٱلْحَسَنُ : فَكَتَمْتُهَا ٱلْحُسَيْنَ زَمَاناً ، ثُمَّ حَدَّثْتُهُ فَوَجَدْتُهُ قَدْ سَبَقَنِي إِلَيْهِ ، فَسَأَلَهُ عَمَّا سَأَلْتُهُ عَنْهُ ، وَوَجَدْتُهُ قَدْ سَأَلَ أَبَاهُ عَنْ مَدْخَلِهِ وَمَخْرَجِهِ وَشَكْلِهِ ، فَلَمْ يَدَعْ مِنْهُ شَيْئاً .

قَالَ ٱلْحُسَيْنُ : فَسَأَلْتُ أَبِي عَنْ دُخُولِ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

فَقَالَ : كَانَ إِذَا أَوَىٰ إِلَىٰ مَنْزِلِهِ . . جَزَّأَ دُخُولَهُ ثَلاَثَةَ أَجْزَاءٍ ؛ جُزْأً لِلهِ ، وَجُزْأً لِأَهْلِهِ ، وَجُزْأً لِنَفْسِهِ .

ثُمَّ جَزَّأَ جُزْأَهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ ٱلنَّاسِ ، فَيَرُدُّ بِٱلْخَاصَّةِ عَلَى ٱلْعَامَّةِ ، وَلَا يَدَّخِرُ عَنْهُمْ شَيْئاً .

وَكَانَ مِنْ سِيرَتِهِ فِي جُزْءِ ٱلْأُمَّةِ إِيثَارُ أَهْلِ ٱلْفَضْلِ بِإِذْنِهِ ، وَقَسْمُهُ عَلَىٰ قَدْرِ فَضْلِهِمْ فِي ٱلدِّينِ ، فَمِنْهُمْ ذُو ٱلْحَاجَةِ ، وَمِنْهُمْ ذُو ٱلْحَاجَتَيْنِ ، وَمِنْهُمْ ذُو ٱلْحَوَائِجِ ؛ فَيَتَشَاغَلُ بِهِمْ وَيَشْغَلُهُمْ فِي مَا يُصْلِحُهُمْ وَٱلْأُمَّةَ ، مِنْ مَسْأَلَتِهِمْ عَنْهُ ، وَإِخْبَارِهِمْ بِٱلَّذِي يَنْبَغِي لَهُمْ ، وَيَقُولُ : « لِيُبَلِّغِ ٱلشَّاهِدُ مِنْكُمُ ٱلْغَائِبَ ، وَأَبْلِغُونِي حَاجَةَ مَنْ لَا يَسْتَطِيعُ إِبْلَاغَهَا ، فَإِنَّهُ مَنْ أَبْلَغَ

---

(١) وهو أخو السيدة فاطمة الزهراء من أمها خديجة رضي الله تعالى عنهما .

سُلْطَاناً حَاجَةَ مَن لَا يَسْتَطِيعُ إِبْلَاغَهَا . . ثَبَّتَ ٱللهُ قَدَمَيْهِ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ » ؛ لَا يُذْكَرُ عِنْدَهُ إِلَّا ذَلِكَ ، وَلَا يَقْبَلُ مِنْ أَحَدٍ غَيْرَهُ .

يَدْخُلُونَ رُوَّاداً ـ أَيْ : طُلَّاباً ـ وَلَا يَفْتَرِقُونَ إِلَّا عَنْ ذَوَاقٍ(١) ، وَيَخْرُجُونَ أَدِلَّةً ؛ يَعْنِي : عَلَى ٱلْخَيْرِ .

قَالَ : فَسَأَلْتُهُ عَنْ مَخْرَجِهِ : كَيْفَ كَانَ يَصْنَعُ فِيهِ ؟

قَالَ : كَانَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْزُنُ لِسَانَهُ إِلَّا فِيمَا يَعْنِيهِ ، وَيُؤَلِّفُهُمْ وَلَا يُنَفِّرُهُمْ ، وَيُكْرِمُ كَرِيمَ كُلِّ قَوْمٍ وَيُوَلِّيهِ عَلَيْهِمْ ، وَيَحْذَرُ ٱلنَّاسَ وَيَحْتَرِسُ مِنْهُمْ ؛ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَطْوِيَ عَنْ أَحَدٍ مِنْهُمْ بِشْرَهُ وَلَا خُلُقَهُ ، وَيَتَفَقَّدُ أَصْحَابَهُ ، وَيَسْأَلُ ٱلنَّاسَ عَمَّا فِي ٱلنَّاسِ ، وَيُحَسِّنُ ٱلْحَسَنَ وَيُقَوِّيهِ ، وَيُقَبِّحُ ٱلْقَبِيحَ وَيُوَهِّيهِ ، مُعْتَدِلُ ٱلْأَمْرِ غَيْرُ مُخْتَلِفٍ ، لَا يَغْفُلُ مَخَافَةَ أَنْ يَغْفُلُوا أَوْ يَمِيلُوا ، لِكُلِّ حَالٍ عِنْدَهُ عَتَادٌ ـ أَيْ : شَيْءٌ مُعَدٌّ وَمُهَيَّأٌ ـ لَا يُقَصِّرُ عَنِ ٱلْحَقِّ وَلَا يُجَاوِزُهُ ، ٱلَّذِينَ يَلُونَهُ مِنَ ٱلنَّاسِ خِيَارُهُمْ ، أَفْضَلُهُمْ عِنْدَهُ أَعَمُّهُمْ نَصِيحَةً ، وَأَعْظَمُهُمْ عِنْدَهُ مَنْزِلَةً أَحْسَنُهُمْ مُوَاسَاةً وَمُؤَازَرَةً .

قَالَ : فَسَأَلْتُهُ عَنْ مَجْلِسِهِ .

فَقَالَ : كَانَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَقُومُ وَلَا يَجْلِسُ إِلَّا عَلَىٰ ذِكْرٍ ، وَإِذَا ٱنْتَهَىٰ إِلَىٰ قَوْمٍ . . جَلَسَ حَيْثُ يَنْتَهِي بِهِ ٱلْمَجْلِسُ ، وَيَأْمُرُ بِذَلِكَ ، يُعْطِي كُلَّ جُلَسَائِهِ بِنَصِيبِهِ ، لَا يَحْسِبُ جَلِيسُهُ أَنَّ أَحَداً أَكْرَمُ عَلَيْهِ مِنْهُ .

مَنْ جَالَسَهُ أَوْ فَاوَضَهُ فِي حَاجَةٍ . . صَابَرَهُ حَتَّىٰ يَكُونَ هُوَ ٱلْمُنْصَرِفَ

---

(١) ذواق ـ من الذوق ـ وهو : إما حسي للأجساد كالطعام والشراب ، أو معنوي للأرواح كالأدب والعلم والخير .

عَنْهُ ، وَمَنْ سَأَلَهُ حَاجَةً . . لَمْ يَرُدَّهُ إِلَّا بِهَا أَوْ بِمَيْسُورٍ مِنَ ٱلْقَوْلِ .

قَدْ وَسِعَ ٱلنَّاسَ بَسْطُهُ وَخُلُقُهُ، فَصَارَ لَهُمْ أَباً وَصَارُوا عِنْدَهُ فِي ٱلْحَقِّ سَوَاءً .

مَجْلِسُهُ مَجْلِسُ حِلْمٍ وَحَيَاءٍ ، وَصَبْرٍ وَأَمَانَةٍ ، لَا تُرْفَعُ فِيهِ ٱلْأَصْوَاتُ ، وَلَا تُؤْبَنُ فِيهِ ٱلْحُرَمُ وَلَا تُنْثَىٰ فَلَتَاتُهُ[(١)] . مُتَعَادِلِينَ ، بَلْ كَانُوا يَتَفَاضَلُونَ فِيهِ بِٱلتَّقْوَىٰ ، مُتَوَاضِعِينَ ، يُوَقِّرُونَ فِيهِ ٱلْكَبِيرَ ، وَيَرْحَمُونَ فِيهِ ٱلصَّغِيرَ ، وَيُؤْثِرُونَ ذَا ٱلْحَاجَةِ ، وَيَحْفَظُونَ ٱلْغَرِيبَ .

وَكَانَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَمْضِي لَهُ وَقْتٌ فِي غَيْرِ عَمَلٍ لِلهِ عَزَّ وَجَلَّ ، أَوْ فِيمَا لَا بُدَّ لَهُ مِنْ صَلَاحِ نَفْسِهِ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحْسَنَ ٱلنَّاسِ خُلُقاً .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَائِمَ ٱلْبِشْرِ ، سَهْلَ ٱلْخُلُقِ .

وَعَرَّفُوا (حُسْنَ ٱلْخُلُقِ) بِأَنَّهُ : مُخَالَطَةُ ٱلنَّاسِ بِٱلْجَمِيلِ ، وَٱلْبِشْرُ ، وَٱللَّطَافَةُ ، وَتَحَمُّلُ ٱلْأَذَىٰ ، وَٱلْإِشْفَاقُ عَلَيْهِمْ ، وَٱلْحِلْمُ ، وَٱلصَّبْرُ ، وَتَرْكُ ٱلتَّرَفُّعِ وَٱلِٱسْتِطَالَةِ عَلَيْهِمْ ، وَتَجَنُّبُ ٱلْغِلْظَةِ وَٱلْغَضَبِ وَٱلْمُؤَاخَذَةِ .

وَعَنْ عَلِيٍّ كَرَّمَ ٱللهُ وَجْهَهُ : كَانَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَجْوَدَ ٱلنَّاسِ كَفّاً ، وَأَوْسَعَ ٱلنَّاسِ صَدْراً ، وَأَصْدَقَ ٱلنَّاسِ لَهْجَةً ، وَأَوْفَاهُمْ ذِمَّةً ، وَأَلْيَنَهُمْ عَرِيكَةً ، وَأَكْرَمَهُمْ عِشْرَةً . مَنْ رَآهُ بَدِيهَةً . . هَابَهُ ، وَمَنْ خَالَطَهُ مَعْرِفَةً . . أَحَبَّهُ ، يَقُولُ نَاعِتُهُ : لَمْ أَرَ قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ مِثْلَهُ [صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ] .

---

(١) أي : لا تُشاعُ ولا تُذاعُ . هذا في ظاهر اللفظ : والأَولى جعل النفي منصبّاً علىٰ الفَلَتات نفسها ، لا وصفها . . فالمعنى : لا فلتات فيه أصلاً . وهو من نفي الشيء بإيجابه ، وهو من مستطرفات علم البيان .

وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ : كَانَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَعْلَمَ ٱلنَّاسِ ، وَأَوْرَعَ ٱلنَّاسِ ، وَأَزْهَدَ ٱلنَّاسِ ، وَأَكْرَمَ ٱلنَّاسِ ، وَأَعْدَلَ ٱلنَّاسِ ، وَأَحْلَمَ ٱلنَّاسِ ، وَأَعفَّ ٱلنَّاسِ ، لَمْ تَمَسَّ يَدُهُ يَدَ ٱمْرَأَةٍ لَا يَمْلِكُ رِقَّهَا ، أَوْ عِصْمَةَ نِكَاحِهَا ، أَوْ تَكُونُ ذَاتَ مَحْرَمٍ مِنْهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وَعَنْ أَنَسٍ أَيْضاً : كَانَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحْسَنَ ٱلنَّاسِ ، وَأَجْوَدَ ٱلنَّاسِ ، وَأَشْجَعَ ٱلنَّاسِ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرْأَفَ ٱلنَّاسِ بِٱلنَّاسِ ، وَأَنْفعَ ٱلنَّاسِ لِلنَّاسِ ، وَخَيْرَ ٱلنَّاسِ لِلنَّاسِ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَصْبَرَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ أَقْذَارِ ٱلنَّاسِ .

وَعَنْ خَارِجَةَ بْنِ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ قَالَ : دَخَلَ نَفَرٌ عَلَىٰ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ فَقَالُوا لَهُ : حَدِّثْنَا أَحَادِيثَ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

قَالَ : مَاذَا أُحَدِّثُكُمْ ؟ كُنْتُ جَارَهُ ، فَكَانَ إِذَا نَزَلَ عَلَيْهِ ٱلْوَحْيُ . . بَعَثَ إِلَيَّ فَكَتَبْتُهُ لَهُ ، فَكُنَّا إِذَا ذَكَرْنَا ٱلدُّنْيَا . . ذَكَرَهَا مَعَنَا ، وَإِذَا ذَكَرْنَا ٱلْآخِرَةَ . . ذَكَرَهَا مَعَنَا ، وَإِذَا ذَكَرْنَا ٱلطَّعَامَ . . ذَكَرَهُ مَعَنَا ، فَكُلَّ هَـٰذَا أُحَدِّثُكُمْ عَنْ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟! .

وَكَانَ أَصْحَابُ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَنَاشَدُونَ ٱلشِّعْرَ بَيْنَ يَدَيْهِ أَحْيَاناً ، وَيَذْكُرُونَ أَشْيَاءَ مِنْ أَمْرِ ٱلْجَاهِلِيَّةِ ، وَيَضْحَكُونَ ، فَيَتَبَسَّمُ هُوَ إِذَا ضَحِكُوا ، وَلَا يَزْجُرُهُمْ إِلَّا عَنْ حَرَامٍ .

وَكَانَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ تَبَسُّماً وَضَحِكاً فِي وُجُوهِ أَصْحَابِهِ ، وَتَعَجُّباً مِمَّا تَحَدَّثُوا بِهِ ، وَخَلْطاً لِنَفْسِهِ بِهِمْ . وَلَرُبَّمَا ضَحِكَ حَتَّىٰ تَبْدُوَ نَوَاجِذُهُ .

وَكَانَ ضَحِكُ أَصْحَابِهِ عِنْدَهُ ٱلتَّبَسُّمَ ؛ ٱقْتِدَاءً بِهِ ، وَتَوْقِيراً لَهُ .

قَالُوا : وَقَدْ جَاءَهُ أَعْرَابِيٌّ يَوْماً ؛ وَهُوَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُتَغَيِّرُ ٱللَّوْنِ يُنْكِرُهُ أَصْحَابُهُ ، فَأَرَادَ أَنْ يَسْأَلَهُ ، فَقَالُوا : لَا تَفْعَلْ يَا أَعْرَابِيُّ ، فَإِنَّا نُنْكِرُ لَوْنَهُ .

فَقَالَ : دَعُونِي ، فَوَٱلَّذِي بَعَثَهُ بِٱلْحَقِّ نَبِيّاً ؛ لَا أَدَعُهُ حَتَّىٰ يَتَبَسَّمَ .

فَقَالَ : يَا رَسُولَ ٱللهِ ؛ بَلَغَنَا أَنَّ ٱلْمَسِيحَ ـ يَعْنِي : ٱلدَّجَّالَ ـ يَأْتِي ٱلنَّاسَ بِٱلثَّرِيدِ وَقَدْ هَلَكُوا جُوعاً . . أَفَتَرَىٰ لِي ـ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي ـ أَنْ أَكُفَّ عَنْ ثَرِيدِهِ تَعَفُّفاً وَتَنَزُّهاً حَتَّىٰ أَهْلِكَ هُزَالاً ، أَمْ أَضْرِبَ فِي ثَرِيدِهِ حَتَّىٰ إِذَا تَضَلَّعْتُ شِبَعاً . . آمَنْتُ بِٱللهِ وَكَفَرْتُ بِهِ ؟!

قَالُوا : فَضَحِكَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّىٰ بَدَتْ نَوَاجِذُهُ .

ثُمَّ قَالَ : « لَا ، بَلْ يُغْنِيكَ ٱللهُ بِمَا أَغْنَىٰ بِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ » .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَلَطَّفُ بِخَوَاطِرِ أَصْحَابِهِ ، وَيَتَفَقَّدُ مَنِ ٱنْقَطَعَ مِنْهُمْ عَنْ مَجْلِسِهِ ، وَكَثِيراً مَا يَقُولُ لِأَحَدِهِمْ : « لَعَلَّكَ يَا أَخِي وَجَدْتَ مِنِّي ، أَوْ مِنْ إِخْوَانِنَا شَيْئاً » .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا فَقَدَ ٱلرَّجُلَ مِنْ إِخْوَانِهِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ . . سَأَلَ عَنْهُ ، فَإِنْ كَانَ غَائِباً . . دَعَا لَهُ ، وَإِنْ كَانَ شَاهِداً . . زَارَهُ ، وَإِنْ كَانَ مَرِيضاً . . عَادَهُ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُقْبِلُ عَلَىٰ أَصْحَابِهِ بِٱلْمُبَاسَطَةِ ؛ حَتَّىٰ يَظُنَّ كُلٌّ مِنْهُمْ أَنَّهُ أَعَزُّ عَلَيْهِ مِنْ جَمِيعِ أَصْحَابِهِ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعْطِي كُلَّ مَنْ جَلَسَ إِلَيْهِ نَصِيبَهُ مِنَ ٱلْبَشَاشَةِ ؛ حَتَّىٰ يَظُنَّ أَنَّهُ أَكْرَمُ ٱلنَّاسِ عَلَيْهِ .

وَعَنْ عَمْرِو بنِ ٱلْعَاصِي رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ قَالَ : كَانَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُقْبِلُ بِوَجْهِهِ وَحَدِيثِهِ عَلَىٰ أَشَرِّ ٱلْقَوْمِ يَتَأَلَّفُهُمْ بِذَلِكَ ، فَكَانَ يُقْبِلُ بِوَجْهِهِ وَحَدِيثِهِ عَلَيَّ حَتَّىٰ ظَنَنْتُ أَنِّي خَيْرُ ٱلْقَوْمِ . فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ ٱللهِ ؛ أَنَا خَيْرٌ ، أَوْ أَبُو بَكْرٍ ؟

فَقَالَ : « أَبُو بَكْرٍ » .

فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ ٱللهِ ؛ أَنَا خَيْرٌ ، أَمْ عُمَرُ؟!

فَقَالَ : « عُمَرُ » .

فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ ٱللهِ ؛ أَنَا خَيْرٌ ، أَمْ عُثْمَانُ؟

فَقَالَ : « عُثْمَانُ » .

فَلَمَّا سَأَلْتُ رَسُولَ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَصَدَقَنِي . . فَلَوَدِدْتُ أَنِّي لَمْ أَكُنْ سَأَلْتُهُ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعْطِي كُلَّ مَنْ جَلَسَ إِلَيْهِ نَصِيبَهُ مِنْ وَجْهِهِ ، حَتَّىٰ كَأَنَّ مَجْلِسَهُ وَسَمْعَهُ وَحَدِيثَهُ وَلَطِيفَ مَحَاسِنِهِ وَتَوَجُّهَهُ لِلْجَالِسِ إِلَيْهِ .

وَمَجْلِسُهُ مَعَ ذَلِكَ مَجْلِسُ حَيَاءٍ وَتَوَاضُعٍ وَأَمَانَةٍ .

قَالَ تَعَالَىٰ : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ﴾ [آل عمران : ١٥٩] .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يُوَاجِهُ أَحَداً فِي وَجْهِهِ بِشَيْءٍ يَكْرَهُهُ .

وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ ، عَنْ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَنَّهُ كَانَ عِنْدَهُ رَجُلٌ بِهِ أَثَرُ صُفْرَةٍ . قَالَ : وَكَانَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَكَادُ يُوَاجِهُ أَحَداً بِشَيْءٍ يَكْرَهُهُ ، فَلَمَّا قَامَ . . قَالَ لِلْقَوْمِ : « لَوْ قُلْتُمْ لَهُ يَدَعُ هَـٰذِهِ ٱلصُّفْرَةَ » .

قَالَ ٱلْبَاجُورِيُّ : (وَٱلْمُرَادُ أَنَّهُ لَا يَكَادُ يُوَاجِهُ أَحَداً بِمَكْرُوهٍ غَالِباً ، فَلَا يُنَافِي مَا ثَبَتَ عَنْ عَبْدِ ٱللهِ بْنِ عَمْرِو بنِ ٱلْعَاصِي أَنَّهُ قَالَ : رَأَىٰ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيَّ ثَوْبَيْنِ مُعَصْفَرَيْنِ فَقَالَ : « إِنَّ هَـٰذَيْنِ مِنْ ثِيَابِ ٱلْكُفَّارِ ، فَلَا تَلْبَسْهُمَا » .

وَفِي رِوَايَةٍ : قُلْتُ : أَغْسِلُهُمَا؟ قَالَ : « بَلِ أَحْرِقْهُمَا » .

وَلَعَلَّ ٱلْأَمْرَ بِٱلْإِحْرَاقِ مَحْمُولٌ عَلَى ٱلزَّجْرِ .

وَهَـٰذَا يَدُلُّ عَلَىٰ مَا عَلَيْهِ بَعْضُ ٱلْعُلَمَاءِ مِنْ تَحْرِيمِ ٱلْمُعَصْفَرِ ، وَٱلْجُمْهُورُ عَلَىٰ كَرَاهَتِهِ) اهـ

وَكَانَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يُوَاجِهُ أَحَداً بِمَكْرُوهٍ ، وَلَا يَتَعَرَّضُ فِي وَعْظِهِ لِأَحَدٍ مُعَيَّنٍ ، بَلْ يَتَكَلَّمُ خِطَاباً عَامّاً .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا بَلَغَهُ عَنِ ٱلرَّجُلِ ٱلشَّيْءُ . . لَمْ يَقُلْ : « مَا

بَالُ فُلَانٍ يَقُولُ ؟! » . وَلَـٰكِنْ يَقُولُ : « مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَقُولُونَ . . كَذَا وَكَذَا ؟! » .

وَكَانَتْ مُعَاتَبَتُهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَعْرِيضاً : « مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَشْتَرِطُونَ شُرُوطاً لَيْسَتْ فِي كِتَابِ ٱللهِ تَعَالَىٰ . . ؟! » وَنَحْوَ ذَٰلِكَ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا رَأَىٰ إِنْسَاناً يَفْعَلُ مَا لَا يَلِيقُ . . لَمْ يَدَعْ أَحَداً يُبَادِرُ إِلَى ٱلْإِنْكَارِ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَتَثَبَّتَ فِي أَمْرِهِ ، وَيُعَلِّمُهُ ٱلْأَدَبَ بِرِفْقٍ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَأْخُذُ بِٱلْقَرْفِ ، وَلَا يَقْبَلُ قَوْلَ أَحَدٍ عَلَىٰ أَحَدٍ .

وَ(ٱلْقَرْفُ) : ٱلتُّهَمَةُ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَثِيراً مَا يَقُولُ : « لَا تُبَلِّغُونِي عَنْ أَصْحَابِي إِلَّا خَيْراً ، فَإِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَخْرُجَ إِلَيْكُمْ وَأَنَا سَلِيمُ ٱلصَّدْرِ » .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا بَعَثَ أَحَداً مِنْ أَصْحَابِهِ فِي بَعْضِ أَمْرِهِ . . قَالَ : « بَشِّرُوا وَلَا تُنَفِّرُوا ، وَيَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا » .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا لَقِيَ أَصْحَابَهُ . . لَمْ يُصَافِحْهُمْ حَتَّىٰ يُسَلِّمَ عَلَيْهِمْ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا لَقِيَ أَحَداً مِنْ أَصْحَابِهِ . . صَافَحَهُ ، ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِهِ فَشَابَكَهُ ، ثُمَّ شَدَّ قَبْضَتَهُ عَلَيْهَا .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا لَقِيَهُ أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِهِ فَقَامَ مَعَهُ . . قَامَ مَعَهُ ، وَلَمْ يَنْصَرِفْ حَتَّىٰ يَكُونَ ٱلرَّجُلُ هُوَ ٱلَّذِي يَنْصَرِفُ عَنْهُ ، وَإِذَا لَقِيَهُ أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِهِ فَتَنَاوَلَ يَدَهُ . . نَاوَلَهُ إِيَّاهَا ، فَلَمْ يَنْزِعْ يَدَهُ مِنْهُ حَتَّىٰ يَكُونَ

ٱلرَّجُلُ هُوَ ٱلَّذِي يَنْزِعُ يَدَهُ مِنْهُ ، وَإِذَا لَقِيَ أَحداً مِنْ أَصْحَابِهِ فَتَنَاوَلَ أُذُنَهُ ـ أَيْ : لِيُكَلِّمَهُ سِرّاً ـ . نَاوَلَهُ إِيَّاهَا ؛ ثُمَّ لَمْ يَنْزِعْهَا عَنْهُ حَتَّىٰ يَكُونَ ٱلرَّجُلُ هُوَ ٱلَّذِي يَنْزِعُهَا عَنْهُ ؛ أَيْ : لَا يُنَحِّي أُذُنَهُ عَنْ فَمِهِ حَتَّىٰ يَفْرُغَ ٱلرَّجُلُ مِنْ حَدِيثِهِ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا لَقِيَهُ ٱلرَّجُلُ مِنْ أَصْحَابِهِ . . مَسَحَهُ وَدَعَا لَهُ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَدْعُوهُ أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِهِ ، أَوْ غَيْرِهِمْ . . إِلَّا قَالَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَبَّيْكَ » .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُكَنِّي أَصْحَابَهُ وَيَدْعُوهُمْ بِٱلْكُنَىٰ ، وَبِأَحَبِّ أَسْمَائِهِمْ ؛ إِكْرَاماً لَهُمْ ، وَٱسْتِمَالَةً لِقُلُوبِهِمْ ، وَيُكَنِّي مَنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ كُنْيَةٌ ، وَيُكَنِّي ٱلنِّسَاءَ ٱللَّاتِي لَهُنَّ ٱلْأَوْلَادُ ، وَٱللَّاتِي لَمْ يَلِدْنَ ؛ يَبْتَدِىءُ لَهُنَّ ٱلْكُنَىٰ ، وَيُكَنِّي ٱلصِّبْيَانَ ، فَيَسْتَلِينَ بِهِ قُلُوبَهُمْ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا مَرَّ عَلَى ٱلصِّبْيَانِ . . سَلَّم عَلَيْهِمْ ، ثُمَّ بَاسَطَهُمْ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ . . تُلُقِّيَ بِصِبْيَانِ أَهْلِ بَيْتِهِ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرْحَمَ ٱلنَّاسِ بِٱلصِّبْيَانِ وَٱلْعِيَالِ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُؤْتَىٰ بِٱلصِّبْيَانِ فَيُبَرِّكُ عَلَيْهِمْ ، وَيُحَنِّكُهُمْ ، وَيَدْعُو لَهُمْ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَزُورُ ٱلْأَنْصَارَ ، وَيُسَلِّمُ عَلَىٰ صِبْيَانِهِمْ ، وَيَمْسَحُ رُؤُوسَهُمْ .

وَعَنْ يُوسُفَ بْنِ عَبْدِ ٱللهِ بنِ سَلَامٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعالَىٰ عَنْهُمَا قَالَ : سَمَّانِي رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « يُوسُفَ » ، وَأَقْعَدَنِي فِي حِجْرِهِ ، وَمَسَحَ عَلَىٰ رَأْسِي .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُلَاعِبُ زَيْنَبَ بِنْتَ أُمِّ سَلَمَةَ ، وَيَقُولُ : « يَا زُوَيْنَبُ ؛ يَا زُوَيْنَبُ » (مِرَاراً) .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُرْكِبُ ٱلْحَسَنَ وَٱلْحُسَيْنَ عَلَىٰ ظَهْرِهِ ، وَيَمْشِي عَلَىٰ يَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ ، وَيَقُولُ : « نِعْمَ ٱلْجَمَلُ جَمَلُكُمَا ، وَنِعْمَ ٱلْعِدْلَانِ أَنْتُمَا » ، وَرُبَّمَا فَعَلَ ذَٰلِكَ بَيْنَهُمَا ، وَهُمَا عَلَى ٱلْأَرْضِ .

وَدَخَلَ ٱلْحَسَنُ ـ وَهُوَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ سَجَدَ ـ فَرَكِبَ عَلَىٰ ظَهْرِهِ ، فَأَبْطَأَ فِي سُجُودِهِ حَتَّىٰ نَزَلَ ٱلْحَسَنُ ، فَلَمَّا فَرَغَ . . قَالَ لَهُ بَعْضُ أَصْحَابِهِ : يَا رَسُولَ ٱللهِ ؛ قَدْ أَطَلْتَ سُجُودَكَ؟

قَالَ : « إِنَّ ٱبْنِي ٱرْتَحَلَنِي فَكَرِهْتُ أَنْ أَعْجَلَهُ » ؛ أَيْ : جَعَلَنِي كَٱلرَّاحِلَةِ ، فَرَكِبَ عَلَىٰ ظَهْرِي .

وَعَنِ ٱبْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ : كَانَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي وَٱلْحَسَنُ وَٱلْحُسَيْنُ يَلْعَبَانِ وَيَقْعُدَانِ عَلَىٰ ظَهْرِهِ .

وَكَانَ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ يَقُولُ : رَأَيْتُ رَسُولَ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَدْ أَخَذَ بِيَدِ ٱلْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ ، وَوَضَعَ رِجْلَيْهِ عَلَىٰ رُكْبَتَيْهِ وَهُوَ يَقُولُ : « تَرَقَّ . . تَرَقَّ ، عَيْنَ بَقَّهْ . . . حُزُقَّةٌ حُزُقَّهْ » .

قَالَ فِي « لِسَانِ ٱلْعَرَبِ » : (وَفِي ٱلْحَدِيثِ أَنَّ ٱلنَّبِيَّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ كَانَ يُرَقِّصُ ٱلْحَسَنَ أَوِ ٱلْحُسَيْنَ ؛ وَيَقُولُ : « حُزُقَّةٌ . . حُزُقَّهْ ، تَرَقَّ عَيْنَ بَقَّهْ » .

(ٱلْحُزُقَّةُ) : ٱلضَّعِيفُ ٱلَّذِي يُقَارِبُ خَطْوَهُ مِنْ ضَعْفٍ ، فَكَانَ يَرْقَىٰ حَتَّىٰ يَضَعَ قَدَمَيْهِ عَلَىٰ صَدْرِ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

قَالَ ٱبْنُ ٱلْأَثِيرِ : ذَكَرَهَا لَهُ عَلَىٰ سَبِيلِ ٱلْمُدَاعَبَةِ وَٱلتَّأْنِيسِ لَهُ .

وَ(تَرَقَّ) بِمَعْنَىٰ : ٱصْعَدْ .

وَ(عَيْنُ بَقَّةٍ) : كِنَايَةٌ عَنْ صِغَرِ ٱلْعَيْنِ) اهـ

وَكَانَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُكْرِمُ أَهْلَ ٱلْفَضْلِ فِي أَخْلَاقِهِمْ ، وَيَتَأَلَّفُ أَهْلَ ٱلشَّرَفِ بِٱلْإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ ، وَكَانَ يُكْرِمُ ذَوِي رَحِمِهِ ، وَيَصِلُهُمْ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُؤْثِرَهُمْ عَلَىٰ مَنْ هُوَ أَفْضَلُ مِنْهُمْ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُكْرِمُ بَنِي هَاشِمٍ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ أَشَدِّ ٱلنَّاسِ لُطْفاً بِٱلْعَبَّاسِ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُجِلُّ ٱلْعَبَّاسَ إِجْلَالَ ٱلْوَلَدِ لِلْوَالِدِ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَبْدَأُ مَنْ لَقِيَهُ بِٱلسَّلَامِ ، وَإِذا أَخَذَ بِيَدِهِ . . سَايَرَهُ حَتَّىٰ يَكُونَ ذَلِكَ هُوَ ٱلْمُنْصَرِفَ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا وَدَّعَ رَجُلاً . . أَخَذَ بِيَدِهِ ، فَلَا يَنْزِعُهَا حَتَّىٰ يَكُونَ ٱلرَّجُلُ هُوَ ٱلَّذِي يَدَعُ يَدَهُ ، وَيَقُولُ : « أَسْتَودِعُ ٱللهَ دِينَكَ ، وَأَمَانَتَكَ ، وَخَوَاتِيمَ عَمَلِكَ » .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَجْلِسُ إِلَيْهِ أَحَدٌ وَهُوَ يُصَلِّي . . إِلَّا خَفَّفَ

صَلاتَهُ وَأَقْبَلَ عَلَيْهِ فَقَالَ : « أَلَكَ حَاجَةٌ؟ » ، فَإِذا فَرَغَ . . عَادَ إِلَىٰ صَلاتِهِ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُكْرِمُ كُلَّ دَاخِلٍ عَلَيْهِ ، حَتَّىٰ رُبَّمَا بَسَطَ ثَوْبَهُ لِمَنْ لَيْسَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ قَرَابَةٌ وَلَا رَضَاعٌ ، يُجْلِسُهُ عَلَيْهِ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُؤْثِرُ ٱلدَّاخِلَ عَلَيْهِ بِٱلْوِسَادَةِ ٱلَّتِي تَكُونُ تَحْتَهُ فَإِنْ أَبَىٰ أَنْ يَقْبَلَهَا . . عَزَمَ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَقْبَلَ .

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ قَالَ : خَدَمْتُ رَسُولَ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَشْرَ سِنِينَ ، فَمَا قَالَ لِي : « أُفٍّ » قَطُّ ، وَمَا قَال لِشَيْءٍ صَنَعْتُهُ : « لِمَ صَنَعْتَهُ ؟ » ، وَلَا لِشَيْءٍ تَرَكْتُهُ : « لِمَ تَرَكْتَهُ ؟ » .

وَعَنْهُ أَيْضاً [رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ] قَالَ : خَدَمْتُ رَسُولَ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَا ٱبْنُ ثَمَانِ سِنِينَ ـ خَدَمْتُهُ عَشْرَ سِنِينَ ـ فَمَا لَامَنِي عَلَىٰ شَيْءٍ قَطُّ ، فَإِنْ لَامَنِي لَائِمٌ مِنْ أَهْلِهِ . . قَالَ : « دَعُوهُ ، فَإِنَّهُ لَوْ قُضِيَ شَيْءٌ . . كَانَ » .

وَفِي « ٱلْمَصَابِيحِ » : عَنْ أَنَسٍ [رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ] أَيْضاً : كَانَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ أَحْسَنِ ٱلنَّاسِ خُلُقاً ، فَأَرْسَلَنِي يَوْماً لِحَاجَةٍ ؛ فَقُلْتُ : وَٱللهِ لَا أَذْهَبُ ـ وَفِي نَفْسِي أَنْ أَذْهَبَ لِمَا أَمَرَنِي بِهِ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ فَخَرَجْتُ حَتَّىٰ أَمُرَّ عَلَىٰ صِبْيَانٍ وَهُمْ يَلْعَبُونَ فِي ٱلسُّوقِ ؛ فَإِذَا رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ قَبَضَ بِقَفَايَ مِنْ وَرَائِي . قَالَ : فَنَظَرْتُ إِلَيْهِ وَهُوَ يَضْحَكُ ، فَقَالَ : « يَا أُنَيْسُ ؛ أَذَهَبْتَ حَيْثُ أَمَرْتُكَ ؟ » ، قُلْتُ : نَعَمْ ، أَنَا أَذْهَبُ يَا رَسُولَ ٱللهِ .

وَعَنْ أَنَسٍ [رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ] أَيْضاً قَالَ : كُنْتُ أَمْشِي مَعَ ٱلنَّبِيِّ

صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَيْهِ بُرْدٌ نَجْرَانِيٌّ غَلِيظُ ٱلْحَاشِيَةِ ، فَأَدْرَكَهُ أَعْرَابِيٌّ فَجَبَذَهُ بِرِدَائِهِ جَبْذَةً شَدِيدَةً رَجَعَ نَبِيُّ ٱللهِ فِي نَحْرِ ٱلْأَعْرَابِيِّ ، حَتَّىٰ نَظَرْتُ إِلَىٰ صَفْحَةِ عَاتِقِ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ أَثَّرَتْ فِيهِ حَاشِيَةُ ٱلْبُرْدِ مِنْ شِدَّةِ جَبْذَتِهِ .

ثُمَّ قَالَ : يَا مُحَمَّدُ ؛ مُرْ لِي مِنْ مَالِ ٱللهِ ٱلَّذِي عِنْدَكَ ، فَٱلْتَفَتَ إِلَيْهِ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ثُمَّ ضَحِكَ ، ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِعَطَاءٍ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَيْناً لَيْناً ، لَيْسَ بِفَظٍّ وَلَا غَلِيظٍ .

وَعَنْ عَائِشَةَ أُمِّ ٱلْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ : لَمْ يَكُنْ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاحِشاً ، وَلَا مُتَفَحِّشاً ، وَلَا صَخَّاباً فِي ٱلْأَسْوَاقِ ، وَلَا يَجْزِي بِٱلسَّيِّئَةِ ٱلسَّيِّئَةَ ، وَلَـٰكِنْ يَعْفُو وَيَصْفَحُ .

وَ(ٱلصَّخَبُ) : شِدَّةُ ٱلصَّوْتِ .

وَفِي « ٱلْإِحْيَاءِ » : قَدْ وَصَفَهُ ٱللهُ تَعَالَىٰ فِي « ٱلتَّوْرَاةِ » قَبْلَ أَنْ يَبْعَثَهُ فَقَالَ : ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ ٱللهِ عَبْدِيَ ٱلْمُخْتَارُ ؛ لَا فَظٌّ ، وَلَا غَلِيظٌ ، وَلَا صَخَّابٌ فِي ٱلْأَسْوَاقِ ، وَلَا يَجْزِي بِٱلسَّيِّئَةِ ٱلسَّيِّئَةَ ، وَلَـٰكِنْ يَعْفُو وَيَصْفَحُ ، مَوْلِدُهُ بِمَكَّةَ ، وَهِجْرَتُهُ بِطَابَةَ ، وَمُلْكُهُ بِٱلشَّامِ ، يَأْتَزِرُ عَلَىٰ وَسَطِهِ ، هُوَ وَمَنْ مَعَهُ دُعَاةٌ لِلْقُرْآنِ وَٱلْعِلْمِ ، يَتَوَضَّأُ عَلَىٰ أَطْرَافِهِ﴾ .

وَكَذٰلِكَ نَعْتُهُ فِي « ٱلْإِنْجِيلِ » .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَجْفُو عَلَىٰ أَحَدٍ ، وَلَوْ فَعَلَ مَعَهُ مَا يُوجِبُ ٱلْجَفَاءَ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْبَلُ مَعْذِرَةَ ٱلْمُعْتَذِرِ إِلَيْهِ ، وَلَوْ فَعَلَ مَا فَعَلَ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذاَ آذَاهُ أَحَدٌ . . يُعْرِضُ عَنْهُ ، وَيَقُولُ : « رَحِمَ ٱللهُ أَخِي مُوسىٰ ، قَدْ أُوذِيَ بِأَكْثَرَ مِنْ هَـٰذَا فَصَبَرَ » .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَرَى ٱللَّعِبَ ٱلْمُبَاحَ فَلَا يُنْكِرُهُ ، وَتُرْفَعُ عَلَيْهِ ٱلْأَصْوَاتُ بِٱلْكَلَامِ ٱلْجَافِي ، فَيَحْتَمِلُهُ وَلَا يُؤَاخِذُ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا سُئِلَ أَنْ يَدْعُوَ عَلَىٰ أَحَدٍ . . عَدَلَ عَنِ ٱلدُّعَاءِ عَلَيْهِ وَدَعَا لَهُ .

وَمَا ضَرَبَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِيَدِهِ ٱمْرَأَةً وَلَا خَادِماً قَطُّ وَلَا غَيْرَهُمَا ؛ إِلَّا أَنْ يَكُونَ فِي ٱلْجِهَادِ .

قَالَ أَنَسٌ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ : كَانَ ٱلْخَادِمُ إِذَا أَغْضَبَهُ . . يَقُولُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَوْلَا خَشْيَةُ ٱلْقِصَاصِ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ . . لَأَوْجَعْتُكَ بِهَـٰذَا ٱلسِّوَاكِ » .

وَلَمَّا كُسِرَتْ رَبَاعِيَتُهُ[١] صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَشُجَّ وَجْهُهُ يَوْمَ أُحُدٍ . . شَقَّ ذَٰلِكَ عَلَىٰ أَصْحَابِهِ شَدِيداً ، وَقَالُوا : لَوْ دَعَوْتَ عَلَيْهِمْ ، فَقَالَ : « إِنِّي لَمْ أُبْعَثْ لَعَّاناً ؛ وَلَـٰكِنْ بُعِثْتُ دَاعِياً وَرَحْمَةً ، ٱللَّهُمَّ ٱهْدِ قَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ » .

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا قَالَتْ : مَا رَأَيْتُ رَسُولَ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ

---

(١) هي : السِّنُّ التي بين الثنية والنّاب .

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُنْتَصِراً مِنْ مَظْلَمَةٍ ظُلِمَهَا قَطُّ مَا لَمْ يُنْتَهَكْ مِنْ مَحَارِمِ ٱللهِ شَيْءٌ ، فَإِذَا ٱنْتُهِكَ مِنْ مَحَارِمِ ٱللهِ شَيْءٌ . . كَانَ مِنْ أَشَدِّهِمْ فِي ذَلِكَ غَضَباً . وَمَا خُيِّرَ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلَّا ٱخْتَارَ أَيْسَرَهُمَا ؛ مَا لَمْ يَكُنْ إِثْماً ، فَإِنْ كَانَ إِثْماً . . كَانَ أَبْعَدَ ٱلنَّاسِ مِنْهُ . وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَغْضَبُ لِنَفْسِهِ ، وَلَا يَنْتَقِمُ لَهَا ، وَإِنَّمَا يَغْضَبُ إِذَا ٱنْتُهِكَتْ حُرُمَاتُ ٱللهِ عَزَّ وَجَلَّ ؛ فَحِينَئِذٍ يَغْضَبُ ، وَلَا يَقُومُ لِغَضَبِهِ شَيْءٌ حَتَّىٰ يَنْتَصِرَ لِلْحَقِّ ، وَإِذَا غَضِبَ . . أَعْرَضَ وَأَشَاحَ .

وَٱلْقَرِيبُ وَٱلْبَعِيدُ وَٱلْقَوِيُّ وَٱلضَّعِيفُ . . عِنْدَهُ فِي ٱلْحَقِّ سَوَاءٌ .

قَوْلُهُ (أَشَاحَ) أَيْ : أَعْرَضَ بِوَجْهِهِ .

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا قَالَتْ : ٱسْتَأْذَنَ رَجُلٌ عَلَىٰ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَا عِنْدَهُ ، فَقَالَ : « بِئْسَ ٱبْنُ ٱلْعَشِيرَةِ » ، أَوْ « أَخُو ٱلْعَشِيْرَةِ » .

ثُمَّ أَذِنَ لَهُ ، فَلَمَّا دَخَلَ . . أَلَانَ لَهُ ٱلْقَوْلَ .

فَلَمَّا خَرَجَ . . قُلْتُ : يَا رَسُولَ ٱللهِ ؛ قُلْتَ مَا قُلْتَ ، ثُمَّ أَلَنْتَ لَهُ ٱلْقَوْلَ؟

فَقَالَ : « يَا عَائِشَةُ ؛ إِنَّ مِنْ شَرِّ ٱلنَّاسِ مَنْ تَرَكَهُ ٱلنَّاسُ ، أَوْ وَدَعَهُ ٱلنَّاسُ ٱتِّقَاءَ فُحْشِهِ » .

قَالَ فِي « ٱلْمَوَاهِبِ » : (هَـٰذَا ٱلرَّجُلُ هُوَ عُيَيْنَةُ بْنُ حِصْنٍ ٱلْفَزَارِيُّ ، وَكَانَ يُقَالُ لَهُ : (ٱلْأَحْمَقُ ٱلْمُطَاعُ) .

وَقَدْ كَانَتْ مِنْهُ فِي حَيَاةِ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبَعْدَهُ أُمُورٌ تَدُلُّ عَلَىٰ

ضَعْفِ إِيمَانِهِ ، فَيَكُونُ مَا وَصَفَهُ بِهِ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ مِنْ عَلَامَاتِ ٱلنُّبُوَّةِ .

وَأَمَّا إِلَانَةُ ٱلْقَوْلِ بَعْدَ أَنْ دَخَلَ . . فَعَلَىٰ سَبِيلِ ٱلِٱئْتِلَافِ وَٱلْمُدَارَاةِ . وَهِيَ مُبَاحَةٌ ، وَرُبَّمَا ٱسْتُحْسِنَتْ بِخِلَافِ ٱلْمُدَاهَنَةِ .

وَٱلْفَرْقُ بَيْنَهُمَا أَنَّ **ٱلْمُدَارَاةَ** : بَذْلُ ٱلدُّنْيَا لِصَلَاحِ ٱلدُّنْيَا أَوِ ٱلدِّينِ ، أَوْ هُمَا مَعاً .

وَ**ٱلْمُدَاهَنَةُ** : بَذْلُ ٱلدِّينِ لَصَلَاحِ ٱلدُّنْيَا .

وَٱلنَّبِيُّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّمَا بَذَلَ لَهُ مِنْ دُنْيَاهُ حُسْنَ عِشْرَتِهِ وَٱلرِّفْقَ فِي مُكَالَمَتِهِ ، وَمَعَ ذَلِكَ فَلَمْ يَمْدَحْهُ بِقَوْلٍ ، فَلَمْ يُنَاقِضْ قَوْلُهُ فِيهِ فِعْلَهُ ، فَإِنَّ قَوْلَهُ فِيهِ حَقٌّ ، وَفِعْلَهُ مَعَهُ حُسْنُ عِشْرَةٍ ، وَقَدِ ٱرْتَدَّ عُيَيْنَةُ فِي زَمَنِ ٱلصِّدِّيقِ وَحَارَبَ ، ثُمَّ رَجَعَ وَأَسْلَمَ ، وَحَضَرَ بَعْضَ ٱلْفُتُوحِ فِي عَهْدِ عُمَرَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ) اهـ

وَقَالَ ٱبْنُ ٱلْأَثِيرِ فِي كِتَابِهِ « أُسْدُ ٱلْغَابَةِ » ، فِي آخِرِ تَرْجَمَةِ مَخْرَمَةَ بْنِ نَوْفَلٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ : (رَوَى ٱلنَّضْرُ بْنُ شُمَيْلٍ قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو عَامِرٍ ٱلْخَزَّازُ ، عَنْ أَبِي يَزِيدَ ٱلْمَدَنِيِّ ، عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ : جَاءَ مَخْرَمَةُ بْنُ نَوْفَلٍ ، فَلَمَّا سَمِعَ ٱلنَّبِيُّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَوْتَهُ . . قَالَ : « بِئْسَ أَخُو ٱلْعَشِيرَةِ » . فَلَمَّا جَاءَ . . أَدْنَاهُ ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ ٱللهِ ؛ قُلْتَ لَهُ مَا قُلْتَ[١] ، ثُمَّ أَلَنْتَ لَهُ ٱلْقَوْلَ؟

---

(١) أي : لأجله وفي شأنه ، لا أنه خاطبه مباشرة ؛ لفساد المعنى .

فقَالَ : « يَا عَائِشَةُ ؛ إِنَّ مِنْ شَرِّ ٱلنَّاسِ مَنْ تَرَكَهُ ٱلنَّاسُ ٱتِّقَاءَ فُحْشِهِ » . أَخْرَجَهُ ٱلثَّلَاثَةُ .

قَالَ : وَكَانَ مَخْرَمَةُ هَـٰذَا مِنْ ٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ ، وَكَانَ فِي لِسَانِهِ فَظَاظَةٌ ، وَكَانَ ٱلنَّبِيُّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَّقِي لِسَانَهُ) اهـ

وَٱلظَّاهِرُ أَنَّ مَاذكَرَهُ ٱبْنُ ٱلْأَثِيرِ مِنْ أَنَّ صَاحِبَ هَـٰذِهِ ٱلْقِصَّةِ هُوَ مَخْرَمَةُ بْنُ نَوْفَلٍ هُوَ ٱلصَّحِيحُ ، أَوْ : تَكَرَّرَتْ .

وَعَنِ ٱلْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ [رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ] قَالَ : قَالَ ٱلْحُسَيْنُ : سَأَلْتُ أَبِي عَنْ سِيرَةِ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي جُلَسَائِهِ . . فَقَالَ :

كَانَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَائِمَ ٱلْبِشْرِ ، سَهْلَ ٱلْخُلُقِ ، لَيِّنَ ٱلْجَانِبِ ، لَيْسَ بِفَظٍّ وَلَا غَلِيظٍ ، وَلَا صَخَّابٍ وَلَا فَحَّاشٍ ، وَلَا عَيَّابٍ ، وَلَا مُشَاحٍّ ، يَتَغَافَلُ عَمَّا لَا يَشْتَهِي ؛ وَلَا يُؤْيِسُ مِنْهُ ، وَلَا يُجِيبُ فِيهِ ، قَدْ تَرَكَ نَفْسَهُ مِنْ ثَلَاثٍ : ٱلْمِرَاءُ ، وَٱلْإِكْثَارُ ، وَمَا لَا يَعْنِيهِ ، وَتَرَكَ ٱلنَّاسَ مِنْ ثَلَاثٍ : كَانَ لَا يَذُمُّ أَحَداً ، وَلَا يَعِيبُهُ ؛ وَلَا يَطْلُبُ عَوْرَتَهُ ، وَلَا يَتَكَلَّمُ إِلَّا فِيمَا رَجَا ثَوَابَهُ ، وَإِذَا تَكَلَّمَ . . أَطْرَقَ جُلَسَاؤُهُ كَأَنَّمَا عَلَىٰ رُؤُوسِهِمُ ٱلطَّيْرُ ، فَإِذَا سَكَتَ . . تَكَلَّمُوا ، لَا يَتَنَازَعُونَ عِنْدَهُ ٱلْحَدِيثَ ، وَمَنْ تَكَلَّمَ عِنْدَهُ . . أَنْصَتُوا لَهُ حَتَّىٰ يَفْرُغَ ، حَدِيثُهُمْ عِنْدَهُ حَدِيثُ أَوَّلِهِمْ ، يَضْحَكُ مِمَّا يَضْحَكُونَ مِنْهُ ، وَيَتَعَجَّبُ مِمَّا يَتَعَجَّبُونَ مِنْهُ ، وَيَصْبِرُ لِلْغَرِيبِ عَلَى ٱلْجَفْوَةِ فِي مَنْطِقِهِ وَمَسْأَلَتِهِ حَتَّىٰ أَنْ كَانَ أَصْحَابُهُ لَيَسْتَجْلِبُونَهُمْ ، وَيَقُولُ : « إِذَا رَأَيْتُمْ طَالِبَ حَاجَةٍ يَطْلُبُهَا . . فَٱرْفُدُوهُ »(١) .

---

(١) **ٱرفدوه** : أعينوه علىٰ حاجته وساعدوه حتىٰ يصل إليها .

وَلَا يَقْبَلُ ٱلثَّنَاءَ إِلَّا مِنْ مُكَافِئٍ ، وَلَا يَقْطَعُ عَلَىٰ أَحَدٍ حَدِيثَهُ حَتَّىٰ يَجُوزَ[1] فَيَقْطَعُهُ بِنَهْيٍ ، أَوْ قِيَامٍ .

وَأَمَّا حِلْمُ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

فَقَدْ كَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحْلَمَ ٱلنَّاسِ ، وَأَرْغَبَهُمْ فِي ٱلْعَفْوِ مَعَ ٱلْقُدْرَةِ ، حَتَّىٰ أُتِيَ بِقَلَائِدَ مِنَ ذَهَبٍ أَوْ فِضَّةٍ ، فَقَسَمَهَا بَيْنَ أَصْحَابِهِ ، فَقَالَ أَعْرَابِيٌّ : مَا أَرَاكَ تَعْدِلُ ، قَالَ : « وَيْحَكَ فَمَنْ يَعْدِلُ عَلَيْكَ بَعْدِي ؟! » ، فَلَمَّا وَلَّىٰ . . قَالَ : « رُدُّوهُ عَلَيَّ رُوَيْداً » .

وَكَانَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْبِضُ لِلنَّاسِ يَوْمَ [حُنَيْنٍ][2] ، مِنْ فِضَّةٍ فِي ثَوْبِ بِلَالٍ ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ : يَا رَسُولَ ٱللهِ ؛ ٱعْدِلْ .

فَقَالَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « وَيْحَكَ ؛ فَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ أَعْدِلْ ؟! فَقَدْ خِبْتُ إِذاً وَخَسِرْتُ إِنْ كُنْتُ لَا أَعْدِلُ » .

فَقَامَ عُمَرُ فَقَالَ : أَلَا أَضْرِبُ عُنُقَهُ ؟ فَإِنَّهُ مُنَافِقٌ .

فَقَالَ : « مَعَاذَ ٱللهِ أَنْ يَتَحَدَّثَ ٱلنَّاسُ أَنِّي أَقْتُلُ أَصْحَابِي » .

وَقَسَمَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قِسْمَةً ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ ٱلْأَنْصَارِ : هَـٰذِهِ قِسْمَةٌ مَا أُرِيدَ بِهَا وَجْهُ ٱللهِ تَعَالَىٰ .

فَذُكِرَ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . . فَٱحْمَرَّ وَجْهُهُ وَقَالَ : « رَحِمَ ٱللهُ أَخِي مُوسَىٰ ، قَدْ أُوذِيَ بِأَكْثَرَ مِنْ هَـٰذَا فَصَبَرَ » .

---

(١) أي : يتجاوز الحد أو الحق .

(٢) في نسخة : خيبر .

وَبَالَ أَعْرَابِيٌّ فِي ٱلْمَسْجِدِ بِحَضْرَتِهِ ، فَهَمَّ بِهِ أَصْحَابُهُ ، فَقَالَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَا تُزْرِمُوهُ » ؛ أَيْ : لَا تَقْطَعُوا عَلَيْهِ ٱلْبَوْلَ .

ثُمَّ قَالَ لَهُ : « إِنَّ هَـٰذِهِ ٱلْمَسَاجِدَ لَا تَصْلُحُ لِشَيْءٍ مِنَ ٱلْقَذَرِ وَٱلْبَوْلِ وَٱلْخَلَاءِ » .

وَفِي رِوَايَةٍ : « قَرِّبُوا وَلَا تُنَفِّرُوا » .

وَجَاءَ أَعْرَابِيٌّ يَطْلُبُ مِنْهُ شَيْئاً ، فَأَعْطَاهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ : « أَحْسَنْتُ إِلَيْكَ؟ » .

قَالَ ٱلْأَعْرَابِيُّ : لَا ، وَلَا أَجْمَلْتَ .

فَغَضِبَ ٱلْمُسْلِمُونَ ، وَقَامُوا إِلَيْهِ . فَأَشَارَ إِلَيْهِمْ أَنْ كُفُّوا .

ثُمَّ قَامَ وَدَخَلَ مَنْزِلَهُ ، وَأَرْسَلَ إِلَى ٱلْأَعْرَابِيِّ وَزَادَهُ شَيْئاً ، ثُمَّ قَالَ لَهُ : « أَحْسَنْتُ إِلَيْكَ ؟ » .

قَالَ : نَعَمْ ، فَجَزَاكَ ٱللهُ مِنْ أَهْلٍ وَعَشِيرَةٍ خَيْراً .

فَقَالَ لَهُ ٱلنَّبِيُّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّكَ قُلْتَ مَا قُلْتَ وَفِي نَفْسِ أَصْحَابِي شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ ، فَإِنْ أَحْبَبْتَ فَقُلْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ مَا قُلْتَ بَيْنَ يَدَيَّ حَتَّىٰ يَذْهَبَ مِنْ صُدُورِهِمْ مَا فِيهَا عَلَيْكَ » .

قَالَ : نَعَمْ .

فَلَمَّا كَانَ ٱلْغَدُ أَوِ ٱلْعَشِيُّ . . جَاءَ فَقَالَ ٱلنَّبِيُّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّ هَـٰذَا ٱلْأَعْرَابِيَّ قَالَ مَا قَالَ ، فَزِدْنَاهُ فَزَعَمَ أَنَّهُ رَضِيَ ذَلِكَ ، أَكَذَلِكَ ؟ » .

قَالَ : نَعَمْ ، فَجَزَاكَ ٱللهُ مِنْ أَهْلٍ وَعَشِيرَةٍ خَيْراً .

فَقَالَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلَ هَـٰذَا ٱلْأَعْرَابِيِّ كَمَثَلِ رَجُلٍ كَانَتْ لَهُ نَاقَةٌ شَرَدَتْ عَلَيْهِ فَٱتَّبَعَهَا ٱلنَّاسُ ؛ فَلَمْ يَزِيدُوهَا إِلَّا نُفُوراً فَنَادَاهُمْ صَاحِبُ ٱلنَّاقَةِ : خَلُّوا بَيْنِي وَبَيْنَ نَاقَتِي ، فَإِنِّي أَرْفَقُ بِهَا وَأَعْلَمُ ، فَتَوَجَّهَ لَهَا صَاحِبُ ٱلنَّاقَةِ بَيْنَ يَدَيْهَا ، فَأَخَذَ لَهَا مِنْ قُمَامِ ٱلْأَرْضِ فَرَدَّهَا هَوْناً هَوْناً حَتَّىٰ جَاءَتْ وَٱسْتَنَاخَتْ وَشَدَّ عَلَيْهَا رَحْلَهَا وَٱسْتَوَىٰ عَلَيْهَا ، وَإِنِّي لَوْ تَرَكْتُكُمْ حَيْثُ قَالَ ٱلرَّجُلُ مَا قَالَ فَقَتَلْتُمُوهُ دَخَلَ ٱلنَّارَ » .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ قَالَ : كُنْتُ مَعَ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَيْهِ بُرْدٌ غَلِيظُ ٱلْحَاشِيَةِ ، فَجَذَبَهُ أَعْرَابِيٌّ بِرِدَائِهِ جَبْذَةً شَدِيدَةً حَتَّىٰ أَثَّرَتْ حَاشِيَةُ ٱلْبُرْدِ عَلَىٰ صَفْحَةِ عَاتِقِهِ ، ثُمَّ قَالَ : يا مُحَمَّدُ ؛ أَحْمِلْ لِي عَلَىٰ بَعِيرَيَّ هَـٰذَيْنِ مِنْ مَالِ ٱللهِ ٱلَّذِي عِنْدَكَ ، فَإِنَّكَ لَا تَحْمِلُ لِي مِنْ مَالِكَ وَلَا مِنْ مَالِ أَبِيكَ .

فَسَكَتَ ٱلنَّبِيُّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ قَالَ : « اَلْمَالُ مَالُ ٱللهِ ، وَأَنَا عَبْدُهُ » ، ثُمَّ قَالَ : « وَيُقَادُ مِنْكَ يَا أَعْرَابِيُّ[1] مَا فَعَلْتَ بِي » . قَالَ : لَا . قَالَ : « لِمَ ؟ » ، قَالَ : لِأَنَّكَ لَا تُكَافِئُ بِٱلسَّيِّئَةِ ٱلسَّيِّئَةَ .

فَضَحِكَ ٱلنَّبِيُّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ثُمَّ أَمَرَ أَنْ يُحْمَلَ لَهُ عَلَىٰ بَعِيرٍ شَعِيرٌ وَعَلَى ٱلْآخَرِ تَمْرٌ .

وَرَوَى ٱلطَّبَرَانِيُّ وَٱبْنُ حِبَّانَ وَٱلْحَاكِمُ وَٱلْبَيْهَقِيُّ عَنْ زَيْدِ بْنِ سَعْنَةَ ـ وَهُوَ كَمَا قَالَ ٱلنَّوَوِيُّ رَحِمَهُ ٱللهُ تَعَالَىٰ : أَجَلُّ أَحْبَارِ ٱلْيَهُودِ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا ـ أَنَّهُ

---

(١) أي : أَتُجازىٰ علىٰ تركِ أدبك .

قَالَ : لَمْ يَبْقَ مِنْ عَلَامَاتِ ٱلنُّبُوَّةِ شَيْءٌ إِلَّا وَقَدْ عَرَفْتُهُ فِي وَجْهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ نَظَرْتُ إِلَيْهِ ، إِلَّا ٱثْنَتَيْنِ لَمْ أَخْبُرْهُمَا[1] مِنْهُ :
١ـ يَسْبِقُ حِلْمُهُ جَهْلَهُ ، ٢ـ وَلَا تَزِيدُهُ شِدَّةُ ٱلْجَهْلِ عَلَيْهِ إِلاَّ حِلْماً .

فَكُنْتُ أَتَلَطَّفُ لَهُ لِأَنْ أُخَالِطَهُ فَأَعْرِفَ حِلْمَهُ وَجَهْلَهُ ، فَٱبْتَعْتُ مِنْهُ تَمْراً إِلَىٰ أَجَلٍ ، فَأَعْطَيْتُهُ ٱلثَّمَنَ ، فَلَمَّا كَانَ قَبْلَ مَحِلِّ[2] ٱلْأَجَلِ بِيَوْمَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةٍ . . أَتَيْتُهُ فَأَخَذْتُ بِمَجَامِعِ قَمِيصِهِ وَرِدَائِهِ [عَلَىٰ عُنُقِهِ] ، وَنَظَرْتُ إِلَيْهِ بِوَجْهٍ غَلِيظٍ ، ثُمَّ قُلْتُ : أَلَا تَقْضِينِي يَا مُحَمَّدُ حَقِّي ؟! [فَوَٱللهِ] إِنَّكُمْ يَا بَنِي عَبْدِ ٱلْمُطَّلِبِ مُطُلٌ .

فَقَالَ عُمَرُ : أَيْ عَدُوَّ ٱللهِ ؛ أَتَقُولُ لِرَسُولِ ٱللهِ مَا أَسْمَعُ ، فَوَٱللهِ لَوْلَا مَا أُحَاذِرُ [فَوْتَهُ][3] . . لَضَرَبْتُ بِسَيْفِي رَأْسَكَ .

وَرَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَنْظُرُ إِلَىٰ عُمَرَ بِسُكُونٍ وَتُؤَدَةٍ ، وَتَبَسَّمَ .

ثُمَّ قَالَ : « أَنَا وَهُوَ كُنَّا أَحْوَجَ إِلَىٰ غَيْرِ هَـٰذَا مِنْكَ يَا عُمَرُ ؛ أَنْ تَأْمُرَنِي بِحُسْنِ [ٱلْأَدَاءِ] ، وَأَنْ تَأْمُرَهُ بِحُسْنِ [ٱلتِّبَاعَةِ] ، ٱذْهَبْ بِهِ يَا عُمَرُ ؛ فَٱقْضِهِ حَقَّهُ وَزِدْهُ عِشْرِينَ صَاعاً مَكَانَ مَا رَوَّعْتَهُ » . فَفَعَلَ .

فَقُلْتُ : يَا عُمَرُ ؛ كُلُّ عَلَامَاتِ ٱلنُّبُوَّةِ قَدْ عَرَفْتُهَا فِي وَجْهِ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَمَا نَظَرْتُ إِلَيْهِ ، إِلَّا ٱثْنَتَيْنِ لَمْ أَخْتَبِرْهُمَا : يَسْبِقُ

---

(١) في نسخة : لم أجدهما .
(٢) أي : وقت .
(٣) وهو : بقاء الصلح بين المسلمين وبين قومه .

حِلْمُهُ جَهْلَهُ ، وَلَا يَزِيدُهُ شِدَّةُ ٱلْجَهْلِ [عَلَيْهِ] إِلَّا حِلْماً ، فَقَدِ ٱخْتَبَرْتُهُمَا ، فَأُشْهِدُكَ أَنِّي قَدْ رَضِيتُ بِٱللهِ رَبّاً ؛ وَبِٱلْإِسْلَامِ دِيناً ، وَبِمُحَمَّدٍ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَبِيّاً .

قَالَ ٱلْقَاضِي عِيَاضٌ فِي « ٱلشِّفَا » : (وَحَسْبُكَ مَا ذَكَرْنَاهُ مِمَّا فِي « ٱلصَّحِيحِ » وَٱلْمُصَنَّفَاتِ ٱلثَّابِتَةِ ، مِمَّا بَلَغَ مُتَوَاتِراً مَبْلَغَ ٱلْيَقِينِ : مِنْ صَبْرِهِ عَلَىٰ مُقَاسَاةِ قُرَيْشٍ ، وَأَذَى ٱلْجَاهِلِيَّةِ ، وَمُصَابَرَةِ ٱلشَّدَائِدِ ٱلصَّعْبَةِ مَعَهُمْ ، إِلَىٰ أَنْ أَظْفَرَهُ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَلَيْهِمْ ـ يَعْنِي : بِفَتْحِ مَكَّةَ ـ وَحَكَّمَهُ فِيهِمْ وَهُمْ لَا يَشُكُّونَ فِي ٱسْتِئْصَالِ شَأْفَتِهِمْ[1] ، وَإِبَادَةِ خَضْرَائِهِمْ ـ أَيْ : إِهْلَاكِ جَمَاعَتِهِمْ ـ فَمَا زَادَ عَلَىٰ أَنْ عَفَا وَصَفَحَ ، وَقَالَ : « مَا تَقُولُونَ أَنِّي فَاعِلٌ بِكُمْ؟ » ، قَالُوا : خَيْراً ؛ أَخٌ كَرِيمٌ ، وَٱبْنُ أَخٍ كَرِيمٍ ، فَقَالَ : « اِذْهَبُوا ؛ فَأَنْتُمُ ٱلطُّلَقَاءُ » .

وَقَالَ أَنَسٌ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ : هَبَطَ ثَمَانُونَ رَجُلاً مِنَ ٱلتَّنْعِيمِ صَلَاةَ ٱلصُّبْحِ لِيَقْتُلُوا رَسُولَ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَأُخِذُوا ، فَأَعْتَقَهُمْ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَأَنْزَلَ ٱللهُ تَعَالَىٰ : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴾ [الفتح : ٢٤] .

وَقَالَ [صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ] لِأَبِي سُفْيَانَ ـ وَقَدْ سِيقَ إِلَيْهِ بَعْدَ أَنْ جَلَبَ عَلَيْهِ ٱلْأَحْزَابَ ، وقَتَلَ عَمَّهُ وَأَصْحَابَهُ وَمَثَّلَ بِهِمْ ، فَعَفَا عَنْهُ ، وَلَاطَفَهُ فِي ٱلْقَوْلِ ـ وَقَالَ : « وَيْحَكَ يَا أَبَا سُفْيَانَ! أَلَمْ يَأْنِ لَكَ أَنْ تَعْلَمَ أَنْ لَا إِلَـٰهَ

---

(١) أي : إزالتهم من أصلهم .

إِلَّا ٱللهُ ؟! » ، فقالَ : بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي ، مَا أَحْلَمَكَ ، وَأَوْصَلَكَ ، وَأَكْرَمَكَ) .

وَقَالَ ٱلْإِمَامُ ٱلنَّوَوِيُّ فِي « ٱلتَّهْذِيبِ » : (قَدْ جَمَعَ ٱللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لَهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَمَالَ ٱلْأَخْلَاقِ ، وَمَحَاسِنَ ٱلشِّيَمِ ، وَآتَاهُ عِلْمَ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْآخِرِينَ ، وَمَا فِيهِ ٱلنَّجَاةُ وَٱلْفَوْزُ ؛ وَهُوَ أُمِّيٌّ لَا يَقْرَأُ وَلَا يَكْتُبُ ، وَلَا مُعَلِّمَ لَهُ مِنَ ٱلْبَشَرِ ، وَآتَاهُ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَداً مِنَ ٱلْعَالَمِينَ ، وَٱخْتَارَهُ عَلَىٰ جَمِيعِ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْآخِرِينَ ، وَأَعْطَاهُ مَفَاتِيحَ خَزَائِنِ ٱلْأَرْضِ كُلِّهَا ؛ فَأَبَىٰ أَنْ يَأْخُذَهَا ، وَٱخْتَارَ ٱلْآخِرَةَ عَلَيْهَا ، وَكَانَ كَمَا وَصَفَهُ ٱللهُ تَعَالَىٰ : ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة : ١٢٨]) اهـ

* * *

الفَصْلُ الثَّانِي

في صفة عشرته صلى الله عليه وسلم مع نسائه رضي الله تعالى عنهن

كَانَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا خَلَا بِنِسَائِهِ . أَلْيَنَ ٱلنَّاسِ ، وَأَكْرَمَ ٱلنَّاسِ ، ضَحَّاكاً بَسَّاماً .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ أَفْكَهِ ٱلنَّاسِ .

قَالَ ٱلْمُنَاوِيُّ : (أَيْ : مِنْ أَمْزَحِهِمْ إِذَا خَلَا بِنَحْوِ أَهْلِهِ) .

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا قَالَتْ : حَدَّثَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ لَيْلَةٍ نِسَاءَهُ حَدِيثاً ، فَقَالَتِ ٱمْرَأَةٌ مِنْهُنَّ : كَأَنَّ ٱلْحَدِيثَ حَدِيثُ خُرَافَةَ .

فَقَالَ : « أَتَدْرُونَ مَا خُرَافَةُ؟ إِنَّ خُرَافَةَ كَانَ رَجُلاً مِنْ عُذْرَةَ ، أَسَرَتْهُ ٱلْجِنُّ فِي ٱلْجَاهِلِيَّةِ ، فَمَكَثَ فِيهِمْ دَهْراً ، ثُمَّ رَدُّوهُ إِلَى ٱلْإِنْسِ ، فَكَانَ يُحَدِّثُ ٱلنَّاسَ بِمَا رَأَىٰ مِنَ ٱلْأَعَاجِيبِ ، فَقَالَ ٱلنَّاسُ : (حَدِيثُ خُرَافَةَ) » .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَثِيراً مَا يُقَبِّلُ عُرْفَ ٱبْنَتِهِ فَاطِمَةَ ٱلزَّهْرَاءِ ،

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَثِيراً مَا يُقَبِّلُهَا فِي فَمِهَا أَيْضاً .

وَ(ٱلْعُرْفُ) : أَعْلَى ٱلرَّأْسِ ، وَيُطْلَقُ عَلَى ٱلرَّقَبَةِ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَ أَصْحَابِهِ وَأَزْوَاجِهِ كَوَاحِدٍ مِنْهُمْ ، وَكَانَ حَسَنَ ٱلْمُعَاشَرَةِ .

وَكَانَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا تَقُولُ : كُنْتُ إِذَا هَوِيتُ شَيْئاً . . تَابَعَنِي صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ . وَكُنْتُ إِذَا شَرِبْتُ مِنَ ٱلْإِنَاءِ . . أَخَذَهُ فَوَضَعَ فَمَهُ عَلَىٰ مَوْضِعِ فَمِي وَشَرِبَ ، وَكَانَ يَنْهَشُ فَضْلَتِي مِنَ ٱللَّحْمِ ٱلَّذِي عَلَى ٱلْعَظْمِ ، وَكَانَ يَتَّكِئُ فِي حِجْرِي وَيَقْرَأُ ٱلْقُرْآنَ .

وَحَدَّثَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا رَسُولَ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِحَدِيثِ أُمِّ زَرْعٍ ؛ وَهُوَ : أَنَّ إِحْدَىٰ عَشْرَةَ ٱمْرَأَةً تَعَاهَدْنَ وَتَعَاقَدْنَ أَنْ لَا يَكْتُمْنَ مِنْ أَخْبَارِ أَزْوَاجِهِنَّ شَيْئاً ، فَوَصَفَتْ كُلُّ وَاحِدَةٍ زَوْجَهَا ، فَكَانَتْ أَحْسَنَهُنَّ وَصْفاً لِزَوْجِهَا وَأَكْثَرَهُنَّ تَعْدَاداً لِنِعَمِهِ عَلَيْهَا : زَوْجَةُ أَبِي زَرْعٍ .

قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا : فَقَالَ لِي رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « كُنْتُ لَكِ كَأَبِي زَرْعٍ لِأُمِّ زَرْعٍ » .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُسَرِّبُ(١) إِلَىٰ عَائِشَةَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا بَنَاتِ ٱلْأَنْصَارِ يَلْعَبْنَ مَعَهَا .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُرِيهَا ٱلْحَبَشَةَ ؛ وَهُمْ يَلْعَبُونَ فِي ٱلْمَسْجِدِ ، وَهِيَ مُتَّكِئَةٌ عَلَىٰ مَنْكِبِهِ .

---

(١) **يسرِّب** : يرسل .

وَرُوِيَ : أَنَّهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَابقَهَا ، فَسَبقَتْهُ ، ثُمَّ سَابقَهَا بَعْدَ ذَلِكَ ، فَسَبقَهَا وَقَالَ : « هَـٰذِهِ بِتِلْكَ » .

وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ : أَنَّهُمْ كَانُوا يَوْماً عِنْدَ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَيْتِ عَائِشَةَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا ، إِذْ أُتِيَ بِصَحْفَةِ خُبْزٍ وَلَحْمٍ مِنْ بَيْتِ أُمِّ سَلَمَةَ ، فَوُضِعَتْ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : « ضَعُوا أَيْدِيَكُمْ » ، فَوَضَعَ نَبِيُّ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [يَدَهُ] ، وَوَضَعْنَا أَيْدِيَنَا ، فَأَكَلْنَا وَعَائِشَةُ تَصْنَعُ طَعَاماً عَجَّلَتْهُ ، وَقَدْ رَأَتْ ٱلصَّحْفَةَ ٱلَّتِي أُتِيَ بِهَا ، فَلَمَّا فَرَغَتْ مِنْ طَعَامِهَا . . جَاءَتْ بِهِ فَوَضَعَتْهُ ، وَرَفَعَتْ صَحْفَةَ أُمِّ سَلَمَةَ فَكَسَرَتْهَا ، فَقَالَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « كُلُوا بِٱسْمِ ٱللهِ ؛ غَارَتْ أُمُّكُمْ » . ثُمَّ أَعْطَىٰ صَحْفَتَهَا أُمَّ سَلَمَةَ ؛ فَقَالَ : « طَعَامٌ مَكَانَ طَعَامٍ ، وَإِنَاءٌ مَكَانَ إِنَاءٍ » . رَوَاهُ ٱلطَّبَرَانِيُّ فِي « ٱلصَّغِيرِ » .

وَهُوَ عِنْدَ ٱلْبُخَارِيِّ بِلَفْظِ : كَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ بَعْضِ نِسَائِهِ ، فَأَرْسَلَتْ إِحْدَىٰ أُمَّهَاتِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِصَحْفَةٍ فِيهَا طَعَامٌ ، فَضَرَبَتِ ٱلَّتِي [ٱلنَّبِيُّ] فِي بَيْتِهَا يَدَ ٱلْخَادِمِ ، فَسَقَطَتِ ٱلصَّحْفَةُ فَٱنْفَلَقَتْ ، فَجَمَعَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِلَقَ ٱلصَّحْفَةِ ، ثُمَّ جَعَلَ يَجْمَعُ فِيهَا ٱلطَّعَامَ ٱلَّذِي كَانَ فِي ٱلصَّحْفَةِ وَيَقُولُ : « غَارَتْ أُمُّكُمْ » ، ثُمَّ حَبَسَ ٱلْخَادِمَ ، حَتَّىٰ أُتِيَ بِصَحْفَةٍ مِنْ عِنْدِ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا ، فَدَفَعَ ٱلصَّحْفَةَ إِلَى ٱلَّتِي كُسِرَتْ صَحْفَتُهَا ، وَأَمْسَكَ ٱلْمَكْسُورَةَ فِي بَيْتِ ٱلَّتِي كَسَرَتْ .

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا : أَتَيْتُ ٱلنَّبِيَّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِخَزِيرَةٍ طَبَخْتُهَا لَهُ ، وَقُلْتُ لِسَوْدَةَ وَٱلنَّبِيُّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنِي

وَبَيْنَهَا ؛ فَقُلْتُ لَهَا : كُلِي ، فَأَبَتْ ، فَقُلْتُ لَهَا : كُلِي ، فَأَبَتْ ، فَقُلْتُ لَهَا : لَتَأْكُلِينَ ، أَوْ لأُلَطِّخَنَّ بِهَا وَجْهَكِ ، فَأَبَتْ ، فَوَضَعْتُ يَدِي فِي ٱلْخَزِيرَةِ فَلَطَخْتُ بِهَا وَجْهَهَا ، فَضَحِكَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وَ(ٱلْخَزِيرَةُ) : لَحْمٌ يُقْطَعُ قِطَعاً صِغَاراً ، وَيُصَبُّ عَلَيْهِ مَاءٌ كَثِيرٌ ، فَإِذَا نَضِجَ ذُرَّ عَلَيْهِ ٱلدَّقِيقُ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا غَضِبَتْ عَائِشَةُ . عَرَكَ بِأَنْفِهَا وَقَالَ : « يَا عُوَيْشُ ؛ قُولِي : ٱللَّهُمَّ رَبَّ مُحَمَّدٍ ٱغْفِرْ لِي ذَنْبِي ، وَأَذْهِبْ غَيْظَ قَلْبِي ، وَأَجِرْنِي مِنْ مُضِلَّاتِ ٱلْفِتَنِ » .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أُتِيَ بِهَدِيَّةٍ قَالَ : « ٱذْهَبُوا بِهَا إِلَىٰ بَيْتِ فُلَانَةٍ ، فَإِنَّهَا كَانَتْ صَدِيقَةً لِخَدِيجَةَ ـ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا ـ إِنَّهَا كَانَتْ تُحِبُّ خَدِيجَةَ » .

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا قَالَتْ : مَا غِرْتُ عَلَى ٱمْرَأَةٍ مَا غِرْتُ عَلَىٰ خَدِيجَةَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا لِمَا كُنْتُ أَسْمَعُهُ يَذْكُرُهَا ، وَإِنْ كَانَ لَيَذْبَحُ ٱلشَّاةَ فَيُهْدِيهَا إِلَىٰ خَلَائِلِهَا ، وَٱسْتَأْذَنَتْ عَلَيْهِ أُخْتُهَا فَٱرْتَاحَ لَهَا ، وَدَخَلَتْ عَلَيْهِ ٱمْرَأَةٌ فَهَشَّ لَهَا وَأَحْسَنَ ٱلسُّؤَالَ عَنْهَا ، فَلَمَّا خَرَجَتْ قَالَ : « إِنَّهَا كَانَتْ تَأْتِينَا أَيَّامَ خَدِيجَةَ ، وَإِنَّ حُسْنَ ٱلْعَهْدِ مِنَ ٱلْإِيمَانِ » .

قَالَ ٱلْقَسْطَلَّانِيُّ : (وَهَـٰكَذَا كَانَتْ أَحْوَالُهُ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ مَعَ أَزْوَاجِهِ ، لَا يَأْخُذُ عَلَيْهِنَّ وَيَعْذِرُهُنَّ ، وَإِنْ أَقَامَ عَلَيْهِنَّ قِسْطَاسَ عَدْلٍ أَقَامَهُ مِنْ غَيْرِ قَلَقٍ ، وَلَا غَضَبٍ .

وَبِٱلْجُمْلَةِ : فَمَنْ تَأَمَّلَ سِيرَتَهُ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ مَعَ أَهْلِهِ وَأَصْحَابِهِ

وَغَيْرِهِمْ مِنَ ٱلْفُقَرَاءِ ، وَٱلْأَيْتَامِ ، وَٱلْأَرَامِلِ ، وَٱلْأَضْيَافِ ، وَٱلْمَسَاكِينِ . . عَلِمَ أَنَّهُ قَدْ بَلَغَ مِنْ رِقَّةِ ٱلْقَلْبِ وَلِينِهِ ٱلْغَايَةَ ٱلَّتِي لَا مَرْمَىٰ وَرَاءَهَا لِمَخْلُوقٍ ، وَإِنَّهُ كَانَ يُشَدِّدُ فِي حُدُودِ ٱللهِ وَحُقُوقِهِ وَدِينِهِ ؛ حَتَّىٰ قَطَعَ يَدَ ٱلسَّارِقِ . . . إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ) .

* * *

الفَصْلُ الثَّالِثُ

في صفة أمانته صلّى الله عليه وسلّم وصدقه

كَانَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ آمَنَ ٱلنَّاسِ ، وَأَصْدَقَهُمْ لَهْجَةً مُنْذُ كَانَ .

قَالَ تَعَالَىٰ : ﴿ مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴾ [التكوير : ٢١] .

أَكْثَرُ ٱلْمُفَسِّرِينَ عَلَىٰ أَنَّهُ مُحَمَّدٌ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وَكَانَتْ تُسَمِّيهِ قُرَيْشٌ قَبْلَ نُبُوَّتِهِ : (ٱلأَمِينَ) .

وَلَمَّا ٱخْتَلَفُوا عِنْدَ بِنَاءِ ٱلْكَعْبَةِ فِيمَنْ يَضَعُ ٱلْحَجَرَ . . حَكَّمُوا أَوَّلَ دَاخِلٍ عَلَيْهِمْ ، فَإِذَا بِٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَاخِلٌ ، وَذَلِكَ قَبْلَ نُبُوَّتِهِ ، فَقَالُوا : (هَـٰذَا مُحَمَّدٌ ٱلأَمِينُ . . قَدْ رَضِينَا بِهِ) .

وَقَالَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « وَٱللهِ إِنِّي لأَمِينٌ فِي ٱلسَّمَاءِ ، أَمِينٌ فِي ٱلْأَرْضِ » .

وَوَرَدَ أَنَّ أَبَا جَهْلٍ قَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنَّا لَا نُكَذِّبُكَ ، وَمَا أَنْتَ فِينَا بِمُكَذَّبٍ ، وَلَـٰكِنْ نُكَذِّبُ بِمَا جِئْتَ بِهِ . فَأَنْزَلَ ٱللهُ ﴿ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَـٰكِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾ [الأنعام : ٣٣] .

وَقِيلَ : إِنَّ ٱلْأَخْنَسَ بْنَ شَرِيقٍ لَقِيَ أَبَا جَهْلٍ يَوْمَ بَدْرٍ فَقَالَ لَهُ : يَا أَبَا ٱلْحَكَمِ ؛ لَيْسَ هُنَا غَيْرِي وَغَيْرُكَ يَسْمَعُ كَلَامَنَا ، تُخْبِرُنِي عَنْ مُحَمَّدٍ : صَادِقٌ ، أَمْ كَاذِبٌ؟ فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ : وَٱللهِ إِنَّ مُحَمَّداً لَصَادِقٌ ، وَمَا كَذَبَ مُحَمَّدٌ قَطُّ .

وَسَأَلَ هِرَقْلُ عَنْهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَبَا سُفْيَانَ فَقَالَ : هَلْ كُنْتُمْ تَتَّهِمُونَهُ بِٱلْكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ؟ قَالَ : لَا .

وَقَالَ ٱلنَّضْرُ بْنُ ٱلْحَارِثِ لِقُرَيْشٍ : قَدْ كَانَ مُحَمَّدٌ فِيكُمْ غُلَاماً حَدَثاً ؛ أَرْضَاكُمْ فِيكُمْ[1] ، وأَصْدَقَكُمْ حَدِيثاً ، وَأَعْظَمَكُمْ أَمَانَةً ، حَتَّىٰ إِذَا رَأَيْتُمْ فِي صُدْغَيْهِ ٱلشَّيْبَ وَجَاءَكُمْ بِمَا جَاءَكُمْ بِهِ . . قُلْتُمْ سَاحِرٌ؟! لَا وَٱللهِ مَا هُوَ بِسَاحِرٍ .

وَفِي حَدِيثِ عَلِيٍّ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ ـ فِي وَصْفِهِ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ـ : أَصْدَقُ ٱلنَّاسِ لَهْجَةً .

* * *

(١) أي : ترضون أفعاله وأحواله .

الفصل الرابع

في صفة حيائه صلى الله عليه وسلم ومزاحه

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ ٱلْخُدْرِيِّ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ قَالَ : كَانَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَشَدَّ حَيَاءً مِنَ ٱلْعَذْرَاءِ فِي خِدْرِهَا .

وَكَانَ إِذَا كَرِهَ شَيْئاً . . عُرِفَ فِي وَجْهِهِ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ حَيَاءً ، لَا يُثَبِّتُ بَصَرَهُ فِي وَجْهِ أَحَدٍ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُكَنِّي عَمَّا ٱضْطَرَّهُ ٱلْكَلَامُ إِلَيْهِ مِمَّا يُكْرَهُ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَرَادَ ٱلْحَاجَةَ . . أَبْعَدَ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَرَادَ ٱلْحَاجَةَ . . لَمْ يَرْفَعْ ثَوْبَهُ حَتَّىٰ يَدْنُوَ مِنَ ٱلْأَرْضِ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا دَخَلَ ٱلْمِرْفَقَ . . لَبِسَ حِذَاءَهُ وَغَطَّىٰ رَأْسَهُ .

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا قَالَتْ : مَا رَأَيْتُ فَرْجَ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَطُّ .

وَأَمَّا مِزَاحُ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

فَقَدْ كَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَمْزَحُ مَعَ ٱلنِّسَاءِ وَٱلصِّبْيَانِ وَغَيْرِهِمْ ، وَلَا يَقُولُ إِلَّا حَقّاً .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ أَفْكَهِ ٱلنَّاسِ مَعَ صَبِيٍّ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا مَزَحَ . . غَضَّ بَصَرَهُ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهِ دُعَابَةٌ قَلِيلَةٌ .

وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ : أَنَّ ٱلنَّبِيَّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَهُ : « يَا ذَا ٱلْأُذُنَيْنِ » ؛ يَعْنِي : يُمَازِحُهُ[1] .

وَعَنْ أَنَسٍ [رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ] أَيْضاً قَالَ : إِنْ كَانَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيُخَالِطُنَا حَتَّىٰ يَقُولَ لِأَخٍ لِي : « يَا أَبَا عُمَيْرٍ ؛ مَا فَعَلَ ٱلنُّغَيْرُ؟ » .

قَالَ أَبُو عِيسَى ٱلتِّرْمِذِيُّ : وَفِقْهُ هَـٰذَا ٱلْحَدِيثِ : أَنَّ ٱلنَّبِيَّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يُمَازِحُ .

وَفِيهِ : أَنَّهُ كَنَّىٰ غُلَاماً صَغِيراً فَقَالَ لَهُ : « يَا أَبَا عُمَيْرٍ » .

وَفِيهِ : أَنَّهُ لَا بَأْسَ أَنْ يُعْطَى ٱلصَّبِيُّ ٱلطَّيْرَ لِيَلْعَبَ بِهِ ـ أَيْ : لَعِباً لَا عَذَابَ فِيهِ ـ وَإِلَّا . . حَرُمَ تَمْكِينُهُ مِنْهُ ؛ لِلنَّهْيِ عَنْ تَعْذِيبِ ٱلْحَيَوَانِ .

وَإِنَّمَا قَالَ لَهُ ٱلنَّبِيُّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « يَا أَبَا عُمَيْرٍ ؛ مَا فَعَلَ

---

(١) أي : يا صاحب الأذنين السميعتين الواعيتين الضابطتين لما سمعتا .

ٱلنُّغَيْرُ » . . لِأَنَّهُ كَانَ لَهُ نُغَيْرٌ يَلْعَبُ بِهِ ، فَمَاتَ ، فَحَزِنَ ٱلْغُلَامُ عَلَيْهِ ، فَمَازَحَهُ ٱلنَّبِيُّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : « يَا أَبَا عُمَيْرٍ ؛ مَا فَعَلَ ٱلنُّغَيْرُ » .

وَ(ٱلنُّغَيْرُ) : طَائِرٌ كَٱلْعُصْفُورِ ، أَحْمَرُ ٱلْمِنْقَارِ .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ قَالَ : قَالُوا : يَا رَسُولَ ٱللهِ ؛ إِنَّكَ تُدَاعِبُنَا ، فَقَالَ : « نَعَمْ ، غَيْرَ أَنِّي لَا أَقُولُ إِلَّا حَقّاً » .

وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ : أَنَّ رَجُلاً ٱسْتَحْمَلَ رَسُولَ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : « إِنِّي حَامِلُكَ عَلَىٰ وَلَدِ نَاقَةٍ » ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ ٱللهِ ؛ مَا أَصْنَعُ بِوَلَدِ ٱلنَّاقَةِ ؟! فَقَالَ : « وَهَلْ تَلِدُ ٱلْإِبِلَ إِلَّا ٱلنُّوقُ ؟! »[1] .

وَعَنْ أَنَسٍ أَيْضاً رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ : أَنَّ رَجُلاً مِنْ أَهْلِ ٱلْبَادِيَةِ ـ وَكَانَ ٱسْمُهُ زَاهِراً[2] ـ وَكَانَ يُهْدِي إِلَى ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَدِيَّةً مِنَ ٱلْبَادِيَةِ ، فَيُجَهِّزُهُ ٱلنَّبِيُّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ ، فَقَالَ ٱلنَّبِيُّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّ زَاهِراً بَادِيَتُنَا ؛ وَنَحْنُ حَاضِرَتُهُ » ، وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحِبُّهُ ، وَكَانَ رَجُلاً دَمِيماً ، فَأَتَاهُ ٱلنَّبِيُّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْماً ، وَهُوَ يَبِيعُ مَتَاعَهُ فَٱحْتَضَنَهُ مِنْ خَلْفِهِ وَهُوَ لَا يُبْصِرُهُ ، فَقَالَ مَنْ هَـٰذَا ؟ أَرْسِلْنِي ، فَٱلْتَفَتَ فَعَرَفَ ٱلنَّبِيَّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَجَعَلَ لَا يَأْلُو

---

(١) المقصود أنه صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أراد أن يحمله على راحلة كبيرة ، وهي بالأصل ولد الناقة فلو تدبر الرجل اللفظ لما قال ذلك .

(٢) ابن حَرَامٍ الأشجعي .

مَا أَلْصَقَ ظَهْرَهُ بِصَدْرِ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ عَرَفَهُ ، فَجَعَلَ ٱلنَّبِيُّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « مَنْ يَشْتَرِي هَـٰذَا ٱلْعَبْدَ؟ » ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ ٱللهِ ؛ إِذَنْ وَٱللهِ تَجِدُنِي كَاسِداً ، فَقَالَ ٱلنَّبِيُّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَـٰكِنْ عِنْدَ ٱللهِ لَسْتَ بِكَاسِدٍ » ، أَوْ قَالَ : « أَنْتَ عِنْدَ ٱللهِ غَالٍ » .

وَ(ٱلدَّمِيمُ) : قَبِيحُ ٱلْوَجْهِ .

وَعَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ : أَنَّ رَجُلاً[١] كَانَ يُهْدِي لِلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ٱلْعُكَّةَ[٢] مِنَ ٱلسَّمْنِ وَٱلْعَسَلِ ، فَإِذَا جَاءَ صَاحِبُهُ يَتَقَاضَاهُ . . جَاءَ بِهِ إِلَى ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : أَعْطِ هَـٰذَا حَقَّ مَتَاعِهِ ، فَمَا يَزِيدُ ٱلنَّبِيُّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَىٰ أَنْ يَتَبَسَّمَ ، وَيَأْمُرَ بِهِ فَيُعْطَىٰ .

وَفِي رِوَايَةٍ : كَانَ لَا يَدْخُلُ ٱلْمَدِينَةَ طُرْفَةٌ[٣] إِلَّا ٱشْتَرَىٰ مِنْهَا ، ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ : يَا رَسُولَ ٱللهِ ؛ هَـٰذَا هَدِيَّةٌ لَكَ ، فَإِذَا جَاءَ صَاحِبُهُ يَطْلُبُ ثَمَنَهُ . . جَاءَ بِهِ ، فَيَقُولُ : أَعْطِ هَـٰذَا ٱلثَّمَنَ ، فَيَقُولُ : « أَلَمْ تُهْدِهِ لِي ؟! » ، فَيَقُولُ : لَيْسَ عِنْدِي ، فَيَضْحَكُ وَيَأْمُرُ لِصَاحِبِهِ بِثَمَنِهِ .

وَعَنِ ٱلْحَسَنِ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ قَالَ : أَتَتْ عَجُوزٌ[٤] ٱلنَّبِيَّ صَلَّى ٱللهُ

---

(١) هو عبد الله الملقب بـ(حمار) بلفظ الحيوان المعروف .

(٢) آنية السمن أصغر من القربة .

(٣) أي : ما يستملح ويُعجِب .

(٤) قيل : إنها صفية بنت عبد المطلب ، أم الزبير بن العوام رضي الله عنهما .

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ : يَا رَسُولَ ٱللهِ ؛ ٱدْعُ ٱللهَ أَنْ يُدْخِلَنِي ٱلْجَنَّةَ ، فَقَالَ : « يَا أُمَّ فُلَانٍ ؛ إِنَّ ٱلْجَنَّةَ لَا يَدْخُلُهَا عَجُوزٌ » . قَالَ : فَوَلَّتْ تَبْكِي ، فَقَالَ : « أَخْبِرُوهَا أَنَّهَا لَا تَدْخُلُهَا وَهِيَ عَجُوزٌ ؛ إِنَّ ٱللهَ تَعَالَىٰ يَقُولُ : ﴿ إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ۞ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ۞ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴾ » [الواقعة : ٣٥-٣٧] .

* * *

الفَصْلُ الخَامِسُ

في صفة تواضعه صلى الله عليه وسلم وجلوسه واتكائه

كَانَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ تَوَاضُعاً ، وَأَسْكَنَهُمْ مِنْ غَيْرِ كِبْرٍ ، وَأَبْلَغَهُمْ مِنْ غَيْرِ تَطْوِيلٍ ، وَأَحْسَنَهُمْ بِشْراً ، لَا يَهُولُهُ شَيْءٌ مِنْ أَمْرِ ٱلدُّنْيَا .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُتَوَاضِعاً فِي غَيْرِ مَذَلَّةٍ .

وَعَنْ عُمَرَ بْنِ ٱلْخَطَّابِ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ ٱلنَّصَارَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ، إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ فَقُولُوا : (عَبْدُ ٱللهِ وَرَسُولُهُ) » .

وَ(ٱلْإِطْرَاءُ) : هُوَ مُجَاوَزَةُ ٱلْحَدِّ فِي ٱلْمَدْحِ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يُدْفَعُ عَنْهُ ٱلنَّاسُ ، وَلَا يُضْرَبُوا عَنْهُ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَأْتِيهِ أَحَدٌ مِنْ حُرٍّ وَلَا عَبْدٍ ، وَلَا أَمَةٍ وَلَا مِسْكِينٍ . . إِلَّا قَامَ مَعَهُ فِي حَاجَتِهِ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَسْتَكْبِرُ عَنْ إِجَابَةِ ٱلْأَمَةِ وَٱلْمِسْكِينِ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُكْثِرُ ٱلذِّكْرَ وَيُقِلُّ ٱللَّغْوَ ، وَيُطِيلُ ٱلصَّلَاةَ

وَيَقْصِرُ ٱلْخُطْبَةَ ، وَكَانَ لَا يَأْنَفُ وَلَا يَسْتَكْبِرُ أَنْ يَمْشِيَ مَعَ ٱلْأَرْمَلَةِ وَٱلْمِسْكِينِ وَٱلْعَبْدِ حَتَّىٰ يَقْضِيَ لَهُ حَاجَتَهُ .

وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ : كَانَتِ ٱلْأَمَةُ مِنْ إِمَاءِ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ لَتَأْخُذُ بِيَدِ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَتَنْطَلِقُ بِهِ حَيْثُ شَاءَتْ .

وَعَنْ أَنَسٍ أَيْضاً رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ : أَنَّ ٱمْرَأَةً جَاءَتْ إِلَى ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ لَهُ : إِنَّ لِي إِلَيْكَ حَاجَةً ، فَقَالَ : « ٱجْلِسِي فِي أَيِّ طُرُقِ ٱلْمَدِينَةِ شِئْتِ أَجْلِسْ إِلَيْكِ » .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا صَلَّىٰ بِٱلنَّاسِ ٱلْغَدَاةَ أَقْبَلَ عَلَيْهِمْ بِوَجْهِهِ فَقَالَ : « هَلْ فِيكُمْ مَرِيضٌ أَعُودُهُ ؟ » ، فَإِنْ قَالُوا : لَا . . قَالَ : « فَهَلْ فِيكُمْ جَنَازَةٌ أَتْبَعُهَا ؟ » ، فَإِنْ قَالُوا : لَا . . قَالَ : « مَنْ رَأَىٰ مِنْكُمْ رُؤْيَا يَقُصُّهَا عَلَيْنَا » .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَجْلِسُ عَلَى ٱلْأَرْضِ ، وَيَأْكُلُ عَلَى ٱلْأَرْضِ ، وَيَعْتَقِلُ ٱلشَّاةَ ، وَيُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلْمَمْلُوكِ عَلَىٰ خُبْزِ ٱلشَّعِيرِ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعُودُ مَرْضَى ٱلْمَسَاكِينِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْبَهُ لَهُمْ ، وَيَخْدُمُهُمْ بِنَفْسِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُجِيبُ مَنْ دَعَاهُ ؛ مِنْ غَنِيٍّ أَوْ فَقِيرٍ أَوْ شَرِيفٍ ، وَلَا يَحْتَقِرُ أَحَداً .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُجِيبُ إِلَى ٱلْوَلِيمَةِ ، وَيَشْهَدُ ٱلْجَنَائِزَ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْتِي ضُعَفَاءَ ٱلْمُسْلِمِينَ وَيَزُورُهُمْ ، وَيَعُودُ مَرْضَاهُمْ ، وَيَشْهَدُ جَنَائِزَهُمْ .

وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ قَالَ : كَانَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ يَعُودُ ٱلْمَرْضَىٰ ، وَيَشْهَدُ ٱلْجَنَائِزَ وَيَرْكَبُ ٱلْحِمَارَ ، وَيُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلْعَبْدِ .

وَكَانَ يَوْمَ بَنِي قُرَيْظَةَ عَلَىٰ حِمَارٍ مَخْطُومٍ بِحَبْلٍ مِنَ لِيفٍ وَعَلَيْهِ إِكَافٌ .

وَ(ٱلْخِطَامُ) : ٱلزِّمَامُ .

وَ(ٱلْإِكَافُ) : ٱلْبَرْذَعَةُ(١) .

وَعَنْ أَنَسٍ أَيْضاً رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ : كَانَ ٱلنَّبِيُّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُدْعَىٰ إِلَىٰ خُبْزِ ٱلشَّعِيرِ وَٱلْإِهَالَةِ ٱلسَّنِخَةِ ، فَيُجِيبُ ، وَلَقَدْ كَانَ لَهُ دِرْعٌ عِنْدَ يَهُودِيٍّ فَمَا وَجَدَ مَا يَفُكُّهَا حَتَّىٰ مَاتَ .

وَ(ٱلْإِهَالَةُ ٱلسَّنِخَةُ) وَفِي رِوَايَةٍ : ٱلزَّنِخَةُ ؛ هِيَ : ٱلدُّهْنُ ٱلْمُتَغَيِّرُ ٱلرِّيحِ مِنْ طُولِ ٱلْمُكْثِ .

وَعَنْ أَنَسٍ أَيْضاً رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَوْ أُهْدِيَ إِلَيَّ كُرَاعٌ . . لَقَبِلْتُ ، وَلَوْ دُعِيتُ عَلَيْهِ . . لَأَجَبْتُ » .

وَعَنْهُ أَيْضاً [رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ] قَالَ : حَجَّ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَىٰ رَحْلٍ رَثٍّ ، وَعَلَيْهِ قَطِيفَةٌ لَا تُسَاوِي أَرْبَعَةَ دَرَاهِمَ ، فَقَالَ : « ٱللَّهُمَّ ؛ ٱجْعَلْهُ حَجّاً لَا رِيَاءَ فِيهِ وَلَا سُمْعَةَ » .

وَ(ٱلْقَطِيفَةُ) : كِسَاءٌ لَهُ خَمْلٌ .

هَـٰذَا . . وَقَدْ فُتِحَتْ عَلَيْهِ ٱلْأَرْضُ ، وَأَهْدَىٰ فِي حَجِّهِ ذَلِكَ مِئَةَ بَدَنَةٍ .

---

(١) أي : ما يوضع على الحمار ليُرْكَبَ عليه ، كالسرج للفرس .

وَلَمَّا فُتِحَتْ عَلَيْهِ مَكَّةُ وَدَخَلَهَا بِجُيُوشِ ٱلْمُسْلِمِينَ . . طَأْطَأَ عَلَىٰ رَحْلِهِ رَأْسَهُ حَتَّىٰ كَادَ يَمَسُّ قَادِمَتَهُ(١) ؛ تَوَاضُعاً لِلّٰهِ تَعَالَىٰ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَرْكَبُ مَا يُمْكِنُهُ ، فَمَرَّةً فَرَساً ، وَمَرَّةً بَعِيراً ، وَمَرَّةً بَغْلَةً ، وَمَرَّةً حِمَاراً ، وَمَرَّةً يَمْشِي رَاجِلاً حَافِياً ، بِلَا رِدَاءٍ وَلَا قَلَنْسُوَةٍ ، لِيَعُودَ ٱلْمَرْضَىٰ فِي أَقْصَى ٱلْمَدِينَةِ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَرْكَبُ ٱلْحِمَارَ عُرْياً ، لَيْسَ عَلَيْهِ شَيْءٌ .

وَرَكِبَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ٱلْفَرَسَ مُسْرَجَةً تَارَةً ، وعُرْيَانَةً أُخْرَىٰ ، وَكَانَ يَجْرِي بِهَا فِي بَعْضِ ٱلْأَحْيَانِ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْرُجُ إِلَى ٱلْعِيدِ مَاشِياً ، وَيَرْجِعُ مَاشِياً .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَوَكَّأُ إِذَا مَشَىٰ .

وَعَنْ جَابِرٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ قَالَ : جَاءَنِي رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْسَ بِرَاكِبِ بَغْلٍ وَلَا بِرْذَوْنٍ(٢) .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُرْدِفُ خَلْفَهُ عَبْدَهُ أَوْ غَيْرَهُ ، وَتَارَةً يُرْدِفُ خَلْفَهُ وَقُدَّامَهُ ، وَهُوَ فِي ٱلْوَسَطِ .

وَلَمَّا قَدِمَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَكَّةَ ٱسْتَقْبَلَهُ أُغَيْلِمَةُ بَنِي عَبْدِ ٱلْمُطَّلِبِ ، فَحَمَلَ وَاحِداً بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَآخَرَ خَلْفَهُ .

وَعَنْ قَيْسِ بْنِ سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُمَا قَالَ : زَارَنَا

---

(١) أي : مقدمة رحله .

(٢) **البرذون** : الفرس الأعجمي .

رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَلَمَّا أَرَادَ ٱلِٱنْصِرَافَ . . قَرَّبَ لَهُ سَعْدٌ حِمَاراً وَطَّأَ عَلَيْهِ بِقَطِيفَةٍ ، فَرَكِبَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ثُمَّ قَالَ سَعْدٌ : يَا قَيْسُ ؛ ٱصْحَبْ رَسُولَ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ قَيْسٌ : فَقَالَ لِي رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « ارْكَبْ » ، فَأَبَيْتُ ، فَقَالَ : « إِمَّا أَنْ تَرْكَبَ ، وَإِمَّا أَنْ تَنْصَرِفَ » ، فَٱنْصَرَفْتُ . وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَىٰ : « ارْكَبْ أَمَامِي ؛ فَصَاحِبُ ٱلدَّابَّةِ أَوْلَىٰ بِمُقَدَّمِهَا » .

وَفِي « ٱلْمَوَاهِبِ » : (عَنِ ٱلْمُحِبِّ ٱلطَّبَرِيِّ : أَنَّهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَكِبَ حِمَاراً عُرْياً إِلَىٰ قُبَاءٍ[1] ، وَأَبُو هُرَيْرَةَ مَعَهُ ، قَالَ : « يَا أَبَا هُرَيْرَةَ ؛ أَأَحْمِلُكَ؟ » ، قَالَ : مَا شِئْتَ يَا رَسُولَ ٱللهِ ، قَالَ : « ارْكَبْ » ، فَوَثَبَ أَبُو هُرَيْرَةَ لِيَرْكَبَ فَلَمْ يَقْدِرْ ، فَٱسْتَمْسَكَ بِرَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَوَقَعَا [جَمِيعاً] ، ثُمَّ رَكِبَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ثُمَّ قَالَ : « يَا أَبَا هُرَيْرَةَ ؛ أَأَحْمِلُكَ؟ » ، قَالَ : مَا شِئْتَ يَا رَسُولَ ٱللهِ ، فَقَالَ : « ارْكَبْ » ، فَلَمْ يَقْدِرْ أَبُو هُرَيْرَةَ عَلَىٰ ذَلِكَ ، فَتَعَلَّقَ بِرَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَوَقَعَا جَمِيعاً ، فَقَالَ : « يَا أَبَا هُرَيْرَةَ ؛ أَأَحْمِلُكَ؟ » ، فَقَالَ : لَا ، وَٱلَّذِي بَعَثَكَ بِٱلْحَقِّ لَا رَمَيْتُكَ ثَالِثاً .

وَذَكَرَ ٱلطَّبَرِيُّ أَيْضاً : أَنَّهُ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ كَانَ فِي سَفَرٍ وَأَمَرَ أَصْحَابَهُ بِإِصْلَاحِ شَاةٍ ، فَقَالَ رَجُلٌ : يَا رَسُولَ ٱللهِ ؛ عَلَيَّ ذَبْحُهَا ، وَقَالَ آخَرُ : يَا رَسُولَ ٱللهِ ؛ عَلَيَّ سَلْخُهَا ، وَقَالَ آخَرُ : يَا رَسُولَ ٱللهِ ؛ عَلَيَّ

---

(١) يؤنث ويذكر ، ويمدُّ ويقصر ، ويُصرف ويمنع ، والأَفصح : التذكير والصرف مع المدِّ .

طَبْخُهَا ، فَقَالَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « عَلَيَّ جَمْعُ ٱلْحَطَبِ » ، فَقَالُوا : يَا رَسُولَ ٱللهِ ؛ نَكْفِيكَ ٱلْعَمَلَ ، فَقَالَ : « قَدْ عَلِمْتُ أَنَّكُمْ تَكْفُونِي ، وَلَـٰكِنْ أَكْرَهُ أَنْ أَتَمَيَّزَ عَلَيْكُمْ ، فَإِنَّ ٱللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يَكْرَهُ مِنْ عَبْدِهِ أَنْ يَرَاهُ مُتَمَيِّزاً بَيْنَ أَصْحَابِهِ ») .

وَقَالَ فِي « ٱلشِّفَا » : (عَنْ أَبِي قَتَادَةَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ [قَالَ] : وَفَدَ وَفْدُ ٱلنَّجَاشِيِّ ، فَقَامَ ٱلنَّبِيُّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْدُمُهُمْ ، فَقَالَ لَهُ أَصْحَابُهُ : نَكْفِيكَ ، قَالَ : « إِنَّهُمْ كَانُوا لِأَصْحَابِنَا مُكْرِمِينَ ، وَأَنَا أُحِبُّ أَنْ أُكَافِئَهُمْ » .

وَلَمَّا جِيءَ بِأُخْتِهِ مِنَ ٱلرَّضَاعَةِ ٱلشَّيْمَاءِ فِي سَبَايَا هَوَازِنَ ، وَتَعَرَّفَتْ لَهُ . . بَسَطَ لَهَا رِدَاءَهُ ، وَقَالَ لَهَا : « إِنْ أَحْبَبْتِ أَقَمْتِ عِنْدِي مُكْرَمَةً مُحَبَّةً ، أَوْ مَتَّعْتُكِ وَرَجَعْتِ إِلَىٰ قَوْمِكِ » ، فَٱخْتَارَتْ قَوْمَهَا ، فَمَتَّعَهَا[1] .

وَقَالَ أَبُو ٱلطُّفَيْلِ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ[2] : رَأَيْتُ ٱلنَّبِيَّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَا غُلَامٌ ، إِذْ أَقْبَلَتِ ٱمْرَأَةٌ حَتَّىٰ دَنَتْ مِنْهُ ، فَبَسَطَ لَهَا رِدَاءَهُ ، فَجَلَسَتْ عَلَيْهِ ، فَقُلْتُ : مَنْ هَـٰذِهِ؟ قَالُوا : أُمُّهُ ٱلَّتِي أَرْضَعَتْهُ .

وَعَنْ عَمْرِو بْنِ ٱلسَّائِبِ : أَنَّ رَسُولَ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ جَالِساً يَوْماً ، فَأَقْبَلَ أَبُوهُ مِنَ ٱلرَّضَاعَةِ[3] ، فَوَضَعَ لَهُ بَعْضَ ثَوْبِهِ ، فَقَعَدَ

---

(١) أي : أعطاها زاداً ومالاً .

(٢) عامر بن واثلة الكناني .

(٣) وهو : الحارث بن عبد العزىٰ رضي الله عنه .

عَلَيْهِ . ثُمَّ أَقْبَلَتْ أُمُّهُ[1] ، فَوَضَعَ لَهَا شِقَّ ثَوْبِهِ مِنْ جَانِبِهِ ٱلْآخَرِ ، فَجَلَسَتْ عَلَيْهِ . ثُمَّ أَقْبَلَ أَخُوهُ مِنَ ٱلرَّضَاعَةِ[2] ، فَقَامَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَجْلَسَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَبْعَثُ إِلَىٰ ثُوَيْبَةَ ـ مَوْلَاةِ أَبِي لَهَبٍ ـ مُرْضِعَتِهِ بِصِلَةٍ وَكِسْوَةٍ ، فَلَمَّا مَاتَتْ . . سَأَلَ : « مَنْ بَقِيَ مِنْ قَرَابَتِهَا؟ » ، فَقِيلَ : لَا أَحَدَ) .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْتَفْتِحُ وَيَسْتَنْصِرُ بِصَعَالِيكِ ٱلْمُسْلِمِينَ[3] .

وَكَانَ لَهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَبِيدٌ وَإِمَاءٌ ، وَكَان لَا يَرْتَفِعُ عَلَيْهِمْ فِي مَأْكَلٍ وَلَا مَلْبَسٍ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْكُلُ مَعَ خَدَمِهِ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَجْلِسُ مَعَ ٱلْفُقَرَاءِ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُوَاكِلُ ٱلْفُقَرَاءَ وَٱلْمَسَاكِينَ ، وَيَفْلِي ثِيَابَهُمْ[4] .

وكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخِيطُ ثَوْبَهُ ، وَيَخْصِفُ نَعْلَهُ[5] ، وَيَعْمَلُ مَا يَعْمَلُ ٱلرِّجَالُ فِي بُيُوتِهِمْ[6] .

---

(١) أي : حليمة السعدية رضي الله عنها .

(٢) وهو : عبد الله بن الحارث بن عبد العزى رضي الله عنهما .

(٣) أي : بدعاء فقرائهم لقربه من الإجابة .

(٤) أي : يزيل ما فيها من القمل .

(٥) أي : يخرز طاقاً علىٰ طاقٍ .

(٦) من الاشتغال بمهنة الأهل والنفس ؛ إرشاداً للتواضع وترك التكبُّر .

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ ٱللهُ تعَالَىٰ عَنْهَا : أَنَّهُ قِيلَ لَهَا : مَاذَا كَانَ يَعْمَلُ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بيْتِهِ ؟ قَالَتْ : كَانَ بَشَراً مِنَ ٱلْبَشَرِ ، يَفْلِي ثَوْبَهُ ، وَيَحْلِبُ شَاتَهُ ، وَيَخْدُمُ نَفْسَهُ .

وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ قَالَ : كَانَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوْسَعَ ٱلنَّاسِ خُلُقاً ، وَكَانَ إِذَا دَخَلَ بَيْتَهُ يَكُونُ أَكْثَرَ عَمَلِهِ فِيهِ ٱلْخِيَاطَةُ ، وَكَانَ يَصْنَعُ كَمَا يَصْنَعُ آحَادُ ٱلنَّاسِ ، يَشِيلُ هَـٰذَا ، وَيَحُطُّ هَـٰذَا ، وَيَقُمُّ ٱلْبَيْتَ ، وَيُقَطِّعُ ٱللَّحْمَ ، وَيُعِينُ ٱلْخَادِمَ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَرْكَبُ ٱلْحِمَارَ ، وَيَخْصِفُ ٱلنَّعْلَ ، وَيَرْقَعُ ٱلْقَمِيصَ ، وَيَلْبَسُ ٱلصُّوفَ ، وَيَقُولُ : « مَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي . . فَلَيْسَ مِنِّي » .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعْقِلُ ٱلْبَعِيرَ ، وَيَعْلِفُ نَاضِحَهُ ، وَيَأْكُلُ مَعَ ٱلْخَادِمِ ، وَيَعْجِنُ مَعَهَا ، وَيَحْمِلُ بِضَاعَتَهُ مِنَ ٱلسُّوقِ .

وَ(ٱلنَّاضِحُ) : اَلْبَعِيرُ يُسْتَقَىٰ عَلَيْهِ ، ثُمَّ ٱسْتُعْمِلَ فِي كُلِّ بَعِيرٍ .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ : دَخَلْتُ ٱلسُّوقَ مَعَ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَٱشْتَرَىٰ سَرَاوِيلَ وَأَخَذَهُ ، فَذَهَبْتُ لِأَحْمِلَهُ ، فَقَالَ : « صَاحِبُ ٱلشَّيْءِ أَحَقُّ بِشَيْئِهِ أَنْ يَحْمِلَهُ » .

وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ قَالَ : لَمْ يَكُنْ شَخْصٌ أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنْ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : وَكَانُوا إِذَا رَأَوْهُ . . لَمْ يَقُومُوا ؛ لِمَا يَعْلَمُونَ مِنْ كَرَاهَتِهِ لِذَلِكَ .

وَأَمَّا جُلُوسُ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

فَعَنْ خَارِجَةَ بْنِ زَيْدٍ رَضِيَ ٱللهُ [تَعَالَىٰ] عَنْهُ قَالَ : كَانَ ٱلنَّبِيُّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوْقَرَ ٱلنَّاسِ فِي مَجْلِسِهِ ؛ لَا يَكَادُ يُخْرِجُ شَيْئاً مِنْ أَطْرَافِهِ[١] .

وَكَانَ مَجْلِسُهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَجْلِسَ حِلْمٍ وَحَيَاءٍ ، وَأَمَانَةٍ وَصِيَانَةٍ ، وَصَبْرٍ وَسَكِينَةٍ ، لَا تُرْفَعُ فِيهِ ٱلْأَصْوَاتُ ، وَلَا تُؤْبَنُ فِيهِ ٱلْحُرَمُ ، يَتَعَاطَفُونَ فِيهِ بِٱلتَّقْوَىٰ ، وَيَتَوَاضَعُونَ ، وَيُوَقَّرُ ٱلْكِبَارُ ، وَيُرْحَمُ ٱلصِّغَارُ ، وَيُؤْثِرُونَ ٱلْمُحْتَاجَ ، وَيَحْفَظُونَ ٱلْغَرِيبَ ، وَيَخْرُجُونَ أَدِلَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ .

قَوْلُهُ : (لَا تُؤْبَنُ فِيهِ ٱلْحُرَمُ) أَيْ : لَا تُذْكَرُ فِيهِ ٱلنِّسَاءُ بِقَبِيحٍ ، وَيُصَانُ مَجْلِسُهُ عَنِ ٱلرَّفَثِ ، وَمَا يَقْبُحُ ذِكْرُهُ .

وَكَانَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَجْلِسُ بَيْنَ أَصْحَابِهِ كَأَنَّهُ أَحَدُهُمْ ، فَيَأْتِي ٱلْغَرِيبُ فَلَا يَدْرِي أَيُّهُمْ هُوَ حَتَّىٰ يَسْأَلَ عَنْهُ . فَطَلَبَ أَصْحَابُهُ مِنْهُ أَنْ يَجْلِسَ مَجْلِساً رَفِيعاً لِيَعْرِفَهُ ٱلْغَرِيبُ فَقَالَ : « ٱفْعَلُوا مَا بَدَا لَكُمْ » ، فَبَنَوْا لَهُ دُكَّاناً مِنْ طِينٍ ، فَكَانَ يَجْلِسُ عَلَيْهَا .

وَ(ٱلدُّكَّانُ) ـ كَٱلدَّكَّةِ ـ : ٱلْمَكَانُ ٱلْمُرْتَفِعُ يُجْلَسُ عَلَيْهِ ، وَهُوَ ٱلْمِسْطَبَةُ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا جَلَسَ . . جَلَسَ إِلَيْهِ أَصْحَابُهُ حِلَقاً حِلَقاً .

وَكَان صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَايَتَنَخَّمُ نُخَامَةً إِلَّا وَقَعَتْ فِي كَفِّ رَجُلٍ مِنْ

---

(١) أي : أطراف بدنه ؛ كرجليه .

أَصْحَابِهِ ، فَيَدْلُكُ بِهَا وَجْهَهُ وَجِلْدَهُ . وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا تَوَضَّأَ . . كَادُوا يَقْتَتِلُونَ عَلَىٰ وَضُوئِهِ ؛ أَي : ٱلْمَاءِ ٱلَّذِي يَتَوَضَّأُ بِهِ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا تَكَلَّمُوا عِنْدَهُ . . يَخْفِضُونَ أَصْوَاتَهُمْ ، وَإِذَا نَظَرُوا إِلَيْهِ . . لَا يُحِدُّونَ ٱلنَّظَرَ ؛ تَعْظِيماً لَهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَخَوَّلُ[1] أَصْحَابَهُ بِٱلْمَوْعِظَةِ .

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ ٱلْخُدْرِيِّ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ قَالَ : كَانَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا جَلَسَ فِي ٱلْمَسْجِدِ . . ٱحْتَبَىٰ بِيَدَيْهِ .

قَوْلُهُ : (ٱحْتَبَىٰ) ٱلِٱحْتِبَاءُ : أَنْ يَجْلِسَ عَلَىٰ أَلْيَيْهِ وَيَضُمَّ رِجْلَيْهِ إِلَىٰ بَطْنِهِ بِنَحْوِ عِمَامَةٍ يَشُدُّهَا عَلَيْهِمَا وَعَلَىٰ ظَهْرِهِ .

وَ(ٱلْيَدَانِ) بَدَلٌ عَمَّا يَحْتَبِي بِهِ ؛ مِنْ نَحْوِ عِمَامَةٍ .

وَكَانَ أَكْثَرُ جُلُوسِهِ : أَنْ يَنْصُبَ سَاقَيْهِ جَمِيعاً ، وَيُمْسِكَ بِيَدَيْهِ عَلَيْهِمَا شِبْهَ ٱلْحُبْوَةِ .

وَكَانَ لَا يُعْرَفُ مَجْلِسُهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ مَجَالِسِ أَصْحَابِهِ ؛ لِأَنَّهُ كَانَ حَيْثُ ٱنْتَهَىٰ بِهِ ٱلْمَجْلِسُ جَلَسَ .

وَمَا رُئِيَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَطُّ مَادّاً رِجْلَيْهِ يُضَيِّقُ بِهِمَا عَلَىٰ أَصْحَابِهِ ؛ إِلَّا أَنْ يَكُونَ ٱلْمَكَانُ وَاسِعاً .

وَكَانَ أَكْثَرُ جُلُوسِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى ٱلْقِبْلَةِ .

وَعَنْ قَيْلَةَ بِنْتِ مَخْرَمَةَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا : أَنَّهَا رَأَتْ رَسُولَ ٱللهِ

---

(١) أي : يتعهد أصحابه بالنصائح المفيدة ؛ حيناً بعد حين ؛ مخافة السآمة عليهم .

صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي ٱلْمَسْجِدِ ، وَهُوَ قَاعِدٌ ٱلْقُرْفُصَاءَ ، قَالَتْ : فَلَمَّا رَأَيْتُ رَسُولَ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ٱلْمُتَخَشِّعَ فِي ٱلْجِلْسَةِ . أُرْعِدْتُ مِنَ ٱلْفَرَقِ .

قَوْلُهُ : (ٱلْقُرْفُصَاءَ) هِيَ : أَنْ يَجْلِسَ عَلَىٰ أَلْيَيْهِ ، وَيُلْصِقَ فَخِذَيْهِ بِبَطْنِهِ ، وَيَضَعَ يَدَيْهِ عَلَىٰ سَاقَيْهِ ، وَهِيَ : جِلْسَةُ ٱلْمُحْتَبِي . وَقِيلَ : أَنْ يَجْلِسَ عَلَىٰ رُكْبَتَيْهِ مُنْكَبّاً ، وَيُلْصِقَ بَطْنَهُ بِفَخِذَيْهِ ، وَيَتَأَبَّطَ كَفَّيْهِ .

وَ(ٱلْفَرَقُ) : ٱلْخَوْفُ .

وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ : أُتِيَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِرَجُلٍ فَأُرْعِدَ مِنْ هَيْبَتِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ لَهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « هَوِّنْ عَلَيْكَ ، فَلَسْتُ بِمَلِكٍ ، إِنَّمَا أَنَا ٱبْنُ ٱمْرَأَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ تَأْكُلُ ٱلْقَدِيدَ » ، فَنَطَقَ ٱلرَّجُلُ بِحَاجَتِهِ ، فَقَامَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : « يَا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ ؛ إِنِّي أُوحِيَ إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا ، أَلَا فَتَوَاضَعُوا حَتَّىٰ لَا يَبْغِيَ أَحَدٌ عَلَىٰ أَحَدٍ ، وَلَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَىٰ أَحَدٍ ، وَكُونُوا عِبَادَ ٱللهِ إِخْوَاناً » .

وَعَنْ عَبْدِ ٱللهِ بْنِ زَيْدٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُمَا : أَنَّهُ رَأَى ٱلنَّبِيَّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُسْتَلْقِياً فِي ٱلْمَسْجِدِ ، وَاضِعاً إِحْدَىٰ رِجْلَيْهِ عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ .

وَرَوَىٰ أَبُو دَاوُودَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ : أَنَّ رَسُولَ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا صَلَّى ٱلْفَجْرَ . تَرَبَّعَ فِي مَجْلِسِهِ حَتَّىٰ تَطْلُعَ ٱلشَّمْسُ حَسْنَاءَ ؛ أَيْ : بَيْضَاءَ نَقِيَّةً .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَقُومُ مِنْ مَجْلِسٍ إِلَّا قَالَ : « سُبْحَانَكَ ٱللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ ، لَا إِلَـٰهَ إِلَّا أَنْتَ ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ » ، وَقَالَ :

« لَا يَقُولُهُنَّ أَحَدٌ حَيْثُ يَقُومُ مِنْ مَجْلِسِهِ . . إِلَّا غُفِرَ لَهُ مَا كَانَ مِنْهُ فِي ذَلِكَ ٱلْمَجْلِسِ » .

وكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا جَلَسَ مَجْلِساً ، فَأَرَادَ أَنْ يَقُومَ . . ٱسْتَغْفَرَ عَشْراً إِلَىٰ خَمْسَ عَشْرَةَ ، وَرَوى ٱبْنُ ٱلسُّنِّيِّ : عِشْرِينَ مَرَّةً .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا ٱنْصَرَفَ . . ٱنْحَرَفَ بِجَانِبِهِ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا قَامَ . . ٱتَّكَأَ عَلَىٰ إِحْدَىٰ يَدَيْهِ .

وَأَمَّا ٱتِّكَاءُ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

فَعَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ قَالَ : رَأَيْتُ رَسُولَ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُتَّكِئاً عَلَىٰ وِسَادَةٍ عَلَىٰ يَسَارِهِ .

وَعَنْ أَبِي بَكْرَةَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَلَا أُحَدِّثُكُمْ بِأَكْبَرِ ٱلْكَبَائِرِ ؟ » ، قَالُوا : بَلَىٰ يَا رَسُولَ ٱللهِ ، قَالَ : « ٱلْإِشْرَاكُ بِٱللهِ ، وَعُقُوقُ ٱلْوَالِدَيْنِ » ، قَالَ : وَجَلَسَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ وَكَانَ مُتَّكِئاً ـ قَالَ : « وَشَهَادَةُ ٱلزُّورِ » ؛ أَوْ : « قَوْلُ ٱلزُّورِ » . قَالَ : فَمَا زَالَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُهَا حَتَّىٰ قُلْنَا : لَيْتَهُ سَكَتَ .

* * *



الفصل السادس

في سعة كرمه صلى الله عليه وسلم وشجاعته

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ ٱللهِ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُمَا أَنَّهُ قَالَ : مَا سُئِلَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَيْئاً قَطُّ فَقَالَ : (لَا) .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يُسْأَلُ شَيْئاً إِلَّا أَعْطَاهُ ، ثُمَّ يَعُودُ عَلَىٰ قُوتِ عَامِهِ فَيُؤْثِرُ مِنْهُ ، حَتَّىٰ لَرُبَّمَا ٱحْتَاجَ قَبْلَ ٱنْقِضَاءِ ٱلْعَامِ إِنْ لَمْ يَأْتِهِ شَيْءٌ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَكَادُ يُسْأَلُ شَيْئاً إِلَّا فَعَلَهُ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَايَكَادُ يَقُولُ لِشَيْءٍ : (لَا) ، فَإِذَا هُوَ سُئِلَ فَأَرَادَ أَنْ يَفْعَلَ . . قَالَ : (نَعَمْ) . وَإِن لَّمْ يُرِدْ أَنْ يَفْعَلَ . . سَكَتَ .

وَعَنِ ٱبْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُمَا قَالَ : كَانَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَجْوَدَ ٱلنَّاسِ بِٱلْخَيْرِ ، وَكَانَ أَجْوَدَ مَا يَكُونُ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ حَتَّىٰ يَنْسَلِخَ فَيَأْتِيهِ جِبْرِيلُ فَيَعْرِضُ عَلَيْهِ ٱلْقُرْآنَ ، فَإِذَا لَقِيَهُ جِبْرِيلُ . . كَانَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَجْوَدَ بِٱلْخَيْرِ مِنَ ٱلرِّيحِ ٱلْمُرْسَلَةِ .

وَعَنْ عُمَرَ بْنِ ٱلْخَطَّابِ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ : أَنَّ رَجُلاً جَاءَ إِلَى ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَأَلَهُ أَنْ يُعْطِيَهُ ، فَقَالَ ٱلنَّبِيُّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَا عِنْدِي شَيْءٌ ، وَلَـٰكِنِ ٱبْتَعْ عَلَيَّ ؛ فَإِذَا جَاءَنِي شَيْءٌ . . قَضَيْتُهُ » . فَقَالَ

عُمَرُ : يَا رَسُولَ ٱللهِ ؛ [قَدْ أَعْطَيْتَهُ] ، فَمَا كَلَّفَكَ ٱللهُ مَا لَاتَقْدِرُ عَلَيْهِ . فَكَرِهَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَوْلَ عُمَرَ .

فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ ٱلْأَنْصَارِ : يَا رَسُولَ ٱللهِ ؛ أَنْفِقْ وَلَا تَخَفْ مِنْ ذِي ٱلْعَرْشِ إِقْلَالاً .

فَتَبَسَّمَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَعُرِفَ فِي وَجْهِهِ ٱلْبِشْرُ لِقَوْلِ ٱلْأَنْصَارِيِّ ، ثُمَّ قَالَ : « بِهَـٰذَا أُمِرْتُ » .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا جَاءَهُ مَالٌ . . لَمْ يُبَيِّتْهُ ، وَلَمْ يُقَيِّلْهُ ؛ أَيْ : إِذَا جَاءَهُ آخِرَ ٱلنَّهَارِ . . لَمْ يُمْسِكْهُ إِلَى ٱللَّيْلِ ، أَوْ أَوَّلَ ٱلنَّهَارِ . . لَمْ يُمْسِكْهُ إِلَىٰ وَقْتِ ٱلْقَيْلُولَةِ ، بَلْ يُعَجِّلُ قِسْمَتَهُ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَسْخَى ٱلنَّاسِ ، لَا يَبِيتُ عِنْدَهُ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ ، وَإِنْ فَضَلَ شَيْءٌ وَلَمْ يَجِدْ مَنْ يُعْطِيهِ لَهُ ، وَفَجَأَهُ ٱللَّيْلُ . . لَمْ يَأْوِ إِلَىٰ مَنْزِلِهِ حَتَّىٰ يَبْرَأَ مِنْهُ إِلَىٰ مَنْ يَحْتَاجُ إِلَيْهِ .

وَأَتَاهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلٌ فَسَأَلَهُ ، فَأَعْطَاهُ غَنَماً سَدَّتْ مَا بَيْنَ جَبَلَيْنِ ، فَرَجَعَ إِلَىٰ قَوْمِهِ وَقَالَ : أَسْلِمُوا ، فَإِنَّ مُحَمَّداً يُعْطِي عَطَاءَ مَنْ لَا يَخْشَى ٱلْفَقْرَ .

وَأَعْطَىٰ [صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ] غَيْرَ وَاحِدٍ مِئَةً مِنَ ٱلْإِبِلِ .

وَأَعْطَىٰ [صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ] صَفْوَانَ مِئَةً ثُمَّ مِئَةً ثُمَّ مِئَةً .

وَهَـٰذِهِ كَانَتْ حَالَهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبْلَ أَنْ يُبْعَثَ ، وَقَدْ قَالَ لَهُ وَرَقَةُ بْنُ نَوْفَلٍ : إِنَّكَ تَحْمِلُ ٱلْكَلَّ وَتَكْسِبُ ٱلْمَعْدُومَ ، وَقَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ

رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا : أَبْشِرْ ؛ فَوَٱللهِ لَا يُخْزِيكَ ٱللهُ أَبَداً ، إِنَّكَ لَتَصِلُ ٱلرَّحِمَ ، وَتَحْمِلُ ٱلْكَلَّ ، وَتَكْسِبُ ٱلْمَعْدُومَ ، وَتَقْرِي ٱلضَّيْفَ ، وَتُعِينُ عَلَىٰ نَوَائِبِ ٱلْحَقِّ .

وَ(ٱلْكَلُّ) هُنَا : ٱلثِّقَلُ مِنْ كُلِّ مَا يُتَكَلَّفُ ؛ كَمَا فِي « لِسَانِ ٱلْعَرَبِ » .

وَأَعْطَىٰ [صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ] ٱلْعَبَّاسَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ مَا لَمْ يُطِقْ حَمْلَهُ .

وَحُمِلَ إِلَيْهِ [صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ] تِسْعُونَ أَلْفَ دِرْهَمٍ ، فَوُضِعَتْ عَلَىٰ حَصِيرٍ ، ثُمَّ قَامَ إِلَيْهَا يَقْسِمُهَا ، فَمَا رَدَّ سَائِلاً حَتَّىٰ فَرَغَ مِنْهَا .

وَلَمَّا قَفَلَ [صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ] مِنْ حُنَيْنٍ وَجَاءَتِ ٱلْأَعْرَابُ يَسْأَلُونَهُ حَتَّى ٱضْطَرُّوهُ إِلَىٰ شَجَرَةٍ فَخَطِفَتْ رِدَاءَهُ ، فَوَقَفَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ : « أَعْطُونِي رِدَائِي ؛ لَوْ كَانَ لِي عَدَدُ هَـٰذِهِ ٱلْعِضَاهِ نَعَماً . . لَقَسَمْتُهُ بَيْنَكُمْ ، ثُمَّ لَا تَجِدُونِي بَخِيلاً ، وَلَا كَذَّاباً ، وَلَا جَبَاناً » .

وَ(ٱلْعِضَاهُ) : شَجَرٌ لَهُ شَوْكٌ ، وَٱحِدُهَا : عِضَاهَةٌ .

وَرَدَّ [صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ] عَلَىٰ هَوَازِنَ سَبَايَاهَا ، وَكَانُوا سِتَّةَ آلَافٍ .

وَفِي « ٱلْمَوَاهِبِ » : (ذَكَرَ ٱبْنُ فَارِسٍ فِي كِتَابِهِ فِي « أَسْمَاءِ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ »[1] : أَنَّهُ فِي يَوْمِ حُنَيْنٍ جَاءَتْهُ ٱمْرَأَةٌ ؛ فَأَنْشَدَتْ شِعْراً تُذَكِّرُهُ أَيَّامَ رَضَاعَتِهِ فِي هَوَازِنَ ، فَرَدَّ عَلَيْهِمْ مَا أَخَذَ وَأَعْطَاهُمْ عَطَاءً كَثِيراً حَتَّىٰ قُوِّمَ مَا أَعْطَاهُمْ ذَلِكَ ٱلْيَوْمَ ، فَكَانَ خَمْسَ مِئَةِ أَلْفِ أَلْفٍ .

---

(١) أي : كتابه المؤلَّف في ذكر أسماء النبي صلَّى ٱلله عليه وسلَّم .

قَالَ ٱبْنُ دِحْيَةَ : وَهَـٰذَا نِهَايَةُ ٱلْجُودِ ٱلَّذِي لَمْ يُسْمَعْ بِمِثْلِهِ فِي ٱلْوُجُودِ).

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ ٱللهُ [تَعَالَىٰ] عَنْهَا : أَنَّ ٱلنَّبِيَّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقْبَلُ ٱلْهَدِيَّةَ وَيُثِيبُ عَلَيْهَا .

وأَتَتْهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ٱمْرَأَةٌ بِبُرْدَةٍ ، فَقَالَتْ : يَا رَسُولَ ٱللهِ ؛ أَكْسُوكَ هَـٰذِهِ؟ فَأَخَذَهَا صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُحْتَاجاً إِلَيْهَا ، فَلَبِسَهَا ، فَرَآهَا عَلَيْهِ رَجُلٌ مِنَ ٱلصَّحَابَةِ فَقَالَ : يَا رَسُولَ ٱللهِ ؛ مَا أَحْسَنَ هَـٰذِهِ! فَٱكْسُنِيهَا ، فَقَالَ : « نَعَمْ » ، فَلَمَّا قَامَ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ . . لَامَهُ أَصْحَابُهُ ، وَقَالُوا : مَا أَحْسَنْتَ حِينَ رَأَيْتَ ٱلنَّبِيَّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخَذَهَا مُحْتَاجاً إِلَيْهَا ، ثُمَّ سَأَلْتَهُ إِيَّاهَا ، وَقَدْ عَرَفْتَ أَنَّهُ لَا يُسْأَلُ شَيْئاً فَيَمْنَعُهُ . رَوَاهُ ٱلْبُخَارِيُّ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَحِيماً ، وَكَانَ لَا يَأْتِيهِ أَحَدٌ إِلَّا وَعَدَهُ وَأَنْجَزَ لَهُ ؛ إِنْ كَانَ عِنْدَهُ .

وَأَمَّا شَجَاعَةُ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

فَقَدْ كَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْجَدَ ٱلنَّاسِ وَأَشْجَعَهُمْ .

قَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ : لَقَدْ رَأَيْتُنِي يَوْمَ بَدْرٍ وَنَحْنُ نَلُوذُ بِٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَهُوَ [أَقْرَبُ] إِلَى ٱلْعَدُوِّ . وَكَانَ مِنْ أَشَدِّ ٱلنَّاسِ يَوْمَئِذٍ بَأْساً .

وَقَالَ أَيْضاً [رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ] : كُنَّا إِذَا حَمِيَ(١) ٱلْبَأْسُ وَلَقِيَ ٱلْقَوْمُ

---

(١) في نسخة : احمرَّ .

ٱلْقَوْمَ . ٱتَّقَيْنَا بِرَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَمَا يَكُونُ أَحَدٌ أَقْرَبَ إِلَىٰ ٱلْعَدُوِّ مِنْهُ .

وَقِيلَ : كَانَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَلِيلَ ٱلْكَلَامِ ، قَلِيلَ ٱلْحَدِيثِ ، فَإِذَا أَمَرَ ٱلنَّاسَ بِٱلْقِتَالِ . . تَشَمَّرَ .

وَكَانَ [صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ] مِنْ أَشَدِّ ٱلنَّاسِ بَأْساً ، وَكَانَ ٱلشُّجَاعُ هُوَ ٱلَّذِي يَقْرُبُ مِنْهُ فِي ٱلْحَرْبِ ؛ لِقُرْبِهِ مِنَ ٱلْعَدُوِّ .

وَقَالَ عِمْرَانُ بْنُ حُصَيْنٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُمَا : مَا لَقِيَ ٱلنَّبِيُّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَتِيبَةً إِلَّا كَانَ أَوَّلَ مَنْ يَضْرِبُ .

وَقَالُوا : وَكَانَ قَوِيَّ ٱلْبَطْشِ . وَلَمَّا غَشِيَهُ ٱلْمُشْرِكُونَ . . نَزَلَ عَنْ بَغْلَتِهِ ، فَجَعَلَ يَقُولُ : « أَنَا ٱلنَّبِيُّ لَا كَذِبْ ، أَنَا ٱبْنُ عَبْدِ ٱلْمُطَّلِبْ » ، فَمَا رُئِيَ يَوْمَئِذٍ أَحَدٌ أَشَدَّ مِنْهُ .

وَسَأَلَ رَجُلٌ ٱلْبَرَاءَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ : أَفَرَرْتُمْ يَوْمَ حُنَيْنٍ عَنْ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟! قَالَ : نَعَمْ ، لَـٰكِنَّ رَسُولَ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَفِرَّ ، كَانَ هَوَازِنُ رُمَاةً ، وَإِنَّا لَمَّا حَمَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱنْكَشَفُوا ؛ فَأَكْبَبْنَا عَلَى ٱلْغَنَائِمِ ، فَٱسْتَقْبَلَتْنَا بِٱلسِّهَامِ .

ثُمَّ قَالَ : وَلَقَدْ رَأَيْتُهُ عَلَىٰ بَغْلَتِهِ ٱلْبَيْضَاءِ ـ وَأَبُو سُفْيَانَ بْنُ ٱلْحَارِثِ آخِذٌ بِلِجَامِهَا ـ وَهُوَ يَقُولُ : « أَنَا ٱلنَّبِيُّ لَا كَذِبْ ، أَنَا ٱبْنُ عَبْدِ ٱلْمُطَّلِبْ » ، فَمَا رُئِيَ يَوْمَئِذٍ أَحَدٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْهُ .

وَعَنِ ٱلْعَبَّاسِ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ قَالَ : لَمَّا ٱلْتَقَى ٱلْمُسْلِمُونَ وَٱلْكُفَّارُ . . وَلَّى ٱلْمُسْلِمُونَ مُدْبِرِينَ ، فَطَفِقَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ يُرَكِّضُ بَغْلَتَهُ نَحْوَ ٱلْكُفَّارِ ، وَأَنَا آخِذٌ بِلِجَامِهَا أَكُفُّهَا إِرَادَةَ أَنْ لَا تُسْرِعَ ، وَأَبُو سُفْيَانَ آخِذٌ بِرِكَابِهِ .

وَقَدْ كَانَ أُبَيُّ بْنُ خَلَفٍ يَقُولُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ ٱفْتَدَىٰ يَوْمَ بَدْرٍ : عِنْدِي فَرَسٌ أَعْلِفُهَا كُلَّ يَوْمٍ فَرَقاً مِنْ ذُرَةٍ أَقْتُلُكَ عَلَيْهَا ، فَقَالَ لَهُ ٱلنَّبِيُّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَنَا أَقْتُلُكَ إِنْ شَاءَ ٱللهُ تَعَالَىٰ » . فَلَمَّا رَآهُ يَوْمَ أُحُدٍ شَدَّ أُبَيٌّ عَلَىٰ فَرَسِهِ عَلَىٰ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَٱعْتَرَضَهُ رِجَالٌ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ، فَقَالَ ٱلنَّبِيُّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَٰكَذَا ؛ أَيْ : خَلُّوا طَرِيقَهُ ، وَتَنَاوَلَ ٱلْحَرْبَةَ مِنَ ٱلْحَارِثِ بْنِ ٱلصِّمَّةِ [رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ] ؛ فَٱنْتَفَضَ بِهَا ٱنْتِفَاضَةً تَطَايَرُوا عَنْهُ تَطَايُرَ ٱلشَّعْرَاءِ عَنْ ظَهْرِ ٱلْبَعِيرِ إِذَا ٱنْتَفَضَ . ثُمَّ ٱسْتَقْبَلَهُ ٱلنَّبِيُّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَطَعَنَهُ فِي عُنُقِهِ طَعْنَةً تَدَأْدَأَ مِنْهَا عَنْ فَرَسِهِ مِرَاراً ـ وَقِيلَ : بَلْ كَسَرَ ضِلْعاً مِنْ أَضْلَاعِهِ ـ فَرَجَعَ إِلَىٰ قُرَيْشٍ يَقُولُ : قَتَلَنِي مُحَمَّدٌ . وَهُمْ يَقُولُونَ : لَا بَأْسَ بِكَ .

فَقَالَ : لَوْ كَانَ مَا بِي بِجَمِيعِ ٱلنَّاسِ لَقَتَلَهُمْ ، أَلَيْسَ قَدْ قَالَ : « أَنَا أَقْتُلُكَ » ؟! وَٱللهِ لَوْ بَصَقَ عَلَيَّ . . لَقَتَلَنِي . فَمَاتَ بِسَرِفٍ فِي قُفُولِهِمْ إِلَىٰ مَكَّةَ .

وَ(ٱلْفَرَقُ) : مِكْيَالٌ يَسَعُ [سِتَّةَ عَشَرَ] رِطْلاً ؛ كُلُّ رِطْلٍ مِئَةٌ وثَلَاثُونَ دِرْهَماً[1] .

وَ(ٱلشَّعْرَاءُ) : ذُبَابٌ أَحْمَرُ ـ وَقِيلَ : أَزْرَقُ ـ يَقَعُ عَلَى ٱلْإِبِلِ فَيُؤْذِيهَا أَذىً شَدِيداً .

---

(١) أي أن الفرَق يعادل (٦٥٠٠) غراماً . أما الدرهم فيعادل (٣,١٢٥) غراماً .

وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ قَالَ : كَانَ ٱلنَّبِيُّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحْسَنَ ٱلنَّاسِ ، وَأَجْوَدَ ٱلنَّاسِ ، وَأَشْجَعَ ٱلنَّاسِ . وَلَقَدْ فَزِعَ أَهْلُ ٱلْمَدِينَةِ ذَاتَ لَيْلَةٍ ، فَٱنْطَلَقَ ٱلنَّاسُ قِبَلَ ٱلصَّوْتِ ، فَٱسْتَقْبَلَهُمُ ٱلنَّبِيُّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ سَبَقَ ٱلنَّاسَ إِلَى ٱلصَّوْتِ ، وَهُوَ يَقُولُ : « لَنْ تُرَاعُوا . . لَنْ تُرَاعُوا » ، وَهُوَ عَلَىٰ فَرَسٍ لِأَبِي طَلْحَةَ عُرْيٍ ، مَا عَلَيْهِ سَرْجٌ ، وَٱلسَّيْفُ فِي عُنُقِهِ ، فَقَالَ : « لَقَدْ وَجَدْتُهُ بَحْراً » .

وَهَـٰذَا ٱلْفَرَسُ ٱسْمُهُ : (ٱلْمَنْدُوبُ) .

وَفِي رِوَايَةٍ لِلْبُخَارِيِّ : إِنَّ أَهْلَ ٱلْمَدِينَةِ فَزِعُوا مَرَّةً ، فَرَكِبَ ٱلنَّبِيُّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَرَساً لِأَبِي طَلْحَةَ كَانَ يَقْطِفُ ، فَلَمَّا رَجَعَ . . قَالَ : « وَجَدْنَا فَرَسَكُمْ هَـٰذَا بَحْراً » ، فَكَانَ بَعْدُ لَا يُجَارَىٰ .

قَوْلُهُ (بَحْراً) اَلْبَحْرُ : اَلْفَرَسُ ٱلْجَوَادُ ٱلْوَاسِعُ ٱلْجَرْيِ .

وَ(يَقْطِفُ) : يُقَالُ قَطَفَ ٱلْفَرَسُ فِي مَشْيِهِ : إِذَا تَضَايَقَ خَطْوُهُ .

وَ(ٱلْقَطُوفُ مِنَ ٱلدَّوَابِّ وَغَيْرِهَا) : ٱلْبَطِيءُ .

* * *

البَابُ السَّادِسُ

فِي صِفَةِ عِبادَةِ رَسُولِ ٱللهِ
صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
وَصَلَاتِه ، وَصَوْمِهِ ، وَقِرَاءَتِهِ
وَفِيهِ ثَلَاثَةُ فُصُولٍ

الفصل الأول

في صفة عبادته صلى الله عليه وسلم وصلاته

قَالَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَنَا أَتْقَاكُمْ لِلهِ تَعَالَىٰ ، وَأَشَدُّكُمْ لَهُ خَشْيَةً » .

وَفِي « صَحِيحِ ٱلْبُخَارِيِّ » : « إِنِّي لَأَعْلَمُكُمْ بِٱللهِ ، وَأَشَدُّكُمْ لَهُ خَشْيَةً » .

وَفِيهِ : عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللهُ [تَعَالَىٰ] عَنْهُ : « لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ . . لَضَحِكْتُمْ قَلِيلاً وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيراً » .

وَفِي « صَحِيحِ مُسْلِمٍ » : عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ ٱللهُ [تَعَالَىٰ] عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « وَٱلَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ ، لَوْ رَأَيْتُمْ مَا رَأَيْتُ . . لَضَحِكْتُمْ قَلِيلاً وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيراً » . قَالُوا : وَمَا رَأَيْتَ يَا رَسُولَ ٱللهِ ؟ قَالَ : « رَأَيْتُ ٱلْجَنَّةَ وَٱلنَّارَ » .

وَعَنِ ٱلْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ وَأَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُمَا قَالَا : صَلَّىٰ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى ٱنْتَفَخَتْ قَدَمَاهُ ، فَقِيلَ لَهُ : أَتَتَكَلَّفُ هَـٰذَا وَقَدْ غَفَرَ ٱللهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ؟! قَالَ : « أَفَلَا أَكُونُ عَبْداً شَكُوراً ؟! » .

قَالَ ٱلْبَاجُورِيُّ : (وَٱسْتُشْكِلَ هَـٰذَا قَدِيماً وَحَدِيثاً . . بِأَنَّهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا ذَنْبَ عَلَيْهِ ؛ لِكَوْنِهِ مَعْصُوماً .

وَأَحْسَنُ مَا قِيلَ فِيهِ : أَنَّهُ مِنْ بَابِ (حَسَنَاتُ ٱلْأَبْرَارِ . . سَيِّئَاتُ ٱلْمُقَرَّبِينَ) ، إِذِ ٱلْإِنْسَانُ لَا يَخْلُو عَنْ تَقْصِيرٍ ، مِنْ حَيْثُ ضَعْفُ ٱلْعُبُودِيَّةِ مَعَ عَظَمَةِ ٱلرُّبُوبِيَّةِ ، وَإِنْ كَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَعْلَى ٱلْمَقَامَاتِ وَأَرْفَعِ ٱلدَّرَجَاتِ فِي عِبَادَاتِهِ وَطَاعَاتِهِ .

وَقَدْ قَالَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « سُبْحَانَكَ مَا عَبَدْنَاكَ حَقَّ عِبَادَتِكَ ، لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ ، أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَىٰ نَفْسِكَ » .

وَلِذَلِكَ قِيلَ : ٱلْمَغْفِرَةُ قِسْمَانِ :

مَغْفِرَةٌ لِلْعَوَامِّ ، وَهِيَ : مُسَامَحَتُهُمْ مِنَ ٱلذُّنُوبِ .

وَمَغْفِرَةٌ لِلْخَوَاصِّ ، وَهِيَ : مُسَامَحَتُهُمْ مِنَ ٱلتَّقْصِيرِ) اهـ

وَعَنِ ٱلْأَسْوَدِ بْنِ يَزِيدَ [رَحِمَهُ ٱللهُ تَعَالَىٰ] قَالَ : سَأَلْتُ عَائِشَةَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا عَنْ صَلَاةِ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِٱللَّيْلِ فَقَالَتْ : كَانَ يَنَامُ أَوَّلَ ٱللَّيْلِ ، ثُمَّ يَقُومُ ، فَإِذَا كَانَ مِنَ ٱلسَّحَرِ . . أَوْتَرَ ، ثُمَّ أَتَىٰ فِرَاشَهُ ، فَإِذَا كَانَ لَهُ حَاجَةٌ . . أَلَمَّ بِأَهْلِهِ ، فَإِذَا سَمِعَ ٱلْأَذَانَ . . وَثَبَ ، فَإِنْ كَانَ جُنُباً . . أَفَاضَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَاءِ ، وَإِلَّا . . تَوَضَّأَ وَخَرَجَ إِلَى ٱلصَّلَاةِ .

وَعَنِ ٱبْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُمَا : أَنَّهُ بَاتَ عِنْدَ مَيْمُونَةَ أُمِّ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَهِيَ خَالَتُهُ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا قَالَ : فَٱضْطَجَعْتُ فِي عَرْضِ ٱلْوِسَادَةِ ، وَٱضْطَجَعَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي طُولِهَا ، فَنَامَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، حَتَّىٰ إِذَا ٱنْتَصَفَ ٱللَّيْلُ ، أَوْ قَبْلَهُ بِقَلِيلٍ ،

أَوْ بَعْدَهُ بِقَلِيلٍ . فَٱسْتَيْقَظَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَجَعَلَ يَمْسَحُ ٱلنَّوْمَ عَنْ وَجْهِهِ ، ثُمَّ قَرَأَ ٱلْعَشْرَ ٱلْآيَاتِ ٱلْخَوَاتِيمَ مِنْ سُورَةِ (آلِ عِمْرَانَ) ؛ أَيْ : ٱلَّتِي أَوَّلُهَا : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ إِلَىٰ آخِرِ ٱلسُّورَةِ ثُمَّ قَامَ إِلَىٰ شَنٍّ مُعَلَّقٍ فَتَوَضَّأَ مِنْهَا ، فَأَحْسَنَ ٱلْوُضُوءَ ، ثُمَّ قَامَ يُصَلِّي .

قَالَ عَبْدُ ٱللهِ بْنُ عَبَّاسٍ : فَقُمْتُ إِلَىٰ جَنْبِهِ ، فَوَضَعَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدَهُ ٱلْيُمْنَىٰ عَلَىٰ رَأْسِي ، ثُمَّ أَخَذَ بِأُذُنِي ٱلْيُمْنَىٰ فَفَتَلَهَا ـ وَفِي رِوَايَةٍ : فَأَخَذَ بِأُذُنِي ؛ فَأَدَارَنِي عَنْ يَمِينِهِ ـ فَصَلَّىٰ رَكْعَتَيْنِ ، ثُمَّ رَكْعَتَيْنِ ، ثُمَّ رَكْعَتَيْنِ ، ثُمَّ رَكْعَتَيْنِ ، ثُمَّ رَكْعَتَيْنِ ، ثُمَّ رَكْعَتَيْنِ (سِتَّ مَرَّاتٍ) ، ثُمَّ أَوْتَرَ ، ثُمَّ ٱضْطَجَعَ حَتَّىٰ جَاءَهُ ٱلْمُؤَذِّنُ ، فَقَامَ فَصَلَّىٰ رَكْعَتَيْنِ خَفِيفَتَيْنِ ، ثُمَّ خَرَجَ فَصَلَّى ٱلصُّبْحَ .

وَفِي « ٱلصَّحِيحِ » : عَنْ أَنَسٍ [رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ] : أَنَّ رَسُولَ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَتَوَضَّأُ عِنْدَ كُلِّ صَلَاةٍ .

وَعَنِ ٱبْنِ عَبَّاسٍ أَيْضاً(١) [رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ] ؛ قَالَ : كَانَ ٱلنَّبِيُّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي مِنَ ٱللَّيْلِ ثَلَاثَ عَشْرَةَ رَكْعَةً .

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهَا : أَنَّ ٱلنَّبِيَّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا لَمْ يُصَلِّ بِٱللَّيْلِ ؛ مَنَعَهُ مِنْ ذَلِكَ ٱلنَّوْمُ ، أَوْ غَلَبَتْهُ عَيْنَاهُ . صَلَّىٰ مِنَ ٱلنَّهَارِ ثِنْتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً .

---

(١) غير مناسب الإتيان به هنا بعد حديث أنس ، إذ يوهم أن حديث أنس من حديث ابن عباس ، ومحل الحديث ـ والله أعلم ـ بعد حديث بيتوتته صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عند ميمونة رضي الله تعالى عنها .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ ، عَنِ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ مِنَ ٱللَّيْلِ فَلْيَفْتَتِحْ صَلَاتَهُ بِرَكْعَتَيْنِ خَفِيفَتَيْنِ » .

وَعَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ ٱلْجُهَنِيِّ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ : لَأَرْمُقَنَّ صَلَاةَ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَتَوَسَّدْتُ عَتَبَتَهُ ، أَوْ فُسْطَاطَهُ ، فَصَلَّىٰ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَكْعَتَيْنِ خَفِيفَتَيْنِ ، ثُمَّ صَلَّىٰ رَكْعَتَيْنِ طَوِيلَتَيْنِ . . طَوِيلَتَيْنِ . . طَوِيلَتَيْنِ .

ذَكَرَ لَفْظَ « طَوِيلَتَيْنِ » ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ؛ لِلتَّأْكِيدِ مُبَالَغَةً فِي طُولِهِمَا .

ثُمَّ صَلَّىٰ رَكْعَتَيْنِ وَهُمَا دُونَ ٱللَّتَيْنِ قَبْلَهُمَا ، ثُمَّ صَلَّىٰ رَكْعَتَيْنِ ؛ وَهُمَا دُونَ ٱللَّتَيْنِ قَبْلَهُمَا ، ثُمَّ صَلَّىٰ رَكْعَتَيْنِ ؛ وَهُمَا دُونَ ٱللَّتَيْنِ قَبْلَهُمَا ، ثُمَّ صَلَّىٰ رَكْعَتَيْنِ ؛ وَهُمَا دُونَ ٱللَّتَيْنِ قَبْلَهُمَا ، ثُمَّ أَوْتَرَ ، فَذَلِكَ ثَلَاثَ عَشْرَةَ رَكْعَةً .

وَعَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ـ رَحِمَهُ ٱللهُ تَعَالَىٰ ـ أَنَّهُ سَأَلَ عَائِشَةَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا : كَيْفَ كَانَتْ صَلَاةُ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي رَمَضَانَ؟

فَقَالَتْ : مَا كَانَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيَزِيدَ فِي رَمَضَانَ ، وَلَا فِي غَيْرِهِ عَلَىٰ إِحْدَىٰ عَشْرَةَ رَكْعَةً ؛ يُصَلِّي أَرْبَعاً لَا تَسْأَلْ عَنْ حُسْنِهِنَّ وَطُولِهِنَّ ، ثُمَّ يُصَلِّي أَرْبَعاً لَا تَسْأَلْ عَنْ حُسْنِهِنَّ وَطُولِهِنَّ ، ثُمَّ يُصَلِّي ثَلَاثاً .

قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا : قُلْتُ : يَا رَسُولَ ٱللهِ ؛ أَتَنَامُ قَبْلَ أَنْ تُوتِرَ؟ فَقَالَ : « يَا عَائِشَةُ ؛ إِنَّ عَيْنَيَّ تَنَامَانِ ، وَلَا يَنَامُ قَلْبِي » .

وَعَنْ عَائِشَةَ أَيْضاً رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا : أَنَّ رَسُولَ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يُصَلِّي مِنَ ٱللَّيْلِ إِحْدَىٰ عَشْرَةَ رَكْعَةً يُوتِرُ مِنْهَا بِوَاحِدَةٍ ، فَإِذَا فَرَغَ مِنْهَا . . ٱضْطَجَعَ عَلَىٰ شِقِّهِ ٱلْأَيْمَنِ .

وَعَنْ عَائِشَةَ أَيْضاً [رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا] قَالَتْ : كَانَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي مِنَ ٱللَّيْلِ تِسْعَ رَكَعَاتٍ . أَيْ : فِي بَعْضِ ٱلْأَوْقَاتِ .

وَعَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ ٱلْيَمَانِ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُمَا : أَنَّهُ صَلَّىٰ مَعَ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ ٱللَّيْلِ ، قَالَ : فَلَمَّا دَخَلَ فِي ٱلصَّلَاةِ . . قَالَ : « ٱللهُ أَكْبَرُ ذُو ٱلْمَلَكُوتِ وَٱلْجَبَرُوتِ وَٱلْكِبْرِيَاءِ وَٱلْعَظَمَةِ » .

قَالَ : ثُمَّ قَرَأَ (ٱلْبَقَرَةَ) ، ثُمَّ رَكَعَ ؛ فَكَانَ رُكُوعُهُ نَحْواً مِنْ قِيَامِهِ ، وَكَانَ يَقُولُ : « سُبْحَانَ رَبِّيَ ٱلْعَظِيمِ ، سُبْحَانَ رَبِّيَ ٱلْعَظِيمِ » ، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ ؛ فَكَانَ قِيَامُهُ نَحْواً مِنْ رُكُوعِهِ ، وَكَانَ يَقُولُ : « لِرَبِّيَ ٱلْحَمْدُ ، لِرَبِّيَ ٱلْحَمْدُ » ، ثُمَّ سَجَدَ ؛ فَكَانَ سُجُودُهُ نَحْواً مِنْ قِيَامِهِ ، وَكَانَ يَقُولُ : « سُبْحَانَ رَبِّيَ ٱلْأَعْلَىٰ ، سُبْحَانَ رَبِّيَ ٱلْأَعْلَىٰ » ، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ فَكَانَ مَا بَيْنَ ٱلسَّجْدَتَيْنِ نَحْواً مِنَ ٱلسُّجُودِ ، وَكَانَ يَقُولُ : « رَبِّ ٱغْفِرْ لِي ، رَبِّ ٱغْفِرْ لِي » حَتَّىٰ قَرَأَ (ٱلْبَقَرَةَ) ، وَ(آلَ عِمْرَانَ) ، وَ(ٱلنِّسَاءَ) ، وَ(ٱلْمَائِدَةَ) ، أَوِ (ٱلْأَنْعَامَ) ؛ أَيْ : أَنَّهُ صَلَّىٰ أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ قَرَأَ فِي ٱلْأُولَى : (ٱلْبَقَرَةَ) ، وَفِي ٱلثَّانِيَةِ : (آلَ عِمْرَانَ) ، وَفِي ٱلثَّالِثَةِ : (ٱلنِّسَاءَ) ، وَفِي ٱلرَّابِعَةِ : (ٱلْمَائِدَةَ) أَوِ (ٱلْأَنْعَامَ) . وَٱلشَّكُّ فِيهِمَا مِنْ شُعْبَةَ رَاوِي هَـٰذَا ٱلْحَدِيثِ .

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا قَالَتْ : قَامَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِآيَةٍ مِنَ ٱلْقُرْآنِ لَيْلَةً .

وَعَنْ عَبْدِ ٱللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ قَالَ : صَلَّيْتُ لَيْلَةً مَعَ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَلَمْ يَزَلْ قَائِماً حَتَّىٰ هَمَمْتُ بِأَمْرِ سَوْءٍ . قِيلَ لَهُ : وَمَا هَمَمْتَ بِهِ؟ قَالَ : هَمَمْتُ أَنْ أَقْعُدَ وَأَدَعَ ٱلنَّبِيَّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا : أَنَّ ٱلنَّبِيَّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يُصَلِّي جَالِساً فَيَقْرَأُ وَهُوَ جَالِسٌ ، فَإِذَا بَقِيَ مِنْ قِرَاءَتِهِ قَدْرُ مَا يُكُونُ ثَلَاثِينَ ـ أَوْ أَرْبَعِينَ ـ آيَةً . . قَامَ فَقَرَأَ وَهُوَ قَائِمٌ ، ثُمَّ رَكَعَ وَسَجَدَ ، ثُمَّ صَنَعَ فِي ٱلرَّكعَةِ ٱلثَّانِيَةِ مِثْلَ ذَلِكَ .

وَعَنْ عَبْدِ ٱللهِ بْنِ شَقِيقٍ [رَحِمَهُ ٱللهُ تَعَالَىٰ] قَالَ : سَأَلْتُ عَائِشَةَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا عَنْ صَلَاةِ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي تَطَوُّعِهِ؟ فَقَالَتْ : كَانَ يُصَلِّي لَيْلاً طَوِيلاً قَائِماً ، وَلَيْلاً طَوِيلاً قَاعِداً ، فَإِذَا قَرَأَ وَهُوَ قَائِم . . رَكَعَ وَسَجَدَ وَهُوَ قَائِمٌ ، وَإِذَا قَرَأَ وَهُوَ جَالِسٌ . . رَكَعَ وَسَجَدَ وَهُو جَالِسٌ .

وَعَنْ حَفْصَةَ [رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا] زَوْجِ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَتْ : كَانَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي فِي سُبْحَتِهِ ـ أَيْ : نَافِلَتِهِ ـ قَاعِداً ، وَيَقْرَأُ بِٱلسُّورَةِ ويُرَتِّلُهَا حَتَّىٰ تَكُونَ أَطْوَلَ مِنْ أَطْوَلَ مِنْهَا(١) .

وَعَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ : وَٱلَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ،

---

(١) أي حتىٰ يصير وقت قراءة السورة القصيرة ـ كالأنفال مثلاً ـ لاشتمالها علىٰ الترتيل والوقوف عند معاني الآيات أطول من الوقت الذي تقرأ فيه السورة الطويلة ـ كالأعراف ـ في الأحوال العادية .

مَا مَاتَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّىٰ كَانَ أَكْثَرُ صَلَاتِهِ قَاعِداً ، إِلَّا ٱلْمَكْتُوبَةَ .

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا : كَانَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَدَعُ قِيَامَ ٱللَّيْلِ ، وَكَانَ إِذَا مَرِضَ أَوْ كَسِلَ . . صَلَّىٰ قَاعِداً .

وَعَنِ ٱبْنِ عُمَرَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُمَا قَالَ : صَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَكْعَتَيْنِ قَبْلَ ٱلظُّهْرِ ، وَرَكْعَتَيْنِ بَعْدَهُ ، وَرَكْعَتَيْنِ بَعْدَ ٱلْمَغْرِبِ فِي بَيْتِهِ ، وَرَكْعَتَيْنِ بَعْدَ ٱلْعِشَاءِ فِي بَيْتِهِ .

وَعَنْ حَفْصَةَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا : أَنَّ رَسُولَ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ خَفِيفَتَيْنِ حِينَ يَطْلُعُ ٱلْفَجْرُ .

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا : كَانَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَدَعُ رَكْعَتَيِ ٱلْفَجْرِ فِي ٱلسَّفَرِ وَلَا فِي ٱلْحَضَرِ ، وَلَا فِي ٱلصِّحَّةِ وَلَا فِي ٱلسَّقَمِ .

وَعَنِ ٱبْنِ عُمَرَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُمَا قَالَ : حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَمَانِيَ رَكَعَاتٍ : رَكْعَتَيْنِ قَبْلَ ٱلظُّهْرِ ، وَرَكْعَتَيْنِ بَعْدَهُ ، وَرَكْعَتَيْنِ بَعْدَ ٱلْمَغْرِبِ ، وَرَكْعَتَيْنِ بَعْدَ ٱلْعِشَاءِ .

قَالَ ٱبْنُ عُمَرَ : وَحَدَّثَتْنِي حَفْصَةُ بِرَكْعَتَيِ ٱلْغَدَاةِ ، وَلَمْ أَكُنْ أَرَاهُمَا مِنَ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وَعَنْ مُعَاذَةَ [رَحِمَهَا ٱللهُ تَعَالَىٰ] قَالَتْ : قُلْتُ لِعَائِشَةَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا : أَكَانَ ٱلنَّبِيُّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي ٱلضُّحَىٰ؟ قَالَتْ : نَعَمْ . . أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ ، وَيَزِيدُ مَا شَاءَ ٱللهُ عَزَّ وَجَلَّ .

وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ : أَنَّ ٱلنَّبِيَّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يُصَلِّي ٱلضُّحَىٰ سِتَّ رَكَعَاتٍ .

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ ٱلْخُدْرِيِّ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ قَالَ : كَانَ ٱلنَّبِيُّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي ٱلضُّحَىٰ حَتَّىٰ نَقُولَ لَا يَدَعُهَا ، وَيَدَعُهَا حَتَّىٰ نَقُولَ لَا يُصَلِّيهَا .

وَعَنْ أَبِي أَيُّوبَ ٱلْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ : أَنَّ ٱلنَّبِيَّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يُدْمِنُ أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ عِنْدَ زَوَالِ ٱلشَّمْسِ ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ ٱللهِ ؛ إِنَّكَ تُدْمِنُ هَـٰذِهِ ٱلْأَرْبَعَ رَكَعَاتٍ عِنْدَ زَوَالِ ٱلشَّمْسِ؟ فَقَالَ : « إِنَّ أَبْوَابَ ٱلسَّمَاءِ تُفْتَحُ عِنْدَ زَوَالِ ٱلشَّمْسِ ، فَلَا تُرْتَجُ حَتَّىٰ يُصَلَّى ٱلظُّهْرُ ، فَأُحِبُّ أَنْ يَصْعَدَ لِي فِي تِلْكَ ٱلسَّاعَةِ خَيْرٌ » ؛ قُلْتُ : أَفِي كُلِّهِنَّ قِرَاءَةٌ؟ قَالَ : « نَعَمْ » ، قُلْتُ : هَلْ فِيهِنَّ تَسْلِيمٌ فَاصِلٌ؟ قَالَ : « لَا » .

وَمَعْنَىٰ (لَا تُرْتَجُ) : لَا تُغْلَقُ .

وَعَنْ أُمِّ هَانِىءٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا : أَنَّ رَسُولَ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَخَلَ بَيْتَهَا يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ فَٱغْتَسَلَ ، فَسَبَّحَ ـ أَي : صَلَّىٰ ثَمَانِ رَكَعَاتٍ ـ مَا رَأَيْتُهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَّىٰ صَلَاةً قَطُّ أَخَفَّ مِنْهَا ، غَيْرَ أَنَّهُ كَانَ يُتِمُّ ٱلرُّكُوعَ وَٱلسُّجُودَ .

وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ : كَانَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخَفَّ ٱلنَّاسِ صَلَاةً فِي تَمَامٍ .

وَعَنْ أَبِي وَاقِدٍ ٱللَّيْثِيِّ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ : كَانَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخفَّ ٱلنَّاسِ صَلَاةً عَلَى ٱلنَّاسِ ، وَأَطْوَلَ ٱلنَّاسِ صَلَاةً لِنَفْسِهِ .

وَعَنْ عَبْدِ ٱللهِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ قَالَ : سَأَلْتُ رَسُولَ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ ٱلصَّلَاةِ فِي بَيْتِي ، وَٱلصَّلَاةِ فِي ٱلْمَسْجِدِ؟ قَالَ : « قَدْ تَرَىٰ مَا أَقْرَبَ بَيْتِيَ مِنَ ٱلْمَسْجِدِ ، فَلَأَنْ أُصَلِّيَ فِي بَيْتِيَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أُصَلِّيَ فِي ٱلْمَسْجِدِ ؛ إِلَّا أَنْ تَكُونَ صَلَاةً مَكْتُوبَةً » ؛ أَيْ : لِتَحْصُلَ ٱلْبَرَكَةُ لِلْبَيْتِ وَأَهْلِهِ ، وَتَنْزِلَ ٱلْمَلَائِكَةُ ، وَلِيَذْهَبَ عَنْهُ ٱلشَّيْطَانُ .

وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ قَالَ : كَانَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا ٱشْتَدَّ ٱلْبَرْدُ . . بَكَّرَ بِٱلصَّلَاةِ ، وَإِذَا ٱشْتَدَّ ٱلْحَرُّ . . أَبْرَدَ بِٱلصَّلَاةِ .

وَعَنِ ٱبْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ : كَانَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَكُونُ فِي ٱلْمُصَلِّينَ إِلَّا كَانَ أَكْثَرَهُمْ صَلَاةً ، وَلَا يَكُونُ فِي ٱلذَّاكِرِينَ إِلَّا كَانَ أَكْثَرَهُمْ ذِكْراً .

وَعَنْ حُذَيْفَةَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ : كَانَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا حَزَبَهُ ـ وَفِي رِوَايَةٍ : حَزَنَهُ ـ أَمْرٌ . . صَلَّىٰ ؛ أَيْ : إِذَا نَزَلَ بِهِ هَمٌّ ، وَأَصَابَهُ غَمٌّ .

وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ : كَانَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا نَزَلَ مَنْزِلاً . . لَمْ يَرْتَحِلْ مِنْهُ حَتَّىٰ يُصَلِّيَ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحِبُّ أَنْ يَلِيَهُ ٱلْمُهَاجِرُونَ وَٱلْأَنْصَارُ فِي ٱلصَّلَاةِ ؛ لِيَحْفَظُوا عَنْهُ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يُفَارِقُ مُصَلَّاهُ سِوَاكُهُ وَمُشْطُهُ .

وَرَوَى ٱلْإِمَـامُ أَحْمَـدُ ، وَمُسْلِـمٌ ، وَأَبُـو دَاوُودَ ، وَٱلتِّـرْمِـذِيُّ ، وَٱلنَّسَائِيُّ ، وَٱبْنُ مَاجَهْ : أَنَّ رَسُولَ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا ٱنْصَرَفَ مِنْ صَلَاتِهِ . . ٱسْتَغْفَرَ (ثَلَاثاً) ، ثُمَّ قَالَ : « ٱللَّهُمَّ ؛ أَنْتَ ٱلسَّلَامُ ، وَمِنْكَ ٱلسَّلَامُ ، تَبَارَكْتَ يَا ذَا ٱلْجَلَالِ وَٱلْإِكْرَامِ » .

* * *

الفَصْلُ الثَّانِي

فِي صِفَةِ صَوْمِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

عَنْ عَبْدِ ٱللهِ بنِ شَقِيقٍ [رَحِمَهُ ٱللهُ تَعَالَىٰ] قَالَ : سَأَلْتُ عَائِشَةَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا عَنْ صِيَامِ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ قَالَتْ : كَانَ يَصُومُ حَتَّىٰ نَقُولَ قَدْ صَامَ ـ أَيْ : دَاوَمَ ٱلصَّوْمَ ـ فَلَا يُفْطِرُ ، وَيُفْطِرُ حَتَّىٰ نَقُولَ قَدْ أَفْطَرَ ـ أَيْ : دَاوَمَ ٱلْإِفْطَارَ ـ فَلَا يَصُومُ .

قَالَتْ : وَمَا صَامَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَهْراً كَامِلاً مُنْذُ قَدِمَ ٱلْمَدِينَةَ . . إِلَّا رَمَضَانَ .

وَسُئِلَ أَنَسٌ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ عَنْ صَوْمِ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : كَانَ يَصُومُ مِنَ ٱلشَّهْرِ حَتَّىٰ نَرَىٰ أَنْ لَا يُرِيدَ أَنْ يُفْطِرَ مِنْهُ ، وَيُفْطِرُ حَتَّىٰ نَرَىٰ أَنْ لَا يُرِيدَ أَنْ يَصُومَ مِنْهُ شَيْئاً ، وَكُنْتَ لَا تَشَاءُ أَنْ تَرَاهُ مِنَ ٱللَّيْلِ مُصَلِّياً إِلَّا رَأَيْتَهُ مُصَلِّياً ، وَلَا نَائِماً إِلَّا رَأَيْتَهُ نَائِماً .

وَعَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا قَالَتْ : مَا رَأَيْتُ ٱلنَّبِيَّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَصُومُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ إِلَّا شَعْبَانَ وَرَمَضَانَ .

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا قَالَتْ : لَمْ أَرَ رَسُولَ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَصُومُ فِي شَهْرٍ أَكْثَرَ مِنْ صِيَامِهِ فِي شَعْبَانَ ، كَانَ يَصُومُ شَعْبَانَ إِلَّا قَلِيلاً ، بَلْ كَانَ يَصُومُهُ كُلَّهُ .

وَعَنْ عَبْدِ ٱللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ قَالَ : كَانَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَصُومُ مِنْ غُرَّةِ كُلِّ شَهْرٍ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ ، وَقَلَّمَا كَانَ يُفْطِرُ يَوْمَ ٱلْجُمُعَةِ[1] .

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا قَالَتْ : كَانَ ٱلنَّبِيُّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَحَرَّىٰ صَوْمَ ٱلْإِثْنَيْنِ وَٱلْخَمِيسِ .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ : أَنَّ ٱلنَّبِيَّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « تُعْرَضُ ٱلْأَعْمَالُ يَوْمَ ٱلْإِثْنَيْنِ وَٱلْخَمِيسِ ، فَأُحِبُّ أَنْ يُعْرَضَ عَمَلِي وَأَنَا صَائِمٌ » .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ [رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ] أَيْضاً قَالَ : كَانَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَكْثَرَ مَا يَصُومُ ٱلْإِثْنَيْنِ وَٱلْخَمِيسَ ، فَقِيلَ لَهُ . . فَقَالَ : « ٱلْأَعْمَالُ تُعْرَضُ كُلَّ إِثْنَيْنِ وَخَمِيسٍ ؛ فَيُغْفَرُ لِكُلِّ مُسْلِمٍ . . إِلَّا ٱلْمُتَهَاجِرَيْنِ[2] ، فَيَقُولُ : أَخِّرُوهُمَا [حَتَّىٰ يَصْطَلِحَا] » .

وَعَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا : كَانَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَكْثَرُ صَوْمِهِ ٱلسَّبْتُ وَٱلْأَحَدُ[3] ، وَيَقُولُ : « هُمَا يَوْمَا عِيدِ ٱلْمُشْرِكِينَ فَأُحِبُّ أَنْ أُخَالِفَهُمْ » .

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا قَالَتْ : كَانَ ٱلنَّبِيُّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ

(١) لـٰكنه صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يضمه إلىٰ الخميس أو السبت ؛ فلا يخالف هـٰذا حديث النهي عن إفراده بالصوم .

(٢) أي : المسلمَيْن المتقاطعَيْن .

(٣) أي : معاً ؛ لأنَّ إفرادهما كيوم الجمعة مكروه .

وَسَلَّمَ يَصُومُ مِنَ ٱلشَّهْرِ ٱلسَّبْتَ وَٱلْأَحَدَ وَٱلْإِثْنَيْنِ ، وَمِنَ ٱلشَّهْرِ ٱلْآخَرِ ٱلثُّلَاثَاءَ وَٱلْأَرْبِعَاءَ وَٱلْخَمِيسَ .

وَعَنْ مُعَاذَةَ [رَحِمَهَا ٱللهُ تَعَالَىٰ] قَالَتْ : قُلْتُ لِعَائِشَةَ : أَكَانَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَصُومُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ؟ قَالَتْ : نَعَمْ ، قُلْتُ : مِنْ أَيِّهِ كَانَ يَصُومُ ؛ أَيْ : مِنْ أَيِّ أَيَّامِهِ؟ قَالَتْ : كَانَ لَا يُبَالِي مِنَ أَيِّهِ صَامَ ؛ أَيْ : مِنْ أَوَّلِهِ ، وَمِنْ وَسَطِهِ ، وَمِنْ آخِرِهِ .

وَعَنِ ٱبْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُمَا : كَانَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَايَدَعُ صَوْمَ أَيَّامِ ٱلْبِيضِ فِي سَفَرٍ وَلَا حَضَرٍ .

وَ(أَيَّامُ ٱلْبِيضِ) : اَلْيَوْمُ ٱلثَّالِثَ عَشَرَ مِنَ ٱلشَّهْرِ ، وَٱلرَّابِعَ عَشَرَ ، وَٱلْخَامِسَ عَشَرَ . وَسُمِّيَتْ بِيضاً ؛ لِأَنَّ ٱلْقَمَرَ يَطْلُعُ فِيهَا مِنْ أَوَّلِهَا إِلَىٰ آخِرِهَا .

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا قَالَتْ : كَانَ عَاشُورَاءُ(١) يَوْماً تَصُومُهُ قُرَيْشٌ فِي ٱلْجَاهِلِيَّةِ ، وَكَانَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَصُومُهُ ، فَلَمَّا قَدِمَ ٱلْمَدِينَةَ . . صَامَهُ وَأَمَرَ بِصِيَامِهِ ، فَلَمَّا ٱفْتُرِضَ رَمَضَانُ . . كَانَ رَمَضَانُ هُوَ ٱلْفَرِيضَةَ ، وَتُرِكَ عَاشُورَاءُ ، فَمَنْ شَاءَ . . صَامَهُ ، وَمَنْ شَاءَ . . تَرَكَهُ .

وَعَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ ٱللهُ [تَعَالَىٰ] عَنْهُ : كَانَ رسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَصُومُ يَوْمَ عَاشُورَاءَ ، وَيَأْمُرُ بِهِ .

وَعَنْ حَفْصَةَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا : كَانَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ

---

(١) هو اليوم العاشر من المحرّم .

وَسَلَّمَ يَصُومُ تِسْعَ ذِي ٱلْحِجَّةِ وَيَوْمَ عَاشُورَاءَ ، وَثَلَاثَةَ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ : أَوَّلَ إِثْنَيْنِ مِنَ ٱلشَّهْرِ ، وَٱلْخَمِيسَ ، وَٱلإِثْنَيْنِ مِنَ ٱلْجُمُعَةِ ٱلْأُخْرَىٰ .

وَعَنْ جَابِرٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ : كَانَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعْجِبُهُ أَنْ يُفْطِرَ عَلَى ٱلرُّطَبِ مَا دَامَ ٱلرُّطَبُ ، وَعَلَى ٱلتَّمْرِ إِذَا لَمْ يَكُنْ رُطَبٌ ، وَيَخْتِمُ بِهِنَّ ، وَيَجْعَلُهُنَّ وِتْراً ؛ ثَلَاثاً ، أَوْ خَمْساً ، أَوْ سَبْعاً .

وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ : كَانَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحِبُّ أَنْ يُفْطِرَ عَلَىٰ ثَلَاثِ تَمَرَاتٍ ، أَوْ شَيْءٍ لَمْ تُصِبْهُ ٱلنَّارُ .

وَعَنْ أَنَسٍ [رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ] أَيْضاً : كَانَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُفْطِرُ عَلَىٰ رُطَبَاتٍ قَبْلَ أَنْ يُصَلِّيَ ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ رُطَبَاتٌ . . فَتَمَرَاتٍ ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ تَمَرَاتٌ . . حَسَا حَسَوَاتٍ مِنْ مَاءٍ .

وَعَنْ أَنَسٍ [رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ] أَيْضاً قَالَ : كَانَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَفْطَرَ عِنْدَ قَوْمٍ . . قَالَ : « أَفْطَرَ عِنْدَكُمُ ٱلصَّائِمُونَ ، وَأَكَلَ طَعَامَكُمُ ٱلْأَبْرَارُ ، وَتَنَزَّلَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَلَائِكَةُ » .

وَعَنِ ٱبْنِ ٱلزُّبَيْرِ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ قَالَ : كَانَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَفْطَرَ عِنْدَ قَوْمٍ . . قَالَ : « أَفْطَرَ عِنْدَكُمُ ٱلصَّائِمُونَ ، وَصَلَّتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَلَائِكَةُ » .

وَعَنِ ٱبْنِ عُمَرَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُمَا : كَانَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَفْطَرَ . . قَالَ : « ذَهَبَ ٱلظَّمَأُ ، وَٱبْتَلَّتِ ٱلْعُرُوقُ ، وَثَبَتَ ٱلْأَجْرُ إِنْ شَاءَ ٱللهُ تَعَالَىٰ » .

وَعَنْ مُعَاذِ بنِ زُهْرَةَ [رَحِمَهُ ٱللهُ تَعَالَىٰ] : كَانَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَفْطَرَ . قَالَ : « اَللّٰهُمَّ ؛ لَكَ صُمْتُ ، وَعَلَىٰ رِزْقِكَ أَفْطَرْتُ » .

وَعَنْ مُعَاذٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ[1] قَالَ : كَانَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَفْطَرَ . قَالَ : « اَلْحَمْدُ لِلهِ ٱلَّذِي أَعَانَنِي فَصُمْتُ ، وَرَزَقَنِي فَأَفْطَرْتُ » .

وَعَنِ ٱبْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُمَا قَالَ : كَانَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَفْطَرَ . قَالَ : « ٱللَّهُمَّ ؛ لَكَ صُمْتُ ، وَعَلَىٰ رِزْقِكَ أَفْطَرْتُ ، فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ » .

وَعَنْ عَلْقَمَةَ [رَحِمَهُ ٱللهُ تَعَالَىٰ] قَالَ : سَأَلْتُ عَائِشَةَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا : أَكَانَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخُصُّ مِنَ ٱلْأَيَّامِ شَيْئاً؟ قَالَتْ : كَانَ عَمَلُهُ دِيمَةً[2] ، وَأَيُّكُمْ يُطِيقُ مَا كَانَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُطِيقُ ؟

وَعَنْ عَائِشَةَ أَيْضاً رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا قَالَتْ : دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعِنْدِي ٱمْرَأَةٌ ، فَقَالَ : « مَنْ هَـٰذِهِ؟ » ، قُلْتُ : فُلَانَةُ ؛ لَا تَنَامُ ٱللَّيْلَ . فَقَالَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « عَلَيْكُمْ مِنَ ٱلْأَعْمَالِ مَا تُطِيقُونَ ؛ فَوَٱللهِ لَا يَمَلُّ [ٱللهُ] حَتَّىٰ تَمَلُّوا » ، وَكَانَ أَحَبَّ ذَلِكَ إِلَىٰ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ٱلَّذِي يَدُومُ عَلَيْهِ صَاحِبُهُ .

---

(١) وهو معاذ بن زهرة التابعي المعروف ، وكان ينبغي هنا الترحم لا الترضي ، كما هي عادة المؤلف ـ رحمه ٱلله تعالىٰ ـ في الترضي على الصحابة والترحم علىٰ مَن بعدهم .

(٢) أي : دائماً .

وَعَنْ أَبي صَالِحٍ [رَحِمَهُ ٱللهُ تَعَالَىٰ][1] قَالَ : سَأَلْتُ عَائِشَةَ وَأُمَّ سَلَمَةَ رَضِيَ ٱللهُ [تَعَالَىٰ] عَنْهُمَا : أَيُّ ٱلْعَمَلِ كَانَ أَحَبَّ إِلَىٰ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قَالَتَا : مَا دِيمَ عَلَيْهِ ، وَإِنْ قَلَّ .

وَرَوَى ٱلْبُخَارِيُّ : عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا : أَنَّهُ كَانَ أَحَبَّ ٱلدِّينِ إِلَىٰ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا دَاوَمَ عَلَيْهِ صَاحِبُهُ .

* * *

---

(١) واسمه : ذكوان السمان والزيات .

الفَصْلُ الثَّالِثُ

في صفة قراءته صلّى الله عليه وسلّم

عَنْ عَوْفِ بنِ مَالِكٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالىٰ عَنْهُ قَالَ : كُنْتُ مَعَ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْلَةً ، فَٱسْتَاكَ ، ثُمَّ تَوَضَّأَ ، ثُمَّ قَامَ يُصَلِّي ، فَقُمْتُ مَعَهُ ، فَبَدَأَ فَٱسْتَفْتَحَ (ٱلْبَقَرَةَ) ، فَلَا يَمُرُّ بِآيَةِ رَحْمَةٍ . . إِلَّا وَقَفَ فَسَأَلَ ، وَلَا يَمُرُّ بِآيَةِ عَذَابٍ . . إِلَّا وَقَفَ فَتَعَوَّذَ ، ثُمَّ رَكَعَ فَمَكَثَ رَاكِعاً بِقَدْرِ قِيَامِهِ ، وَيَقُولُ فِي رُكُوعِهِ : « سُبْحَانَ ذِي ٱلْجَبَرُوتِ وَٱلْمَلَكُوتِ ، وَٱلْكِبْرِيَاءِ وَٱلْعَظَمَةِ » ، ثُمَّ سَجَدَ بِقَدْرِ رُكُوعِهِ ، وَيَقُولُ فِي سُجُودِهِ : « سُبْحَانَ ذِي ٱلْجَبَرُوتِ وَٱلْمَلَكُوتِ ، وَٱلْكِبْرِيَاءِ وَٱلْعَظَمَةِ » ، ثُمَّ قَرَأَ (آلَ عِمْرَانَ) ، ثُمَّ سُورَةً سُورَةً . يَفْعَلُ مِثْلَ ذَلِكَ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ .

وَعَنْ حُذَيْفَةَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ قَالَ : كَانَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا مَرَّ بِآيَةِ خَوْفٍ . . تَعَوَّذَ ، وَإِذَا مَرَّ بِآيَةِ رَحْمَةٍ . . سَأَلَ ، وَإِذَا مَرَّ بِآيَةٍ فِيهَا تَنْزِيهُ ٱللهِ . . سَبَّحَ .

وَعَن أَبِي لَيْلَىٰ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ قَالَ : كَانَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا مَرَّ بِآيَةٍ فِيهَا ذِكْرُ ٱلنَّارِ . . قَالَ : « وَيْلٌ لِأَهْلِ ٱلنَّارِ ، أَعُوذُ بِٱللهِ مِنَ ٱلنَّارِ » .

وَعَنْ يَعْلَىٰ بْنِ مَمْلَكٍ [رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ] : أَنَّهُ سَأَلَ أُمَّ سَلَمَةَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا : عَنْ قِرَاءَةِ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِذَا هِيَ تَنْعَتُ قِرَاءَةً مُفَسَّرَةً حَرْفاً حَرْفاً .

وَعَنْ قَتَادَةَ [رَحِمَهُ ٱللهُ تَعَالَىٰ] قَالَ : قُلْتُ لِأَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ : كَيْفَ كَانَتْ قِرَاءَةُ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ قَالَ : مَدّاً .

وَعَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا قَالَتْ : كَانَ ٱلنَّبِيُّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُقَطِّعُ قِرَاءَتَهُ ؛ يَقُولُ : « ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ » ، ثُمَّ يَقِفُ ، ثُمَّ يَقُولُ : « ﴿ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ » ، ثُمَّ يَقِفُ ، وَكَانَ يَقْرَأُ : « ﴿ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾ »[1] .

وَعَنْ عَبْدِ ٱللهِ بنِ قَيْسٍ [رَحِمَهُ ٱللهُ تَعَالَىٰ] قَالَ : سَأَلْتُ عَائِشَةَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا : عَنْ قِرَاءَةِ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَكَانَ يُسِرُّ بِٱلْقِرَاءَةِ أَمْ يَجْهَرُ؟ قَالَتْ : كُلُّ ذَلِكَ قَدْ كَانَ يَفْعَلُ ؛ قَدْ كَانَ رُبَّمَا أَسَرَّ ، وَرُبَّمَا جَهَرَ . فَقُلْتُ : اَلْحَمْدُ لِلهِ ٱلَّذِي جَعَلَ فِي ٱلْأَمْرِ سَعَةً .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ : كَانَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا قَرَأَ مِنَ ٱللَّيْلِ . . رَفَعَ طَوْراً ، وَخَفَضَ طَوْراً .

وَعَنْ أُمِّ هَانِىءٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا قَالَتْ : كُنْتُ أَسْمَعُ قِرَاءَةَ ٱلنَّبِيِّ

---

(١) أي بالألف ؛ أحياناً ، وهي قراءة متواترة مشهورة ، كما أنَّ قراءة (مَلِكِ) بدون ألف متواترة أيضاً .

صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِٱللَّيْلِ ، وَأَنَا عَلَىٰ عَرِيشِي .

وَعَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ قُرَّةَ [رَحِمَهُ ٱللهُ تَعَالَىٰ] قَالَ : سَمِعْتُ عَبْدَ ٱللهِ بْنَ مُغَفَّلٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ يَقُولُ : رَأَيْتُ ٱلنَّبِيَّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَىٰ نَاقَتِهِ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ وَهُوَ يَقْرَأُ : ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح : ١ـ٢] .

قَالَ : فَقَرَأَ وَرَجَّعَ[(١)] .

قَالَ : وَقَالَ مُعَاوِيَةُ بْنُ قُرَّةَ : لَوْلَا أَنْ يَجْتَمِعَ ٱلنَّاسُ عَلَيَّ . . لَأَخَذْتُ لَكُمْ فِي ذَٰلِكَ ٱلصَّوْتِ ، أَوْ قَالَ : ٱللَّحْنِ .

وَعَنِ ٱبْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُمَا قَالَ : كَانَ قِرَاءَةُ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رُبَّمَا سَمِعَهَا مَنْ فِي ٱلْحُجْرَةِ ، وَهُوَ فِي ٱلْبَيْتِ ؛ أَيْ : كَانَ إِذَا قَرَأَ فِي بَيْتِهِ . . رُبَّمَا يَسْمَعُ قِرَاءَتَهُ مَنْ فِي حُجْرَةِ ٱلْبَيْتِ مِنْ أَهْلِهِ ، وَلَا يَتَجَاوَزُ صَوْتُهُ إِلَىٰ مَا وَرَاءَ ٱلْحُجُرَاتِ .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ قَالَ : كَانَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا قَرَأَ : ﴿ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧيَ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ . . قَالَ : « بَلَىٰ » ، وَإِذَا قَرَأَ : ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ . . قَالَ : « بَلَىٰ » .

وَعَنِ ٱبْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُمَا : كَانَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا قَرَأَ : ﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ . . قَالَ : « سُبْحَانَ رَبِّيَ ٱلْأَعْلَىٰ » .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ : كَانَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ

(١) أي : ردَّد صوته بالقراءة .

وَسَلَّمَ إِذَا تَلَا : ﴿ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ . . قالَ : « آمِينَ » ؛ حَتَّىٰ يُسْمِعَ مَنْ يَلِيهِ مِنَ ٱلصَّفِّ ٱلْأَوَّلِ .

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا : كَانَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَقْرَأُ ٱلْقُرْآنَ فِي أَقَلَّ مِنْ ثَلَاثٍ(١) .

وَكَانَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا خَتَمَ . . جَمَعَ أَهْلَهُ وَدَعَا .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا خَتَمَ . . يَقْرَأُ مِنْ أَوَّلِ ٱلْقُرْآنِ خَمْسَ آيَاتٍ .

* * *

---

(١) أي : لا يقرؤه كاملاً في أقل من ثلاثة أيام ؛ لأنها أقل مدة يمكن فيها تدبره وترتيله ، هـٰذا كله في تفهم معانيه .

أما الثواب على قراءته : فحاصل لمن قرأه سواء فهمه أم لا ، للتعبّد بلفظه بخلاف غيره من الأذكار . . فلا ثواب فيه إلا إن فهمه ولو بوجه .

البَابُ السَّابِعُ

فِي أَخْبَارٍ شَتَّىٰ مِنْ أَحْوَالِ رَسُولِ ٱللهِ
صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
وَبَعْضِ أَذْكَارٍ وَأَدْعِيَةٍ كَانَ يَقُولُهَا فِي أَوْقَاتٍ مَخْصُوصَةٍ
وَثَلَاثِ مِئَةٍ وَثَلَاثَةَ عَشَرَ حَدِيثاً مِنْ جَوَامِعِ كَلِمِهِ
صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

وَفِيهِ ثَلَاثَةُ فُصُولٍ

الفصل الأول

في أخبار شتى من أحواله صلى الله عليه وسلم

فِي « ٱلشِّفَا » لِلْقَاضِي عِيَاضٍ رَحِمَهُ ٱللهُ تَعَالَىٰ : (وُلِدَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَخْتُوناً ، مَقْطُوعَ ٱلسُّرَّةِ .

وَقَدْ رُوِيَ عَنْ أُمِّهِ آمِنَةَ أَنَّهَا قَالَتْ : وَلَدْتُهُ نَظِيفاً مَا بِهِ قَذَرٌ .

وَفِي حَدِيثِ عِكْرِمَةَ ، عَنِ ٱبْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُمَا : أَنَّهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَامَ حَتَّىٰ سُمِعَ لَهُ غَطِيطٌ[1] ، فَقَامَ فَصَلَّىٰ ، وَلَمْ يَتَوَضَّأْ . قَالَ عِكْرِمَةُ : لِأَنَّهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ مَحْفُوظاً .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَتَغَوَّطَ . . ٱنْشَقَّتِ ٱلْأَرْضُ فَٱبْتَلَعَتْ غَائِطَهُ وَبَوْلَهُ ، وَفَاحَتْ لِذَلِكَ رَائِحَةٌ طَيِّبَةٌ .

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ لِلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنَّكَ تَأْتِي ٱلْخَلَاءَ فَلَا نَرَىٰ مِنْكَ شَيْئاً مِنَ ٱلْأَذَىٰ ؟! فَقَالَ لَهَا : « يَا عَائِشَةُ ؛ أَوَ مَا عَلِمْتِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ تَبْتَلِعُ مَا يَخْرُجُ مِنَ ٱلْأَنْبِيَاءِ ، فَلَا يُرَىٰ مِنْهُ شَيْءٌ » .

وَقَالَ قَوْمٌ مِنْ أَهْلِ ٱلْعِلْمِ بِطَهَارَةِ هَـٰذَيْنِ ٱلْحَدَثَيْنِ مِنْهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ

---

(١) وهو صوت يخرج مع نفس النائم .

وَسَلَّمَ ، وَشَاهِدُ هَـٰذَا أَنَّهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَكُنْ مِنْهُ شَيْءٌ يُكْرَهُ ، وَلَا غَيْرُ طَيِّبٍ .

وَمِنْ هَـٰذَا حَدِيثُ عَلِيٍّ رَضِيَ ٱللهُ [تَعَالَىٰ] عَنْهُ : غَسَّلْتُ ٱلنَّبِيَّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَهَبْتُ أَنْظُرُ مَا يَكُونُ مِنَ ٱلْمَيْتِ ، فَلَمْ أَجِدْ شَيْئاً ، فَقُلْتُ : طِبْتَ حَيّاً ومَيْتاً . وَسَطَعَتْ مِنْهُ رِيحٌ طَيِّبَةٌ لَمْ يَجِدُوا مِثْلَهَا قَطُّ .

وَمِثْلُهُ قَالَ أَبُو بَكْرٍ حِينَ قَبَّلَ ٱلنَّبِيَّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ مَوْتِهِ .

وَمِنْهُ شُرْبُ مَالِكِ بْنِ سِنَانٍ دَمَهُ يَوْمَ أُحُدٍ ، وَمَصُّهُ إِيَّاهُ ، وَتَسْوِيغُهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَلِكَ لَهُ ، وَقَوْلُهُ : « لَنْ تُصِيبَهُ ٱلنَّارُ » .

وَمِثْلُهُ شُرْبُ عَبْدِ ٱللهِ بْنِ ٱلزُّبَيْرِ دَمَ حِجَامَتِهِ ، وَقَالَ لَهُ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ : « وَيْلٌ لَكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ، وَوَيْلٌ لَهُمْ مِنْكَ » ، وَلَمْ يُنْكِرْهُ .

وَقَدْ رُوِيَ نَحْوٌ مِنْ هَـٰذَا عَنْهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي ٱمْرَأَةٍ شَرِبَتْ بَوْلَهُ ، فَقَالَ لَهَا : « لَنْ تَشْتَكِي وَجَعَ بَطْنِكِ أَبَداً » .

وَلَمْ يَأْمُرْ وَاحِداً مِنْهُمْ بِغَسْلِ فَمٍ ، وَلَا نَهَاهُ عَنْ عَوْدِهِ) اهـ مُلَخَّصاً .

وَأَمَّا رِيقُهُ ٱلشَّرِيفُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

فَقَدْ بَصَقَ فِي بِئْرِ دَارِ أَنَسٍ ، فَلَمْ يَكُنْ فِي ٱلْمَدِينَةِ بِئْرٌ أَعْذَبَ مِنْهَا .

وَأُتِيَ بِدَلْوٍ مِنْ مَاءٍ فَشَرِبَ مِنَ ٱلدَّلْوِ ، ثُمَّ صَبَّ فِي ٱلْبِئْرِ ، فَفَاحَ مِنْهَا مِثْلُ رَائِحَةِ ٱلْمِسْكِ . رَوَاهُ أَحْمَدُ وَٱبْنُ مَاجَهْ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ عَاشُورَاءَ يَدْعُو بِرُضَعَائِهِ وَرُضَعَاءِ ٱبْنَتِهِ

فَاطِمَةَ فَيَتْفُلُ فِي أَفْوَاهِهِمْ ؛ وَيَقُولُ لِلأُمَّهَاتِ : « لَا تُرْضِعْنَهُنَّ إِلَى ٱللَّيْلِ » ، فَكَانَ رِيقُهُ يَجْزِيهِمْ . رَوَاهُ ٱلْبَيْهَقِيُّ .

وَدَخَلَتْ عَلَيْهِ عُمَيْرَةُ بِنْتُ مَسْعُودٍ هِيَ وَأَخَوَاتُهَا يُبَايِعْنَهُ ـ وَهُنَّ خَمْسٌ ـ فَوَجَدْنَهُ يَأْكُلُ قَدِيداً ، فَمَضَغَ لَهُنَّ قَدِيدَةً فَمَضَغْنَهَا ، كُلُّ وَاحِدَةٍ قِطْعَةً ، فَلَقِينَ ٱللهَ وَمَا وُجِدَ لأَفْوَاهِهِنَّ خُلُوفٌ . رَوَاهُ ٱلطَّبَرَانِيُّ .

وَ(ٱلْخُلُوفُ) : تَغَيُّرُ رَائِحَةِ فَمِ ٱلصَّائِمِ .

وَمَسَحَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِيَدِهِ ٱلشَّرِيفَةِ بَعْدَ أَنْ نَفَثَ فِيهَا مِنْ رِيقِهِ عَلَىٰ ظَهْرِ عُتْبَةَ ـ وَكَانَ بِهِ شَرىً ـ فَمَا كَانَ يُشَمُّ أَطْيَبُ مِنْهُ رَائِحَةً . رَوَاهُ ٱلطَّبَرَانِيُّ .

وَأَعْطَى ٱلْحَسَنَ لِسَانَهُ ؛ وَكَانَ قَدِ ٱشْتَدَّ ظَمَؤُهُ ، فَمَصَّهُ حَتَّىٰ رَوِيَ .

وَرَوَى ٱلْقَاضِي عِيَاضٌ فِي « ٱلشِّفَا » بِسَنَدِهِ إِلَىٰ عَبْدِ ٱللهِ بْنِ أَبِي ٱلْحَمْسَاءِ : (قَالَ : بَايَعْتُ ٱلنَّبِيَّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِبَيْعٍ قَبْلَ أَنْ يُبْعَثَ ، وَبَقِيَتْ لَهُ بَقِيَّةٌ ، فَوَعَدْتُهُ أَنْ آتِيَهُ بِهَا فِي مَكَانِهِ ، فَنَسِيتُ ، ثُمَّ ذَكَرْتُ بَعْدَ ثَلَاثٍ ، فَجِئْتُ ، فَإِذَا هُوَ فِي مَكَانِهِ . فَقَالَ : « يَا فَتَىٰ ؛ لَقَدْ شَقَقْتَ عَلَيَّ ، أَنَا هُنَا مُنْذُ ثَلَاثٍ أَنْتَظِرُكَ » .

وعَنْ عَائِشَةَ أُمِّ ٱلْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا ، قَالَتْ : كَانَ أَبْغَضَ ٱلْأَشْيَاءِ إِلَىٰ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ٱلْكَذِبُ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا ٱطَّلَعَ عَلَىٰ أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ كَذَبَ كِذْبَةً . لَمْ يَزَلْ مُعْرِضاً عَنْهُ حَتَّىٰ يُحْدِثَ تَوْبَةً .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَتَىٰ بَابَ قَوْمٍ . . لَمْ يَسْتَقْبِلِ ٱلْبَابَ مِنْ تِلْقَاءِ وَجْهِهِ ، وَلَـٰكِنْ مِنْ رُكْنِهِ ٱلْأَيْمَنِ أَوِ ٱلْأَيْسَرِ ، وَيَقُولُ : « اَلسَّلَامُ عَلَيْكُمْ . . اَلسَّلَامُ عَلَيْكُمْ » .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَتَاهُ ٱلْفَيْءُ[1] . . قَسَمَهُ فِي يَوْمِهِ ، فَأَعْطَىٰ ٱلْآهِلَ حَظَّيْنِ ، وَأَعْطَى ٱلْعَزَبَ حَظّاً .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أُتِيَ بِٱلسَّبْيِ . . أَعْطَىٰ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ جَمِيعاً ؛ كَرَاهِيَةَ أَنْ يُفَرِّقَ بَيْنَهُمْ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذا أَتَاهُ رَجُلٌ فَرَأَىٰ فِي وَجْهِهِ بِشْراً . . أَخَذَ بِيَدِهِ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا سَمِعَ بِٱلِٱسْمِ ٱلْقَبِيحِ . . حَوَّلَهُ إِلَىٰ مَا هُوَ أَحْسَنُ مِنْهُ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَفَاءَلُ وَلَا يَتَطَيَّرُ . وَكَانَ يُحِبُّ ٱلِٱسْمَ ٱلْحَسَنَ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا وَجَدَ ٱلرَّجُلَ رَاقِداً عَلَىٰ وَجْهِهِ لَيْسَ عَلَىٰ عَجُزِهِ شَيْءٌ . . رَكَضَهُ بِرِجْلِهِ ، وَقَالَ : « هِيَ أَبْغَضُ ٱلرِّقْدَةِ إِلَى ٱللهِ تَعَالَىٰ » .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْمُرُ بِٱلْبَاهِ ، وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلتَّبَتُّلِ نَهْياً شَدِيداً ؛ أَيْ : يَأْمُرُ بِٱلتَّزَوُّجِ وَيَنْهَىٰ عَنْ تَرْكِهِ .

---

(١) المراد به هنا : ما يشمل خراج الأرض ، وما أُخذ من الكفار بلا قتال .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْمُرُ مَنْ أَسْلَمَ أَنْ يَخْتَتِنَ ، وَإِنْ كَانَ ٱبْنَ ثَمَانِينَ سَنَةً .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُضَمِّرُ ٱلْخَيْلَ(١) .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَكْرَهُ ٱلشِّكَالَ مِنَ ٱلْخَيْلِ .

قَالَ ٱلْعَزِيزِيُّ : فَسَّرَهُ فِي بَعْضِ طُرُقِ ٱلْحَدِيثِ عِنْدَ مُسْلِمٍ : بِأَنْ يَكُونَ فِي رِجْلِهِ ٱلْيُمْنَىٰ وَفِي يَدِهِ ٱلْيُسْرَىٰ بَيَاضٌ ، أَوْ فِي يَدِهِ ٱلْيُمْنَىٰ وَرِجْلِهِ ٱلْيُسْرَىٰ .

وَكَرَّهَهُ لِكَوْنِهِ كَٱلْمَشْكُولِ ، لَا يَسْتَطِيعُ ٱلْمَشْيَ . وَقِيلَ : يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ جُرِّبَ ذَلِكَ ٱلْجِنْسُ فَلَمْ يَكُنْ فِيهِ نَجَابَةٌ .

وَقَالَ بَعْضُ ٱلْعُلَمَاءِ : إِذَا كَانَ مَعَ ذَلِكَ أَغَرَّ . زَالَتِ ٱلْكَرَاهَةُ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا صَعِدَ ٱلْمِنْبَرَ . سَلَّمَ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا خَطَبَ . قَالَ : « أَمَّا بَعْدُ » .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا خَطَبَ . يَعْتَمِدُ عَلَىٰ عَنَزَةٍ ؛ أَوْ عَصاً .

وَ(ٱلْعَنَزَةُ) : ٱلْعَصَا ٱلصَّغِيرَةُ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَعُودُ مَرِيضاً إِلَّا بَعْدَ ثَلَاثٍ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يُضِيفُ ٱلْخَصْمَ إِلَّا وَخَصْمُهُ مَعَهُ .

---

(١) هو أن يعلف الفرس حتىٰ يسمن ، ثم يردّه إلىٰ القلّة ليشتد لحمه ، وقيل : هو أن يُقَلَّلَ علف الفرس مدة ويُدخَلَ بيتاً مغلقاً ويجلَّل ليعرق ويجف عرقه فيجفَّ لحمه ، فيقوىٰ علىٰ الجري .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْمُرُ بِٱلْهَدِيَّةِ ؛ صِلَةً بَيْنَ ٱلنَّاسِ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْمُرُ بِقَطْعِ ٱلْمَرَاجِيحِ(١) .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحِبُّ هَـٰذِهِ ٱلسُّورَةَ : (سبح اسم ربك الأعلىٰ) .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَحُثُّ عَلَى ٱلصَّدَقَةِ ، وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْمَسْأَلَةِ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْمُرُ عِنْدَ أَبِي بَكْرٍ ٱللَّيْلَةَ فِي ٱلْأَمْرِ مِنْ أُمُورِ ٱلْمُسْلِمِينَ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعْجِبُهُ ٱلرُّؤْيَا ٱلْحَسَنَةُ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « ٱشْتَدِّي أَزْمَةُ تَنْفَرِجِي » .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَبِيعُ وَيَشْتَرِي ، وَلَـٰكِنْ كَانَ شِرَاؤُهُ أَكْثَرَ .

وَآجَرَ نَفْسَهُ قَبْلَ ٱلنُّبُوَّةِ فِي رِعَايَةِ ٱلْغَنَمِ ، وَلِخَدِيجَةَ فِي سَفَرِ ٱلتِّجَارَةِ .

وَٱسْتَدَانَ بِرَهْنٍ ، وَبِغَيْرِ رَهْنٍ ، وَٱسْتَعَارَ ، وَضَمِنَ ، وَوَقَفَ أَرْضاً كَانَتْ لَهُ .

وَحَلَفَ فِي أَكْثَرَ مِنْ ثَمَانِينَ مَوْضِعاً ، وَأَمَرَهُ ٱللهُ تَعَالَىٰ بِٱلْحَلْفِ فِي ثَلَاثَةِ مَوَاضِعَ ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ : ﴿ قُلْ إِى وَرَبِّى ﴾ ، وَقَوْلِهِ تَعَالَىٰ : ﴿ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى﴾ ، وَقَوْلِهِ : ﴿ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ﴾ .

---

(١) يعني : الأراجيح ، والترجّح : التذبذب بين شيئين ، وعلىٰ هـٰذا فالأرجوحة : آلة معروفة يلهو بها العجم أيام النيروز تلهِّياً عن الغموم التي تراكمت علىٰ قلوبهم من رين الذنوب وكره لهم أن يتزيّوا بزيِّ من اشترىٰ الحياة الدنيا بالآخرة ، فلا خلاق له هناك .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْتَثْنِي فِي يَمِينِهِ تَارَةً ، وَيُكَفِّرُهَا تَارَةً ، وَيَمْضِي فِيهَا تَارَةً أُخْرَىٰ .

وَمَدَحَهُ بَعْضُ ٱلشُّعَرَاءِ فَأَثَابَ عَلَيْهِ ، وَمَنَعَ ٱلثَّوَابَ فِي حَقِّ غَيْرِهِ ، وَأَمَرَ أَنْ يُحْثَىٰ فِي وُجُوهِ ٱلْمَدَّاحِينَ ٱلتُّرَابُ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا حَلَفَ . . قَالَ : « وَٱلَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ » .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَكْثَرُ أَيْمَانِهِ : « لَا وَمُصَرِّفِ ٱلْقُلُوبِ » .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا ٱجْتَهَدَ فِي ٱلْيَمِينِ . . قَالَ : « لَا وَٱلَّذِي نَفْسُ أَبِي ٱلْقَاسِمِ بِيَدِهِ » .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَحْلِفُ : « لَا وَمُقَلِّبِ ٱلْقُلُوبِ » .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا حَلَفَ عَلَىٰ يَمِينٍ . . لَا يَحْنَثُ ؛ حَتَّىٰ نَزَلَتْ كَفَّارَةُ ٱلْيَمِينِ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا ٱسْتَرَاثَ ٱلْخَبَرَ ؛ أَيْ : ٱسْتَبْطَأَهُ . . تَمَثَّلَ بِبَيْتِ طَرَفَةَ :

. . . . وَيَأْتِيكَ بِٱلْأَخْبَارِ مَنْ لَمْ تُزَوِّدِ[1]

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَمَثَّلُ بِهَـٰذَا ٱلْبَيْتِ :

---

(١) وصدر البيت :

سَتُبْدِي لَكَ ٱلْأَيَّامُ مَا كُنْتَ جَاهِلاً . . . .

كَفَىٰ بِٱلْإِسْلَامِ وَٱلشَّيْبِ لِلْمَرْءِ نَاهِياً . . . .

وَأَصْلُ هَـٰذَا ٱلشَّطْرِ[1] :

كَفَى ٱلشَّيْبُ وَٱلْإِسْلَامُ لِلْمَرْءِ نَاهِياً . . . .

وَلَـٰكِنَّ ٱلنَّبِيَّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَمَثَّلَ بِهِ عَلَى ٱلْوَجْهِ ٱلْمَذْكُورِ .

قَالَ تَعَالَىٰ : ﴿ وَمَا عَلَّمْنَـٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ﴾ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحِبُّ أَنْ يُسَافِرَ يَوْمَ ٱلْخَمِيسِ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَرَادَ سَفَراً . . أَقْرَعَ بَيْنَ نِسَائِهِ ، فَأَيَّتُهُنَّ خَرَجَ سَهْمُهَا خَرَجَ بِهَا مَعَهُ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَخَلَّفُ فِي ٱلْمَسِيرِ ، فَيُزْجِي ٱلضَّعِيفَ وَيُرْدِفُ ، وَيَدْعُو لَهُمْ .

وَمَعْنَىٰ (يُزْجِي ٱلضَّعِيفَ) : يَسُوقُهُ سَوْقاً رَفِيقاً .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ . . بَدَأَ بِٱلْمَسْجِدِ ، فَصَلَّىٰ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ ، ثُمَّ يُثَنِّي بِفَاطِمَةَ ، ثُمَّ يَأْتِي أَزْوَاجَهُ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَطْرُقُ أَهْلَهُ لَيْلاً[2] .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحِبُّ أَنْ يَخْرُجَ إِذَا غَزَا يَوْمَ ٱلْخَمِيسِ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يُوَدِّعَ ٱلْجَيْشَ . . قَالَ : « أَسْتَوْدِعُ ٱللهَ دِينَكُمْ ، وَأَمَانَتَكُمْ ، وَخَوَاتِيمَ أَعْمَالِكُمْ » .

---

(١) يعني : موزوناً .

(٢) أي : لا يقدُم عليهم من سفر ولا غيره في الليل علىٰ غفلة .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا بَعَثَ سَرِيَّةً أَوْ جَيْشاً . . بَعَثَهُمْ مِنْ أَوَّلِ ٱلنَّهَارِ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا بَعَثَ أَمِيراً قَالَ : « أَقْصِرِ ٱلْخُطْبَةَ ، وَأَقِلَّ ٱلْكَلَامَ ، فَإِنَّ مِنَ ٱلْبَيَانِ لَسِحْراً »[١] .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَرَادَ غَزْوَةً . . وَرَّىٰ بِغَيْرِهَا .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعْجِبُهُ أَنْ يَلْقَى ٱلْعَدُوَّ عِنْدَ ٱلزَّوَالِ[٢] .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَكْرَهُ رَفْعَ ٱلصَّوْتِ عِنْدَ ٱلْقِتَالِ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا خَرَجَ يَوْمَ ٱلْعِيدِ فِي طَرِيقٍ . . رَجَعَ فِي غَيْرِهِ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا نَزَلَ عَلَيْهِ ٱلْوَحْيُ . . نَكَّسَ رَأْسَهُ ، وَنَكَّسَ أَصْحَابُهُ رُؤُوسَهُمْ ، فَإِذَا أُقْلِعَ عَنْهُ . . رَفَعَ رَأْسَهُ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا دَخَلَ رَمَضَانُ . . أَطْلَقَ كُلَّ أَسِيرٍ ، وَأَعْطَىٰ كُلَّ سَائِلٍ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا دَخَلَ [شَهْرُ] رَمَضَانَ شَدَّ مِئْزَرَهُ ، ثُمَّ لَمْ يَأْتِ فِرَاشَهُ حَتَّىٰ يَنْسَلِخَ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا دَخَلَ رَمَضَانُ . . تَغَيَّرَ لَوْنُهُ ، وَكَثُرَتْ

---

(١) في نسخة : (فإنَّ من الكلام سحراً) .

(٢) في نسخة : (عند زوالِ الشمس) .

صَلاَتُهُ ، وَٱبْتَهَلَ فِي ٱلدُّعَاءِ ، وَأَشْفَقَ لَوْنُهُ ؛ أَيْ : تَغَيَّرَ وَصَارَ كَلَوْنِ ٱلشَّفَقِ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا دَخَلَ ٱلْعَشْرُ ٱلْأَخِيرُ مِنْ رَمَضَانَ . . شَدَّ مِئْزَرَهُ ، وَأَحْيَا لَيْلَهُ ، وَأَيْقَظَ أَهْلَهُ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا كَانَ مُقِيماً . . ٱعْتَكَفَ ٱلْعَشْرَ ٱلْأَوَاخِرَ مِنْ رَمَضَانَ ، وَإِذَا سَافَرَ . . ٱعْتَكَفَ مِنَ ٱلْعَامِ ٱلْمُقْبِلِ عِشْرِينَ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا كَانَتْ لَيْلَةُ ٱلْجُمُعَةِ . . قَالَ : « هَـٰذِهِ لَيْلَةٌ غَرَّاءُ ، وَيَوْمٌ أَزْهَرُ » .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا جَاءَ ٱلشِّتَاءُ . . دَخَلَ ٱلْبَيْتَ لَيْلَةَ ٱلْجُمُعَةِ ، وَإِذَا جَاءَ الصَّيْفُ . . خَرَجَ لَيْلَةَ ٱلْجُمُعَةِ .

قَالَ ٱلْعَزِيزِيُّ : ٱلظَّاهِرُ أَنَّ ٱلْمُرَادَ مَا ٱعْتَادَهُ ٱلنَّاسُ مِنْ دُخُولِهِمُ ٱلْبُيُوتَ فِي ٱلشِّتَاءِ ، وَٱلْخُرُوجِ مِنْهَا فِي ٱلصَّيْفِ .

* * *

الفَصْلُ الثَّانِي

في بعض أذكار وأدعية كان يقولها صلّى الله عليه وسلّم في أوقات مخصوصة

كَانَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا سَأَلَ ٱللهَ تَعَالَىٰ. . جَعَلَ بَاطِنَ كَفَّيْهِ إِلَيْهِ ، وَإِذَا ٱسْتَعَاذَ. . جَعَلَ ظَاهِرَهُمَا إِلَيْهِ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَصَابَتْهُ شِدَّةٌ فَدَعَا. . رَفَعَ يَدَيْهِ حَتَّىٰ يُرَىٰ بَيَاضُ إِبْطَيْهِ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا رَفَعَ يَدَيْهِ فِي ٱلدُّعَاءِ. . لَمْ يَحُطَّهُمَا حَتَّىٰ يَمْسَحَ بِهِمَا وَجْهَهُ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا ذَكَرَ أَحداً فَدَعَا لَهُ. . بَدَأَ بِنَفْسِهِ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا دَعَا لِرَجُلٍ. . أَصَابَتْهُ ٱلدَّعْوَةُ ، وَوَلَدَهُ وَوَلَدَ وَلَدِهِ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَكْثَرُ دُعَائِهِ : « يَا مُقَلِّبَ ٱلْقُلُوبِ ؛ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَىٰ دِينِكَ » ، فَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ؟ قَالَ : « إِنَّهُ لَيْسَ آدَمِيٌّ إِلَّا وَقَلْبُهُ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ ٱللهِ ؛ فَمَنْ شَاءَ. . أَقَامَ ، وَمَنْ شَاءَ. . أَزَاغَ » .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَكْثَرُ دَعْوَةٍ يَدْعُو بِهَا : « رَبَّنَا ؛ آتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا

حَسَنَةً ، وَفِي ٱلْآخِرَةِ حَسَنَةً ، وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ » .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَعَوَّذُ مِنْ جَهْدِ ٱلْبَلَاءِ ، وَدَرَكِ ٱلشَّقَاءِ ، وَسُوءِ ٱلْقَضَاءِ ، وَشَمَاتَةِ ٱلْأَعْدَاءِ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَعَوَّذُ مِنْ خَمْسٍ : مِنَ ٱلْجُبْنِ ، وَٱلْبُخْلِ ، وَسُوءِ ٱلْعُمُرِ ، وَفِتْنَةِ ٱلصَّدْرِ ، وَعَذَابِ ٱلْقَبْرِ .

وَكَانَ [صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ] يَتَعَوَّذُ مِنَ ٱلْجَانِّ ، وَعَيْنِ ٱلْإِنْسَانِ . . حَتَّىٰ نَزَلَتِ ٱلْمُعَوِّذَتَانِ ، فَأَخَذَ بِهِمَا وَتَرَكَ مَا سِوَاهُمَا .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَعَوَّذُ مِنْ مَوْتِ ٱلْفُجَاءَةِ ، وَكَانَ يُعْجِبُهُ أَنْ يَمْرَضَ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَصْبَحَ وَإِذَا أَمْسَىٰ . . يَدْعُو بِهَـٰذِهِ ٱلدَّعَوَاتِ : « (ٱللَّهُمَّ ؛ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ فُجَاءَةِ ٱلْخَيْرِ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فُجَاءَةِ ٱلشَّرِّ) ؛ فَإِنَّ ٱلْعَبْدَ لَا يَدْرِي مَا يَفْجَؤُهُ إِذَا أَصْبَحَ وَإِذَا أَمْسَىٰ » .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَصْبَحَ وَإِذَا أَمْسَىٰ . . قَالَ : « أَصْبَحْنَا عَلَىٰ فِطْرَةِ ٱلْإِسْلَامِ وَكَلِمَةِ ٱلْإِخْلَاصِ وَدِينِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَمِلَّةِ أَبِينَا إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً مُسْلِماً وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ » .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَصَابَهُ غَمٌّ أَوْ كَرْبٌ . يَقُولُ : « حَسْبِيَ ٱلرَّبُّ مِنَ ٱلْعِبَادِ ، حَسْبِيَ ٱلْخَالِقُ مِنَ ٱلْمَخْلُوقِينَ ، حَسْبِيَ ٱلرَّازِقُ مِنَ ٱلْمَرْزُوقِينَ ، حَسْبِيَ ٱلَّذِي هُوَ حَسْبِي ، حَسْبِيَ ٱللهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ، حَسْبِيَ ٱللهُ لَا إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ » .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَهَمَّهُ ٱلْأَمْرُ . . رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى ٱلسَّمَاءِ وَقَالَ : « سُبْحَانَ ٱللهِ ٱلْعَظِيمِ » ، وَإِذَا ٱجْتَهَدَ فِي ٱلدُّعَاءِ . . قَالَ : « يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ » .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا نَزَلَ بِهِ هَمٌّ أَوْ غَمٌّ . . قَالَ : « يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ ؛ بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ » .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدْعُو عِنْدَ ٱلْكَرْبِ : « لَا إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللهُ ٱلْعَظِيمُ ٱلْحَلِيمُ ، لَا إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللهُ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ، لَا إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللهُ رَبُّ ٱلسَّمَاوَاتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْأَرْضِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ » .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا رَاعَهُ شَيْءٌ . . قَالَ : « اَللهُ . . اَللهُ رَبِّي لَا شَرِيكَ لَهُ » .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَرَادَ أَمْراً . . قَالَ : « اَللَّهُمَّ ؛ خِرْ لِي وَٱخْتَرْ لِي » .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا نَزَلَ بِهِ أَمْرٌ . فَوَّضَ ٱلْأَمْرَ فِيهِ إِلَى ٱللهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَتَبَرَّأَ مِنَ ٱلْحَوْلِ وَٱلْقُوَّةِ ، وَسَأَلَهُ ٱلْهُدَىٰ وَٱتِّبَاعَهُ ، وَسَأَلَهُ ٱلْبُعْدَ عَنِ ٱلضَّلَالَةِ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا جَاءَهُ أَمْرٌ يُسَرُّ بِهِ . . خَرَّ سَاجِداً شُكْراً لِلهِ تَعَالَىٰ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ . . قَالَ : « بِٱسْمِ ٱللهِ ، ٱلتُّكْلَانُ عَلَى ٱللهِ ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللهِ » . رَوَاهُ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ . . قَالَ : « بِٱسْمِ ٱللهِ ، تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللهِ ، اَللّٰهُمَّ ؛ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ نَزِلَّ أَوْ نَضِلَّ ، أَوْ نَظْلِمَ أَوْ نُظْلَمَ ، أَوْ نَجْهَلَ أَوْ يُجْهَلَ عَلَيْنَا » . رَوَتْهُ أُمُّ سَلَمَةَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا دَخَلَ ٱلْمَسْجِدَ . . قَالَ : « أَعُوذُ بِٱللهِ ٱلْعَظِيمِ ، وَبِوَجْهِهِ ٱلْكَرِيمِ ، وَسُلْطَانِهِ ٱلْقَدِيمِ ؛ مِنَ ٱلشَّيْطَانِ ٱلرَّجِيمِ » . وَقَالَ : « إِذَا قَالَ ذَلِكَ . . حُفِظَ مِنْهُ سَائِرَ ٱلْيَوْمِ » .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا دَخَلَ ٱلْمَسْجِدَ . . يَقُولُ : « بِٱسْمِ ٱللهِ ، وَٱلسَّلَامُ عَلَىٰ رَسُولِ ٱللهِ ، اَللّٰهُمَّ ؛ ٱغْفِرْ لِي ذُنُوبِي ، وَٱفْتَحْ لِي أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ » .

وَإِذَا خَرَجَ . . قَالَ : « بِٱسْمِ ٱللهِ ، وَٱلسَّلَامُ عَلَىٰ رَسُولِ ٱللهِ ، اَللَّهُمَّ ؛ ٱغْفِرْ لِي ذُنُوبِي ، وَٱفْتَحْ لِي أَبْوَابَ فَضْلِكَ » . رَوَتْهُ فَاطِمَةُ ٱلزَّهْرَاءُ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا دَخَلَ ٱلْمَسْجِدَ . . قَالَ : « بِٱسْمِ ٱللهِ ، اَللَّهُمَّ ؛ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ ، وَأَزْوَاجِ مُحَمَّدٍ » . رَوَاهُ أَنَسٌ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا دَخَلَ السُّوقَ . . قَالَ : « بِٱسْمِ ٱللهِ ، اَللَّهُمَّ ؛ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ هَـٰذِهِ ٱلسُّوقِ وَخَيْرِ مَا فِيهَا ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا وَشَرِّ مَا فِيهَا ، اَللَّهُمَّ ؛ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أُصِيبَ يَمِيناً فَاجِرَةً ، أَوْ صَفْقَةً خَاسِرَةً » .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا دَخَلَ ٱلْخَلَاءَ . . قَالَ : « اَللَّهُمَّ ؛ إِنِّي

أَعُوذُ بِكَ مِنَ ٱلرِّجْسِ ٱلنِّجْسِ ، ٱلْخَبِيثِ ٱلْمُخْبِثِ ، ٱلشَّيْطَانِ ٱلرَّجِيمِ » . وَإِذَا خَرَجَ . . قَالَ : « اَلْحَمْدُ لِلهِ ٱلَّذِي أَذَاقَنِي لَذَّتَهُ ، وَأَبْقَىٰ فِيَّ قُوَّتَهُ ، وَأَذْهَبَ عَنِّيَ أَذَاهُ » .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا دَخَلَ ٱلْجَبَّانَةَ[1] . . يَقُولُ : « ٱلسَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَيَّتُهَا ٱلْأَرْوَاحُ ٱلْفَانِيَةُ ، وَٱلْأَبْدَانُ ٱلْبَالِيَةُ ، وَٱلْعِظَامُ ٱلنَّخِرَةُ ٱلَّتِي خَرَجَتْ مِنَ ٱلدُّنْيَا وَهِيَ بِٱللهِ مُؤْمِنَةٌ ، اَللّٰهُمَّ ؛ أَدْخِلْ عَلَيْهِمْ رَوْحاً مِنْكَ وَسَلَاماً مِنَّا » .

قَوْلُهُ : (اَلْأَرْوَاحُ ٱلْفَانِيَةُ) أَي : اَلْفَانِيَةُ أَجْسَادُهَا .

وَ(ٱلرَّوْحُ) : ٱلسَّعَةُ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا مَرَّ بِٱلْمَقَابِرِ . . قَالَ : « ٱلسَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلدِّيَارِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَاتِ ، وَٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَاتِ ، وَٱلصَّالِحِينَ وَٱلصَّالِحَاتِ ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ ٱللهُ بِكُمْ لَاحِقُونَ » .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا فَرَغَ مِنْ دَفْنِ ٱلْمَيْتِ . . وَقَفَ عَلَيْهِ فَقَالَ : « اِسْتَغْفِرُوا لِأَخِيكُمْ ، وَسَلُوا لَهُ ٱلتَّثْبِيتَ ؛ فَإِنَّهُ ٱلْآنَ يُسْأَلُ » .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا شَيَّعَ جَنَازَةً . . عَلَا كَرْبُهُ ، وَأَقَلَّ ٱلْكَلَامَ ، وَأَكْثَرَ حَدِيثَ نَفْسِهِ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَنْهَى ٱلنِّسَاءَ عَنِ ٱتِّبَاعِ ٱلْجَنَائِزِ .

---

(١) محل الدفن ؛ سمي به لأنه يُجبِن ويُفزِع عند رؤيته .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا عَزَّىٰ . . قَالَ : « يَرْحَمُهُ ٱللهُ وَيُؤْجِرُكُمْ » .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا هَنَّأَ . . قَالَ : « بَارَكَ ٱللهُ لَكُمْ ، وَبَارَكَ عَلَيْكُمْ » .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا دَخَلَ عَلَىٰ مَرِيضٍ يَعُودُهُ . . قَالَ : « لَا بَأْسَ ، طَهُورٌ إِنْ شَاءَ ٱللهُ تَعَالَىٰ » .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَتَاهُ قَوْمٌ بِصَدَقَتِهِمْ . . قَالَ : « ٱللَّهُمَّ ؛ صَلِّ عَلَىٰ آلِ فُلَانٍ » .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَرَادَ سَفَراً . . قَالَ : « ٱللَّهُمَّ ؛ بِكَ أَصُولُ ، وَبِكَ أَحُولُ ، وَبِكَ أَسِيرُ » .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا غَزَا . . قَالَ : « ٱللَّهُمَّ ؛ أَنْتَ عَضُدِي ، وَأَنْتَ نَصِيرِي ، بِكَ أَحُولُ ، وَبِكَ أَصُولُ ، وَبِكَ أُقَاتِلُ » .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا قَفَلَ مِنْ غَزْوٍ ، أَوْ حَجٍّ ، أَوْ عُمْرَةٍ . . يُكَبِّرُ عَلَىٰ كُلِّ شَرَفٍ مِنَ ٱلْأَرْضِ ثَلَاثَ تَكْبِيرَاتٍ ، ثُمَّ يَقُولُ : « لَا إِلَٰهَ إِلَّا ٱللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ ؛ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ، آئِبُونَ[1] ، تَائِبُونَ ، عَابِدُونَ ، سَاجِدُونَ ، لِرَبِّنَا حَامِدُونَ ، صَدَقَ ٱللهُ وَعْدَهُ ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ ، وَهَزَمَ ٱلْأَحْزَابَ وَحْدَهُ » .

---

(١) أي : راجعون .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا دَخَلَ رَجَبٌ . . قَالَ : « ٱللَّهُمَّ ؛ بَارِكْ لَنَا فِي رَجَبٍ وَشَعْبَانَ ، وَبَلِّغْنَا رَمَضَانَ » .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا سَمِعَ ٱلْمُؤَذِّنَ . . قَالَ مِثْلَ مَا يَقُولُ ؛ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ (حَيَّ عَلَى ٱلصَّلَاةِ . . . حَيَّ عَلَى ٱلْفَلَاحِ) . . قَالَ : « لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللهِ » .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا سَمِعَ ٱلْمُؤَذِّنَ يَتَشَهَّدُ . . قَالَ : « وَأَنَا . . وَأَنَا » .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا سَمِعَ ٱلْمُؤَذِّنَ قَالَ : (حَيَّ عَلَىٰ ٱلْفَلَاحِ) . . قَالَ : « ٱللَّهُمَّ ؛ ٱجْعَلْنَا مُفْلِحِينَ » .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا نَظَرَ إِلَى ٱلْبَيْتِ . . قَالَ : « ٱللَّهُمَّ ؛ زِدْ بَيْتَكَ هَـٰذَا تَشْرِيفاً وَتَعْظِيماً وَتَكْرِيماً وَبِرّاً وَمَهَابَةً » .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا رَأَىٰ مَا يُحِبُّ . . قَالَ : « ٱلْحَمْدُ لِلهِ ٱلَّذِي بِنِعْمَتِهِ تَتِمُّ ٱلصَّالِحَاتُ » ، وَإِذَا رَأَىٰ مَا يَكْرَهُ . . قَالَ : « ٱلْحَمْدُ لِلهِ عَلَىٰ كُلِّ حَالٍ ، رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ حَالِ أَهْلِ ٱلنَّارِ » .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا سَمِعَ صَوْتَ ٱلرَّعْدِ وَٱلصَّوَاعِقِ . . قَالَ : « ٱللَّهُمَّ ؛ لَا تَقْتُلْنَا بِغَضَبِكَ ، وَلَا تُهْلِكْنَا بِعَذَابِكَ ، وَعَافِنَا قَبْلَ ذَٰلِكَ » .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا سَمِعَ ٱلرَّعْدَ . . قَالَ : « سُبْحَانَ ٱلَّذِي يُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِ » .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا رَأَى ٱلْمَطَرَ . . قَالَ : « ٱللَّهُمَّ ؛ صَيِّباً نَافِعاً » .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا سَالَ ٱلسَّيْلُ . . قَالَ : « ٱخْرُجُوا بِنَا إِلَىٰ هَـٰذَا ٱلْوَادِي ٱلَّذِي جَعَلَهُ ٱللهُ طَهُوراً ، فَنَتَطَهَّرَ مِنْهُ ، وَنَحْمَدَ ٱللهَ عَلَيْهِ » .

وكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا ٱشْتَدّ ٱلرِّيحُ ٱلشَّمْأَلُ(١) . . قَالَ : « ٱللّٰهُمَّ ؛ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا أَرْسَلْتَ بِهَا »(٢) .

وكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا ٱشْتَدتِ ٱلرِّيحُ . . قَالَ : « ٱللّٰهُمَّ ؛ ٱجْعَلْهَا لَقَحاً لَا عَقِيماً » ؛ أَي : حَامِلاً لِلْمَاءِ كَٱللَّقْحَةِ مِنَ ٱلْإِبِلِ(٣) .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا عَصَفَتِ ٱلرِّيحُ . . قَالَ : « ٱللّٰهُمَّ ؛ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَهَا وَخَيْرَ مَا فِيهَا ؛ وَخَيْرَ مَا أُرْسِلَتْ بِهِ ، وأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا وَشَرِّ مَا فِيهَا ، وَشَرِّ مَا أُرْسِلَتْ بِهِ » . رَوَتْهُ عَائِشَةُ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا .

وَرَوَى ٱبْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُمَا : كَانَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا هَاجَتْ رِيحٌ . . ٱسْتَقْبَلَهَا بِوَجْهِهِ ، وَجَثَا عَلَىٰ رُكْبَتَيْهِ ، وَمَدَّ يَدَيْهِ ، وَقَالَ : « ٱللّٰهُمَّ ؛ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَ هَـٰذِهِ ٱلرِّيحِ وَخَيْرَ مَا أُرْسِلَتْ بِهِ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا وَشَرِّ مَا أُرسِلَتْ بِهِ ، ٱللّٰهُمَّ ؛ ٱجْعَلْهَا رَحْمَةً ، وَلَاتَجْعَلْهَا عَذَاباً ، ٱللّٰهُمَّ ؛ ٱجْعَلْهَا رِيَاحاً ، وَلَا تَجْعَلْهَا رِيحاً »(٤) .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا رَأَى ٱلْهِلَالَ . . قَالَ : « هِلَالَ خَيْرٍ

---

(١) **الشمأل** : مقابل الجنوب .

(٢) في نسخة : (فيها) .

(٣) أي : الناقة من الإبل القريبة العهد بالنتاج .

(٤) لأنَّ الرياح معتدلة ، وتأتي بالخير ، أما الريح فهي شديدة ، وتأتي بالعذاب .

وَرُشْدٍ ، آمَنْتُ بِٱلَّذِي خَلَقَكَ » (ثَلَاثاً) . ثُمَّ يَقُولُ : « اَلْحَمْدُ لِلهِ ٱلَّذِي ذَهَبَ بِشَهْرِ كَذَا وَجَاءَ بِشَهْرِ كَذَا » .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا رَأَى ٱلْهِلَالَ . . قَالَ : « اَللّٰهُمَّ ؛ أَهِلَّهُ عَلَيْنَا بِٱلْيُمْنِ وَٱلْإِيمَانِ وَٱلسَّلَامَةِ وَٱلْإِسْلَامِ ، رَبِّي وَرَبُّكَ ٱللهُ » . وَفِي رِوَايَةٍ : « بِٱلْأَمْنِ » بَدَلَ « ٱلْيُمْنِ » .

وَكَانَ آخِرُ كَلَامِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « اَلصَّلَاةَ . . . اَلصَّلَاةَ ، اِتَّقُوا ٱللهَ فِيمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ » .

وَكَانَ آخِرُ مَا تَكَلَّمَ بِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ قَالَ : « قَاتَلَ ٱللهُ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَارَىٰ ؛ اِتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ ، لَا يَبْقَيَنَّ دِينَانِ بِأَرْضِ ٱلْعَرَبِ » .

وَكَانَ آخِرُ مَا تَكَلَّمَ بِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « جَلَالَ رَبِّيَ ٱلرَّفِيعَ ، فَقَدْ بَلَّغْتُ » ، ثُمَّ قَضَىٰ .

* * *

الفَصْلُ الثَّالِثُ

في ثلاث مئة وثلاثة عشر حديثاً من جوامع كلمه صلّى الله عليه وسلّم

وَهِيَ عَلَىٰ عَدَدِ ٱلرُّسُلِ ٱلْكِرَامِ ، وَأَهْلِ بَدْرٍ شُمُوسِ ٱلْإِسْلَامِ .

اِخْتَرْتُهَا مِنَ « ٱلشِّفا » لِلْقَاضِي عِيَاضٍ ، وَ : « ٱلْمَوَاهِبِ ٱللَّدُنِّيَّةِ » لِلْعَلَّامَةِ ٱلْقُسْطُلَّانِيِّ ، وَ : « ٱلْجَامِعِ ٱلصَّغِيرِ » وَ : « ٱلدُّرَرِ ٱلْمُنْتَثِرَةِ فِي ٱلْأَحَادِيثِ ٱلْمُشْتَهِرَةِ » كِلَاهُمَا لِلْحَافِظِ ٱلسُّيُوطِيِّ ، وَ : « كُنُوزِ ٱلْحَقَائِقِ » وَ : « طَبَقَاتِ ٱلْأَوْلِيَاءِ » كِلَاهُمَا لِلْعَلَّامَةِ ٱلْمُنَاوِيِّ .

وَمِنَ ٱلْمَعْلُومِ عِنْدَ ٱلنَّاسِ كَافَّةً ، مُوَافِقِينَ وَمُخَالِفِينَ ، مُسْلِمِينَ وَغَيرَ مُسْلِمِينَ . . أَنَّ رَسُولَ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَفْصَحُ ٱلنَّاسِ عَلَى ٱلْإِطْلَاقِ ، وَلَمْ يُخَالِفْ فِي ذَلِكَ أَحَدٌ .

وَهَاكَهَا مُرَتَّبَةً عَلَى ٱلْحُرُوفِ[1] :

---

(١) من أراد الوقوف علىٰ تخريج الأحاديث فإنّا نحيله إلى كتاب « منتهى السُّول على وسائل الوصول » للشيخ عبد الله بن سعيد اللَّحجي رحمه الله تعالى ، ويقع في أربعة مجلدات ضخام وهو من منشورات دارنا دار المنهاج .
فإن فيه الغنية إن شاء الله تعالىٰ .

(حَرْفُ ٱلْهَمْزَةِ)

قَالَ رسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

١ـ « أُوتِيتُ جَوَامِعَ ٱلْكَلِمِ » .

٢ـ « اِتَّقِ ٱللهَ فِيمَا تَعْلَمُ » .

٣ـ « اِتَّقِ ٱللهَ فِي عُسْرِكَ وَيُسْرِكَ » .

٤ـ « اِتَّقُوا مَوَاضِعَ ٱلتُّهَمِ » .

٥ـ « أَتَمُّكُمْ عَقْلاً . . أَشَدُّكُمْ لِلهِ خَوْفاً » .

٦ـ « اِجْتَنِبُوا ٱلْخَمْرَ ؛ فَإِنَّهَا مِفْتَاحُ كُلِّ شَرٍّ » .

٧ـ « اَلْأَجْرُ عَلَىٰ قَدْرِ ٱلنَّصَبِ »[١] .

٨ـ « أَجْمِلُوا فِي طَلَبِ ٱلدُّنْيَا ؛ فَإِنَّ كُلّاً مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ »[٢] .

٩ـ « اَلْإِحْسَانُ : أَنْ تَعْبُدَ ٱللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ . . فَإِنَّهُ يَرَاكَ » .

١٠ـ « اِخْتِلَافُ أُمَّتِي رَحْمَةٌ » .

١١ـ « أُخْزُنْ لِسَانَكَ إِلَّا مِنْ خَيْرٍ » .

١٢ـ « أَخْلِصِ ٱلْعَمَلَ . . يُجْزِكَ مِنْهُ ٱلْقَلِيلُ » .

---

(١) يعني : علىٰ قدر المشقّة .

(٢) في نسخة : (فإنَّ كلاً ميسَّر لما كتب له منها) .

١٣ـ « أَدِّ ٱلْأَمَانَةَ إِلَىٰ مَنِ ٱئْتَمَنَكَ ، وَلَا تَخُنْ مَنْ خَانَكَ » .

١٤ـ « أَدَّبَنِي رَبِّي فَأَحْسَنَ تَأْدِيبِي » .

١٥ـ « إِذَا أَرَادَ ٱللهُ بِعَبْدٍ خَيْراً . . فَقَّهَهُ فِي ٱلدِّينِ ، وَزَهَّدَهُ فِي ٱلدُّنْيَا ، وَبَصَّرَهُ بِعُيُوبَ نَفْسِهِ »[١] .

١٦ـ « إِذَا أَسَأْتَ . . فَأَحْسِنْ »[٢] .

١٧ـ « إِذَا لَمْ تَستَحِ . . فَٱصْنَعْ مَا شِئْتَ »[٣] .

١٨ـ « إِذَا نَزَلَ ٱلْقَضَاءُ . . عَمِيَ ٱلْبَصَرُ »[٤] .

١٩ـ « اِرْحَمُوا تُرْحَمُوا » .

٢٠ـ « اِزْهَدْ فِي ٱلدُّنْيَا . . يُحِبَّكَ ٱللهُ ، وَٱزْهَدْ فِيمَا فِي أَيْدِي ٱلنَّاسِ . . يُحِبَّكَ ٱلنَّاسُ » .

٢١ـ « اِسْتَعِينُوا عَلَى ٱلْحَاجَاتِ بِٱلْكِتْمَانِ ؛ فَإِنَّ كُلَّ ذِي نِعْمَةٍ مَحْسُودٌ » .

٢٢ـ « اِسْتَعِينُوا عَلَىٰ كُلِّ صَنْعَةٍ بِأَهْلِهَا » .

٢٣ـ « اِسْتَفْتِ قَلْبَكَ وَإِنْ أَفْتَاكَ ٱلنَّاسُ وَأَفْتَوْكَ » .

٢٤ـ « أَسْلِمْ . . تَسْلَمْ » .

---

(١) في نسخة : (وبصَّره عيوبَه) .

(٢) كما قال صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَتْبِعِ ٱلسَّيِّئَةَ ٱلْحَسَنَةَ تَمْحُهَا » .

(٣) الأمر للتهديد والتوبيخ .

(٤) أي : غُطِّي عنه نورُ العقل حتىٰ لا يرىٰ بنوره المنافع فيطلبها ، ولا المضارّ فيجتنبها .

٢٥ـ « اِسْمَحْ . . يُسْمَحْ لَكَ » .

٢٦ـ « أَصْحَابِي كَٱلنُّجُومِ[١] ؛ فَبِأَيِّهِمُ ٱقْتَدَيْتُمُ ٱهْتَدَيْتُمْ » .

٢٧ـ « أَعْجَلُ ٱلْأَشْيَاءِ عُقُوبَةً . . ٱلْبَغْيُ » .

٢٨ـ « أَعْدَىٰ عَدُوِّكَ . . نَفْسُكَ ٱلَّتِي بَيْنَ جَنْبَيْكَ » .

٢٩ـ « أَعْظَمُ ٱلنَّاسِ خَطَايَا . . أَكْثَرُهُمْ خَوْضاً فِي ٱلْبَاطِلِ » .

٣٠ـ « أَعْظَمُ ٱلنَّاسِ خَطَايَا[٢] . . ٱللِّسَانُ ٱلْكَذُوبُ » .

٣١ـ « أَعْمَى ٱلْعَمَى . . ٱلضَّلَالَةُ بَعْدَ ٱلْهُدَىٰ » .

٣٢ـ « اِعْمَلْ بِوَجْهٍ[٣] وَاحِدٍ . . يَكْفِكَ ٱلْوُجُوهَ كُلَّهَا » .

٣٣ـ « أَفْضَلُ ٱلْأَعْمَالِ[٤] . . سُرُورٌ تُدْخِلُهُ عَلَىٰ مُسْلِمٍ » .

٣٤ـ « أَفْضَلُ ٱلْأَعْمَالِ . . ٱلْعِلْمُ بِٱللهِ تَعَالَىٰ » .

٣٥ـ « أَفْضَلُ ٱلْجِهَادِ . . أَنْ تُجَاهِدَ نَفْسَكَ وَهَوَاكَ » .

٣٦ـ « اِفْتَضِحُوا فَٱصْطَلِحُوا »[٥] .

٣٧ـ « أَفْضَلُ ٱلدِّينِ . . ٱلْوَرَعُ » .

٣٨ـ « أَفْضَلُ ٱلصَّدَقَةِ . . جُهْدُ ٱلْمُقِلِّ ، وَٱبْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ » .

---

(١) أي : في الهداية ؛ لأنَّ كلاً منهما يُهتدىٰ به .

(٢) في نسخة : (أعظم الخطايا) .

(٣) في نسخة : (اعمل لوجه) .

(٤) أي : بعد ٱلفرائض .

(٥) من الأمثال السائرة التي في معناها : (تعالَوا نقتبح ساعةً ونصطلح) .

٣٩ـ « أَفْضَلُ ٱلنَّاسِ . . أَتْقَاهُمْ لِلّٰهِ ، وَأَوْصَلُهُمْ لِلرَّحِمِ » .

٤٠ـ « أَفْلَحَ مَنْ رُزِقَ لُبّاً » .

٤١ـ « اَلِاقْتِصَادُ فِي ٱلنَّفَقَةِ[1] . . نِصْفُ ٱلْمَعِيشَةِ ، وَٱلتَّوَدُّدُ إِلَى ٱلنَّاسِ نِصْفُ ٱلْعَقْلِ ، وَحُسْنُ ٱلسُّؤَالِ نِصْفُ ٱلْعِلْمِ » .

٤٢ـ « اَللهُ فِي عَوْنِ ٱلْعَبْدِ . . مَا دَامَ ٱلْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ ٱلْمُسْلِمِ » .

٤٣ـ « أَمِتْ أَمْرَ ٱلْجَاهِلِيَّةِ إِلَّا مَا حَسَّنَهُ ٱلْإِسْلَامُ » .

٤٤ـ « أُمِرْنَا أَنْ نُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ قَدْرِ عُقُولِهِمْ » .

٤٥ـ « إِنَّ ٱللهَ تَعَالَىٰ بَعَثَنِي رَحْمَةً مُهْدَاةً ، بُعِثْتُ بِرَفْعِ أَقْوَامٍ وَخَفْضِ آخَرِينَ » .

٤٦ـ « إِنَّ ٱللهَ تَجَاوَزَ لِأُمَّتِي عَنِ ٱلنِّسْيَانِ ، وَمَا أُكْرِهُوا عَلَيْهِ » .

٤٧ـ « إِنَّ ٱللهَ جَعَلَ ٱلْحَقَّ عَلَىٰ لِسَانِ عُمَرَ وَقَلْبِهِ » .

٤٨ـ « إِنَّ ٱللهَ لَا يَنْظُرُ إِلَىٰ أَجْسَامِكُمْ وَلَا إِلَىٰ صُوَرِكُمْ ، وَلَـٰكِنْ يَنْظُرُ إِلَىٰ قُلُوبِكُمْ » .

٤٩ـ « إِنَّ ٱللهَ يُحِبُّ مَعَالِيَ ٱلْأُمُورِ ، وَيَكْرَهُ سَفْسَافَهَا » .

٥٠ـ « إِنَّ ٱللهَ يُحِبُّ ٱلرِّفْقَ فِي ٱلْأَمْرِ كُلِّهِ » .

٥١ـ « إِنَّ ٱللهَ يُنْزِلُ ٱلرِّزْقَ عَلَىٰ قَدْرِ ٱلْمَؤُونَةِ »[2] .

---

(١) أي : التوسط في الإنفاق .

(٢) وهو من المشهور علىٰ الألسنة ؛ ومعناه : أنَّ الله يعين الإنسان علىٰ قدر ما يحتاج إليه من المؤونة ، بحسَب حاله وما يناسبه .

٥٢ـ « إِنَّ أَخسَرَ ٱلنَّاسِ صَفقَةً . . مَنْ أَذْهَبَ آخِرَتَهُ بِدُنْيَا غَيْرِهِ » .

٥٣ـ « إِنَّ ٱلدِّينَ يُسْرٌ ، وَلَنْ يُشَادَّ ٱلدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ » .

٥٤ـ « إِنَّ ٱلصَّبْرَ عِنْدَ ٱلصَّدْمَةِ ٱلْأُولَىٰ »(١) .

٥٥ـ « إِنَّكَ لَنْ تَدَعَ لِلهِ شَيْئاً . . إِلَّا عَوَّضَكَ ٱللهُ خَيْراً مِنْهُ » .

٥٦ـ « إِنَّكُمْ لَنْ تَسَعُوا ٱلنَّاسَ بِأَمْوَالِكُمْ . . فَسَعُوهُمْ بِأَخْلَاقِكُمْ » .

٥٧ـ « إِنَّ لِصَاحِبِ ٱلْحَقِّ مَقَالاً » .

٥٨ـ « إِنَّمَا ٱلْأَعْمَالُ بِٱلنِّيَّاتِ » .

٥٩ـ « إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ عَنْ تَرَاضٍ » .

٦٠ـ « إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ بِٱلتَّعَلُّمِ ، وَإِنَّمَا ٱلْحِلْمُ بِٱلتَّحَلُّمِ »(٢) .

٦١ـ « إِنَّمَا ٱلْمَرْءُ بِخَلِيلِهِ ، فَلْيَنْظُرِ ٱلْمَرْءُ مَنْ يُخَالِلُ » .

٦٢ـ « إِنَّ مِنَ ٱلْبَيَانِ لَسِحْراً » .

٦٣ـ « أَنَا مَدِينَةُ ٱلْعِلْمِ ، وَعَلِيٌّ بَابُهَا » .

٦٤ـ « أَنْتَ وَمَالُكَ لِأَبِيكَ » .

٦٥ـ « أَنْ تَفْعَلَ ٱلْخَيْرَ خَيْرٌ لَكَ » .

٦٦ـ « أَنْزِلُوا ٱلنَّاسَ مَنَازِلَهُمْ » .

---

(١) أي : إنَّ الصَّبر الكامل المحبوب . . عند زمن ابتداءِ المصيبة وشدتها ، بخلاف زمن آخرها ؛ فإنه وإن كان فيه ثوابٌ إلا أنه دون الأول ؛ لأنَّ آخر المصيبة يهون الأمر شيئاً فشيئاً ، فيحصل له التسلّي .

(٢) أي : بحمل النَّفس عليه .

٦٧ـ «اُنْظُرِي أَيْنَ أَنْتِ مِنهُ ، فَإِنَّمَا هُوَ جَنَّتُكِ وَنَارُكِ » ؛ يَعْنِي : ٱلزَّوْجَ .

٦٨ـ « أَنْهَاكُمْ عَنْ قِيلَ ، وَقَالَ ، وَكَثْرةِ ٱلسُّؤَالِ » .

٦٩ـ « أَلَا لَا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ ٱلْخَالِقِ » .

٧٠ـ « اَلْإِسْلَامُ حُسْنُ ٱلْخُلُقِ » .

٧١ـ « اَلْإِسْلَامُ يَجُبُّ مَا قَبْلَهُ ، وَٱلْهِجْرَةُ تَجُبُّ مَا قَبْلَهَا » .

٧٢ـ « اَلْإِسْلَامُ يَعْلُو ولَا يُعْلَىٰ » .

٧٣ـ « إِيَّاكَ وَدَعْوَةَ ٱلْمَظْلُوم » .

٧٤ـ « إِيَّاكَ وَقَرِينَ ٱلسَّوءِ ، فَإِنَّكَ بِهِ تُعْرَفُ » .

٧٥ـ « إِيَّاكَ وَٱلْخِيَانَةَ ، فَإِنَّهَا بِئْسَتِ ٱلْبِطَانَةُ »[١] .

٧٦ـ « إِيَّاكِ وَمَا يَسُوءُ ٱلْأُذُنَ »[٢] .

٧٧ـ « إِيَّاكُمْ وَخَضْرَاءَ ٱلدِّمَنِ ؛ اَلْمَرْأَةُ ٱلْحَسْنَاءُ فِي ٱلْمَنْبِتِ ٱلسُّوءِ » .

٧٨ـ « اَلْإِيمَانُ نِصْفَانِ ؛ فَنِصْفٌ فِي ٱلشُّكْرِ ، وَنِصْفٌ فِي ٱلصَّبْرِ » .

* * *

(حَرْفُ ٱلْبَاءِ)

٧٩ـ « اَلْبِرُّ حُسْنُ ٱلْخُلُقِ ، وَٱلْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي صَدْرِكَ وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهِ ٱلنَّاسُ » .

---

(١) أي : بئس الشيء الذي يستبطنه من أمره ، ويجعله صفةً لازمةً له .

(٢) وهو نهي عن الغيبة .

٨٠ـ « بِرُّوا آبَاءَكُمْ . . تبرَّكُمْ أَبْنَاؤُكُمْ ، وَعِفُّوا . . تَعِفَّ نِسَاؤُكُمْ » .

٨١ـ « بُعِثْتُ بِمُدَارَاةِ ٱلنَّاسِ »[١] .

٨٢ـ « اَلْبَلَاءُ مُوَكَّلٌ بِٱلْمَنْطِقِ »[٢] .

٨١ـ « اَلْبَيِّنَةُ عَلَى ٱلْمُدَّعِي ، وَٱلْيَمِينُ عَلَىٰ مَنْ أَنْكَرَ » .

* * *

(حَرْفُ ٱلتَّاءِ)

٨٤ـ « تَرْكُ ٱلشَّرِّ صَدَقَةٌ » .

٨٥ـ « تَعَرَّفْ إِلَى ٱللهِ فِي ٱلرَّخَاءِ . . يَعْرِفْكَ فِي ٱلشِّدَّةِ ، وَٱعْلَمْ أَنَّ مَا أَخْطَأَكَ . . لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ ، وَمَا أَصَابَكَ . . لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ ، وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱلنَّصْرَ مَعَ ٱلصَّبْرِ ، وَأَنَّ ٱلْفَرَجَ مَعَ ٱلْكَرْبِ ، وَأَنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْراً » .

٨٦ـ « تَعِسَ عَبْدُ ٱلزَّوْجَةِ » .

---

(١) كلينِ الكلام ، وخفض الجناح ، وتركِ الإغلاظ عليهم ، والقيام لمن يحصل له حقد إذا لم يُقَمْ له ، وذلك من أسباب الألفة واجتماع الكلمة ، وانتظام الأمر ، ولهـٰذا قيل : من لانت كلمته . . وجبت محبته ، وحسنت أحدوثته ، وظمئت القلوب إلىٰ لقائه ، وتنافست في مودته . والمداراةُ غير المداهنة ؛ فالمداراة بذل الدنيا لسلامة الدين ، والمداهنة بذل الدين لسلامة الدنيا .

(٢) يعني : أنَّ العبدَ في سلامةٍ ما سكت ، فإذا تكلّم . . عُرف ما عنده بمحنة النطق ، فيتعرَّض للخطر أو للظفر ؛ ولذا قال صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لسيّدنا معاذ رضي الله تعالىٰ عنه : « أَنْتَ فِي سَلَامَةٍ مَا سَكَتَّ ، فَإِذَا تَكَلَّمْتَ . . فَلَكَ أَوْ عَلَيْكَ » .

٨٧ـ « تَمَسَّكُوا بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ؛ قَوْلُ : (لَا إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللهُ) » .

٨٨ـ « تَهَادَوْا تَحَابُّوا » .

* * *

(حَرْفُ ٱلثَّاءِ)

٨٩ـ « ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ . . وَجَدَ حَلَاوَةَ ٱلْإِيمَانِ[١] : ١ـ أَنْ يَكُونَ ٱللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا ، ٢ـ وَأَنْ يُحِبَّ ٱلْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلهِ ، ٣ـ وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي ٱلْكُفْرِ ـ بَعْدَ إِذْ أَنْقَذَهُ ٱللهُ مِنْهُ ـ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُلْقَىٰ فِي ٱلنَّارِ » .

٩٠ـ « ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ حَاسَبَهُ ٱللهُ حِسَاباً يَسِيراً ، وَأَدْخَلَهُ ٱلْجَنَّةَ بِرَحْمَتِهِ : ١ـ تُعْطِي مَنْ حَرَمَكَ ، ٢ـ وَتَعْفُو عَمَّنْ ظَلَمَكَ ، ٣ـ وَتَصِلُ مَنْ قَطَعَكَ » .

٩١ـ « ثَلَاثٌ مُنْجِيَاتٌ : ١ـ خَشْيَةُ ٱللهِ تَعَالَىٰ فِي ٱلسِّرِّ وَٱلْعَلَانِيَةِ ، ٢ـ وَٱلْعَدْلُ فِي ٱلرِّضَا وَٱلْغَضَبِ ، ٣ـ وَٱلْقَصْدُ[٢] فِي ٱلْفَقْرِ وَٱلْغِنَىٰ . وَثَلَاثٌ مُهْلِكَاتٌ : ١ـ هَوًى مُتَّبَعٌ ، ٢ـ وَشُحٌّ مُطَاعٌ ، ٣ـ وَإِعْجَابُ ٱلْمَرْءِ بِنَفْسِهِ » .

* * *

---

(١) أي : التلذّذ بالطاعة ؛ وتحمّل المشقّة في سبيل رضا الله عزّ وجلّ ورسوله صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وإيثار ذلك علىٰ عَرَض الدنيا .

(٢) أي : التوسط في الإنفاق .

(حَرْفُ ٱلْجِيمِ)

٩٢ـ « اَلْجَارُ قَبْلَ ٱلدَّارِ ، وَٱلرَّفِيقُ قَبْلَ ٱلطَّرِيقِ » .

٩٣ـ « اَلْجَمَاعَةُ رَحْمَةٌ ، وَٱلْفُرْقَةُ عَذَابٌ »[١] .

٩٤ـ « جَفَّ ٱلْقَلَمُ بِمَا أَنْتَ لَاقٍ »[٢] .

٩٥ـ « اَلْجَنَّةُ تَحْتَ أَقْدَامِ ٱلْأُمَّهَاتِ »[٣] .

٩٦ـ « اَلْجَنَّةُ تَحْتَ ظِلَالِ ٱلسُّيُوفِ »[٤] .

* * *

(حَرْفُ ٱلْحَاءِ)

٩٧ـ « حُبُّ ٱلدُّنْيَا . . رَأْسُ كُلِّ خَطِيئَةٍ » .

٩٨ـ « اَلْحُبُّ فِي ٱللهِ وَٱلْبُغْضُ فِي ٱللهِ مِنْ أَفْضَلِ ٱلْأَعْمَالِ » .

٩٩ـ « حُبُّكَ ٱلشَّيْءَ يُعْمِي وَيُصِمُّ » .

١٠٠ـ « اَلْحَرْبُ خُدْعَةٌ » .

---

(١) أي : لزوم جماعة المسلمين موصلٌ إلى الرحمة أو سبب لها ، والفرقة عن جماعة المسلمين ؛ بأن لا ينصرهم ببدنه أو اعتقاده . . سبب للعذاب .

(٢) أي : نفذَ المقدورُ بما كُتب في اللوح المحفوظ ، فبقي القلم الذي كُتب به جافاً لا مداد فيه ؛ لفراغ ما كُتب به .

(٣) يعني : أنَّ برّ الأم سبب لدخول الجنة .

(٤) يعني : أنَّ الجهاد سبب لدخول الجنة .

١٠١ـ « اَلْحَسَبُ . . اَلْمَالُ ، وَٱلْكَرَمُ . . ٱلتَّقْوَىٰ » .

١٠٢ـ « حَسْبُكَ بِٱلصِّحَّةِ وَٱلسَّلَامَةِ دَاءً قَاتِلاً لِٱبْنِ آدَمَ »(١) .

١٠٣ـ « حُفَّتِ ٱلْجَنَّةُ بِٱلْمَكَارِهِ ، وَحُفَّتِ ٱلنَّارُ بِٱلشَّهَوَاتِ » .

١٠٤ـ « اَلْحِكْمَةُ ضَالَّةُ ٱلْمُؤْمِنِ »(٢) .

١٠٥ـ « اَلْحَلَالُ بَيِّنٌ وَٱلْحَرَامُ بَيِّنٌ » .

* * *

(حَرْفُ ٱلْخَاءِ)

١٠٦ـ « خُذِ ٱلْحِكْمَةَ ، وَلَا يَضُرُّكَ مِنْ أَيِّ وِعَاءٍ خَرَجَتْ » .

١٠٧ـ « خَصْلَتَانِ لَا يَجْتَمِعَانِ إِلَّا فِي مُؤْمِنٍ : اَلسَّخَاءُ ، وَحُسْنُ ٱلْخُلُقِ » .

١٠٨ـ « خَصْلَتَانِ لَا يَجْتَمِعَانِ فِي مُؤْمِنٍ : اَلْبُخْلُ ، وَسُوءُ ٱلْخُلُقِ » .

١٠٩ـ « اَلْخَلْقُ كُلُّهُمْ عِيَالُ ٱللهِ ، وَأَحَبُّهُمْ إِلَى ٱللهِ أَنْفَعُهُمْ لِعِيَالِهِ » .

١١٠ـ « خَيْرُ ٱلْأُمُورِ . . أَوْسَاطُهَا » .

---

(١) لأنَّ ذلك يدعوه إلىٰ الغرور وٱرتكاب الشرور ، ويورثه البطر والعُجْب ، وينسيه الآخرة ، ويحبب إليه الدنيا ، و(حب الدنيا رأس كلّ خطيئة) ، وإذا أحبّ الله عبداً . . ابتلاه ليسمع تضرّعه . وهـٰذا لا ينافي طلب العافية المأمور به في كثير من الأحاديث الشريفة ؛ لأنّ المطلوب العافية السليمةُ العاقبةِ ممّا ذُكر .

(٢) فإذا وجدها . . فهو أحقّ بها .

١١١ـ « خَيْرُ ٱلرِّزْقِ . . مَا لَا يُطْغِيكَ وَلَا يُلْهِيكَ » .

١١٢ـ « خَيْرُ ٱلْعَمَلِ . . أَنْ تُفَارِقَ ٱلدُّنْيَا وَلِسَانُكَ رَطْبٌ مِنْ ذِكْرِ ٱللهِ » .

١١٣ـ « خَيْرُكُمْ . . خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي » .

١١٤ـ « خَيْرُكُمْ . . خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي مِنْ بَعْدِي » .

١١٥ـ « خَيْرُ ٱلنَّاسِ . . أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ » .

* * *

(حَرْفُ ٱلدَّالِ)

١١٦ـ « ٱلدَّالُّ عَلَى ٱلْخَيْرِ . . كَفَاعِلِهِ ، وَٱلدَّالُّ عَلَى ٱلشَّرِّ . . كَفَاعِلِهِ »[١] .

١١٧ـ « ٱلدُّعَاءُ . . مُخُّ ٱلْعِبَادَةِ » .

١١٨ـ « دَعْ مَا يُرِيبُكَ إِلَىٰ مَا لَا يُرِيبُكَ ، فَإِنَّ ٱلصِّدْقَ . . طُمَأْنِينَةٌ ، وَإِنَّ ٱلْكَذِبَ . . رِيبَةٌ » .

١١٩ـ « ٱلدُّنْيَا . . سِجْنُ ٱلْمُؤْمِنِ[٢] وَجَنَّةُ ٱلْكَافِرِ[٣] » .

١٢٠ـ « ٱلدُّنْيَا . . عَرَضٌ حَاضِرٌ ، يَأْكُلُ مِنْهَا ٱلْبَرُّ وَٱلْفَاجِرُ ، وَٱلْآخِرَةُ . . وَعْدٌ صَادِقٌ ، يَحْكُمُ فِيهَا مَلِكٌ عَادِلٌ ، يُحِقُّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلُ

---

(١) يعني : في حصولِ الثواب أو العقاب .

(٢) بالنسبة لما أُعدَّ له في الآخرة من النعيم المقيم .

(٣) بالنسبة لما أمامه من عذاب الجحيم .

ٱلْبَاطِلَ ، فَكُونُوا أَبْنَاءَ ٱلْآخِرَةِ ، وَلَا تَكُونُوا أَبْنَاءَ ٱلدُّنْيَا ، فَإِنَّ كُلَّ أُمٍّ يَتْبَعُهَا وَلَدُهَا » .

١٢١ـ « ٱلدُّنْيَا . . كُلُّهَا مَتَاعٌ[١] ، وَخَيْرُ مَتَاعِهَا : ٱلْمَرْأَةُ ٱلصَّالِحَةُ » .

١٢٢ـ « ٱلدُّنْيَا . . مَزْرَعَةُ ٱلْآخِرَةِ » .

١٢٣ـ « دُورُوا مَعَ كِتَابِ ٱللهِ حَيْثُمَا دَارَ » .

١٢٤ـ « ٱلدِّينُ . . ٱلنَّصِيحَةُ » .

١٢٥ـ « دِينُ ٱلْمَرْءِ . . عَقْلُهُ ، وَمَنْ لَا عَقْلَ لَهُ لَا دِينَ لَهُ »[٢] .

* * *

(حَرْفُ ٱلذَّالِ)

١٢٦ـ « ذِكْرُ ٱللهِ . . شِفَاءُ ٱلْقُلُوبِ » .

١٢٧ـ « ٱلذَّنْبُ لَا يُنْسَىٰ ، وَٱلْبِرُّ لَا يَبْلَىٰ[٣] ، وَٱلدَّيَّانُ لَا يَمُوتُ . . فَكُنْ كَمَا شِئْتَ »[٤] .

---

(١) أي : شيء يتمتع به . أي : ينتفع به أمداً قليلاً .

(٢) لأنَّ العقل هو الكاشف عن مقادير العبوديّة ، ومحبوب الله ومكروهه ، وهو الدليل على الرُّشد ، والنّاهي عن الغيّ ؛ فالعاقل من عَقَلَ عن الله عزّ وجلّ أمره ونهيه فأطاعه بما أَمر ، وٱنزجر عمّا نهاه ؛ فتلك علامة العقل .

(٣) يعني : أنّ الخير والفضل لا ينقطع ثوابه ولا يضيع .

(٤) وفي رواية : اعمل ما شئت كما تدينُ تُدان .

١٢٨ـ « ذَهَبَ حُسْنُ ٱلْخُلُقِ بِخَيْرِ ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ »[١] .

١٢٩ـ « ذُو ٱلْوَجْهَيْنِ[٢] لَا يَكُونُ عِنْدَ ٱللهِ وَجِيهاً » .

* * *

(حَرْفُ ٱلرَّاءِ)

١٣٠ـ « رَأْسُ ٱلْحِكْمَةِ . . مَخَافَةُ ٱللهِ » .

١٣١ـ « رَأْسُ ٱلدِّينِ . . ٱلْوَرَعُ » .

١٣٢ـ « رَأْسُ ٱلْعَقْلِ بَعْدَ ٱلْإِيمَانِ بِٱللهِ تَعَالَىٰ . . ٱلتَّوَدُّدُ إِلَى ٱلنَّاسِ » .

١٣٣ـ « رَحِمَ ٱللهُ عَبْداً قَالَ خَيْراً . فَغَنِمَ ، أَوْ سَكَتَ . . فَسَلِمَ » .

١٣٤ـ « رَضِيتُ لِأُمَّتِي مَا رَضِيَ ٱللهُ لَهَا »[٣] .

١٣٥ـ « رِيَاضُ ٱلْجَنَّةِ . . ٱلْمَسَاجِدُ » .

* * *

(حَرْفُ ٱلزَّايِ)

١٣٦ـ « زُرْ غِبّاً[٤] . . تَزْدَدْ حُبّاً » .

* * *

---

(١) وذلك لعظيم فضله .

(٢) هو الذي يأتي كلَّ قومٍ بما يرضيهم ، خيراً كانَ أو شرّاً .

(٣) في نسخة : (رضيتُ لأمتي ما رضي لها ابن أُمِّ عَبْدٍ) .

(٤) أي : وقتاً بعد وقت ، بغير دوام .

(حَرْفُ ٱلسِّينِ)

١٣٧ـ « ٱلسَّعِيدُ . . مَنْ وُعِظَ بِغَيْرِهِ » .

١٣٨ـ « ٱلسَّفَرُ . . قِطْعَةٌ مِنَ ٱلْعَذَابِ » .

١٣٩ـ « سَيِّدُ ٱلْقَوْمِ . . خَادِمُهُمْ » .

١٤٠ـ « ٱلسُّيُوفُ . . مَفَاتِيحُ ٱلْجَنَّةِ » .

* * *

(حَرْفُ ٱلشِّينِ)

١٤١ـ « ٱلشَّاهِدُ . . يَرَىٰ مَا لَا يَرَى ٱلْغَائِبُ » .

* * *

(حَرْفُ ٱلصَّادِ)

١٤٢ـ « ٱلصَّبْرُ . . خَيْرُ مَرْكَبٍ » .

١٤٣ـ « ٱلصَّبْرُ . . مِفْتَاحُ ٱلْفَرَجِ ، وَٱلزُّهْدُ . . غِنَى ٱلْأَبَدِ » .

١٤٤ـ « ٱلصَّلَاةُ . . عِمَادُ ٱلدِّينِ » .

١٤٥ـ « ٱلصَّلَاةُ . . مِفْتَاحُ كُلِّ خَيْرٍ ، وَٱلنَّبِيذُ . . مِفْتَاحُ كُلِّ شَرٍّ » .

١٤٦ـ « صُومُوا . . تَصِحُّوا » .

* * *

(حَرْفُ ٱلضَّادِ)

١٤٧ـ « ضَالَّةُ ٱلْمُؤْمِنِ . . ٱلْعِلْمُ » .

* * *

(حَرْفُ ٱلطَّاءِ)

١٤٨ـ « طَاعَةُ ٱلْمَرْأَةِ . . نَدَامَةٌ » .

١٤٩ـ « طُوبَىٰ لِمَنْ شَغَلَهُ عَيْبُهُ عَنْ عُيُوبِ ٱلنَّاسِ » .

١٥٠ـ « طُوبَىٰ لِمَنْ طَالَ عُمُرُهُ وَحَسُنَ عَمَلُهُ » .

* * *

(حَرْفُ ٱلظَّاءِ)

١٥١ـ « ظَهْرُ ٱلْمُؤْمِنِ . . حِمَىً ؛ إِلَّا بِحَقِّهِ »[١] .

* * *

(حَرْفُ ٱلْعَيْنِ)

١٥٢ـ « اَلْعِدَةُ . . دَيْنٌ »[٢] .

---

(١) أي : محميّ ، معصوم من الإيذاء .

(٢) رُوي بلفظ : « اَلْعِدَةُ دَينٌ ، وَيْلٌ لِمَنْ وَعَدَ ثُمَّ أَخْلَفَ ، وَيْلٌ ثُمَّ وَيْلٌ لَهُ » .

١٥٣ـ « اَلْعُزْلَةُ . . سَلَامَةٌ » .

١٥٤ـ « اَلْعِرْقُ . . دَسَّاسٌ »[1] .

١٥٥ـ « عَفْوُ ٱلْمُلُوكِ . . أَبْقَىٰ لِلْمُلْكِ » .

١٥٦ـ « عَلَى ٱلْيَدِ مَا أَخَذَتْ حَتَّىٰ تُؤَدِّيَهُ »[2] .

١٥٧ـ « اَلْعَيْنُ . . حَقٌّ »[3] .

* * *

(حَرْفُ ٱلْغَيْنِ)

١٦٨ـ « اَلْغِنَىٰ . . غِنَى ٱلنَّفْسِ ، وَٱلْفَقْرُ . . فَقْرُ ٱلنَّفْسِ » .

* * *

(حَرْفُ ٱلْفَاءِ)

١٥٩ـ « اَلْفِتْنَةُ . . نَائِمَةٌ ، لَعَنَ ٱللهُ مَنْ أَيْقَظَهَا » .

١٦٠ـ « فِعْلُ ٱلْمَعْرُوفِ . . يَقِي مَصَارِعَ ٱلسُّوءِ » .

١٦١ـ « فِي كُلِّ ذَاتِ كَبِدٍ حَرَّىٰ . . أَجْرٌ »[4] .

---

(١) أي : دخّال ؛ لأنه ينزع في خفاءٍ ولطف .

(٢) أي : علىٰ صاحبها ضمانٌ .

(٣) يعني : الضرر الحاصل عنها ثابتٌ وجوديٌّ مقضيٌّ به في الوضع الإلـٰهيّ ، لا شبهة في تأثيره في النفوس والأموال .

(٤) حرَّىٰ : مِن الحرِّ ، والمراد : حرارة الحياة ، وفي رواية : « كُلُّ كَبِدٍ رَطْبَةٍ » ـ أي : =

(حَرْفُ ٱلْقَافِ)

١٦٢ـ « اَلْقَرِيبُ . . مَنْ قَرَّبَتْهُ ٱلْمَوَدَّةُ ، وَإِنْ بَعُدَ نَسَبُهُ » .

١٦٣ـ « قَلْ : آمَنْتُ بِٱللهِ . . ثُمَّ ٱسْتَقِمْ » .

١٦٤ـ « قِلَّةُ ٱلْعِيَالِ . . أَحَدُ ٱلْيَسَارَيْنِ » .

١٦٥ـ « قُلِ ٱلْحَقَّ ، وَإِنْ كَانَ مُرّاً » .

١٦٦ـ « قَلِيلٌ تُؤَدِّي شُكْرَهُ . . خَيْرٌ مِنْ كَثِيرٍ لَا تُطِيقُهُ » .

١٦٧ـ « اَلْقَنَاعَةُ . . كَنْزٌ لَا يَفْنَىٰ » .

١٦٨ـ « قَيِّدْ . . وتَوَكَّلْ » .

* * *

(حَرْفُ ٱلْكَافِ)

١٦٩ـ « كَفَىٰ بِٱلْمَرْءِ إِثْماً . . أَنْ يُضَيِّعَ مَنْ يَقُوتُ »[١] .

١٧٠ـ « كَفَىَ بِكَ إِثْماً . . أَنْ لَا تَزَالَ مُخَاصِماً » .

١٧١ـ « كَفَىٰ بِٱلدَّهْرِ وَاعِظاً ، وَبِٱلْمَوْتِ مُفَرِّقاً » .

١٧٢ـ « كُلُّ آتٍ . . قَرِيبٌ » .

= حيّة ـ يعني : رطوبة الحياة . والمعنىٰ : إنَّ في سقي كلّ ذي كبدٍ حرّىٰ أجراً عاماً ، مخصوص بحيوانٍ محترمٍ ، وهو ما لم يؤمر بقتله .

(١) أي : من يلزمه قوته ونفقته ، ولا سيما الزوجة .

١٧٣ـ « كُلُّ ٱلصَّيْدِ فِي جَوْفِ ٱلْفَرَاءِ »[1] .

١٧٤ـ « كُلُّكُمْ . . رَاعٍ ، وَكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ » .

١٧٥ـ « كُلُّ ٱلْمُسْلِمِ . . عَلَى ٱلْمُسْلِمِ حَرَامٌ ؛ دَمُهُ ، وَمَالُهُ ، وَعِرْضُهُ » .

١٧٦ـ « كُلُّ مَعْرُوفٍ . . صَدَقَةٌ » .

١٧٧ـ « كُلُّ مُؤْذٍ . . فِي ٱلنَّارِ » .

١٧٨ـ « كُلٌّ . . مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ » .

١٧٩ـ « كَلِّمُوا ٱلنَّاسَ . . بِمَا يَعْرِفُونَ ، وَدَعُوا مَا يُنْكِرُونَ » .

١٨٠ـ « كَمَا تَدِينُ . . تُدَانُ » .

١٨١ـ « كَمَا تَكُونُوا . . يُوَلَّىٰ عَلَيْكُمْ » .

١٨٢ـ « كُنْ فِي ٱلدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ ، أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ ، وَعُدَّ نَفْسَكَ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُبُورِ » .

---

(١) **الفراء** : حمار الوحش ، وهـٰذا في الأصل مثل عربي قديم ، قاله أحد العرب لمَّا تأخّر صيده عن صيد رفقائه ، ثم اصطاد حمار وحش فكان أكبر من صيد رفقائه ، فكأنه يقول : إنّ الحمار الوحشي من أعظم ما يُصاد وكل صيدٍ دونه . وسبب قول النبي الكريم صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هـٰذا المثل ما وردَ أنّه صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أذن لقرشيّ وأخّر أبا سفيان ابن الحارث بن عبد المطلب رضي الله عنه . ثم أذن له فقال : ما كدت أن تأذن لي حتىٰ كدت أن تأذن لحجارة الجلْهَمَتَيْن قبلي ، وبكىٰ . فقال له صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « وَمَا أَنْتَ وَذَاكَ يَا أَبَا سُفْيَانَ ؟! إِنَّمَا أَنْتَ كَمَا قَالَ ٱلأَوَّلُ : كُلُّ ٱلصَّيْدِ فِي جَوْفِ ٱلْفَرَاءِ » .

١٨٣ـ « ٱلْكَيِّسُ . . مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ ٱلْمَوْتِ ، وَٱلْعَاجِزُ . . مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا ، وَتَمَنَّىٰ عَلَى ٱللهِ ٱلْأَمَانِيَّ » .

* * *

(حَرْفُ ٱللَّامِ)

١٨٤ـ « لِدُوا[١] لِلْمَوْتِ ، وٱبْنُوا لِلْخَرَابِ[٢] » .

١٨٥ـ « لَسْتُ مِنَ ٱلْبَاطِلِ ، وَلَا ٱلْبَاطِلُ مِنِّي » .

١٨٦ـ « لَيْسَ ٱلْخَبَرُ . . كَٱلْمُعَايَنَةِ »[٣] .

* * *

(حَرْفُ ٱلْمِيمِ)

١٨٧ـ « مَاءُ زَمْزَمَ . . لِمَا شُرِبَ لَهُ » .

١٨٨ـ « مَا آمَنَ بِٱلْقُرْآنِ . . مَنِ ٱسْتَحَلَّ مَحَارِمَهُ » .

١٨٩ـ « مَا أُعْطِيَ عَبْدٌ شَيْئاً . . شَرّاً مِنْ طَلَاقَةٍ فِي لِسَانِهِ » .

١٩٠ـ « مَا تَشَاوَرَ قَوْمٌ . . إِلَّا هُدُوا » .

١٩١ـ « مَا جُمِعَ شَيْءٌ إِلَىٰ شَيْءٍ . . أَحْسَنُ مِنْ حِلْمٍ إِلَىٰ عِلْمٍ » .

---

(١) أي : توالدوا .

(٢) واللام هنا لامُ العاقبة ، فهو تسمية للشيء باسم عاقبته ، ونبّه بذلك علىٰ أنه لا ينبغي للمرء أن يبني من المساكن إلا ما تقتضيه الضرورة .

(٣) وفي رواية كالعِيان ، وكلاهما بمعنىٰ المشاهدة .

١٩٢ـ « مَا خابَ . . مَنِ ٱسْتَخَارَ ، وَلاَ نَدِمَ . . مَنِ ٱسْتَشَارَ ، وَلاَ عَالَ . . مَنِ ٱقْتَصَدَ »[١] .

١٩٣ـ « مَا رَآهُ ٱلْمُسْلِمُونَ حَسَناً . . فَهُوَ حَسَنٌ عِنْدَ ٱللهِ » .

١٩٤ـ « مَا ضَاقَ مَجْلِسٌ بِمُتَحَابَّيْنِ » .

١٩٥ـ « مَا قَلَّ وَكَفَىٰ . . خَيْرٌ مِمَّا كَثُرَ وَأَلْهَىٰ » .

١٩٦ـ « مَا كَانَ ٱلرِّفْقُ فِي شَيْءٍ . . إِلَّا زَانَهُ » .

١٩٧ـ « مَا كَانَ ٱلْفُحْشُ فِي شَيْءٍ . . إِلَّا شَانَهُ » .

١٩٨ـ « مَا هَلَكَ ٱمْرُؤٌ . . عَرَفَ قَدْرَهُ »[٢] .

١٩٩ـ « مَا هُوَ بِمُؤْمِنٍ . . مَنْ لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ » .

٢٠٠ـ « مُتْ مُسْلِماً وَلَا تُبَالِ » .

٢٠١ـ « اَلْمَجَالِسُ . . بِٱلْأَمَانَةِ »[٣] .

٢٠٢ـ « مُحَرِّمُ ٱلْحَلَالِ . . كَمُحِلِّ ٱلْحَرَامِ »[٤] .

٢٠٣ـ « اَلْمَرْءُ . . كَثِيرٌ بِأَخِيهِ » .

---

(١) أي : ما افتقر من توسط في النفقة علىٰ عياله .

(٢) يعني : أن مَن عرف مقدار نفسه ونزّلها منزلتها . . نجا في الدنيا والآخرة من الهلاك ، ومن تعدىٰ طوره فتكبَّر ، ورفع نفسه فوق حدِّه . . هلك .

(٣) أي : يجب حفظ ما يقع في المجالس من قولٍ أو فعلٍ ؛ فلا يشيع أحدٌ حديثَ جليسه .

(٤) يعني : في الإثم .

٢٠٤ـ « مُدَارَاةُ ٱلنَّاسِ . . صَدَقَةٌ »[١] .

٢٠٥ـ « اَلْمَرْءُ . . مَعَ مَنْ أَحَبَّ » .

٢٠٦ـ « اَلْمُسْتَشَارُ . . مُؤْتَمَنٌ » .

٢٠٧ـ « اَلْمُسْلِمُ . . أَخُو ٱلْمُسْلِمِ ، لاَ يَظْلِمُهُ وَلاَ يُسْلِمُهُ » .

٢٠٨ـ « اَلْمُسْلِمُ . . مَنْ سَلِمَ ٱلْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ ، وَٱلْمُهَاجِرُ . . مَنْ هَجَرَ مَا حَرَّمَ ٱللهُ » .

٢٠٩ـ « مَعَ كُلِّ فَرْحَةٍ . . تَرْحَةٌ »[٢] .

٢١٠ـ « مِفْتَاحُ ٱلْجَنَّةِ . . لَا إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللهُ » .

٢١١ـ « مِلَاكُ ٱلدِّينِ . . ٱلْوَرَعُ » .

٢١٢ـ « ٱلْمَكْرُ وَٱلْخَدِيعَةُ . . فِي ٱلنَّارِ » .

٢١٣ـ « مَنْ أَبْطَأَ بِهِ عَمَلُهُ . . لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ » .

٢١٤ـ « مَنِ ٱتَّقَى ٱللهَ . . كَلَّ لِسَانُهُ ، وَلَمْ يَشْفِ غَيْظَهُ » .

٢١٥ـ « مَنِ ٱتَّقَى ٱللهَ . . وَقَاهُ كُلَّ شَيْءٍ » .

٢١٦ـ « مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَعْلَمَ مَنْزِلَتَهُ عِنْدَ ٱللهِ . . فَلْيَنْظُرْ مَنْزِلَةَ ٱللهِ عِنْدَهُ » .

٢١٧ـ « مَنْ أَحَبَّ دُنْيَاهُ . . أَضَرَّ بِآخِرَتِهِ ، وَمَنْ أَحَبَّ آخِرَتَهُ . . أَضَرَّ بِدُنْيَاهُ ؛ فَآثِرُوا مَا يَبْقَىٰ عَلَىٰ مَا يَفْنَىٰ » .

---

(١) يعني : لين الجانب لهم ، والتلطف في معاشرتهم .

(٢) أي : جرت عادة الله بأنَّ كلَّ سرور يعقبه حزن ؛ لئلا تسكن نفوس العقلاء إلى نعيمها .

٢١٨ـ « مَنْ أَحَبَّ شَيْئاً . . أَكْثَرَ مِنْ ذِكْرِهِ » .

٢١٩ـ « مَنْ أَحَبَّ قَوْماً . . حَشَرهُ ٱللهُ فِي زُمْرَتِهِمْ » .

٢٢٠ـ « مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ ٱللهِ . . أَحَبَّ ٱللهُ لِقَاءَهُ » .

٢٢١ـ « مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَـٰذَا مَا لَيْسَ فِيهِ(١) . . فَهُوَ رَدٌّ » .

٢٢٢ـ « مَنْ أَرْضَى ٱلنَّاسَ بِسَخَطِ ٱللهِ . . وَكَلَهُ ٱللهُ إِلَى ٱلنَّاسِ » .

٢٢٣ـ « مَنْ أَطَاعَ ٱللهَ . . فَازَ » .

٢٢٤ـ « مَنْ أَعَانَ ظَالِماً . . سَلَّطَهُ ٱللهُ عَلَيْهِ » .

٢٢٥ـ « مَنْ بَثَّ(٢) . . لَمْ يَصْبِرْ » .

٢٢٦ـ « مَنْ بُورِكَ لَهُ فِي شَيْءٍ . . فَلْيَلْزَمْهُ » .

٢٢٧ـ « مَنْ تَأَنَّىٰ . . أَصَابَ أَوْ كَادَ ، وَمَنْ عَجِلَ . . أَخْطَأَ أَوْ كَادَ » .

٢٢٨ـ « مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ . . فَهُوَ مِنْهُمْ » .

٢٢٩ـ « مَنْ تَعَلَّقَ بِشَيْءٍ . . وُكِلَ إِلَيْهِ » .

٢٣٠ـ « مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ ٱلْمَرْءِ . . تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ » .

٢٣١ـ « مَنْ رَتَعَ حَوْلَ ٱلْحِمَىٰ . . يُوشِكُ أَنْ يُوَاقِعَهُ » .

٢٣٢ـ « مَنْ رَضِيَ بِقِسْمَةِ ٱللهِ . . ٱسْتَغْنَىٰ » .

٢٣٣ـ « مَنْ رَضِيَ عَنِ ٱللهِ . . رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ » .

---

(١) في نسخة : (مِنْهُ) .

(٢) أي : من أذاعَ ونشر وشكا مصيبته للنَّاس .

٢٣٤ـ « مَنْ سَرَّتْهُ حَسَنَتُهُ وَسَاءَتْهُ سَيِّئَتُهُ . . فَهُوَ مُؤْمِنٌ » .

٢٣٥ـ « مَنْ صَمَتَ . . نَجَا »[١] .

٢٣٦ـ « مَنْ ضَمِنَ لِي مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ[٢] ، وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ[٣] ضَمِنْتُ لَهُ عَلَى ٱللهِ ٱلْجَنَّةَ » .

٢٣٧ـ « مَنْ عَمِلَ بِمَا عَلِمَ . . وَرَّثَهُ ٱللهُ عِلْمَ مَا لَمْ يَعْلَمْ » .

٢٣٨ـ « مَنْ غَشَّنَا . . فَلَيْسَ مِنَّا » .

٢٣٩ـ « مَنْ فَارَقَ ٱلْجَمَاعَةَ شِبْراً . . فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ ٱلْإِسْلَامِ » .

٢٤٠ـ « مَنْ كَثَّرَ سَوَادَ قَوْمٍ . . فَهُوَ مِنْهُمْ » .

٢٤١ـ « مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ . . فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ » .

٢٤٢ـ « مَنْ لَا يَرْحَمُ . . لَا يُرْحَمُ » .

٢٤٣ـ « مَنْ لَمْ يَكُنْ ذِئْباً . . أَكَلَتْهُ ٱلذِّئَابُ »[٤] .

٢٤٤ـ « مَنْ مَزَحَ . . ٱسْتُخِفَّ بِهِ » .

٢٤٥ـ « مَنْ نُوقِشَ ٱلْحِسَابَ . . عُذِّبَ » .

٢٤٦ـ « مَنْهُومَانِ لَا يَشْبَعَانِ : طَالِبُ عِلْمٍ ، وَطَالِبُ دُنْيَا » .

---

(١) أي : من سكتَ عن النطق بما لا ثوابَ فيه . . نجا من العقاب والعتاب يوم المآب .

(٢) المراد : اللسان ، وما يتأتىٰ به النطق .

(٣) المراد : الفرْج ، وترك صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التصريح به استهجاناً واستحياءً ؛ لأنه صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أشدُّ حياءً من العذراء في خدرها .

(٤) الحديث مقيد بآخر الزمان ، حيث يغلب الشر ويقل الخير وأهله ، فعلىٰ المؤمن حينئذٍ الحذر من أن يصيبه الضرر .

٢٤٧ـ « اَلْمُؤْمِنُ . . مِرْآةُ ٱلْمُؤْمِنِ » .

٢٤٨ـ « اَلْمُؤْمِنُ . . مَنْ أَمِنَهُ ٱلنَّاسُ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ » .

٢٤٩ـ « اَلْمُؤْمِنُ . . يَسِيرُ ٱلْمُؤْنَةِ » .

٢٥٠ـ « اَلْمُؤْمِنُونَ كَرَجُلٍ وَاحِدٍ » .

٢٥١ـ « مَنْ كَانَ آخِرُ كَلَامِهِ (لَا إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللهُ) . . دَخَلَ ٱلْجَنَّةَ » .

* * *

(حَرْفُ ٱلنُّونِ)

٢٥٢ـ « اَلنَّاسُ بِزَمَانِهِمْ . . أَشْبَهُ مِنْهُمْ بِآبَائِهِمْ »[١] .

٢٥٣ـ « اَلنَّاسُ . . كَأَسْنَانِ ٱلْمُشْطِ » .

٢٥٤ـ « اَلنَّاسُ . . مَعَادِنُ فِي ٱلْخَيْرِ وَٱلشَّرِّ » .

٢٥٥ـ « نَحْنُ . . أَهْلُ بَيْتٍ لَا يُقَاسُ بِنَا أَحَدٌ » .

٢٥٦ـ « نَحْنُ . . بَنُو عَبْدِ ٱلْمُطَّلِبِ سَادَاتُ أَهْلِ ٱلْجَنَّةِ » .

٢٥٧ـ « اَلنَّدَمُ . . تَوْبَةٌ » .

٢٥٨ـ « اَلنِّسَاءُ . . حَبَائِلُ ٱلشَّيْطَانِ »[٢] .

---

(١) من قول سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقال ملا علي القاري رحمه الله تعالىٰ : الأظهر والأشهر أنه من قول سيدنا علي ابن أبي طالب رضي الله عنه .

(٢) أي : مصائده ، والمراد : أنهنَّ آلاتٌ للشيطان يتوصّل بهنّ إلىٰ إغواء الفسقة ، ولا سيما المتبرجات منهنّ .

٢٥٩ـ « نِعْمَ ٱلصِّهْرُ . . ٱلْقَبْرُ »[١] .

٢٦٠ـ « نِيَّةُ ٱلْمُؤْمِنِ . . خَيْرٌ مِنْ عَمَلِهِ » .

* * *

(حَرْفُ ٱلْهَاءِ)

٢٦١ـ « اَلْهَدِيَّةُ . . تُعْوِرُ عَيْنَ ٱلْحَكِيمِ »[٢] .

٢٦٢ـ « هُمَا . . جَنَّتُكَ وَنَارُكَ » يَعْنِي : ٱلْوَالِدَيْنِ .

٢٦٣ـ « اَلْهَمُّ . . نِصْفُ ٱلْهَرَمِ »[٣] .

* * *

(حَرْفُ ٱلْوَاوِ)

٢٦٤ـ « وَجَدْتُ ٱلنَّاسَ . . أُخْبُرْ تَقْلِه » ؛ يَعْنِي : جَرِّبْ تَكْرَهْ .

٢٦٥ـ « اَلْوَحْدَةُ . . خَيْرٌ مِنْ جَلِيسِ ٱلسُّوءِ » .

٢٦٦ـ « اَلْوُدُّ وَٱلْعَدَاوَةُ . . يُتَوَارَثَانِ » .

٢٦٧ـ « اَلْوَرَعُ . . سَيِّدُ ٱلْعَمَلِ » .

---

(١) لأنه ستر للعورة ، وكفاية للمؤونة .

(٢) أي : تصيره أعور لا يبصر إلا بعين الرّضا فقط ، وتُعمي عينَ السُّخط ، ولهـٰذا كان دعاء السَّلف رحمهم الله تعالىٰ : اللّهمَّ لا تجعل لفاجرٍ عندي نعمة ، يرعاه بها قلبي .

(٣) أي : لأنّ الهمَّ يورث الضعف والأسقام .

٢٦٨ـ « اَلْوَلَدُ . . ثَمَرَةُ ٱلْقَلْبِ » .

٢٦٩ـ « اَلْوَلَدُ . . مَبْخَلَةٌ ، مَجْبَنَةٌ ، مَحْزَنَةٌ »(١) .

٢٧٠ـ « اَلْوَلَدُ . . لِلْفِرَاشِ(٢) ، وَلِلْعَاهِرِ . . ٱلْحَجَرُ »(٣) .

٢٧١ـ « وَيْلٌ لِلْشَّاكِّينَ فِي ٱللهِ » .

* * *

(حَرْفُ ٱللَّامِ أَلِفُ)

٢٧٢ـ « (لَا إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللهُ) . . كَنْزٌ مِنْ كُنُوزِ ٱلْجَنَّةِ » .

٢٧٣ـ « لَا إِيمَانَ . . لِمَنْ لَا أَمَانَةَ لَهُ » .

٢٧٤ـ « لَا تَجْتَمِعُ أُمَّتِي . . عَلَىٰ ضَلَالَةٍ » .

٢٧٥ـ « لَا تَخْتَلِفُوا . . فَتَخْتَلِفَ قُلُوبُكُمْ »(٤) .

٢٧٦ـ « لَا تَسُبُّوا ٱلدُّنْيَا . . فَإِنَّهَا مَطِيَّةُ ٱلْمُؤْمِنِ » .

٢٧٧ـ « لَا تَصْحَبْ . . إِلَّا مُؤْمِناً ، وَلَا يَأْكُلْ طَعَامَكَ . . إِلَّا تَقِيٌّ » .

٢٧٨ـ « لَا خَيْرَ . . فِي صُحْبَةِ مَنْ لَا يَرَىٰ لَكَ مِثْلَ مَا تَرَىٰ لَهُ » .

٢٧٩ـ « لَا ضَرَرَ . . وَلَا ضِرَارَ » .

---

(١) أي : يحمل والديه علىٰ ذلك خشيةً عليه .

(٢) أي : لصاحب الفراش ؛ زوجاً كان أو سيِّداً ، ما لم ينفه بلِعان .

(٣) أي : لا حظ للزاني من ذلك إلا الحدّ .

(٤) أي : لا يتقدم بعضكم علىٰ بعضٍ في الصّلاة ؛ لأنّ تقدم البعض علىٰ البعض مَظِنَّة لِلكبر المفسد للقلوب .

٢٨٠ـ « لَا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ . . فِي مَعْصِيَةِ ٱلْخَالِقِ » .

٢٨١ـ « لَا عَقْلَ كَٱلتَّدْبِيرِ ، وَلَا وَرَعَ كَٱلْكَفِّ ، وَلَا حَسَبَ . . كَحُسْنِ ٱلْخُلُقِ » .

٢٨٢ـ « لَا فَقْرَ . . أَشَدُّ مِنَ ٱلْجَهْلِ ، وَلَا مَالَ . . أَعَزُّ مِنَ ٱلْعَقْلِ ، وَلَا وَحْشَةَ . . أَشَدُّ مِنَ ٱلْعُجْبِ » .

٢٨٣ـ « لَا يَجْنِي عَلَى ٱلْمَرْءِ . . إِلَّا يَدُهُ »[١] .

٢٨٤ـ « لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ . . أَنْ يُرَوِّعَ مُسْلِماً » .

٢٨٥ـ « لَا يَزَالُ ٱلرِّجَالُ بِخَيْرٍ . . مَا لَمْ يُطِيعُوا ٱلنِّسَاءَ » .

٢٨٦ـ « لَا يَشْكُرُ ٱللهَ . . مَنْ لَا يَشْكُرُ ٱلنَّاسَ » .

٢٨٧ـ « لَا يُغْنِي حَذَرٌ . . مِنْ قَدَرٍ » .

٢٨٨ـ « لَا يُلْدَغُ ٱلْمُؤْمِنُ . . مِنْ جُحْرٍ مَرَّتَيْنِ » .

٢٨٩ـ « لَا يَكُونُ ٱلرَّجُلُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ . . حَتَّىٰ يَدَعَ مَا لَا بَأْسَ فِيهِ ، حَذَراً مِمَّا بِهِ بَأْسٌ » .

٢٩٠ـ « لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ . . حَتَّىٰ يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ » .

٢٩١ـ « لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ . . حَتَّىٰ يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعاً لِمَا جِئْتُ بِهِ » .

٢٩٢ـ « لَا يُؤْمِنُ عَبْدٌ . . حَتَّىٰ يَكُونَ قَلْبُهُ وَلِسَانُهُ سَوَاءً » .

* * *

---

(١) لأنه يذنب ، فيعاقَب من الله تعالى . فكأنه المعاقِب لنفسه ؛ لتسببه في إيصال العقابِ لها .

(حَرْفُ ٱلْيَاءِ)

٢٩٣ـ « يَا ٱبْنَ آدَمَ ؛ اِرْضَ مِنَ ٱلدُّنْيَا . . بِٱلْقُوتِ ؛ فَإِنَّ ٱلْقُوتَ لِمَنْ يَمُوتُ كَثِيرٌ » .

٢٩٤ـ « يَا أَبَا بَكْرٍ ؛ مَا ظَنُّكَ بِٱثْنَيْنِ ٱللهُ ثَالِثُهُمَا » . قَالَهُ لَهُ فِي ٱلْغَارِ .

٢٩٥ـ « يَا أَبَا ذَرٍّ ؛ جَدِّدِ ٱلسَّفِينَةَ ، فَإِنَّ ٱلْبَحْرَ عَمِيقٌ »[1] .

٢٩٦ـ « يَا أَنَسُ ؛ أَطِبْ كَسْبَكَ . . تُسْتَجَبْ دَعْوَتُكَ » .

٢٩٧ـ « يَا حَرْمَلَةُ ؛ ٱئْتِ ٱلْمَعْرُوفَ وَٱجْتَنِبِ ٱلْمُنْكَرَ » .

٢٩٨ـ « يَا حَبَّذَا كُلُّ نَاطِقٍ عَالِمٍ ، وَكُلُّ مُسْتَمِعٍ وَاعٍ » .

٢٩٩ـ « يَا حُذَيْفَةُ ؛ عَلَيْكَ بِكِتَابِ ٱللهِ » .

٣٠٠ـ « يا عُبَادَةُ ؛ اِسْمَعْ وَأَطِعْ فِي عُسْرِكَ وَيُسْرِكَ » .

٣٠١ـ « يَا عُقْبَةُ ؛ صِلْ مَنْ قَطَعَكَ ، وَأَعْطِ مَنْ حَرَمَكَ » .

٣٠٢ـ « يَا عَلِيُّ ؛ لَا تَرْجُ إِلَّا رَبَّكَ ، وَلَا تَخَفْ إِلَّا ذَنْبَكَ » .

٣٠٣ـ « يَا عَمْرُو ؛ نِعِمَّا بِٱلْمَالِ ٱلصَّالِحِ لِلرَّجُلِ ٱلصَّالِحِ » .

٣٠٤ـ « يَا عَمَّ رَسُولِ ٱللهِ ؛ أَكْثِرْ مِنَ ٱلدُّعَاءِ بِٱلْعَافِيَةِ » ، قَالَهُ لِلْعَبَّاسِ .

---

(١) شبّه الأعمال الصّالحة بالسفينة ، وشبّه يوم القيامة بالبحر العميق ؛ لِما فيه من أهوال ، بحيث لا ينجيه منه إلاَّ السفينة السليمة المتينة ، أمّا غيرها . . فيخشىٰ عليه الهلاك ، وهـٰذا من أبدع الكلام وأحسن الاستعارة .

٣٠٥ـ « يَا فَاطِمَةُ ؛ كُونِي لَهُ أَمَةً . . يَكُنْ لَكِ عَبْداً »(١) .

٣٠٦ـ « يُبْصِرُ أَحَدُكُمُ ٱلْقَذَىٰ فِي عَيْنِ أَخِيهِ . . وَيَنْسَى ٱلْجِذْعَ فِي عَيْنِهِ »(٢) .

٣٠٧ـ « يَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا ، وَبَشِّرُوا وَلَا تُنَفِّرُوا » .

٣٠٨ـ « اَلْيَمِينُ ٱلْفَاجِرَةُ تَدَعُ ٱلدِّيَارَ بَلَاقِعَ »(٣) .

٣٠٩ـ « اَلْيَوْمَ . . ٱلرِّهَانُ ، وَغَداً . . ٱلسِّبَاقُ ، وَٱلْغَايَةُ . . اَلْجَنَّةُ ، وَٱلْهَالِكُ . . مَنْ دَخَلَ ٱلنَّارَ » .

٣١٠ـ « يَا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ ؛ أَلَا تَسْتَحْيُونَ ؟! تَجْمَعُونَ مَا لَا تَأْكُلُونَ ، وَتَبْنُونَ مَا لَاتَسْكُنُونَ » .

٣١١ـ « يَا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ ؛ أَفْشُوا ٱلسَّلَامَ ، وَأَطْعِمُوا ٱلطَّعَامَ ، وَصِلُوا ٱلْأَرْحَامَ ، وصَلُّوا وَٱلنَّاسُ نِيَامٌ . . تَدخُلُوا ٱلْجَنَّةَ بِسَلَامٍ » .

٣١٢ـ « يَا مُعَاذُ » ، قَالَ : لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ ٱللهِ وَسَعْدَيْكَ . قَالَ :

---

(١) أي : كوني لزوجِك مطيعةً ؛ كطاعة الأمة لسيّدها . . يكن لك موافقاً منقاداً كانقياد العبد لسيّده .

(٢) القذاةُ : ما يقع في العين والماء والشراب من نحو تراب وتبن ووسخ ، وهـٰذا مثلٌ ضُرب لمن يرىٰ الصغير من عيوب الناس ويعيرهم به ، وفيه من العيوب ما نسبته إليه كنسبة الجذع إلىٰ القذاة ، وذلك من أقبح القبائح ، فرحم الله من حفظ قلبه ولسانه ولزم شأنه ، وكفَّ عن عرض أخيه ، وأعرض عما لا يعنيه .

(٣) **البلاقع** ـ جمع بلقع ـ وهي : الأرض القفراء التي لا شيء فيها ، والمراد : أن الحالف كاذباً يفتقر ، ويذهب ما في بيته من الرزق ، وقيل : هو أن يفرق الله شمله ، ويغير عليه ما أولاه من نعمه .

« يَا مُعَاذُ » ، قَالَ : لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ ٱللهِ وَسَعْدَيْكَ ، قَالَ : « يَا مُعَاذُ » ، قَالَ : لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ ٱللهِ وَسَعْدَيْكَ ، (ثَلَاثاً) ، قَالَ : « مَا مِنْ عَبْدٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صِدْقاً مِنْ قَلْبِهِ . . إِلَّا حَرَّمَهُ ٱللهُ عَلَى ٱلنَّارِ » . قَالَ : يَا رَسُولَ ٱللهِ ؛ أَفَلَا أُخْبِرُ بِهَا ٱلنَّاسَ فَيَسْتَبْشِرُوا؟ قَالَ : « إِذاً يَتَّكِلُوا » . فَأَخْبَرَ بِهَا مُعَاذٌ ـ عِنْدَ مَوْتِهِ ـ تَأَثُّماً . رَوَاهُ ٱلشَّيْخَانِ : ٱلْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ .

قَوْلُهُ : (**تَأَثُّماً**) أَيْ : خَوْفاً مِنَ ٱلْإِثْمِ فِي كَتْمِ هَـٰذَا ٱلْعِلْمِ .

* * *

البَابُ الثَّامِنُ

فِي طِبِّهِ
صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
وَسِنِّهِ ، وَوَفَاتِهِ ، وَرُؤْيَتِهِ فِي ٱلْمَنَامِ
وَفِيهِ ثَلَاثَةُ فُصُولٍ

الفصل الأول

في طبه صلى الله عليه وسلم

كَانَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا ٱشْتَكَىٰ . . نَفَثَ عَلَىٰ نَفْسِهِ بِٱلْمُعَوِّذَاتِ ، وَمَسَحَ عَنْهُ بِيَدِهِ .

قَوْلُهُ : (ٱلْمُعَوِّذَاتِ) يَعْنِي : اَلْمُعَوِّذَتَيْنِ ، وَٱلْإِخْلَاصَ[1] .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا ٱشْتَكَىٰ . . رَقَاهُ جِبْرِيلُ ؛ قَالَ : بِٱسْمِ ٱللهِ يُبْرِيكَ ، مِنْ كُلِّ دَاءٍ يَشْفِيكَ ، وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ، وَشَرِّ كُلِّ ذِي عَيْنٍ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا ٱشْتَكَىٰ . . ٱقْتَمَحَ كَفّاً مِنْ شُونِيزٍ ، وَشَرِبَ عَلَيْهِ مَاءً وَعَسَلاً .

وَمَعْنَى (ٱقْتَمَحَ) أَيِ : ٱسْتَفَّ . وَ(ٱلشُّونِيزُ) : اَلْحَبَّةُ ٱلسَّوْدَاءُ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَشْرَبُ ٱلْعَسَلَ بِٱلْمَاءِ عَلَى ٱلرِّيقِ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَصَابَهُ رَمَدٌ ، أَوْ أَحَداً مِنْ أَصْحَابِهِ . . دَعَا بِهَـٰؤُلَاءِ ٱلْكَلِمَاتِ : « اَللَّهُمَّ ؛ مَتِّعْنِي بِبَصَرِي ، وَٱجْعَلْهُ ٱلْوَارِثَ مِنِّي ،

---

(١) فهو من باب التغليب .

وَأَرِنِي فِي ٱلْعَدُوِّ ثَأْرِي ، وَٱنْصُرْنِي عَلَىٰ مَنْ ظَلَمَنِي » .

قَالَ فِي « لِسَانِ ٱلْعَرَبِ » : (وَفِي ٱلْحَدِيثِ فِي دُعَاءِ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « ٱللَّهُمَّ ؛ أَمْتِعْنِي[1] بِسَمْعِي وَبَصَرِي ، وَٱجْعَلْهُمَا ٱلْوَارِثَ مِنِّي » .

قَالَ ٱبْنُ شُمَيْلٍ : أَيْ أَبْقِهِمَا مَعِيْ صَحِيحَيْنِ سَلِيمَيْنِ حَتَّىٰ أَمُوتَ .

وَقِيلَ : أَرَادَ بَقَاءَهُمَا وَقُوَّتَهُمَا عِنْدَ ٱلْكِبَرِ وَٱنْحِلَالِ ٱلْقُوَى ٱلنَّفْسَانِيَّةِ ، فَيَكُونُ ٱلسَّمْعُ وَٱلْبَصَرُ وَارِثَيْ سَائِرِ ٱلْقُوَىٰ ، وَٱلْبَاقِيَيْنِ بَعْدَهَا .

ثُمَّ قَالَ : وَفِي رِوَايَةٍ : « وَٱجْعَلْهُ ٱلْوَارِثَ مِنِّي » ، فَرَدَّ ٱلْهَاءَ إِلَى ٱلْإِمْتَاعِ ، فَلِذَلِكَ وَحَّدَهُ) اهـ

وَكَانَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا حُمَّ . . دَعَا بِقِرْبَةٍ مِنْ مَاءٍ ، فَأَفْرَغَهَا عَلَىٰ قَرْنِهِ ، فَٱغْتَسَلَ . وَ(ٱلْقَرْنُ) : ٱلرَّأْسُ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يُصِيبُهُ قُرْحَةٌ[2] وَلَا شَوْكَةٌ . . إِلَّا وَضَعَ عَلَيْهَا ٱلْحِنَّاءَ .

وَفِي « ٱلصَّحِيحَيْنِ » : عَنْ أَبِي حَازِمٍ : أَنَّهُ سَمِعَ سَهْلَ بْنَ سَعْدٍ يُسْأَلُ عَمَّا دُووِيَ بِهِ جُرْحُ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ أُحُدٍ؟ فَقَالَ : جُرِحَ وَجْهُهُ ، وَكُسِرَتْ رَبَاعِيَتُهُ ، وَهُشِّمَتِ ٱلْبَيْضَةُ[3] عَلَىٰ رَأْسِهِ ، وَكَانَتْ فَاطِمَةُ بِنْتُ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَغْسِلُ ٱلدَّمَ ، وَكَانَ عَلِيُّ ٱبْنُ أَبِي طَالِبٍ

---

(١) وفي رواية : متِّعني .

(٢) خُرَاجٌ في البدن .

(٣) أي : الخوذة .

رَضِيَ ٱللهُ تعالَىٰ عَنْهُ يَسْكُبُ عَلَيْهَا بِٱلْمِجَنِّ[1] ، فَلَمَّا رَأَتْ فَاطِمَةُ ٱلدَّمَ لَا يَزِيدُ إِلَّا كَثْرَةً. . أَخَذَتْ قِطْعَةً [مِنْ] حَصِيرٍ فَأَحْرَقَتْهَا ، حتَّىٰ إِذَا صَارَتْ رَمَاداً أَلْصَقَتْهَا بِٱلْجُرْحِ ، فَٱسْتَمْسَكَ ٱلدَّمُ .

وَكَانَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَحْتَجِمُ عَلَىٰ هَامَتِهِ ، وَبَيْنَ كَتِفَيْهِ ، وَيَقُولُ : « مَنْ أَهْرَاقَ[2] مِنْ هَـٰذِهِ ٱلدِّمَاءِ. . فَلَا يَضُرُّهُ أَنْ لَا يَتَدَاوَىٰ بِشَيْءٍ لِشَيْءٍ » .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَحْتَجِمُ فِي رَأْسِهِ ، وَيُسَمِّيهَا[3] : أُمَّ مُغِيثٍ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَحْتَجِمُ فِي ٱلْأَخْدَعَيْنِ وَٱلْكَاهِلِ[4] ، وَكَانَ يَحْتَجِمُ لِسَبْعَ عَشْرَةَ ، وَتِسْعَ عَشْرَةَ ، وَإِحْدَىٰ وَعِشْرِينَ .

وَ(ٱلْأَخْدَعَانِ) : عِرْقَانِ فِي جَانِبَيِ ٱلْعُنُقِ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَكْتَحِلُ كُلَّ لَيْلَةٍ ، وَيَحْتَجِمُ كُلَّ شَهْرٍ ، وَيَشْرَبُ ٱلدَّوَاءَ كُلَّ سَنَةٍ .

وَفِي « ٱلصَّحِيحَيْنِ » : عَنِ ٱبْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُمَا : أَنَّ ٱلنَّبِيَّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ٱحْتَجَمَ وَأَعْطَى ٱلْحَجَّامَ أَجْرَهُ .

---

(١) **المجنّ** : الترس .

(٢) أي : أراق .

(٣) أي : الحجامة .

(٤) الكاهل : هو مقدَّم أعلىٰ الظهر مما يلي العنق ، وهو الثلث الأعلىٰ ، وفيه ستُّ فقرات ، وقيل : ما بين الكتفين .

وَفِي « ٱلصَّحِيحَيْنِ » أَيْضاً : عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ : أَنَّ رَسُولَ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَجَمَهُ أَبُو طَيْبَةَ ؛ فَأَمَرَ لَهُ بِصَاعَيْنِ مِنْ طَعَامٍ ، وَكَلَّمَ مَوَالِيَهُ ، فَخَفَّفُوا عَنْهُ مِنْ ضَرِيبَتِهِ[1] ، وَقَالَ : « خَيْرُ مَا تَدَاوَيْتُمْ بِهِ . . ٱلْحِجَامَةُ » .

وَرَوَى ٱبْنُ مَاجَه فِي « سُنَنِهِ » : أَنَّ ٱلنَّبِيَّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا صُدِّعَ . . غَلَّفَ رَأْسَهُ بِٱلْحِنَّاءِ ، وَيَقُولُ : « إِنَّهُ نَافِعٌ بِإِذْنِ ٱللهِ تَعَالَىٰ مِنَ ٱلصُّدَاعِ » .

وَذَكَرَ أَبُو دَاوُودَ فِي « سُنَنِهِ » : أَنَّ ٱلنَّبِيَّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ٱسْتَعَطَ[2] .

اِسْتِطْرَادٌ :

قَدْ خَطَرَ لِي أَنْ أَذْكُرَ هُنَا جُمْلَةَ أَحَادِيثَ مِنْ طِبِّهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ٱلَّذِي وَصَفَهُ لِغَيْرِهِ ؛ لِتَتِمَّ بِذَلِكَ ٱلْفَائِدَةُ . وَجُلُّهَا مِنَ « ٱلْهَدْيِ ٱلنَّبَوِيِّ » لِلْعَلَّامَةِ ٱبْنِ ٱلْقَيِّمِ :

رَوَىٰ مُسْلِمٌ فِي « صَحِيحِهِ » : عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ ٱللهِ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُمَا : عن ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « لِكُلِّ دَاءٍ . . دَوَاءٌ ، فَإِذَا أُصِيبَ دَوَاءُ ٱلدَّاءِ . . بَرَأَ بِإِذْنِ ٱللهِ عَزَّ وَجَلَّ » .

---

(١) وهي : الخراج المضروب عليه .

(٢) أي : استعمل السَّعُوط ؛ بأن استلقىٰ علىٰ ظهره وقطر في أنفه ما تداوىٰ به ليصل إلىٰ دماغه ، ليُخرج ما فيه من الداء بالعطاس .

وَفِي « ٱلصَّحِيحَيْنِ » : عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « ما أَنْزَلَ ٱللهُ مِنْ دَاءٍ . . إِلَّا أَنْزَلَ لَهُ شِفَاءً » .

وَفِي « مُسْنَدِ ٱلْإِمَامِ أَحْمَدَ » : عَنْ أُسَامَةَ بْنِ شَرِيكٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ قَالَ : كُنْتُ عِنْدَ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَجَاءَتِ ٱلْأَعْرَابُ ، فَقَالُوا : يَا رَسُولَ ٱللهِ ؛ أَنَتَدَاوَىٰ ؟ قَالَ : « نَعَمْ ؛ يَا عِبَادَ ٱللهِ ، تَدَاوَوْا ، فَإِنَّ ٱللهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يَضَعْ دَاءً . . إِلَّا وَضَعَ لَهُ شِفَاءً ، غَيْرَ دَاءٍ وَاحِدٍ » ، قَالُوا : وَمَا هُوَ ؟ قَالَ : « اَلْهَرَمُ » .

وَفِي لَفْظٍ : « إِنَّ ٱللهَ تَعَالَىٰ لَمْ يُنْزِلْ دَاءً . . إِلَّا أَنْزَلَ لَهُ شِفَاءً ؛ عَلِمَهُ مَنْ عَلِمَهُ ، وَجَهِلَهُ مَنْ جَهِلَهُ » .

وَفِي « ٱلْمُسنَدِ » وَ« ٱلسُّنَنِ » : عَنْ أَبِي خُزَامَةَ قَالَ : قُلْتُ : يَا رَسُولَ ٱللهِ ؛ أَرَأَيْتَ رُقَىً نَسْتَرْقِيهَا ، وَدَوَاءً نَتَدَاوَىٰ بِهِ ، وَتُقَاةً نَتَّقِيهَا . . هَلْ تَرُدُّ مِنْ قَدَرِ ٱللهِ شَيْئاً؟ قَالَ : « هِيَ مِنْ قَدَرِ ٱللهِ » .

وَذَكَرَ ٱلْبُخَارِيُّ فِي « صَحِيحِهِ » : عَنِ ٱبْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ : إِنَّ ٱللهَ تَعَالَىٰ لَمْ يَجْعَلْ شِفَاءَكُمْ فِيمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ .

وَفِي « ٱلسُّنَنِ » : عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ قَالَ : نَهَىٰ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ ٱلدَّوَاءِ ٱلْخَبِيثِ .

وَفِي « صَحِيحِ مُسْلِمٍ » : عَنْ طَارِقِ بْنِ سُوَيْدٍ ٱلْجُعْفِيِّ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ : أَنَّهُ سَأَلَ رَسُولَ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ ٱلْخَمْرِ؟ فَنَهَاهُ ، أَوْ كَرِهَ

أَنْ يَصْنَعَهَا ، فقَالَ : إِنَّمَا أَصْنَعُهَا لِلدَّوَاءِ ، فَقَالَ : « إِنَّ ذَاكَ لَيْسَ بِدَوَاءٍ ؛ وَلَـٰكِنَّهُ دَاءٌ » .

وَفِي « ٱلسُّنَنِ » : أَنَّهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُئِلَ عَنِ ٱلْخَمْرِ تُجْعَلُ فِي ٱلدَّوَاءِ ؟ فقَالَ : « إِنَّهَا دَاءٌ ، وَلَيْسَتْ بِٱلدَّوَاءِ » .

وَيُذْكَرُ عَنْهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « مَنْ تَدَاوَىٰ بِٱلْخَمْرِ . . فَلَا شَفَاهُ ٱللهُ تَعَالَىٰ » .

وَرَوَى ٱلْبُخَارِيُّ : عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا : أَنَّهُ كَانَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَتَىٰ مَرِيضاً ، أَوْ أُتِيَ بِهِ . . قَالَ : « أَذْهِبِ ٱلْبَاسَ رَبَّ ٱلنَّاسِ ، اِشْفِ وَأَنْتَ ٱلشَّافِي ، لَا شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُكَ ، شِفَاءً لَا يُغَادِرُ سَقَماً » .

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا أَيْضاً قَالَتْ : كَانَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَخَذَ أَهْلَهُ ٱلْوَعَكُ . . أَمَرَ بِٱلْحَسَاءِ فَصُنِعَ ، ثُمَّ أَمَرَهُمْ فَحَسَوْا . وَكَانَ يَقُولُ : « إِنَّهُ لَيَرْتُو فُؤَادَ ٱلْحَزِينِ ، وَيَسْرُو عَنْ فُؤَادِ ٱلسَّقِيمِ ، كَمَا تَسْرُو إِحْدَاكُنَّ ٱلْوَسَخَ بِٱلْمَاءِ عَنْ وَجْهِهَا » .

وَقَوْلُهُ : (اَلْوَعَكُ) : هُوَ ٱلْحُمَّىٰ ، أَوْ أَلَمُهَا .

وَ(ٱلْحَسَاءُ) ـ بِٱلْفَتْحِ وَٱلْمَدِّ ـ : طَبِيخٌ يُتَّخَذُ مِنْ دَقِيقٍ وَمَاءٍ وَدُهْنٍ .

و(يَرْتُو) : يَشُدُّ وَيُقَوِّي .

وَ(يَسْرُو) : يَكْشِفُ ٱلْأَلَمَ وَيُزِيلُهُ .

وَفِي « ٱلسُّنَنِ » عَنْهَا [رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا] أَيْضاً : « عَلَيْكُمْ بِٱلْبَغِيضِ

ٱلنَّافِعِ : ٱلتَّلْبِينِ » . قَالَتْ : وَكَانَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا ٱشْتَكَىٰ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِهِ . . لَمْ تَزَلِ ٱلْبُرْمَةُ عَلَى ٱلنَّارِ حَتَّىٰ يَنْتَهِيَ أَحَدُ طَرَفَيْهِ ـ يَعْنِي : يَبْرَأَ ـ أَوْ يَمُوتَ .

وَعَنْهَا [رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا] أَيْضاً : كَانَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا قِيلَ لَهُ : إِنَّ فُلَاناً وَجِعٌ . . لَا يَطْعَمُ ٱلطَّعَامَ ، قَالَ : « عَلَيْكُمْ بِٱلتَّلْبِينَةِ ، فَأَحْسُوهُ إِيَّاهَا » ، وَيَقُولُ : « وَٱلَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ؛ إِنَّهَا تَغسِلُ بَطْنَ أَحَدِكُمْ كَمَا تَغْسِلُ إِحْدَاكُنَّ وَجْهَهَا مِنَ ٱلْوَسَخِ » .

وَ(ٱلتَّلْبِينُ وَٱلتَّلْبِينَةُ) : اَلْحَسَاءُ ٱلرَّقِيقُ ٱلَّذِي هُوَ فِي قَوَامِ ٱللَّبَنِ .

قَالَ ٱلْهَرَوِيُّ : سُمِّيَتْ تَلْبِينَةً ؛ لِشَبَهِهَا بِٱللَّبَنِ لِبَيَاضِهَا وَرِقَّتِهَا ، وَهَـٰذَا هُوَ ٱلْغِذَاءُ ٱلنَّافِعُ لِلْعَلِيلِ ، وَهُوَ ٱلرَّقِيقُ ٱلنَّضِيجُ ، لَا ٱلْغَلِيظُ ٱلنِّيءُ ، وَإِذَا شِئْتَ أَنْ تَعْرِفَ فَضْلَ ٱلتَّلْبِينَةِ . . فَٱعْرِفْ فَضْلَ مَاءِ ٱلشَّعِيرِ ، فَإِنَّهَا حَسَاءٌ يُتَّخَذُ مِنْ دَقِيقِ ٱلشَّعِيرِ .

وَفِي « ٱلصَّحِيحَيْنِ » : عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا قَالَتْ : سَمِعْتُ رَسُولَ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « ٱلتَّلْبِينَةُ : مَجَمَّةٌ[1] لِفُؤَادِ ٱلْمَرِيضِ ؛ تَذْهَبُ بِبَعْضِ ٱلْحُزْنِ » .

وَرَوَى ٱلتِّرْمِذِيُّ وَٱبْنُ مَاجَهْ : عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ ٱلْجُهَنِيِّ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَا تُكْرِهُوا مَرْضَاكُمْ عَلَى ٱلطَّعَامِ وَٱلشَّرَابِ ؛ فَإِنَّ ٱللهَ عَزَّ وَجَلَّ يُطْعِمُهُمْ وَيَسْقِيهِمْ » .

---

(١) مَجَمَّةٌ أو مُجِمَّةٌ لفؤاد المريض ؛ أي : مريحة .

وَكَانَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا مَرِضَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ . . نَفَثَ عَلَيْهِ بِٱلْمُعَوِّذَاتِ .

وَفِي « ٱلصَّحِيحَيْنِ » : عَنِ ٱبْنِ عُمَرَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُمَا : أَنَّ ٱلنَّبِيَّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « إِنَّ ٱلْحُمَّىٰ ـ أَوْ شِدَّةَ ٱلْحُمَّىٰ ـ مِنْ فَيْحِ جَهَنَّمَ ، فَٱبْرُدُوهَا بِٱلْمَاءِ » .

وَقَدْ ذَكَرَ أَبُو نُعَيْمٍ وَغَيْرُهُ : مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ ، يَرْفَعُهُ إِلَى ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِذَا حُمَّ أَحَدُكُمْ . . فَلْيَرُشَّ عَلَيْهِ ٱلْمَاءَ ٱلْبَارِدَ ثَلَاثَ لَيَالٍ مِنَ ٱلسَّحَرِ » .

وَفِي « ٱلسُّنَنِ » لِٱبْنِ مَاجَهْ : عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ ، يَرْفَعُهُ إِلَى ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « اَلْحُمَّىٰ كِيرٌ[1] مِنْ كِيَرِ جَهَنَّمَ ، فَنَحُّوهَا عَنْكُمْ بِٱلْمَاءِ ٱلْبَارِدِ » .

وَفِي « ٱلْمُسْنَدِ » وَغَيْرِهِ : عَنْ سَمُرَةَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ ، يَرْفَعُهُ إِلَىٰ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « اَلْحُمَّىٰ قِطْعَةٌ مِنَ ٱلنَّارِ ، فَأَبْرِدُوهَا عَنْكُمْ بِٱلْمَاءِ ٱلْبَارِدِ » .

وَفِيْ « ٱلسُّنَنِ » : مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ قَالَ : ذُكِرَتِ ٱلْحُمَّىٰ عِنْدَ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَسَبَّهَا رَجُلٌ ، فَقَالَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَا تَسُبَّهَا ؛ فَإِنَّهَا تَنْفِي ٱلذُّنُوبَ ، كَمَا تَنْفِي ٱلنَّارُ خَبَثَ ٱلْحَدِيدِ » .

---

(١) الكير : جهاز من جلد أو نحوه يستخدمه الحداد وغيره للنفخ في النار لإذكائها .

وَرَوَى ٱلتِّرْمِذِيُّ فِي « جَامِعِهِ » : مِنْ حَدِيثِ ثَوْبَانَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ ، عَنِ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « إِذَا أَصَابَ أَحَدَكُمُ ٱلْحُمَّىٰ ؛ فَإِنَّ ٱلْحُمَّىٰ قِطْعَةٌ مِنَ ٱلنَّارِ ، فَلْيُطْفِئْهَا عَنْهُ بِٱلْمَاءِ ، فَلْيَسْتَقْبِلْ[1] نَهَراً جَارِياً لِيَسْتَقْبِلْ جَرْيَةَ ٱلْمَاءِ ، فَيَقُولَ : (بِٱسْمِ ٱللهِ ، ٱللَّهُمَّ ؛ ٱشْفِ عَبْدَكَ ، وَصَدِّقْ رَسُولَكَ) بَعْدَ صَلَاةِ ٱلصُّبْحِ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ ، فَلْيَغْتَمِسْ فِيهِ ثَلَاثَ غَمَسَاتٍ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ، فَإِنْ لَمْ يَبْرَأْ فِي ثَلَاثٍ . . فَخَمْسٌ ، فَإِنْ لَمْ يَبْرَأْ فِي خَمْسٍ . . فَسَبْعٌ ، فَإِنْ لَمْ يَبْرَأْ فِي سَبْعٍ . . فَتِسْعٌ ؛ فَإِنَّهَا لَا تَكَادُ تُجَاوِزُ تِسْعاً بِإِذْنِ ٱللهِ تَعَالَىٰ » .

وَفِي « ٱلصَّحِيحَيْنِ » : عَنْ أَبِي سَعِيدٍ ٱلْخُدْرِيِّ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ : أَنَّ رَجُلاً أَتَى ٱلنَّبِيَّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : إِنَّ أَخِي يَشْتَكِي بَطْنَهُ ـ وَفِي رِوَايَةٍ : ٱسْتَطْلَقَ بَطْنُهُ ـ فَقَالَ : « اِسْقِهِ عَسَلاً » ، فَذَهَبَ ، ثُمَّ رَجَعَ ، فَقَالَ : قَدْ سَقَيْتُهُ عَسَلاً ؛ فَلَمْ يُغْنِ عَنْهُ شَيْئاً؟ وَفِي لَفْظٍ : فَلَمْ يَزِدْهُ إِلَّا ٱسْتِطْلَاقاً (مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثاً) ـ كُلُّ ذَلِكَ يَقُولُ لَهُ : « اِسْقِهِ عَسَلاً » ، فَقَالَ لَهُ فِي ٱلثَّالِثَةِ أَوِ ٱلرَّابِعَةِ : « صَدَقَ ٱللهُ ، وَكَذَبَ بَطْنُ أَخِيكَ » ، ثُمَّ سَقَاهُ ، فَبَرَأَ بِإِذْنِ ٱللهِ تَعَالَىٰ .

وَفِي « سُنَنِ ٱبْنِ مَاجَهْ » : عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ مَرْفُوعاً : « مَنْ لَعِقَ ٱلْعَسَلَ ثَلَاثَ غَدَوَاتٍ كُلَّ شَهْرٍ . . لَمْ يُصِبْهُ عَظِيمٌ مِنَ ٱلْبَلَاءِ » .

وَفِي أَثَرٍ آخَرَ : « عَلَيْكُمْ بِٱلشِّفَاءَيْنِ : ٱلْعَسَلِ ، وَٱلْقُرْآنِ » .

---

(١) في نسخة : (فليستنقع) .

وَعَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُمَا قَالَ : قَالَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « ٱلطَّاعُونُ رِجْزٌ أُرْسِلَ عَلَىٰ طَائِفَةٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، وَعَلَىٰ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ ، فَإِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ بِأَرْضٍ . . فَلَا تَدْخُلُوا عَلَيْهِ ، وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا . . فَلَا تَخْرُجُوا مِنْهَا فِرَاراً مِنْهُ » .

وَرُوِيَ هَـٰذَا ٱلْحَدِيثُ عَنْ عَبْدِ ٱلرَّحْمَـٰنِ بْنِ عَوْفٍ أَيْضاً رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ .

وَفِي « سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ » **مَرْفُوعاً** : « إِنَّ مِنَ ٱلْقَرَفِ ٱلتَّلَفَ » .

قَالَ ٱبْنُ قُتَيْبَةَ : (ٱلْقَرَفُ) مُدَانَاةُ ٱلْوَبَاءِ ، وَمُدَانَاةُ ٱلْمَرْضَىٰ .

وَفِي « صَحِيحِ ٱلْبُخَارِيِّ » : عَنِ ٱبْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُمَا : عَنِ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « ٱلشِّفَاءُ فِي ثَلَاثٍ : شَرْبَةِ عَسَلٍ ، وَشَرْطَةِ مِحْجَمٍ ، وَكَيَّةِ نَارٍ . وَأَنْهَىٰ أُمَّتِي عَنِ ٱلْكَيِّ » .

وَفِي « سُنَنِ ٱبْنِ مَاجَهْ » : عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَا مَرَرْتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي بِمَلَأٍ . . إِلَّا قَالُوا : يَا مُحَمَّدُ ؛ مُرْ أُمَّتَكَ بِٱلْحِجَامَةِ » . وَرَوَاهُ ٱلتِّرْمِذِيُّ : عَنِ ٱبْنِ عَبَّاسٍ بِلَفْظِ : « عَلَيْكَ بِٱلْحِجَامَةِ يَا مُحَمَّدُ » .

وَقَدْ رُوِيَ عَنِ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « خَيْرُ مَا تَدَاوَيْتُم بِهِ . . ٱلْحِجَامَةُ وَٱلْفَصْدُ » .

وَفِي حَدِيثٍ : « خَيْرُ ٱلدَّوَاءِ . . ٱلْحِجَامَةُ وَٱلْفَصْدُ » .

وَرَوَى ٱلتِّرْمِذِيُّ فِي « جَامِعِهِ » : عَنِ ٱبْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُمَا

يَرْفَعُهُ : « إِنَّ خَيْرَ مَا تَحْتَجِمُونَ فِيهِ يَوْمَ سَابِعَ عَشْرَةَ ، أَوْ تاسِعَ عَشْرَةَ ، وَيَوْمَ إِحْدَىٰ وَعِشْرِينَ » .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ **مَرْفُوعاً** : « مَنِ ٱحْتَجَمَ يَوْمَ ٱلْأَرْبعَاءِ ، أَوْ يَوْمَ ٱلسَّبْتِ ؛ فَأَصَابَهُ بَيَاضٌ ، أَوْ بَرَصٌ . . فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ » .

وَرَوَى ٱلدَّارَقُطْنِيُّ مِنْ حَدِيثِ نَافِعٍ [رَحِمَهُ ٱللهُ تَعَالَىٰ] قَالَ : قَالَ لِي عَبْدُ ٱللهِ بْنُ عُمَرَ : تَبَيَّغَ بِيَ ٱلدَّمُ(١) ، فَأَبْغِنِي حَجَّاماً ، وَلَا يَكُنْ صَبِيّاً ، وَلَا شَيْخاً كَبِيراً ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « اَلْحِجَامَةُ . . تَزِيدُ ٱلْحَافِظَ حِفْظاً ، وَٱلْعَاقِلَ عَقْلاً ، فَٱحْتَجِمُوا عَلَىٰ ٱسْمِ ٱللهِ ، وَلَا تَحْتَجِمُوا يَوْمَ ٱلْخَمِيسِ ، وَٱلْجُمُعَةِ ، وَٱلسَّبْتِ ، وَٱلْأَحَدِ . وَٱحْتَجِمُوا يَوْمَ ٱلْإِثْنَيْنِ ، وَمَا كَانَ مِنْ جُذَامٍ وَلَا بَرَصٍ إِلَّا نَزَلَ يَوْمَ ٱلْأَرْبعَاءِ » .

وَقَدْ رَوَىٰ أَبُو دَاوُودَ فِي « سُنَنِهِ » : مِنْ حَدِيثِ أَبِي بَكْرَةَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ : أَنَّهُ كَانَ يَكْرَهُ ٱلْحِجَامَةَ يَوْمَ ٱلثُّلَاثَاءِ . وَقَالَ : إِنَّ رَسُولَ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « يَوْمُ ٱلثُّلَاثَاءِ . . يَوْمُ ٱلدَّمِ ، وَفِيهِ سَاعَةٌ لَا يَرْقَأُ » .

وَرَوَى ٱلتِّرْمِذِيُّ فِي « جَامِعِهِ » وَٱبْنُ مَاجَهْ فِي « سُنَنِهِ » : عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ عُمَيْسٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا قَالَتْ : قَالَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « بِمَاذَا كُنْتِ تَسْتَمْشِينَ؟ » ، قَالَتْ : بِٱلشُّبْرُمِ ، قَالَ : « حَارٌّ . .

---

(١) أي : هاجَ بي الدم وغلب ، وذلك حين تظهر حمرتُهُ في البدن .

حَارٌّ » ، ثُمَّ قَالَتْ : ٱسْتَمْشَيْتُ بِٱلسَّنَىٰ . فَقَالَ : « لَوْ كَانَ شَيْءٌ يَشْفِي مِنَ ٱلْمَوْتِ . . كَانَ ٱلسَّنَىٰ » .

وَ(ٱلشُّبْرُمُ) : قِشْرُ عِرْقِ شَجَرَةٍ .

وَفِي « سُنَنِ ٱبْنِ مَاجَهْ » : عَنْ عَبْدِ ٱللهِ بْنِ أُمِّ حِرَامٍ [رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ] ـ وَكَانَ مِمَّنْ صَلَّىٰ مَعَ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ٱلْقِبْلَتَيْنِ ـ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « عَلَيْكُمْ بِٱلسَّنَىٰ وَٱلسَّنُّوتِ ، فَإِنَّ فِيهِمَا شِفَاءً مِنْ كُلِّ دَاءٍ ، إِلَّا ٱلسَّامَّ » ، قِيلَ : يَا رَسُولَ ٱللهِ ؛ وَمَا ٱلسَّامُّ ؟ قَالَ : « ٱلْمَوْتُ » .

وَ(ٱلسَّنَىٰ) : نَبْتٌ حِجَازِيٌّ ، أَفْضَلُهُ ٱلْمَكِّيُّ .

وَٱخْتُلِفَ فِي مَعْنَى (ٱلسَّنُّوتِ) عَلَىٰ أَقْوَالٍ[1] ، وَأَقْرَبُهَا إِلَى ٱلصَّوَابِ : أَنَّهُ ٱلْعَسَلُ ٱلَّذِي يَكُونُ فِي زِقَاقِ ٱلسَّمْنِ .

وَرَوَى ٱلتِّرْمِذِيُّ : عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ : أَنَّ ٱلنَّبِيَّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « تَدَاوَوْا مِنْ ذَاتِ ٱلْجَنْبِ بِٱلْقُسْطِ ٱلْبَحْرِيِّ وَٱلزَّيْتِ » .

وَ(ذَاتُ ٱلْجَنْبِ) : وَرَمٌ حَارٌّ يَحْدُثُ فِي ٱلْغِشَاءِ ٱلْمُسْتَبْطِنِ لِلْأَضْلَاعِ ، وَأَلَمٌ يُشْبِهُهُ يَعْرِضُ فِي نَوَاحِي ٱلْجَنْبِ .

---

(١) قيل : إنه الزبد ، وقيل : الجبن ، وقيل : الطلاء الخاثر مع الزنجبيل ، وقيل : عصارة التمر المطبوخ وما يطبخ في التمر والعنب ، وقيل : حب يشبه الكمون ، وقيل : الكمون الكرماني ، وقيل الرازيانج ، وهو الشمار أو الشمر .

وَ(ٱلْقُسْطُ ٱلْبَحْرِيُّ) هُوَ : ٱلْعُودُ ٱلْهِنْدِيُّ[١] .

وَفِي « ٱلصَّحِيحَيْنِ » : أَنَّ ٱلنَّبِيَّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « خَيْرُ مَا تَدَاوَيْتُمْ بِهِ : ٱلْحِجَامَةُ ، وَٱلْقُسْطُ ٱلْبَحْرِيُّ ، وَلَا تُعَذِّبُوا صِبْيَانَكُمْ بِٱلْغَمْزِ مِنَ ٱلْعُذْرَةِ »[٢] .

وَفِي « ٱلسُّنَنِ وَٱلْمُسْنَدِ » عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ ٱللهِ [رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُمَا] قَالَ : دَخَلَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَىٰ عَائِشَةَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا ـ وَعِنْدَهَا صَبِيٌّ يَسِيلُ مِنْخِرَاهُ دَماً ـ فَقَالَ : « مَا هَـٰذَا؟ » ، قَالُوا : بِهِ ٱلْعُذْرَةُ ، أَوْ : وَجَعٌ فِي رَأْسِهِ ، فَقَالَ : « وَيْلَكُنَّ ؛ لَا تَقْتُلْنَ أَوْلَادَكُنَّ ، أَيُّمَا ٱمْرَأَةٍ أَصَابَ وَلَدَهَا عُذْرَةٌ ، أَوْ وَجَعٌ فِي رَأْسِهِ . فَلْتَأْخُذْ قُسْطاً هِنْدِيّاً ، فَتَحُكَّهُ بِمَاءٍ ، ثُمَّ تَسْعَطْهُ إِيَّاهُ » ، فَأَمَرَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا فَصُنِعَ ذَلِكَ لِلصَّبِيِّ فَبَرَأَ .

وَ(ٱلْعُذْرَةُ) : تَهَيُّجٌ فِي ٱلْحَلْقِ مِنَ ٱلدَّمِ .

وَقِيلَ : قُرْحَةٌ تَخْرُجُ فِيمَا بَيْنَ ٱلْأُذُنِ وَٱلْحَلْقِ ، وَتَعْرِضُ لِلصِّبْيَانِ غَالِباً .

وَ(ٱلْقُسْطُ ٱلْبَحْرِيُّ) : هُوَ ٱلْعُودُ ٱلْهِنْدِيُّ ، وَهُوَ ٱلْأَبْيَضُ مِنْهُ ، وَفِيهِ مَنَافِعُ عَدِيدَةٌ ، وَكَانُوا يُعَالِجُونَ أَوْلَادَهُمْ بِغَمْزِ ٱللَّهَاةِ[٣] ، وَبِٱلْعِلَاقِ ؛ وَهُوَ

---

(١) وهو العود الذي يتبخَّر به ، ويجلب من الهند .

(٢) **العذرة** : وجع في الحلق يصيب اللوزتين بالالتهاب . **والغمز** : أن يُدخَل نحو الأصبع في حلق المريض ويضغط محل الوجع ، فينفجر منه دم أسود .

(٣) اللحمة التي في أقصى الحلق .

شَيْءٌ يُعَلِّقُونَهُ عَلَى ٱلصِّبْيَانِ ، فَنَهَاهُمْ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ ذَلِكَ ، وَأَرْشَدَهُمْ إِلَىٰ مَا هُوَ أَنْفَعُ لِلْأَطْفَالِ وَأَسْهَلُ عَلَيْهِمْ .

وَ(ٱلسَّعُوطُ) : مَا يُصَبُّ فِي أَنْفِ ٱلْإِنْسَانِ وَهُوَ مُسْتَلْقٍ عَلَىٰ ظَهْرِهِ ، وَبَيْنَ كَتِفَيْهِ مَا يَرْفَعُهُمَا ؛ لِيَنْخَفِضَ رَأْسُهُ فَيَتَمَكَّنَ ٱلسَّعُوطُ مِنَ ٱلْوُصُولِ إِلَىٰ دِمَاغِهِ ، وَيَسْتَخْرِجَ مَا فِيهِ مِنَ ٱلدَّاءِ بِٱلْعُطَاسِ .

وَقَدْ مَدَحَ ٱلنَّبِيُّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ٱلتَّدَاوِيَ بِٱلسَّعُوطِ فِيمَا يُحْتَاجُ إِلَيْهِ فِيهِ .

وَكَانَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْمُرُ أَنْ يُسْتَرْقَىٰ مِنَ ٱلْعَيْنِ .

وَرَوَىٰ مُسْلِمٌ فِي « صَحِيحِهِ » : عَنِ ٱبْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُمَا قَالَ : قَالَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « اَلْعَيْنُ حَقٌّ ، وَلَوْ كَانَ شَيْءٌ سَابِقَ ٱلْقَدَرِ . لَسَبَقَتْهُ ٱلْعَيْنُ » .

وَفِي « سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ » : عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا قَالَتْ : كَانَ يُؤْمَرُ ٱلْعَائِنُ فَيَتَوَضَّأُ ، ثُمَّ يَغْتَسِلُ مِنْهُ ٱلْمَعِينُ .

قَالَ ٱلزُّهْرِيُّ : يُؤْمَرُ ٱلرَّجُلُ ٱلْعَائِنُ بِقَدَحٍ ، فَيُدْخِلُ كَفَّهُ فِيهِ ، فَيَتَمَضْمَضُ ، ثُمَّ يَمُجُّهُ فِي ٱلْقَدَحِ ، ثُمَّ يَغْسِلُ وَجْهَهُ فِي ٱلْقَدَحِ ، ثُمَّ يُدْخِلُ يَدَهُ ٱلْيُسْرَىٰ ، فَيَصُبُّ عَلَىٰ كَفِّهِ ٱلْيُمْنَىٰ فِي ٱلْقَدَحِ ، ثُمَّ يُدْخِلُ يَدَهُ ٱلْيُمْنَىٰ ، فَيَصُبُّ عَلَىٰ كَفِّهِ ٱلْيُسْرَىٰ ، ثُمَّ يُدْخِلُ يَدَهُ ٱلْيُسْرَىٰ ، فَيَصُبُّ عَلَىٰ مِرْفَقِهِ ٱلْأَيْمَنِ ، ثُمَّ يُدْخِلُ يَدَهُ ٱلْيُمْنَىٰ ، فَيَصُبُّ عَلَىٰ مِرْفَقِهِ ٱلْأَيْسَرِ ، ثُمَّ يُدْخِلُ يَدَهُ ٱلْيُسْرَىٰ ، فَيَصُبُّ عَلَىٰ قَدَمِهِ ٱلْيُمْنَىٰ ، ثُمَّ يُدْخِلُ يَدَهُ ٱلْيُمْنَىٰ ، فَيَصُبُّ عَلَىٰ قَدَمِهِ ٱلْيُسْرَىٰ ثمَّ يُدْخِلُ يَدَهُ ٱلْيُسْرَىٰ ، فَيَصُبُّ عَلَىٰ رُكْبَتِهِ ٱلْيُمْنَىٰ ، ثُمَّ

يُدْخِلُ يَدَهُ ٱلْيُمْنَىٰ ، فَيَصُبُّ عَلَىٰ رُكْبَتِهِ ٱلْيُسْرَىٰ ، ثُمَّ يَغْسِلُ دَاخِلَةَ إِزَارِهِ[1] ، وَلَا يُوضَعُ ٱلْقَدَحُ فِي ٱلْأَرْضِ ، ثُمَّ يَصُبُّ عَلَىٰ رَأْسِ ٱلرَّجُلِ ٱلَّذِي تُصِيبُهُ ٱلْعَيْنُ مِنْ خَلْفِهِ صَبَّةً وَاحِدَةً .

وَمِمَّا يَدْفَعُ إِصَابَةَ ٱلْعَيْنِ :

ـ قَوْلُ : (ٱللّٰهُمَّ بَارِكْ عَلَيْهِ) .

ـ وَقَوْلُ : (مَا شَاءَ ٱللهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ) .

* * *

(١) أي الطرف المتدلِّي الذي يلي حَقْوَه الأيمن ، وقيل : إنَّ المراد ما يَلي جسدَه من الإزار .

الفصل الثاني

في سنه صلى الله عليه وسلم ووفاته

عَنِ ٱبْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُمَا قَالَ : مَكَثَ ٱلنَّبِيُّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَكَّةَ ثَلَاثَ عَشْرَةَ سَنَةً يُوحَىٰ إِلَيْهِ ، وَبِٱلْمَدِينَةِ عَشْراً ، وَتُوُفِّيَ وَهُوَ ٱبْنُ ثَلَاثٍ وَستِّينَ .

وَفِي رِوَايَةٍ عَنْهُ [رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ] : أَنَّ رَسُولَ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تُوُفِّيَ وَهُوَ ٱبْنُ خَمْسٍ وَسِتِّينَ .

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ : أَنَّ رَسُولَ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَوَفَّاهُ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَلَىٰ رَأْسِ سِتِّينَ سَنَةً .

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا : أَنَّ ٱلنَّبِيَّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَاتَ وَهُوَ ٱبْنُ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ سَنَةً .

وَعَنْ جَرِيرِ بْنِ حَازِمٍ ٱلْأَسَدِيِّ [رَحِمَهُ ٱللهُ تَعَالَىٰ] عَنْ مُعَاوِيَةَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ : أَنَّهُ سَمِعَهُ يَخْطُبُ ، قَالَ : مَاتَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ ٱبْنُ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ ، وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ ، وَأَنَا ٱبْنُ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ سَنَةً .

قَوْلُهُ : (أَنَا ٱبْنُ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ) ٱلْمُرَادُ : أَنَّهُ كَانَ كَذَلِكَ وَقْتَ تَحْدِيثِهِ بِهَـٰذَا ٱلْحَدِيثِ ، وَلَمْ يَمُتْ فِيهِ ، بَلْ عَاشَ حَتَّىٰ بَلَغَ نَحْوَ ثَمَانِينَ سَنَةً .

وَأَمَّا وَفَاةُ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

فَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ قَالَ : آخِرُ نَظْرَةٍ نَظَرْتُهَا إِلَىٰ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَشْفُ ٱلسِّتَارَةَ يَوْمَ ٱلْإِثْنَيْنِ ، فَنَظَرْتُ إِلَىٰ وَجْهِهِ كَأَنَّهُ وَرَقَةُ مُصْحَفٍ[1] ، وَٱلنَّاسُ خَلْفَ أَبِي بَكْرٍ ، فَكَادَ ٱلنَّاسُ أَنْ يَضْطَرِبُوا ، فَأَشَارَ إِلَى ٱلنَّاسِ : أَنِ ٱثْبُتُوا وَأَبُو بَكْرٍ يَؤُمُّهُمْ ، وَأَلْقَىٰ ٱلسَّجْفَ ، وَتُوُفِّيَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ آخِرِ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ .

وَ(ٱلسَّجْفُ) : ٱلسِّتَارَةُ .

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا قَالَتْ : كُنْتُ مُسْنِدَةً ٱلنَّبِيَّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَىٰ صَدْرِي ـ أَوْ قَالَتْ : إِلَىٰ حَجْرِي ـ فَدَعَا بِطَسْتٍ ؛ لِيَبُولَ فِيهِ[2] ، ثُمَّ بَالَ ، فَمَاتَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا أَيْضاً أَنَّهَا قَالَتْ : رَأَيْتُ رَسُولَ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ بِٱلْمَوْتِ ، وَعِنْدَهُ قَدَحٌ فِيهِ مَاءٌ ، وَهُوَ يُدْخِلُ يَدَهُ فِي ٱلْقَدَحِ ، ثُمَّ يَمْسَحُ وَجْهَهُ بِٱلْمَاءِ ، ثُمَّ يَقُولُ : « ٱللّٰهُمَّ ؛ أَعِنِّي عَلَىٰ سَكَرَاتِ ٱلْمَوْتِ » .

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا أَيْضاً قَالَتْ : لَا أَغْبِطُ أَحَداً بِهَوْنِ مَوْتٍ بَعْدَ ٱلَّذِي رَأَيْتُ مِنْ شِدَّةِ مَوْتِ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا أَيْضاً قَالَتْ : لَمَّا قُبِضَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . ٱخْتَلَفُوا فِي دَفْنِهِ ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : سَمِعْتُ مِنْ

---

(١) وهو كناية عن الجمال البارع وحسنِ البَشَرة ، وصَفاء الوَجه واستنارته .

(٢) إناء من نحاس مستدير ، يغسل فيه . معرب (تَشت) .

رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَيْئاً مَا نَسِيتُهُ ؛ قَالَ : « مَا قَبَضَ ٱللهُ نَبِيّاً إِلَّا فِي ٱلْمَوْضِعِ ٱلَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُدْفَنَ فِيهِ ، ادْفِنُوهُ فِي مَوْضِعِ فِرَاشِهِ » .

وَعَنْ عَائِشَةَ أَيْضاً وَٱبْنِ عَبَّاسٍ [رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُمْ] : أَنَّ أَبَا بَكْرٍ قَبَّلَ ٱلنَّبِيَّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ مَا مَاتَ .

وَعَنْ عَائِشَةَ أَيْضاً رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا : أَنَّ أَبَا بَكْرٍ دَخَلَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ وَفَاتِهِ ، فَوَضَعَ فَمَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ ، وَوَضَعَ يَدَيْهِ عَلَىٰ سَاعِدَيْهِ ، وَقَالَ : وَانَبِيَّاهْ ، وَاصَفِيَّاهْ ، وَاخَلِيلَاهْ .

وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ قَالَ : لَمَّا كَانَ ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِي دَخَلَ فِيهِ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ٱلْمَدِينَةَ . أَضَاءَ مِنْهَا كُلُّ شَيْءٍ ، فَلَمَّا كَانَ ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِي مَاتَ فِيهِ . أَظْلَمَ مِنْهَا كُلُّ شَيْءٍ ، وَمَا نَفَضْنَا أَيْدِينَا مِنَ ٱلتُّرَابِ ، وَإِنَّا لَفِي دَفْنِهِ حَتَّىٰ أَنْكَرْنَا قُلُوبَنَا .

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا قَالَتْ : تُوُفِّيَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ ٱلْإِثْنَيْنِ .

وَعَنْ مُحَمَّدٍ ٱلْبَاقِرِ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ ـ وَهُوَ مِنَ ٱلتَّابِعِينَ ـ قَالَ : قُبِضَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ ٱلْإِثْنَيْنِ ، فَمَكَثَ ذَلِكَ ٱلْيَوْمَ ، وَلَيْلَةَ ٱلثُّلَاثَاءِ ، وَدُفِنَ مِنَ ٱللَّيْلِ .

وَعَنْ سَالِمِ بْنِ عُبَيْدٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ ـ وَكَانَتْ لَهُ صُحْبَةٌ ـ قَالَ : أُغْمِيَ عَلَىٰ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَرَضِهِ ، فَأَفَاقَ ، فَقَالَ : « حَضَرَتِ ٱلصَّلَاةُ؟ » ، فَقَالُوا : نَعَمْ ، فَقَالَ : « مُرُوا بِلَالاً فَلْيُؤَذِّنْ ، وَمُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِٱلنَّاسِ » .

قَالَ : ثُمَّ أُغْمِيَ عَلَيْهِ ، فَأَفَاقَ ، فَقَالَ : « حَضَرَتِ ٱلصَّلَاةُ؟ » ، فَقَالُوا : نَعَمْ ، فَقَالَ : « مُرُوا بِلَالاً فَلْيُؤَذِّنْ ، وَمُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِٱلنَّاسِ » .

فَقَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا : إِنَّ أَبِي رَجُلٌ أَسِيفٌ ـ أَيْ : حَزِينٌ ـ إِذَا قَامَ ذَٰلِكَ ٱلْمَقَامَ . . بَكَىٰ ، فَلَا يَسْتَطِيعُ ، فَلَوْ أَمَرْتَ غَيْرَهُ .

قَالَ : ثُمَّ أُغْمِيَ عَلَيْهِ ، فَأَفَاقَ ، فَقَالَ : « مُرُوا بِلَالاً فَلْيُؤَذِّنْ ، وَمُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِٱلنَّاسِ ، فَإِنَّكُنَّ صَوَاحِبُ ـ أَوْ صَوَاحِبَاتُ ـ يُوسُفَ » ؛ أَيْ : مِثْلُهُنَّ فِي إِظْهَارِ خِلَافِ مَا يُبْطِنَّ .

قَالَ : فَأُمِرَ بِلَالٌ فَأَذَّنَ ، وَأُمِرَ أَبُو بَكْرٍ فَصَلَّىٰ بِٱلنَّاسِ ، ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَجَدَ خِفَّةً فَقَالَ : « اُنْظُرُوا لِي مَنْ أَتَّكِىءُ عَلَيْهِ » ، فَجَاءَتْ بَرِيرَةُ وَرَجُلٌ آخَرُ ؛ فَٱتَّكَأَ عَلَيْهِمَا ، فَلَمَّا رَآهُ أَبُو بَكْرٍ ذَهَبَ لِيَنْكِصَ ؛ فَأَوْمَأَ إِلَيْهِ أَنْ يَثْبُتَ مَكَانَهُ حَتَّىٰ قَضَىٰ أَبُو بَكْرٍ صَلَاتَهُ .

ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُبِضَ ، فَقَالَ عُمَرُ : وَٱللهِ ؛ لَا أَسْمَعُ أَحَداً يَذْكُرُ أَنَّ رَسُولَ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُبِضَ إِلَّا ضَرَبْتُهُ بِسَيْفِي هَـٰذَا . قَالَ : وَكَانَ ٱلنَّاسُ أُمِّيِّينَ ؛ لَمْ يَكُنْ فِيهِمْ نَبِيٌّ قَبْلَهُ ، فَأَمْسَكَ ٱلنَّاسُ .

فَقَالُوا : يَا سَالِمُ ؛ اِنْطَلِقْ إِلَىٰ صَاحِبِ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَٱدْعُهُ ، فَأَتَيْتُ أَبَا بَكْرٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ ـ وَهُوَ فِي ٱلْمَسْجِدِ ـ فَأَتَيْتُهُ أَبْكِي دَهِشاً؟ فَلَمَّا رَآنِي . . قَالَ لِيْ : أَقُبِضَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قُلْتُ : إِنَّ عُمَرَ يَقُولُ : لَا أَسْمَعُ أَحَداً يَذْكُرُ أَنَّ رَسُولَ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ قُبِضَ . . إِلَّا ضَرَبْتُهُ بِسَيْفِي هَـٰذَا ، فَقَالَ لِي : اِنْطَلِقْ ، فَانْطَلَقْتُ مَعَهُ ، فَجَاءَ هُوَ وَٱلنَّاسُ قَدْ دَخَلُوا عَلَىٰ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : يَا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ ؛ أَفْرِجُوا لِي ، فَأَفْرَجُوا لَهُ ، فَجَاءَ حَتَّىٰ أَكَبَّ عَلَيْهِ وَمَسَّهُ فَقَالَ : ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [الزمر : ٣٠] .

ثُمَّ قَالُوا : يَا صَاحِبَ رَسُولِ ٱللهِ ؛ أَقُبِضَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، فَعَلِمُوا أَنْ قَدْ صَدَقَ .

قَالُوا : يَا صَاحِبَ رَسُولِ ٱللهِ ؛ أَيُصَلَّىٰ عَلَىٰ رَسُولِ ٱللهِ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالُوا : وَكَيْفَ ؟ قَالَ : يَدْخُلُ قَوْمٌ ، فَيُكَبِّرُونَ وَيُصَلُّونَ ، وَيَدْعُونَ ، ثُمَّ يَخْرُجُونَ ، ثُمَّ يَدْخُلُ قَوْمٌ ، فَيُكَبِّرُونَ وَيُصَلُّونَ ، وَيَدْعُونَ ، ثُمَّ يَخْرُجُونَ ، حَتَّىٰ يَدْخُلَ ٱلنَّاسُ .

قَالُوا : يَا صَاحِبَ رَسُولِ ٱللهِ ؛ أَيُدْفَنُ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالُوا : أَيْنَ ؟ قَالَ : فِي ٱلْمَكَانِ ٱلَّذِي قَبَضَ ٱللهُ فِيهِ رُوحَهُ ، فَإِنَّ ٱللهَ لَمْ يَقْبِضْ رُوحَهُ إِلَّا فِي مَكَانٍ طَيِّبٍ ، فَعَلِمُوا أَنْ قَدْ صَدَقَ .

ثُمَّ أَمَرَهُمْ أَن يُغَسِّلَهُ بَنُو أَبِيهِ .

وَٱجْتَمَعَ ٱلْمُهَاجِرُونَ يَتَشَاوَرُونَ ، فَقَالُوا : اِنطَلِقْ بِنَا إِلَىٰ إِخْوَانِنَا مِنَ ٱلْأَنْصَارِ نُدْخِلْهُمْ مَعَنَا فِي هَـٰذَا ٱلْأَمْرِ ، فَقَالَتِ ٱلْأَنْصَارُ : مِنَّا أَمِيرٌ ، وَمِنْكُمْ أَمِيرٌ ، فَقَالَ عُمَرُ بْنُ ٱلْخَطَّابِ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ : مَنْ لَهُ مِثْلُ هَـٰذِهِ ٱلثَّلَاثَةِ؟

﴿ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَـٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة : ٤٠] مَنْ هُمَا؟ .

قَالَ : ثُمَّ بَسَطَ يَدَهُ فَبَايَعَهُ ، وَبَايَعَهُ ٱلنَّاسُ ، بَيْعَةً حَسَنَةً جَمِيلَةً .

قَالَ ٱلْبَاجُورِيُّ :

(**ٱلْفَضِيلَةُ ٱلْأُولَىٰ** : كَوْنُهُ أَحَدَ ٱلِاثْنَيْنِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ : ﴿ ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ ﴾ [التوبة : ٤٠] .

ٱلْفَضِيلَةُ ٱلثَّانِيَةُ : إِثْبَاتُ ٱلصُّحْبَةِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ : ﴿ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ ﴾ [التوبة : ٤٠] .

فَسَمَّاهُ ٱللهُ (صَاحِبَهُ) ، فَمَنْ أَنْكَرَ صُحْبَتَهُ . . كَفَرَ ؛ لِمُعَارَضَتِهِ ٱلْقُرْآنَ .

ٱلْفَضِيلَةُ ٱلثَّالِثَةُ : إِثْبَاتُ ٱلْمَعِيَّةِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾ [التوبة : ٤٠] .

فَثُبُوتُ هَٰذِهِ ٱلْفَضَائِلِ لَهُ . . يُؤْذِنُ بِأَحَقِّيَّتِهِ بِٱلْخِلَافَةِ) .

وَعَنْ أَنَسِ بنِ مَالِكٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ قَالَ : لَمَّا وَجَدَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ كَرْبِ ٱلْمَوْتِ مَا وَجَدَ . . قَالَتْ فَاطِمَةُ رَضِيَ ٱللهُ [تَعَالَىٰ] عَنْهَا : وَاكَرْبَاهُ ، فَقَالَ ٱلنَّبِيُّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَا كَرْبَ عَلَىٰ أَبِيكِ بَعْدَ ٱلْيَوْمِ ؛ إِنَّهُ قَدْ حَضَرَ مِنْ أَبِيكِ مَا لَيْسَ بِتَارِكٍ مِنْهُ أَحَداً ، ٱلْمُوَافَاةُ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ » .

قَالَ ٱلْإِمَامُ ٱلْغَزَالِيُّ فِي « ٱلْإِحْيَاءِ » : (قَالَ ٱبْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ : دَخَلْنَا عَلَىٰ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَيْتِ أُمِّنَا عَائِشَةَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا حِينَ دَنَا ٱلْفِرَاقُ ، فَنَظَرَ إِلَيْنَا ، فَدَمَعَتْ عَيْنَاهُ صَلَّى ٱللهُ

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ثُمَّ قَالَ : « مَرْحَباً بِكُمْ ، حَيَّاكُمُ ٱللهُ ، آوَاكُمُ ٱللهُ ، نَصَرَكُمُ ٱللهُ ، وَأُوصِيكُمْ بِتَقوَىٰ ٱللهِ ، وَأُوصِي بِكُمُ ٱللهَ ، إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ ؛ أَنْ لَا تَعْلُوا عَلَى ٱللهِ فِي بِلَادِهِ وَعِبَادِهِ ، وَقَدْ دَنَا ٱلْأَجَلُ ، وَٱلْمُنْقَلَبُ إِلَى ٱللهِ ، وَإِلَىٰ سِدْرَةِ ٱلْمُنْتَهَىٰ ، وَإِلَىٰ جَنَّةِ ٱلْمَأْوَىٰ ، وَإِلَى ٱلْكَأْسِ ٱلْأَوْفَىٰ ، فَٱقْرَؤُوا عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ وَعَلَىٰ مَنْ دَخَلَ فِي دِينِكُمْ بَعْدِي مِنِّيَ ٱلسَّلَامَ وَرَحْمَةَ ٱللهِ » .

وَرُوِيَ : أَنَّهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِجبْرِيلَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ عِنْدَ مَوْتِهِ : « مَنْ لِأُمَّتِي مِنْ بَعْدِي ؟ » ، فَأَوْحَى ٱللهُ تَعَالَىٰ إِلَىٰ جِبْرِيلَ : أَنْ بَشِّرْ حَبِيبِي أَنِّي لَا أَخْذُلُهُ فِي أُمَّتِهِ ، وَبَشِّرْهُ أَنَّهُ أَسْرَعُ ٱلنَّاسِ خُرُوجاً مِنَ ٱلْأَرْضِ إِذَا بُعِثُوا ، وَسَيِّدُهُمْ إِذَا جُمِعُوا ، وَأَنَّ ٱلْجَنَّةَ مُحَرَّمَةٌ عَلَى ٱلْأُمَمِ ، حَتَّىٰ تَدْخُلَهَا أُمَّتُهُ ، فَقَالَ [صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ] : « اَلْآنَ قَرَّتْ عَيْنِي » .

وَقَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا : أَمَرَنَا رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ نُغَسِّلَهُ بِسَبْعِ قِرَبٍ مِنْ سَبْعَةِ آبَارٍ ، فَفَعَلْنَا ذَٰلِكَ ، فَوَجَدَ رَاحَةً ، فَخَرَجَ ، فَصَلَّىٰ بِٱلنَّاسِ ، وَٱسْتَغْفَرَ لِأَهْلِ أُحُدٍ ، وَدَعَا لَهُمْ ، وَأَوْصَىٰ بِٱلْأَنْصَارِ ، فَقَالَ : « أَمَّا بَعْدُ : يَا مَعْشَرَ ٱلْمُهَاجِرِينَ ؛ فَإِنَّكُمْ تَزِيدُونَ ، وَأَصْبَحَتِ ٱلْأَنْصَارُ لَا تَزِيدُ عَلَىٰ هَيْئَتِهَا ٱلَّتِي هِيَ عَلَيْهَا ٱلْيَوْمَ ، وَإِنَّ ٱلْأَنْصَارَ عَيْبَتِي ٱلَّتِي أَوَيْتُ إِلَيْهَا[1] ، فَأَكْرِمُوا كَرِيمَهُمْ ـ يَعْنِي : مُحْسِنَهُمْ ـ وَتَجَاوَزُوا عَنْ مُسِيئِهِمْ » .

ثُمَّ قَالَ [صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ] : « إِنَّ عَبْداً خُيِّرَ بَيْنَ ٱلدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا

---

(١) أي : موضع سِرِّي .

عِنْدَ ٱللهِ . . فَٱخْتَارَ مَا عِنْدَ ٱللهِ » ، فَبَكَىٰ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ ، وَظَنَّ أَنَّهُ يُرِيدُ نَفْسَهُ .

فَقَالَ ٱلنَّبِيُّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « عَلَىٰ رِسْلِكَ يَا أَبَا بَكْرٍ ، سُدُّوا هَـٰذِهِ ٱلْأَبْوَابَ ٱلشَّوَارِعَ فِي ٱلْمَسْجِدِ ، إِلَّا بَابَ أَبِي بَكْرٍ ؛ فَإِنِّي لَا أَعْلَمُ ٱمْرَأً أَفْضَلَ عِنْدِي فِي ٱلصُّحْبَةِ مِنْ أَبِي بَكْرٍ » .

قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا : فَقُبِضَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَيْتِي ، وَفِي يَوْمِي ، وَبَيْنَ سَحْرِي وَنَحْرِي[1] ، وَجَمَعَ ٱللهُ بَيْنَ رِيقِي وَرِيقِهِ عِنْدَ ٱلْمَوْتِ ، فَدَخَلَ عَلَيَّ أَخِي عَبْدُ ٱلرَّحْمَـٰنِ وَبِيَدِهِ سِوَاكٌ ، فَجَعَلَ يَنْظُرُ إِلَيْهِ ، فَعَرَفْتُ أَنَّهُ يُعْجِبُهُ ذَلِكَ ، فَقُلْتُ لَه : آخُذُهُ لَكَ ؟ فَأَوْمَأَ بِرَأْسِهِ ـ أَيْ : نَعَمْ ـ فَنَاوَلْتُهُ إِيَّاهُ ، فَأَدْخَلَهُ فِي فِيهِ ، فَٱشْتَدَّ عَلَيْهِ ، فَقُلْتُ : أُلَيِّنُهُ لَكَ ؟ فَأَوْمَأَ بِرَأْسِهِ ـ أَيْ : نَعَمْ ـ فَلَيَّنْتُهُ ، وَكَانَ بَيْنَ يَدَيْهِ رَكْوَةُ مَاءٍ ، فَجَعَلَ يُدْخِلُ فِيهَا يَدَهُ وَيَقُولُ : « لَا إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللهُ ، إِنَّ لِلْمَوْتِ لَسَكَرَاتٍ » ، ثُمَّ نَصَبَ يَدَهُ يَقُولُ : « ٱلرَّفِيقَ ٱلْأَعْلَىٰ . . ٱلرَّفِيقَ ٱلْأَعْلَىٰ » .

فَقُلْتُ : إِذاً ـ وَٱللهِ ـ لَا يَخْتَارُنَا .

وَرَوَىٰ سَعِيدُ بْنُ عَبْدِ ٱللهِ ، عَنْ أَبِيهِ [رَحِمَهُمَا ٱللهُ تَعَالَىٰ] قَالَ : لَمَّا رَأَتِ ٱلْأَنْصَارُ أَنَّ رَسُولَ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَزْدَادُ ثِقَلاً . . أَطَافُوا بِٱلْمَسْجِدِ ، فَدَخَلَ ٱلْعَبَّاسُ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَعْلَمَهُ بِمَكَانِهِمْ وَإِشْفَاقِهِمْ .

---

(١) **السَّحْر** : الصدر . **والنَّحر** : موضع القلادة من الصدر .

ثُمَّ دَخَلَ عَلَيْهِ ٱلْفَضْلُ [رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ] فَأَعْلَمَهُ بِمِثْلِ ذَٰلِكَ .

ثُمَّ دَخَلَ عَلَيْهِ عَلِيٌّ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ فَأَعْلَمَهُ بِمِثْلِه ، فَمَدَّ يَدَهُ ، وَقَالَ : « هَا » فَتَنَاوَلُوهُ ، فَقَالَ : « مَا يَقُولُونَ؟ » ، قَالُوا : يَقُولُونَ : نَخْشَىٰ أَنْ تَمُوتَ .

وَتَصَايَحَ نِسَاؤُهُمْ لِٱجْتِمَاعِ رِجَالِهِمْ إِلَى ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَثَارَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ فَخَرَجَ مُتَوَكِّئاً عَلَىٰ عَلِيٍّ وَٱلْفَضْلِ ، وَٱلْعَبَّاسُ أَمَامَهُ ، وَرَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعْصُوبُ ٱلرَّأْسِ يَخُطُّ بِرِجْلَيْهِ ، حَتَّىٰ جَلَسَ عَلَىٰ أَسْفَلِ مِرْقَاةٍ مِنَ ٱلْمِنبَرِ ، وَثَابَ ٱلنَّاسُ إِلَيْهِ ، فَحَمِدَ ٱللهَ ، وَأَثْنَىٰ عَلَيْهِ ، وَقَالَ :

« أَيُّهَا ٱلنَّاسُ ؛ إِنَّهُ بَلَغَنِي أَنَّكُمْ تَخَافُونَ عَلَيَّ ٱلْمَوْتَ ، كَأَنَّهُ ٱسْتِنْكَارٌ مِنْكُمْ لِلْمَوْتِ؟! وَمَا تُنْكِرُونَ مِنْ مَوْتِ نَبِيِّكُمْ؟ أَلَمْ أُنْعَ إِلَيْكُمْ ، وَتُنْعَىٰ إِلَيْكُمْ أَنْفُسُكُمْ؟!

هَلْ خُلِّدَ نَبِيٌّ قَبْلِي فِيمَنْ بُعِثَ . . فَأُخَلَّدَ فِيكُمْ؟

أَلَا وَإِنِّي لَاحِقٌ بِرَبِّي ، أَلَا وَإِنَّكُمْ لَاحِقُونَ بِهِ .

وَإِنِّي أُوصِيكُمْ بِٱلْمُهَاجِرِينَ ٱلْأَوَّلِينَ خَيْراً ، وَأُوصِي ٱلْمُهَاجِرِينَ فِيمَا بَيْنَهُمْ ؛ فَإِنَّ ٱللهَ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ : ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [العصر : ١-٣] . . . إِلَىٰ آخِرِهَا .

وَإِنَّ ٱلْأُمُورَ تَجْرِي بِإِذْنِ ٱللهِ ، فَلَا يَحْمِلَنَّكُمُ ٱسْتِبْطَاءُ أَمْرٍ عَلَىٰ ٱسْتِعْجَالِهِ ، فَإِنَّ ٱللهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَعْجَلُ لِعَجَلَةِ أَحَدٍ ، وَمَنْ غَالَبَ ٱللهَ . . غَلَبَهُ ، وَمَنْ خَادَعَ ٱللهَ . . خَدَعَهُ

﴿ فَهَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن تَوَلَّيۡتُمۡ أَن تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرۡحَامَكُمۡ ﴾ [محمد: ٢٢].

وَأُوصِيكُمْ بِٱلْأَنْصَارِ خَيْراً ، فَإِنَّهُمُ ٱلَّذِينَ تَبَوَّؤُوا ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِكُمْ ؛ أَنْ تُحْسِنُوا إِلَيْهِمْ ، أَلَمْ يُشَاطِرُوكُمْ فِي ٱلثِّمَارِ؟! أَلَمْ يُوَسِّعُوا عَلَيْكُمْ[١] فِي ٱلدِّيَارِ ؟! أَلَمْ يُؤْثِرُوكُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَبِهِمُ ٱلْخَصَاصَةُ؟! .

أَلَا . . فَمَنْ وُلِّيَ أَنْ يَحْكُمَ بَيْنَ رَجُلَيْنِ . . فَلْيَقْبَلْ مِنْ مُحْسِنِهِمْ ، وَلْيَتَجَاوَزْ عَنْ مُسِيئِهِمْ .

أَلَا . . وَلَا تَسْتَأْثِرُوا عَلَيْهِمْ .

أَلَا . . وَإِنِّي فَرَطٌ[٢] لَكُمْ ، وَأَنْتُمْ لَاحِقُونَ بِي .

أَلَا . . وَإِنَّ مَوْعِدَكُمُ ٱلْحَوْضُ ، حَوْضِي أَعْرَضُ مِمَّا بَيْنَ بُصْرَى ٱلشَّامِ وَصَنْعَاءِ ٱلْيَمَنِ ، يَصُبُّ فِيهِ مِيزَابُ ٱلْكَوْثَرِ مَاءً ، أَشَدُّ بَيَاضاً مِنَ ٱللَّبَنِ ، وَأَلْيَنُ مِنَ ٱلزَّبَدِ ، وَأَحْلَىٰ مِنَ ٱلشَّهْدِ[٣] ، مَنْ شَرِبَ مِنْهُ . . لَمْ يَظْمَأْ أَبَداً ، حَصْبَاؤُهُ ٱللُّؤْلُؤُ ، وَبَطْحَاؤُهُ ٱلْمِسْكُ ، مَنْ حُرِمَهُ فِي ٱلْمَوْقِفِ غَداً . . حُرِمَ ٱلْخَيْرَ كُلَّهُ .

أَلَا . . فَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يَرِدَهُ عَلَيَّ غَداً . . فَلْيَكْفُفْ لِسَانَهُ وَيَدَهُ إِلَّا مِمَّا[٤] يَنْبَغِي .

فَقَالَ ٱلْعَبَّاسُ : يَا نَبِيَّ ٱللهِ ؛ أَوْصِ بِقُرَيْشٍ .

---

(١) في نسخة : (لكم) .

(٢) أي : سابق .

(٣) **الشهد** : العسل في شمعه .

(٤) في نسخة : (فيما) .

فَقَالَ : « إِنَّمَا أُوصِي بِهَـٰذَا ٱلْأَمْرِ قُرَيْشاً ؛ وَٱلنَّاسُ تَبَعٌ لِقُرَيْشٍ ، بَرُّهُمْ لِبَرِّهِمْ ، وَفَاجِرُهُمْ لِفَاجِرِهِمْ(١) ، فَٱسْتَوْصُوا ـ آلَ قُرَيْشٍ ـ بِٱلنَّاسِ خَيْراً .

يَا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ ؛ إِنَّ ٱلذُّنُوبَ تُغَيِّرُ ٱلنِّعَمَ وَتُبَدِّلُ ٱلْقِسَمَ ، فَإِذَا بَرَّ ٱلنَّاسُ . . بَرَّهُمْ أَئِمَّتُهُمْ ، وَإِذَا فَجَرَ ٱلنَّاسُ(٢) . . عَقُّوهُمْ .

قَالَ ٱللهُ تَعَالَىٰ : ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾ » [الأنعام : ١٢٩] .

وَرَوَى ٱبْنُ مَسعُودٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ : أَنَّ ٱلنَّبِيَّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِأَبِي بَكْرٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ : « سَلْ يَا أَبَا بَكْرٍ » .

فَقَالَ : يَا رَسُولَ ٱللهِ ؛ دَنَا ٱلْأَجَلُ ؟ فَقَالَ : « قَدْ دَنَا ٱلْأَجَلُ ، وَتَدَلَّىٰ » .

فَقَالَ : لِيَهْنِكَ يَا نَبِيَّ ٱللهِ مَا عِنْدَ ٱللهِ ، فَلَيْتَ شِعْرِي عَنْ مُنْقَلَبِنَا؟ فَقَالَ : « إِلَى ٱللهِ ، وَإِلَىٰ سِدْرَةِ ٱلْمُنْتَهَىٰ ، ثُمَّ إِلَىٰ جَنَّةِ ٱلْمَأْوَىٰ ، وَٱلْفِرْدَوْسِ ٱلْأَعْلَىٰ ، وَٱلْكَأْسِ ٱلْأَوْفَىٰ ، وَٱلرَّفِيقِ ٱلْأَعْلَىٰ ، وَٱلْحَظِّ وَٱلْعَيْشِ ٱلْمُهَنَّا » .

فَقَالَ : يَا نَبِيَّ ٱللهِ ؛ مَنْ يَلِي غُسْلَكَ ؟ قَالَ : « رِجَالٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي ؛ ٱلْأَدْنَىٰ فَٱلْأَدْنَىٰ » .

قَالَ(٣) : يَا رَسُولَ ٱللهِ ؛ فِيمَ نُكَفِّنُكَ ؟ قَالَ : « فِي ثِيَابِي هَـٰذِهِ ، وَفِي حُلَّةٍ يَمَانِيَةٍ ، وَفِي بَيَاضِ مِصْرَ » .

---

(١) في نسخة : (برُّهم تبعٌ لبرِّهم ، وفاجرهم تبعٌ لفاجرهم) .
(٢) في نسخة : (وإذا فجرُوا) .
(٣) في نسخة : (قلنا) .

فقَالَ : كَيْفَ ٱلصَّلَاةُ عَلَيْكَ مِنَّا؟ وبَكَيْنَا ، وبَكَىٰ . . . ثُمَّ قَالَ : « مَهْلاً غَفَرَ ٱللهُ لَكُمْ ، وَجَزَاكُمْ عَنْ نَبِيِّكُمْ خَيْراً .

إِذَا غَسَّلْتُمُونِي وَكَفَّنْتُمُونِي . . فَضَعُونِي عَلَىٰ سَرِيرِي هَـٰذَا ، فِي بَيْتِي هَـٰذَا عَلَىٰ شَفِيرِ قَبْرِي ، ثُمْ ٱخْرُجُوا عَنِّي سَاعَةً ـ فَإِنَّ أَوَّلَ مَنْ يُصَلِّي عَلَيَّ ٱللهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ ﴾ [الأحزاب : ٤٣] .

ثُمَّ يَأْذَنُ لِلْمَلَائِكَةِ فِي ٱلصَّلَاةِ عَلَيَّ ، فَأَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ عَلَيَّ مِنْ خَلْقِ ٱللهِ وَيُصَلِّي عَلَيَّ . . جِبْرِيلُ ، ثُمَّ مِيكَائِيلُ ، ثُمَّ إِسْرَافِيلُ ، ثُمَّ مَلَكُ ٱلْمَوْتِ مَعَ جُنُودٍ كَثِيرَةٍ ، ثُمَّ ٱلْمَلَائِكَةُ بِأَجْمَعِهَا صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ ، ثُمَّ أَنْتُمْ ؛ فَٱدْخُلُوا عَلَيَّ أَفْوَاجاً ، فَصَلُّوا عَلَيَّ أَفْوَاجاً ؛ زُمْرَةً زُمْرَةً ، وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً ، وَلَا تُؤْذُونِي[1] بِتَزْكِيَةٍ وَلَا صَيْحَةٍ وَلَا رَنَّةٍ ، وَلْيَبْدَأْ مِنْكُمُ ٱلْإِمَامُ ، وَأَهْلُ بَيْتِيَ ٱلْأَدْنَىٰ . . فَٱلْأَدْنَىٰ ، ثُمَّ زُمْرَةُ ٱلنِّسَاءِ ، ثُمَّ زُمْرَةُ ٱلصِّبْيَانِ .

قَالَ : فَمَنْ يُدْخِلُكَ ٱلْقَبْرَ؟ قَالَ : « زُمَرٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي . . . ٱلْأَدْنَىٰ فَٱلْأَدْنَىٰ مَعَ مَلَائِكَةٍ كَثِيرَةٍ لَا تَرَوْنَهُمْ ؛ وَهُمْ يَرَوْنَكُمْ ، قُومُوا فَأَدُّوا عَنِّي إِلَىٰ مَنْ بَعْدِي » .

وَقَالَ عَبْدُ ٱللهِ بْنُ زَمْعَةَ [رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ] : جَاءَ بِلَالٌ [رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ] فِي أَوَّلِ شَهْرِ رَبِيعٍ ٱلْأَوَّلِ ، فَأَذَّنَ بِٱلصَّلَاةِ ، فَقَالَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مُرُوا أَبَا بَكْرٍ يُصَلِّي بِٱلنَّاسِ » .

فَخَرَجْتُ فَلَمْ أَرَ بِحَضْرَةِ ٱلْبَابِ إِلَّا عُمَرَ فِي رِجَالٍ لَيْسَ فِيهِمْ أَبُو بَكْرٍ ،

---

(١) في نسخة : (ولا تؤذِنُوا) .

فَقُلْتُ : قُمْ يَا عُمَرُ فَصَلِّ بِٱلنَّاسِ ، فَقَامَ عُمَرُ ، فَلَمَّا كَبَّرَ ـ وَكَانَ رَجُلاً صَيِّتاً ـ سَمِعَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَوْتَهُ بِٱلتَّكْبِيرِ . . فَقَالَ : « أَيْنَ أَبُو بَكْرٍ؟ يَأْبَىٰ ٱللهُ ذَٰلِكَ ، وَٱلْمُسْلِمُونَ » قَالَهَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ : « مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِٱلنَّاسِ » ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ ٱللهُ [تَعَالَىٰ] عَنْهَا : يَا رَسُولَ ٱللهِ ؛ إِنَّ أَبَا بَكْرٍ رَجُلٌ رَقِيقٌ ، إِذَا قَامَ فِي مَقَامِكَ غَلَبَهُ ٱلْبُكَاءُ .

فَقَالَ : « إِنَّكُنَّ صُوَيْحِبَاتُ يُوسُفَ ، مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِٱلنَّاسِ » .

قَالَ : فَصَلَّىٰ أَبُو بَكْرٍ بَعْدَ ٱلصَّلَاةِ ٱلَّتِي صَلَّىٰ عُمَرُ .

فَكَانَ عُمَرُ يَقُولُ لِعَبْدِ ٱللهِ بْنِ زَمْعَةَ بَعْدَ ذَلِكَ : وَيْحَكَ ، مَاذَا صَنَعْتَ بِي؟ وَٱللهِ لَوْلَا أَنِّي ظَنَنْتُ أَنَّ رَسُولَ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَرَكَ . . مَا فَعَلْتُ ، فَيَقُولُ عَبْدُ ٱللهِ : إِنِّي لَمْ أَرَ أَحَداً أَوْلَىٰ بِذَلِكَ مِنْكَ .

قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا : وَمَا قُلْتُ ذَلِكَ وَلَا صَرَفْتُهُ عَنْ أَبِي بَكْرٍ إِلَّا رَغْبَةً بِهِ عَنِ ٱلدُّنْيَا ، وَلِمَا فِي ٱلْوِلَايَةِ مِنَ ٱلْمُخَاطَرَةِ وَٱلْهَلَكَةِ إِلَّا مَنْ سَلَّمَ ٱللهُ ، وَخَشِيتُ أَيْضاً أَنْ لَا يَكُونَ ٱلنَّاسُ يُحِبُّونَ رَجُلاً صَلَّىٰ فِي مَقَامِ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ حَيٌّ أَبَداً ـ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ ٱللهُ ـ فَيَحْسُدُونَهُ ، وَيَبْغُونَ عَلَيْهِ ، وَيَتَشَاءَمُونَ بِهِ ، فَإِذَا ٱلْأَمْرُ أَمْرُ ٱللهِ ، وَٱلْقَضَاءُ قَضَاءُ ٱللهِ تَعَالَىٰ ، وَعَصَمَهُ ٱللهُ تَعَالَىٰ مِنْ كُلِّ مَا تَخَوَّفْتُ عَلَيْهِ مِنْ أَمْرِ ٱلدُّنْيَا وَٱلدِّينِ .

وَقَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا : فَلَمَّا كَانَ ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِي مَاتَ فِيهِ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . . رَأَوْا مِنْهُ خِفَّةً فِي أَوَّلِ ٱلنَّهَارِ ؛ فَتَفَرَّقَ عَنْهُ ٱلرِّجَالُ إِلَىٰ مَنَازِلِهِمْ وَحَوَائِجِهِمْ مُسْتَبْشِرِينَ ، وَأَخْلَوْا رَسُولَ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِٱلنِّسَاءِ ، فَبَيْنَا نَحْنُ عَلَىٰ ذَلِكَ ـ لَمْ نَكُنْ عَلَىٰ مِثْلِ

حَالِنَا فِي ٱلرَّجَاءِ وٱلْفَرَحِ قَبْلَ ذَلِكَ ـ قَالَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « اُخْرُجْنَ عَنِّي ؛ هَـٰذَا ٱلْمَلَكُ يَسْتَأْذِنُ عَلَيَّ » .

فَخَرَجَ مَنْ فِي ٱلْبَيْتِ غَيْرِي ، وَرَأْسُهُ فِي حَجْرِي ، فَجَلَسَ ، وَتَنَحَّيْتُ فِي جَانِبِ ٱلْبَيْتِ ، فَنَاجَى ٱلْمَلَكَ طَوِيلاً ، ثُمَّ إِنَّهُ دَعَانِي ؛ فَأَعَادَ رَأْسَهُ فِي حَجْرِي ، وَقَالَ لِلنِّسْوَةِ : « اُدْخُلْنَ » ، فَقُلْتُ : مَا هَـٰذَا بِحِسِّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ؟ فَقَالَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَجَلْ يَا عَائِشَةُ ؛ هَـٰذَا مَلَكُ ٱلْمَوْتِ ، جَاءَنِي فَقَالَ : إِنَّ ٱللهَ عَزَّ وَجَلَّ أَرْسَلَنِي ، وَأَمَرَنِي أَنْ لَا أَدْخُلَ عَلَيْكَ إِلاَّ بِإِذْنٍ ، فَإِنْ لَمْ تَأْذَنْ لِيْ . . أَرْجِعْ ، وَإِنْ أَذِنْتَ لِيْ . . دَخَلْتُ ، وَأَمَرَنِي أَنْ لَا أَقْبِضَكَ حَتَّىٰ تَأْمُرَنِي ، فَمَاذَا أَمْرُكَ ؟ فَقُلْتُ : « اُكْفُفْ عَنِّي ، حَتَّىٰ يَأْتِيَنِي جِبْرِيلُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ، فَهَـٰذِهِ سَاعَةُ جِبْرِيلَ » .

قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا : فَٱسْتَقْبَلَنَا بِأَمْرٍ لَمْ يَكُنْ لَهُ عِنْدَنَا جَوَابٌ ؛ وَلَا رَأْيٌ ، فَوُجِمْنَا وَكَأَنَّمَا ضُرِبْنَا بِصَاخَّةٍ ـ أَيْ : بِصَيْحَةٍ ـ مَا نُحِيرُ إِلَيْهِ شَيْئاً ، وَمَا يَتَكَلَّمُ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ ٱلْبَيْتِ ؛ إِعْظَاماً لِذَلِكَ ٱلْأَمْرِ ، وَهَيْبَةً مَلَأَتْ أَجْوَافَنَا .

قَالَتْ : وَجَاءَ جِبْرِيلُ فِي سَاعَتِهِ فَسَلَّمَ ، فَعَرَفْتُ حِسَّهُ ، وَخَرَجَ أَهْلُ ٱلْبَيْتِ ، فَدَخَلَ فَقَالَ : إِنَّ ٱللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقْرَأُ عَلَيْكَ ٱلسَّلَامَ ، وَيَقُولُ : كَيْفَ تَجِدُكَ ؟ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلَّذِي تَجِدُ مِنْكَ ، وَلَـٰكِنْ أَرَادَ أَنْ يَزِيدَكَ كَرَامَةً وَشَرَفاً ، وَأَنْ يُتِمَّ كَرَامَتَكَ وَشَرَفَكَ عَلَى ٱلْخَلْقِ ، وَأَنْ تَكُونَ سُنَّةً فِي أُمَّتِكَ ، فَقَالَ : « أَجِدُنِي وَجِعاً » .

فَقَالَ : أَبْشِرْ ، فَإِنَّ ٱللهَ تَعَالَىٰ أَرَادَ أَنْ يُبَلِّغَكَ مَا أَعَدَّ لَكَ ، فَقَالَ :

« يَاجِبْرِيلُ ؛ إِنَّ مَلَكَ ٱلْمَوْتِ ٱسْتَأْذَنَ عَلَيَّ . . » وَأَخْبَرَهُ ٱلْخَبَرَ .

فَقَالَ جِبْرِيلُ : يَا مُحَمَّدُ ؛ إِنَّ رَبَّكَ إِلَيْكَ مُشْتَاقٌ ، أَلَمْ يُعْلِمْكَ ٱلَّذِي يُرِيدُ بِكَ ؟! لَا وَٱللهِ مَا ٱسْتَأْذَنَ مَلَكُ ٱلْمَوْتِ عَلَىٰ أَحَدٍ قَطُّ وَلَا يَسْتَأْذِنُ عَلَيْهِ أَبَداً ، أَلَا إِنَّ رَبَّكَ مُتِمٌّ شَرَفَكَ ، وَهُوَ إِلَيْكَ مُشْتَاقٌ .

قَالَ : « فَلَا تَبْرَحْ إِذاً حَتَّىٰ يَجِيءَ » .

وَأَذِنَ لِلنِّسَاءِ ، فَقَالَ : « يَا فَاطِمَةُ ؛ أُدْنِي » ، فَأَكَبَّتْ عَلَيْهِ ، فَنَاجَاهَا ، فَرَفَعَتْ رَأْسَهَا وَعَيْنَاهَا تَدْمَعُ[١] ؛ وَمَا تُطِيقُ ٱلْكَلَامَ ، ثُمَّ قَالَ : « أَدْنِي مِنِّي رَأْسَكِ » ، فَأَكَبَّتْ عَلَيْهِ ، فَنَاجَاهَا ، فَرَفَعَتْ رَأْسَهَا ؛ وَهِيَ تَضْحَكُ وَمَا تُطِيقُ ٱلْكَلَامَ ، وَكَانَ ٱلَّذِي رَأَيْنَا مِنْهَا عَجَباً ، فَسَأَلْتُهَا بَعْدَ ذَلِكَ . . فَقَالَتْ : أَخْبَرَنِي ، وَقَالَ : « إِنِّي مَيِّتٌ ٱلْيَوْمَ » ، فَبَكَيْتُ ، ثُمَّ قَالَ : « إِنِّي دَعَوْتُ ٱللهَ أَنْ يُلْحِقَكِ بِي فِي أَوَّلِ أَهْلِي ، وَأَنْ يَجْعَلَكِ مَعِيْ » فَضَحِكْتُ . وَأَدْنَتِ ٱبْنَيْهَا مِنْهُ فَشَمَّهُمَا[٢] .

قَالَتْ : وَجَاءَ مَلَكُ ٱلْمَوْتِ ، وَٱسْتَأْذَنَ ؛ فَأَذِنَ لَهُ ، فَقَالَ ٱلْمَلَكُ : مَا تَأْمُرُنَا يَا مُحَمَّدُ ؟ قَالَ : « أَلْحِقْنِي بِرَبِّيَ ٱلْآنَ » ، فَقَالَ : بَلَىٰ ؛ مِنْ يَوْمِكَ هَـٰذَا ، أَمَا إِنَّ رَبَّكَ إِلَيْكَ مُشْتَاقٌ ، وَلَمْ يَتَرَدَّدْ عَنْ أَحَدٍ تَرَدُّدَهُ عَنْكَ ، وَلَمْ يَنْهَنِي عَنِ ٱلدُّخُولِ عَلَىٰ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنٍ غَيْرَكَ ، وَلَـٰكِنَّ سَاعَتَكَ أَمَامَكَ . وَخَرَجَ .

قَالَتْ : وَجَاءَ جِبْرِيلُ فَقَالَ : ٱلسَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ ٱللهِ ؛ هَـٰذَا آخِرُ مَا

---

(١) في نسخة : (تذرفان) .

(٢) في نسخة : (وأدنت ابنتها منه فشمّها) .

أَنْزِلُ فِيهِ إِلَى ٱلْأَرْضِ أَبَداً ، طُوِيَ ٱلْوَحْيُ وَطُوِيَتِ ٱلدُّنْيَا ، وَمَا كَانَ لِي فِي ٱلْأَرْضِ حَاجَةٌ غَيْرَكَ ، وَمَا لِيَ فِيهَا حَاجَةٌ إِلَّا حُضُورَكَ ، ثُمَّ لُزُومَ مَوْقِفِي .

لَا وَٱلَّذِي بَعَثَ مُحَمَّداً بِٱلْحَقِّ ؛ مَا فِي ٱلْبَيْتِ أَحَدٌ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُحِيرَ إِلَيْهِ فِي ذَلِكَ كَلِمَةً[1] ، وَلَا يَبْعَثُ إِلَىٰ أَحَدٍ مِنْ رِجَالِهِ لِعُظْمِ مَا يَسْمَعُ مِنْ حَدِيثِهِ ، وَوَجْدِنَا وَإِشْفَاقِنَا .

قَالَتْ : فَقُمْتُ إِلَى ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّىٰ أَضَعَ رَأْسَهُ بَيْنَ ثَدْيَيَّ ، وَأَمْسَكْتُ بِصَدْرِهِ ، وَجَعَلَ يُغْمَىٰ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يُغْلَبَ ، وَجَبْهَتُهُ تَرْشَحُ رَشْحاً مَا رَأَيْتُهُ مِنْ إِنْسَانٍ قَطُّ ، فَجَعَلْتُ أَسْلُتُ ذَلِكَ ٱلْعَرَقَ[2] ، وَمَا وَجَدْتُ رَائِحَةَ شَيْءٍ أَطْيَبَ مِنْهُ ، فَكُنْتُ أَقُولُ لَهُ إِذَا أَفَاقَ : بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي ، وَنَفْسِي وَأَهْلِي ؛ مَا تَلْقَىٰ جَبْهَتُكَ مِنَ ٱلرَّشْحِ؟ فَقَالَ : « يَا عَائِشَةُ ؛ إِنَّ نَفْسَ ٱلْمُؤْمِنِ تَخْرُجُ بِٱلرَّشْحِ ، وَنَفْسَ ٱلْكَافِرِ تَخْرُجُ مِنْ شِدْقَيْهِ[3] كَنَفْسِ ٱلْحِمَارِ » .

فَعِنْدَ ذَلِكَ ٱرْتَعْنَا ، وَبَعَثْنَا إِلَىٰ أَهْلِنَا ، فَكَانَ أَوَّلَ رَجُلٍ جَاءَنَا ـ وَلَمْ يَشْهَدْهُ ـ أَخِي ، بَعَثَهُ إِلَيَّ أَبِي ، فَمَاتَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبْلَ أَنْ يَجِيءَ أَحَدٌ ، وَإِنَّمَا صَدَّهُمُ ٱللهُ عَنْهُ ؛ لِأَنَّهُ وَلَّاهُ جِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ ، وَجَعَلَ إِذَا أُغْمِيَ عَلَيْهِ . . قَالَ : « بَلِ ٱلرَّفِيقَ ٱلْأَعْلَىٰ » ، كَأَنَّ ٱلْخِيَرَةَ تُعَادُ عَلَيْهِ ، فَإِذَا أَطَاقَ ٱلْكَلَامَ . . قَالَ : « ٱلصَّلَاةَ . . ٱلصَّلَاةَ ؛ إِنَّكُمْ لَا تَزَالُونَ

---

(١) أي : يعيدها .

(٢) أي : أُزيله وأمسحه .

(٣) في نسخة : (شدقه) .

مُتَمَاسِكِينَ مَا صَلَّيْتُمْ جَمِيعاً ، اَلصَّلَاةَ . . اَلصَّلَاةَ » ، كَانَ يُوصِي بِهَا حَتَّىٰ مَاتَ ؛ وَهُوَ يَقُولُ : « اَلصَّلَاةَ . . اَلصَّلَاةَ » .

قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا : مَاتَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ ٱرْتِفَاعِ ٱلضُّحَىٰ ، وَٱنْتِصَافِ ٱلنَّهَارِ يَوْمَ ٱلْإِثْنَيْنِ .

قَالَتْ فَاطِمَةُ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا : مَا لَقِيتُ مِنْ يَوْمِ ٱلْإِثْنَيْنِ ، وَٱللهِ لَا تَزَالُ ٱلْأُمَّةُ تُصَابُ فِيهِ بِعَظِيمَةٍ .

وَقَالَتْ أُمُّ كُلْثُومٍ [رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا] ـ يَوْمَ أُصِيبَ عَلِيٌّ كَرَّمَ ٱللهُ وَجْهَهُ بِٱلْكُوفَةِ ـ مِثْلَهَا : مَا لَقِيتُ مِنْ يَوْمِ ٱلْإِثْنَيْنِ ، مَاتَ فِيهِ جَدِّي رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَفِيهِ قُتِلَ عُمَرُ ، وَفِيهُ قُتِلَ أَبِي ، فَمَا لَقِيتُ مِنْ يَوْمِ ٱلْإِثْنَيْنِ .

وَقَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا : لَمَّا مَاتَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . . ٱقْتَحَمَ ٱلنَّاسُ حِينَ ٱرْتَفَعَتِ ٱلرَّنَّةُ(١) وَسُجِّيَ(٢) رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِثَوْبِي ؛ فَٱخْتَلَفُوا ، فَكَذَّبَ بَعْضُهُمْ بِمَوْتِهِ ، وَأُخْرِسَ بَعْضُهُمْ ، فَمَا تَكَلَّمَ إِلَّا بَعْدَ ٱلْبَعْدِ ، وَخَلَّطَ آخَرُونَ ؛ فَلَاثُوا ٱلْكَلَامَ بِغَيْرِ بَيَانٍ ، وَبَقِيَ آخَرُونَ مَعَهُمْ عُقُولُهُمْ ، وَأُقْعِدَ آخَرُونَ ؛ فَكَانَ عُمَرُ بْنُ ٱلْخَطَّابِ فِيمَنْ كَذَّبَ بِمَوْتِهِ ، وَعَلِيٌّ فِيمَنْ أُقْعِدَ ، وَعُثْمَانُ فِيمَنْ أُخْرِسَ ، فَخَرَجَ عُمَرُ عَلَى ٱلنَّاسِ ؛ وَقَالَ : إِنَّ رَسُولَ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَمُتْ ، وَلَيُرْجِعَنَّهُ ٱللهُ عَزَّ وَجَلَّ ، وَلَيُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَ وَأَرْجُلَ رِجَالٍ مِنَ

---

(١) أي : صوت البكاء .

(٢) أي : غُطِّيَ .

ٱلْمُنَافِقِينَ يَتَمَنَّوْنَ لِرَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ٱلْمَوْتَ ، إِنَّمَا وَاعَدَهُ ٱللهُ عَزَّ وَجَلَّ كَمَا وَاعَدَ مُوسَىٰ ؛ وَهُوَ آتِيكُمْ .

وَفِي رِوَايَةٍ أَنَّهُ قَالَ : يَا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ ؛ كُفُّوا أَلْسِنَتَكُمْ عَنْ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ فَإِنَّهُ لَمْ يَمُتْ ، وَٱللهِ لَا أَسْمَعُ أَحَداً يَذْكُرُ أَنَّ رَسُولَ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ مَاتَ . . إِلَّا عَلَوْتُهُ بِسَيْفِي هَـٰذَا .

وَأَمَّا عَلِيٌّ : فَإِنَّهُ أُقْعِدَ فَلَمْ يَبْرَحْ فِي ٱلْبَيْتِ .

وَأَمَّا عُثْمَانُ : فَجَعَلَ لَا يُكَلِّمُ أَحَداً ؛ يُؤْخَذُ بِيَدِهِ فَيُجَاءُ بِهِ ، وَيُذْهَبُ بِهِ .

وَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ فِي مِثْلِ حَالِ أَبِي بَكْرٍ وَٱلْعَبَّاسِ ، فَإِنَّ ٱللهَ عَزَّ وَجَلَّ أَيَّدَهُمَا بِٱلتَّوْفِيقِ وَٱلسَّدَادِ ، وَإِنْ كَانَ ٱلنَّاسُ لَمْ يَرْعَوُوا إِلَّا بِقَوْلِ أَبِي بَكْرٍ ، حَتَّىٰ جَاءَ ٱلْعَبَّاسُ فَقَالَ : وَٱللهِ ٱلَّذِي لَا إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ؛ لَقَدْ ذَاقَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ٱلْمَوْتَ ، وَلَقَدْ قَالَ ٱللهُ لَهُ وَهُوَ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ : ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ۞ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴾ [الزمر : ٣٠-٣١] .

وَبَلَغَ أَبَا بَكْرٍ ٱلْخَبَرُ ـ وَهُوَ فِي بَنِي ٱلْحَارِثِ بْنِ ٱلْخَزْرَجِ ـ فَجَاءَ ، وَدَخَلَ عَلَىٰ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَنَظَرَ إِلَيْهِ ، ثُمَّ أَكَبَّ عَلَيْهِ ، فَقَبَّلَهُ ، ثُمَّ قَالَ : بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ ٱللهِ ؛ مَا كَانَ ٱللهُ لِيُذِيقَكَ ٱلْمَوْتَ مَرَّتَيْنِ ، فَقَدْ ـ وَٱللهِ ـ تُوُفِّيَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

ثُمَّ خَرَجَ إِلَى ٱلنَّاسِ فَقَالَ : أَيُّهَا ٱلنَّاسُ ؛ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ مُحَمَّداً فَإِنَّ مُحَمَّداً قَدْ مَاتَ ، وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ رَبَّ مُحَمَّدٍ فَإِنَّهُ حَيٌّ لَا يَمُوتُ . قَالَ ٱللهُ

تَعَالَىٰ : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ [آل عمران : ١٤٤] .

فَكَأَنَّ ٱلنَّاسَ لَمْ يَسْمَعُوا هَٰذِهِ ٱلْآيَةَ إِلَّا يَوْمَئِذٍ .

وَفِي رِوَايَةٍ : أَنَّ أَبَا بَكْرٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ لَمَّا بَلَغَهُ ٱلْخَبَرُ . . دَخَلَ بَيْتَ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يُصَلِّي عَلَى ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَيْنَاهُ تَهْمُلَانِ ، وَغُصَصُهُ تَرْتَفِعُ كَقَصْعِ ٱلْجِرَّةِ .

وَ(ٱلْجِرَّةُ ـ بِٱلْكَسْرِ ـ) : مَا تُخْرِجُهُ ٱلْإِبِلُ مِنْ كُرُوشِهَا ، فَتَجْتَرُّهُ .

وَ(قَصْعُهَا) : إِخْرَاجُهَا مُسْتَقِيمَةً مِنْ غَيْرِ تَقْطِيعٍ وَشِدَّةِ مَضْغٍ .

وَهُوَ فِي ذَلِكَ[١] جَلْدُ ٱلْفِعْلِ وَٱلْمَقَالِ ، فَأَكَبَّ عَلَيْهِ ، فَكَشَفَ عَنْ وَجْهِهِ ، وَقَبَّلَ جَبِينَهُ وَخَدَّيْهِ ، وَمَسَحَ وَجْهَهُ وَجَعَلَ يَبْكِي وَيَقُولُ :

بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي وَنَفْسِي وَأَهْلِي ، طِبْتَ حَيّاً وَمَيْتاً ، ٱنْقَطَعَ لِمَوْتِكَ مَا لَمْ يَنْقَطِعْ لِمَوْتِ أَحَدٍ مِنَ ٱلْأَنْبِيَاءِ ، فَعَظُمْتَ عَنِ ٱلصِّفَةِ ، وَجُلِلْتَ عَنِ ٱلْبُكَاءِ ، وَخُصِّصْتَ حَتَّىٰ صِرْتَ مَسْلَاةً[٢] ، وَعُمِّمْتَ حَتَّىٰ صِرْنَا فِيكَ سَوَاءً ، وَلَوْلَا أَنَّ مَوْتَكَ كَانَ ٱخْتِيَاراً مِنْكَ ؛ لَجُدْنَا لِحُزْنِكَ بِٱلنُّفُوسِ ، وَلَوْلَا أَنَّكَ نَهَيْتَ عَنِ ٱلْبُكَاءِ ؛ لَأَنْفَدْنَا عَلَيْكَ مَاءَ ٱلْعُيُونِ[٣] .

فَأَمَّا مَا لَا نَسْتَطِيعُ نَفْيَهُ عَنَّا . . فَكَمَدٌ وَٱدِّكَارٌ مُحَالِفَانِ لَا يَبْرَحَانِ ، ٱللَّهُمَّ

---

(١) في نسخة : (وهو مع ذلك) .

(٢) أي : بحيث يتسلَّوْن بك أي : يروّحون بك عن نفوسهم .

(٣) في نسخة : (ماء الشُّؤون) ؛ وكلاهما بمعنىً .

فَأَبْلِغْهُ عَنَّا ، اُذْكُرْنَا يَا مُحَمَّدُ ـ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْكَ ـ عِنْدَ رَبِّكَ ، وَلْنَكُنْ مِنْ بَالِكَ ، فَلَوْلَا مَا خَلَّفْتَ مِنَ ٱلسَّكِينَةِ . . لَمْ يَقُمْ أَحَدٌ لِمَا خَلَّفْتَ مِنَ ٱلْوَحْشَةِ ، اَللّٰهُمَّ أَبْلِغْ نَبِيَّكَ عَنَّا ، وَٱحْفَظْهُ فِينَا .

وَعَنِ ٱبْنِ عُمَرَ [رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُمَا] أَنَّه لَمَّا دَخَلَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ ٱلْبَيْتَ وَصَلَّىٰ وَأَثْنَىٰ . . عَجَّ أَهْلُ ٱلْبَيْتِ عَجِيجاً سَمِعَهُ أَهْلُ ٱلْمُصَلَّىٰ ؛ كُلَّمَا ذَكَرَ شَيْئاً . . ٱزْدَادُوا ، فَمَا سَكَّنَ عَجِيجَهُمْ إِلَّا تَسْلِيمُ رَجُلٍ عَلَى ٱلْبَابِ صَيِّتٍ جَلِدٍ ؛ قَالَ : ٱلسَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ [آل عمران : ١٨٥] .

إِنَّ فِي ٱللهِ خَلَفاً مِنْ كُلِّ أَحَدٍ ، وَدَرَكاً لِكُلِّ رَغْبَةٍ ، وَنَجْدَةً مِنْ كُلِّ مَخَافَةٍ ، فَٱللهَ فَٱرْجُوا ، وَبِهِ فَثِقُوا ، فَٱستَمَعُوا لَهُ وَأَنْكَرُوهُ ، وَقَطَعُوا ٱلْبُكَاءَ ، فَلَمَّا ٱنْقَطَعَ ٱلْبُكَاءُ . . فُقِدَ صَوْتُهُ ؛ فَٱطَّلَعَ أَحَدُهُمْ فَلَمْ يَرَ أَحَداً ، ثُمَّ عَادُوا فَبَكَوْا ، فَنَادَاهُمْ مُنَادٍ آخَرُ ، لَا يَعْرِفُونَ صَوْتَهُ : يَا أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ؛ اُذْكُرُوا ٱللهَ ، وَٱحْمَدُوهُ عَلَىٰ كُلِّ حَالٍ . . تَكُونُوا مِنَ ٱلْمُخْلِصِينَ ، إِنَّ فِي ٱللهِ عَزَاءً مِنْ كُلِّ مُصِيبَةٍ ، وَعِوَضاً مِنْ كُلِّ رَغِيبَةٍ ، فَٱللهَ فَأَطِيعُوا ، وَبِأَمْرِهِ فَٱعْمَلُوا .

فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : هَـٰذَا ٱلْخَضِرُ وَٱلْيَسَعُ عَلَيْهِمَا ٱلسَّلَامُ ؛ قَدْ حَضَرَا ٱلنَّبِيَّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وَٱسْتَوْفَى ٱلْقَعْقَاعُ بْنُ عَمْرٍو [رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ] حِكَايَةَ خُطْبَةِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ فَقَالَ : قَامَ أَبُو بَكْرٍ فِي ٱلنَّاسِ خَطِيباً حَيْثُ قَضَى ٱلنَّاسُ

عَبَرَاتِهِمْ بِخُطْبَةٍ جُلُّهَا ٱلصَّلَاةُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَحَمِدَ ٱللهَ ، وَأَثْنَىٰ عَلَيْهِ عَلَىٰ كُلِّ حَالٍ ، وَقَالَ :

أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللهُ وَحْدَهُ ، صَدَقَ وَعْدَهُ ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ ، وَغَلَبَ ٱلْأَحْزَابَ وَحْدَهُ ، فَلِلّٰهِ ٱلْحَمْدُ وَحْدَهُ .

وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، وَخَاتَمُ أَنْبِيَائِهِ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ ٱلْكِتَابَ كَمَا نَزَلَ ، وَأَنَّ ٱلدِّينَ كَمَا شَرَعَ ، وَأَنَّ ٱلْحَدِيثَ كَمَا حَدَّثَ ، وَأَنَّ ٱلْقَوْلَ كَمَا قَالَ ، وَأَنَّ ٱللهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ .

اَللّٰهُمَّ ؛ فَصَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ ، وَرَسُولِكَ ، وَنَبِيِّكَ ، وَحَبِيبِكَ ، وَأَمِينِكَ وَخِيرَتِكَ ، وَصَفْوَتِكَ . . بِأَفْضَلَ مَا صَلَّيْتَ بِهِ عَلَىٰ أَحَدٍ مِنْ خَلْقِكَ .

اَللّٰهُمَّ ؛ وَٱجْعَلْ صَلَوَاتِكَ ، وَمُعَافَاتَكَ ، وَرَحْمَتَكَ ، وَبَرَكَاتِكَ . . عَلَىٰ سَيِّدِ ٱلْمُرْسَلِينَ ، وَخَاتَمِ ٱلنَّبِيِّينَ وَإِمَامِ ٱلْمُتَّقِينَ ، مُحَمَّدٍ قَائِدِ ٱلْخَيْرِ ، وَإِمَامِ ٱلْخَيْرِ ، وَرَسُولِ ٱلرَّحْمَةِ .

اَللّٰهُمَّ ؛ قَرِّبْ زُلْفَتَهُ ، وَعَظِّمْ بُرْهَانَهُ ، وَكَرِّمْ مَقَامَهُ ، وَٱبْعَثْهُ مَقَاماً مَحْمُوداً يَغْبِطُهُ بِهِ ٱلْأَوَّلُونَ وَٱلْآخِرُونَ ، وَٱنْفَعْنَا بِمَقَامِهِ ٱلْمَحْمُودِ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ ، وَٱخْلُفْهُ فِينَا فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ ، وَبَلِّغْهُ ٱلدَّرَجَةَ وَٱلْوَسِيلَةَ فِي ٱلْجَنَّةِ .

اَللّٰهُمَّ ؛ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ ، وَعَلَىٰ آلِ مُحَمَّدٍ ، وَبَارِكْ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ ، وَعَلَىٰ آلِ مُحَمَّدٍ ، كَمَا صَلَّيْتَ وَبَارَكْتَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ؛ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ .

يَا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ ؛ إِنَّهُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ مُحَمَّداً . . فَإِنَّ مُحَمَّداً قَدْ مَاتَ ، وَمَنْ

كَانَ يَعْبُدُ ٱللهَ . . فَإِنَّ ٱللهَ حَيٌّ لَمْ يَمُتْ ، وَإِنَّ ٱللهَ قَدْ تَقَدَّمَ إِلَيْكُمْ فِي أَمْرِهِ فَلَا تَدَعُوهُ جَزَعاً ؛ فَإِنَّ ٱللهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدِ ٱخْتَارَ لِنَبِيِّهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا عِنْدَهُ عَلَىٰ مَا عِنْدَكُمْ ، وَقَبَضَهُ إِلَىٰ ثَوَابِهِ ، وَخَلَّفَ فِيكُمْ كِتَابَهُ وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَمَنْ أَخَذَ بِهِمَا . . عَرَفَ ، وَمَنْ فَرَّقَ بَيْنَهُمَا . . أَنْكَرَ .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ ﴾ [النساء : ١٣٥] .

وَلَا يَشْغَلَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَانُ بِمَوْتِ نَبِيِّكُمْ ، وَلَا يَفْتِنَنَّكُمْ عَنْ دِينِكُمْ ، وَعَاجِلُوا ٱلشَّيْطَانَ بِٱلْخَيْرِ تُعْجِزُوهُ ، وَلَا تَسْتَنْظِرُوهُ فَيَلْحَقَ بِكُمْ وَيَفْتِنَكُمْ .

وَقَالَ ٱبْنُ عَبَّاسٍ : لَمَّا فَرَغَ أَبو بَكْرٍ مِنْ خُطْبَتِهِ . . قَالَ :

يَا عُمَرُ ؛ أَنْتَ ٱلَّذِي بَلَغَنِي أَنَّكَ تَقُولُ : (مَا مَاتَ نَبِيُّ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟!) أَمَا تَرَىٰ أَنَّ نَبِيَّ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ يَوْمَ كَذَا : كَذَا وَكَذَا ، وَيَوْمَ كَذَا : كَذَا وَكَذَا ، وَقَالَ ٱللهُ تَعَالَىٰ فِي كِتَابِهِ : ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾ [الزمر : ٣٠] .

فَقَالَ : وَٱللهِ ؛ لَكَأَنِّي لَمْ أَسْمَعْ بِهَا فِي كِتَابِ ٱللهِ قَبْلَ ٱلْآنَ لِمَا نَزَلَ بِنَا ، أَشْهَدُ أَنَّ ٱلْكِتَابَ كَمَا نَزَلَ ، وَأَنَّ ٱلْحَدِيثَ كَمَا حَدَّثَ ، وَأَنَّ ٱللهَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ ، إِنَّا لِلهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ، وَصَلَوَاتُ ٱللهِ عَلَىٰ رَسُولِهِ ، وَعِنْدَ ٱللهِ نَحْتَسِبُ رَسُولَهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

ثُمَّ جَلَسَ إِلَىٰ أَبِي بَكْرٍ .

وَقَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا : لَمَّا ٱجْتَمَعُوا لِغَسْلِهِ . . قَالُوا : وَٱللهِ مَا نَدْرِي كَيْفَ نُغَسِّلُ رَسُولَ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ أَنُجَرِّدُهُ عَنْ ثِيَابِهِ كَمَا نَصْنَعُ بِمَوْتَانَا ، أَمْ نُغَسِّلُهُ فِي ثِيَابِهِ ؟

قَالَتْ : فَأَرْسَلَ ٱللهُ عَلَيْهِمُ ٱلنَّوْمَ حَتَّىٰ مَا بَقِيَ مِنْهُمْ رَجُلٌ إِلَّا وَاضِعٌ لِحْيَتَهُ عَلَىٰ صَدْرِهِ نَائِماً ، ثُمَّ قَالَ قَائِلٌ لَا يُدْرَىٰ مَنْ هُوَ : غَسِّلُوا رَسُولَ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَيْهِ ثِيَابُهُ ؛ فَٱنْتَبَهُوا ، فَفَعَلُوا ذَٰلِكَ ، فَغُسِّلَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي قَمِيصِهِ ؛ حَتَّىٰ إِذَا فَرَغُوا مِنْ غَسْلِهِ . . كُفِّنَ .

وَقَالَ عَلِيٌّ كَرَّمَ ٱللهُ وَجْهَهُ : أَرَدْنَا خَلْعَ قَمِيصِهِ فَنُودِينَا : لَا تَخْلَعُوا عَنْ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثِيَابَهُ ، فَأَقْرَرْنَاهُ ، فَغَسَّلْنَاهُ فِي قَمِيصِهِ كَمَا نُغَسِّلُ مَوْتَانَا مُسْتَلْقِياً ، مَا نَشَاءُ أَنْ يُقْلَبَ لَنَا مِنْهُ عُضْوٌ لَمْ يُبَالَغْ فِيهِ . . إِلَّا قُلِبَ لَنَا حَتَّىٰ نَفْرُغَ مِنْهُ ، وَإِنَّ مَعَنَا لَحَفِيفاً فِي ٱلْبَيْتِ كَٱلرِّيحِ ٱلرُّخَاءِ ، وَيُصَوِّتُ بِنَا : أُرْفُقُوا بِرَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ فَإِنَّكُمْ سَتُكْفَوْنَ .

فَهَـٰكَذَا كَانَتْ وَفَاةُ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَلَمْ يَتْرُكْ سَبَداً وَلَا لَبَداً[1] إِلَّا دُفِنَ مَعَهُ .

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ : فُرِشَ لَحْدُهُ بِمِفْرَشِهِ وَقَطِيفَتِهِ ، وَفُرِشَتْ ثِيَابُهُ ٱلَّتِي كَانَ يَلْبَسُ يَقْظَانَ عَلَى ٱلْقَطِيفَةِ وَٱلْمِفْرَشِ ، ثُمَّ وُضِعَ عَلَيْهَا فِي أَكْفَانِهِ .

فَلَمْ يَتْرُكْ بَعْدَ وَفَاتِهِ مَالاً ، وَلَا بَنَىٰ فِي حَيَاتِهِ لَبِنَةً عَلَىٰ لَبِنَةٍ ، وَلَا وَضَعَ قَصَبَةً عَلَىٰ قَصَبَةٍ ؛ فَفِي وَفَاتِهِ عِبْرَةٌ تَامَّةٌ ، وَلِلْمُسْلِمِينَ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ) اهـ

وَعَنِ ٱبْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُمَا : أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ

---

(١) **السَّبَد** : القليل من الشعر . **واللَّبد** : الصّوف . والمراد : أنه صلَّى ٱلله عليه وسلَّم لم يترك من المال قليلاً ولا كثيراً .

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « مَنْ كَانَ لَهُ فَرَطَانِ مِنْ أُمَّتِي . . أَدْخَلَهُ ٱللهُ تَعَالَىٰ بِهِمَا ٱلْجَنَّةَ » ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْها : فَمَنْ كَانَ لَهُ فَرَطٌ مِنْ أُمَّتِكَ؟ قَال : « ومَنْ كَانَ لَهُ فَرَطٌ يَا مُوَفَّقَةُ » ، قَالَتْ : فَمَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ فَرَطٌ مِنْ أُمَّتِكَ؟ قَالَ : « فَأَنَا فَرَطٌ لِأُمَّتِي ، لَنْ يُصَابُوا بِمِثْلِي » .

وَ(ٱلْفَرَطُ ـ فِي ٱلْأَصْلِ ـ) : ٱلسَّابِقُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُسَافِرِينَ لِيُهَيِّئَ لَهُمُ ٱلْماءَ وَٱلْكَلأَ وَمَا يَحْتَاجُونَهُ ، وَٱلْمُرَادُ بِهِ هُنَا : ٱلصَّغِيرُ ٱلَّذِي يَمُوتُ قَبْلَ أَحَدِ أَبَوَيْهِ ؛ فَإِنَّهُ يُشْبِهُهُ فِي تَهْيِئَةِ مَا يُحْتَاجُ إِلَيْهِ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ مِنَ ٱلْمَصَالِحِ .

وعَنْ عَمْرِو بْنِ ٱلْحَارِثِ ـ أَخِي جُوَيْرِيَةَ أُمِّ ٱلْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُمَا ـ قَالَ : مَا تَرَكَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا سِلاحَهُ وَبَغْلَتَهُ وَأَرْضاً جَعَلَهَا صَدَقَةً .

وَرَوَىٰ كَثِيرٌ مِنَ ٱلصَّحَابَةِ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُمْ قَوْلَ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « نَحْنُ مَعَاشِرَ ٱلْأَنْبِيَاءِ لَا نُورَثُ ؛ مَا تَرَكْنَاهُ صَدَقَةٌ » .

* * *

الفَصْلُ الثَّالِثُ

في رؤيته صلى الله عليه وسلم في المنام

عَنْ عَبْدِ ٱللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُمَا : عَنِ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « مَنْ رَآنِي فِي ٱلْمَنَامِ . . فَقَدْ رَآنِي ، فَإِنَّ ٱلشَّيْطَانَ لَا يَتَمَثَّلُ بِي » .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ رَآنِي فِي ٱلْمَنَامِ . . فَقَدْ رَآنِي ، فَإِنَّ ٱلشَّيْطَانَ لَا يَتَصَوَّرُ ـ أَوْ قَالَ لَا يَتَشَبَّهُ ـ بِي » .

وَعَنْ يَزِيدَ ٱلْفَارِسِيِّ [رَحِمَهُ ٱللهُ تَعَالَىٰ] ـ وَكَانَ يَكْتُبُ ٱلْمَصَاحِفَ ـ قَالَ : رَأَيْتُ ٱلنَّبِيَّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي ٱلْمَنَامِ زَمَنَ ٱبْنِ عَبَّاسٍ ، فَقُلْتُ لِابْنِ عَبَّاسٍ : إِنِّي رَأَيْتُ رَسُولَ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي ٱلنَّوْمِ ، فَقَالَ ٱبْنُ عَبَّاسٍ : إِنَّ رَسُولَ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ : « إِنَّ ٱلشَّيْطَانَ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَتَشَبَّهَ بِي ، فَمَنْ رَآنِي فِي ٱلنَّوْمِ . . فَقَدْ رَآنِي » ، هَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَنْعَتَ هَـٰذَا ٱلرَّجُلَ ٱلَّذِي رَأَيْتَهُ فِي ٱلنَّوْمِ ؟

قَالَ : نَعَمْ ، أَنْعتُ لَكَ رَجُلاً بَيْنَ ٱلرَّجُلَيْنِ ؛ جِسْمُهُ وَلَحْمُهُ أَسْمَرُ إِلَىٰ ٱلْبَيَاضِ ، أَكْحَلُ ٱلْعَيْنَيْنِ ، حَسَنُ ٱلضَّحِكِ ، جَمِيلُ دَوَائِرِ ٱلْوَجْهِ ، قَدْ مَلأَتْ لِحْيَتُهُ مَا بَيْنَ هَـٰذِهِ إِلَىٰ هَـٰذِهِ ؛ قَدْ مَلأَتْ نَحْرَهُ .

فَقَالَ ٱبْنُ عَبَّاسٍ : لَوْ رَأَيْتَهُ فِي ٱلْيَقَظَةِ . . مَا ٱسْتَطَعْتَ أَنْ تَنْعَتَهُ فَوْقَ هَـٰذَا .

وَعَنْ أَبِي قَتَادَةَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ رَآنِي ـ يَعْنِي فِي ٱلنَّوْمِ ـ فَقَدْ رَأَى ٱلْحَقَّ » .

وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ رَآنِي فِي ٱلْمَنَامِ . فَقَدْ رَآنِي ، فَإِنَّ ٱلشَّيْطَانَ لَا يَتَخَيَّلُ بِي » .

قَالَ : « وَرُؤْيَا ٱلْمُؤْمِنِ جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءاً مِنَ ٱلنُّبُوَّةِ » .

وَقَوْلُهُ [صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ] : (مَنْ رَآنِي فِي ٱلْمَنَامِ فَقَدْ رَآنِي) قَالَ ٱلْبَاجُورِيُّ : أَيْ : مَنْ رَآنِي فِي حَالِ ٱلنَّوْمِ . فَقَدْ رَآنِي حَقّاً ، أَوْ . . فَكَأَنَّمَا رَآنِي فِي ٱلْيَقَظَةِ .

فَهُوَ عَلَى ٱلتَّشْبِيهِ وَٱلتَّمْثِيلِ ؛ وَلَيْسَ ٱلْمُرَادُ رُؤْيَةَ جِسْمِهِ ٱلشَّرِيفِ وَشَخْصِهِ ٱلْمُنِيفِ ، بَلْ مِثَالُهُ عَلَى ٱلتَّحْقِيقِ .

وقَوْلُهُ [صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ] : (فَإِنَّ ٱلشَّيْطَانَ لَا يَتَمَثَّلُ بِي) أَيْ : لَا يَسْتَطِيعُ ذَلِكَ ؛ لِأَنَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ جَعَلَهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَحْفُوظاً مِنَ ٱلشَّيْطَانِ فِي ٱلْخَارِجِ ، فَكَذَلِكَ فِي ٱلْمَنَامِ ، سَوَاءٌ رَآهُ عَلَىٰ صِفَتِهِ ٱلْمَعْرُوفَةِ أَوْ غَيْرِهَا عَلَى ٱلْمَنْقُولِ ٱلْمَقْبُولِ عِنْدَ ذَوِي ٱلْعُقُولِ ، وَإِنَّمَا ذَلِكَ يَخْتَلِفُ بِٱخْتِلَافِ حَالِ ٱلرَّائِي ، كَٱلْمِرْآةِ ٱلصَّقِيلَةِ يَنْطَبِعُ فِيها مَا يُقَابِلُهَا ؛ فَقَدْ رَآهُ[1] جَمْعٌ بِأَوْصَافٍ مُخْتَلِفَةٍ ، ومِثْلُهُ فِي ذَلِكَ جَمِيعُ ٱلْأَنْبِيَاءِ وَٱلْمَلَائِكَةِ . كَمَا جَزَمَ بِهِ ٱلْبَغَوِيُّ فِي « شَرْحِ ٱلسُّنَّةِ » .

وَكَذَلِكَ حُكْمُ ٱلْقَمَرَيْنِ وَٱلنُّجُومِ وَٱلسَّحَابِ ٱلَّذِي يَنْزِلُ فِيهِ ٱلْغَيْثُ ، فَلَا يَتَمَثَّلُ ٱلشَّيْطَانُ بِشَيْءٍ مِنْهَا .

---

(١) في نسخة : وقد يراه .

وَنَقَلَ ٱبْنُ عَلَّانٍ : إِنَّ ٱلشَّيْطَانَ لَا يَتَمَثَّلُ بِٱللهِ تَعَالَىٰ كَمَا لَا يَتَمَثَّلُ بِٱلْأَنْبِيَاءِ ، وَهَـٰذَا هُوَ قَوْلُ ٱلْجُمْهُورِ .

وَقَالَ بَعْضُهُمْ : يَتَمَثَّلُ بِٱللهِ ، فَإِنْ قِيلَ : كَيْفَ لَا يَتَمَثَّلُ بِٱلنَّبِيِّ وَيَتَمَثَّلُ بِٱللهِ عَلَىٰ هَـٰذَا ٱلْقَوْلِ؟

أُجِيبَ : بِأَنَّ ٱلنَّبِيَّ بَشَرٌ ، فَلَوْ تَمَثَّلَ بِهِ لَٱلْتَبَسَ ٱلْأَمْرُ ، وَٱلْبَارِي جَلَّ وَعَلاَ مُنَزَّهٌ عَنِ ٱلْجِسْمِيَّةِ وَٱلْعَرَضِيَّةِ ؛ فَلَا يَلْتَبِسُ ٱلْأَمْرُ بِتَمَثُّلِهِ بِهِ ؛ كَمَا فِي « دُرَّةِ ٱلْفُنُونِ فِي رُؤْيَةِ قُرَّةِ ٱلْعُيُونِ »[1] .

وَلَا تَخْتَصُّ رُؤْيَةُ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِٱلصَّالِحِينَ ، بَلْ تَكُونُ لَهُمْ وَلِغَيْرِهِمْ .

وَحُكِيَ عَنْ بَعْضِ ٱلْعَارِفِينَ ـ كَٱلشَّيْخِ ٱلشَّاذِلِيِّ وَسَيِّدِي عَلِيّ وَفَا ـ : أَنَّهُمْ رَأَوْهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقَظَةً ، وَلَا مَانِعَ مِنْ ذَلِكَ ، فَيُكْشَفُ لَهُمْ عَنْهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي قَبْرِهِ ، فَيَرَوْهُ بِعَيْنِ ٱلْبَصِيرَةِ ، وَلَا أَثَرَ لِلْقُرْبِ ؛ وَلَا لِلْبُعْدِ فِي ذَلِكَ ، فَمِنْ كَرَامَاتِ ٱلْأَوْلِيَاءِ : خَرْقُ ٱلْحُجُبِ لَهُمْ ، فَلَا مَانِعَ عَقْلاً وَلَا شَرْعاً أَنَّ ٱللهَ تَعَالَىٰ يُكْرِمُ وَلِيَّهُ ؛ بِأَنْ لَا يَجْعَلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ ٱلذَّاتِ ٱلشَّرِيفَةِ سَاتِراً وَلَا حَاجِباً) اهـ

وَقَدْ بَسَطْتُ ٱلْكَلَامَ عَلَىٰ رُؤْيَةِ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي كِتَابِي « أَفْضَلُ ٱلصَّلَوَاتِ عَلَىٰ سَيِّدِ ٱلسَّادَاتِ » فَمَنْ شَاءَ ٱلزِّيَادَةَ فَلْيَرْجِعْ إِلَيْهِ .

* * *

---

(١) كتاب مختصر في الرؤية ؛ للشيخ العلامة المؤرخ عبد الرحمن بن علي البسطامي الحنفي المتوفىٰ سنة (٨٥٨هـ) .

الخَاتِمَةُ

الخاتمة

تَشْتَمِلُ عَلَىٰ سَبْعِينَ حَدِيثاً ، أَكْثَرُهَا صِحَاحٌ وحِسَانٌ مِنْ أَدْعِيَتِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وَقَدْ ذَكَرْتُ فِي ٱلْخُطْبَةِ أَنَّهَا خَمْسُونَ ، وَظَهَرَتْ لِيَ ٱلزِّيَادَةُ بَعْدُ فَزِدْتُهَا ، وَذَكَرْتُ أَسْمَاءَ مُخَرِّجِيهَا بِرَمْزِ « ٱلْجَامِعِ ٱلصَّغِيرِ » ؛ لِأَنَّ أَكْثَرَهَا مَوْجُودَةٌ فِيهِ ، وَفِي « كِتَابِ ٱلْمَصَابِيحِ » .

وَقَدْ قَسَمْتُهَا قِسْمَيْنِ :

ٱلْأَوَّلُ : اِسْتِعَاذَاتٌ . **وَٱلثَّانِي** : دَعَوَاتٌ . مُعْتَبِراً أَوَّلَ ٱلْحَدِيثِ : إِنْ كَانَ ٱسْتِعَاذَةً . . جَعَلْتُهُ فِي ٱلْقِسْمِ ٱلْأَوَّلِ ، وإِنْ كَانَ دُعَاءً . . جَعَلْتُهُ فِي ٱلْقِسْمِ ٱلثَّانِي ، واْفْتَتَحْتُهَا بِٱلدَّعَوَاتِ ٱلْقُرْآنِيَّةِ ؛ لأَنَّهَا كَلَامُ ٱللهِ تَعَالَىٰ .

وَتَقَدَّمَ أَنَّهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ خُلُقُهُ ٱلْقُرْآنَ ، وَهِيَ خَارِجَةٌ عَنِ ٱلْعَدَدِ ٱلْمَذْكُورِ .

﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [البقرة : ١٢٧] .

﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ [البقرة : ٢٠١] .

﴿ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة : ٢٥٠] .

﴿ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ [البقرة : ٢٨٥] .

﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ [البقرة : ٢٨٦] .

﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴾ [آل عمران : ٨] .

﴿ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ [آل عمران : ١٦] .

﴿ رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾ [آل عمران : ٥٣] .

﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ [آل عمران : ١٤٧] .

﴿ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ [آل عمران : ١٩١] .

﴿ رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ ﴾ [آل عمران : ١٩٣] .

﴿ رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴾ [آل عمران : ١٩٤] .

﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [الأعراف : ٢٣] .

﴿ رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ﴾ [الأعراف : ٨٩] .

﴿ رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَتَوَفَّنَا مُسۡلِمِينَ﴾ [الأعراف : ١٢٦] .

﴿ رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا فِتۡنَةٗ لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝ وَنَجِّنَا بِرَحۡمَتِكَ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [يونس : ٨٥ـ٨٦] .

﴿ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنۡ أَسۡـَٔلَكَ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞۖ وَإِلَّا تَغۡفِرۡ لِي وَتَرۡحَمۡنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ [هود : ٤٧] .

﴿ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ تَوَفَّنِي مُسۡلِمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [يوسف : ١٠١] .

﴿ رَبِّ ٱجۡعَلۡنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِيۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلۡ دُعَآءِ ۝ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡحِسَابُ﴾ [إبراهيم : ٤٠ـ٤١] .

﴿ رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ ﴾ [نوح : ٢٨] . و﴿ رَبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا ﴾ [الإسراء : ٢٤] .

﴿ رَبِّ أَدۡخِلۡنِي مُدۡخَلَ صِدۡقٖ وَأَخۡرِجۡنِي مُخۡرَجَ صِدۡقٖ وَٱجۡعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلۡطَٰنٗا نَّصِيرٗا﴾ [الإسراء : ٨٠] .

﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةٗ وَهَيِّئۡ لَنَا مِنۡ أَمۡرِنَا رَشَدٗا﴾ [الكهف : ١٠] .

﴿ قَالَ رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي ۝ وَيَسِّرۡ لِيٓ أَمۡرِي﴾ [طه : ٢٥ـ٢٦] .

﴿ رَبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا﴾ [طه : ١١٤] .

﴿ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الأنبياء : ٨٣] .

﴿ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء : ٨٧] .

﴿ رَبِّ لَا تَذَرۡنِي فَرۡدٗا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡوَٰرِثِينَ﴾ [الأنبياء : ٨٩] .

﴿ رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ وَرَبُّنَا ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾ [الأنبياء : ١١٢] .

﴿ رَبِّ أَنزِلْنِي مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴾ [المؤمنون : ٢٩] .

﴿ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [المؤمنون : ٩٤] .

﴿ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ۞ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴾ [المؤمنون : ٩٧ـ٩٨] .

﴿ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ [المؤمنون : ١٠٩] .

﴿ رَبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ [المؤمنون : ١١٨] .

﴿ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ۞ إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴾ [الفرقان : ٦٥ـ٦٦] .

﴿ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ [الفرقان : ٧٤] .

﴿ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ۞ وَٱجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي ٱلْآخِرِينَ ﴾ [الشعراء : ٨٣ـ٨٥] .

﴿ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ۞ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۞ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ [الشعراء : ٨٧ـ٨٩] .

﴿ رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴾ [الشعراء : ١٦٩] .

﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [النمل : ١٩] .

﴿ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَٱغْفِرْ لِي ﴾ [القصص : ١٦] .

﴿ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلۡتَ إِلَيَّ مِنۡ خَيۡرٖ فَقِيرٞ ﴾ [القصص : ٢٤] .

﴿ رَبِّ ٱنصُرۡنِي عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴾ [العنكبوت : ٣٠] .

﴿ رَبِّ هَبۡ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [الصافات : ١٠٠] .

﴿ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا تَرۡضَىٰهُ وَأَصۡلِحۡ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓۖ إِنِّي تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَإِنِّي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴾ [الأحقاف : ١٥] .

﴿ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ﴾ [الحشر : ١٠] .

﴿ رَّبَّنَا عَلَيۡكَ تَوَكَّلۡنَا وَإِلَيۡكَ أَنَبۡنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ۞ رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا فِتۡنَةٗ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ وَٱغۡفِرۡ لَنَا رَبَّنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾ [الممتحنة : ٤ـ٥] .

﴿ رَبَّنَآ أَتۡمِمۡ لَنَا نُورَنَا وَٱغۡفِرۡ لَنَآۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾ [التحريم : ٨] .

﴿ رَّبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيۡتِيَ مُؤۡمِنٗا وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ﴾ [نوح : ٢٨] .

١ـ « ٱللَّهُمَّ ؛ إِنِّي أَعُوذُ بِوَجْهِكَ ٱلْكَرِيمِ وَٱسْمِكَ ٱلْعَظِيمِ ؛ مِنَ ٱلْكُفْرِ وَٱلْفَقْرِ » (طب ؛ عَنْ عَبْدِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱبْنِ أَبِي بَكْرٍ [رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُمَا]) .

٢ـ « ٱللَّهُمَّ ؛ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ ٱلْعَجْزِ وَٱلْكَسَلِ ، وَٱلْجُبْنِ وَٱلْبُخْلِ وَٱلْهَرَمِ ، وَٱلْقَسْوَةِ وَٱلْغَفْلَةِ وَٱلْعَيْلَةِ ، وَٱلذِّلَّةِ وَٱلْمَسْكَنَةِ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ ٱلْفَقْرِ وَٱلْكُفْرِ ، وَٱلْفُسُوقِ وَٱلشِّقَاقِ ، وَٱلنِّفَاقِ وَٱلسُّمْعَةِ وَٱلرِّيَاءِ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ ٱلصَّمَمِ وَٱلْبَكَمِ وَٱلْجُنُونِ وَٱلْجُذَامِ ، وَٱلْبَرَصِ وَسَيِّءِ ٱلْأَسْقَامِ » . (ك ، هق ؛ عَنْ أَنَسٍ [رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ]) .

٣ـ « ٱللَّٰهُمَّ ؛ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ ، وَقَلْبٍ لَا يَخْشَعُ ، وَدُعَاءٍ لَا يُسْمَعُ ، وَنَفْسٍ لَا تَشْبَعُ ، ومِنَ ٱلْجُوعِ فَإِنَّهُ بِئْسَ ٱلضَّجِيعُ ، وَمِنَ ٱلْخِيَانَةِ فَإِنَّهَا بِئْسَتِ ٱلْبِطَانَةُ ، وَمِنَ ٱلْكَسَلِ وَٱلْبُخْلِ وَٱلْجُبْنِ ، وَمِنَ ٱلْهَرَمِ ، وَأَنْ أُرَدَّ إِلَىٰ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ ، وَمِنْ فِتْنَةِ ٱلدَّجَّالِ وَعَذَابِ ٱلْقَبْرِ ، وَمِنْ فِتْنَةِ ٱلْمَحْيَا وَٱلْمَمَاتِ .

ٱللَّٰهُمَّ ؛ إِنَّا نَسْأَلُكَ قُلُوباً أَوَّاهَةً مُخْبِتَةً مُنِيبَةً فِي سَبِيلِكَ .

ٱللَّٰهُمَّ ؛ إِنَّا نَسْأَلُكَ عَزَائِمَ مَغْفِرَتِكَ وَمُنْجِيَاتِ أَمْرِكَ ، وَٱلسَّلَامَةَ مِنْ كُلِّ إِثْمٍ ، وٱلْغَنِيمَةَ مِنْ كُلِّ بِرٍّ ، وَٱلْفَوْزَ بِٱلْجَنَّةِ ، وَٱلنَّجَاةَ مِنَ ٱلنَّارِ » . (ك ؛ عَنْ ٱبْنِ مَسعُودٍ [رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ]) .

٤ ـ « ٱللَّٰهُمَّ ؛ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ ٱلْكَسَلِ وَٱلْهَرَمِ ، وَٱلْمَأْثَمِ وَٱلْمَغْرَمِ ، ومِنْ فِتْنَةِ ٱلْقَبْرِ وَعَذَابِ ٱلْقَبْرِ ، وَمِنْ فِتْنَةِ ٱلنَّارِ وَعَذَابِ ٱلنَّارِ ، ومِنْ شَرِّ فِتْنَةِ ٱلْغِنَىٰ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ ٱلْفَقْرِ ، وَمِنْ فِتْنَةِ ٱلْمَسِيحِ ٱلدَّجَّالِ .

ٱللَّٰهُمَّ ؛ ٱغْسِلْ عَنِّي خَطَايَايَ بِٱلْمَاءِ وَٱلثَّلْجِ وَٱلْبَرَدِ ، وَنَقِّ قَلْبِي مِنَ ٱلْخَطَايَا كَمَا يُنَقَّى ٱلثَّوْبُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلدَّنَسِ ، وَبَاعِدْ بَيْنِي وَبَيْنَ خَطَايَايَ ؛ كَمَا بَاعَدْتَ بَيْنَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ » (ق ، ت ، ن ، ه ؛ عَنْ عَائِشَةَ [رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا]) .

٥ـ ٱللَّٰهُمَّ ؛ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ ٱلتَّرَدِّي وَٱلْهَدْمِ ، وَٱلْغَرَقِ وَٱلْحَرَقِ ، وأَعُوذُ بِكَ أَنْ يَتَخَبَّطَنِي ٱلشَّيْطَانُ عِنْدَ ٱلْمَوْتِ ، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أَمُوتَ فِي سَبِيلِكَ مُدْبِراً ، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أَمُوتَ لَدِيغاً » . (ن ، ك ؛ عَنْ أَبِي ٱلْيَسَرِ [رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ]) .

٦ـ « ٱللَّهُمَّ ؛ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ زَوَالِ نِعْمَتِكَ وَتَحَوُّلِ عَافِيَتِكَ ، وَفُجَاءَةِ نِقْمَتِكَ وَجَمِيعِ سَخَطِكَ » . (م ، د ، ت ؛ عَنِ ٱبْنِ عُمَرَ [رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُمَا]) .

٧ـ « ٱللَّهُمَّ ؛ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ مُنْكَرَاتِ ٱلْأَخْلَاقِ وَٱلْأَعْمَالِ وَٱلْأَهْوَاءِ وَٱلْأَدْوَاءِ » . (ت ، طب ؛ ك ؛ عَنْ عَمِّ زِيَاد بْنِ عِلَاقَةَ [رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ]) .

٨ـ « ٱللَّهُمَّ ؛ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ سَمْعِي ، وَمِنْ شَرِّ بَصَرِي ، وَمِنْ شَرِّ لِسَانِي ، وَمِنْ شَرِّ قَلْبِي ، وَمِنْ شَرِّ مَنِيِّي » . (د ، ك ؛ عَنْ شَكَلٍ [رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ]) .

٩ـ « ٱللَّهُمَّ ؛ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ يَوْمِ ٱلسُّوءِ ، وَمِنْ لَيْلَةِ ٱلسُّوءِ ، ومِنْ سَاعَةِ ٱلسُّوءِ ، ومِنْ صَاحِبِ ٱلسُّوءِ ، وَمِنْ جَارِ ٱلسُّوءِ فِي دَارِ ٱلْمُقَامَةِ » . (طب ؛ عَنْ عُقْبَةَ بنِ عَامِرٍ [رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ]) .

١٠ـ « ٱللَّهُمَّ ؛ إِنِّي أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ ، وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ ، أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَىٰ نَفْسِكَ » . (م ، ٤ ؛ عَنْ عائِشَةَ [رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا]) .

١١ـ « ٱللَّهُمَّ ؛ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا عَمِلْتُ ؛ وَمِنْ شَرِّ مَا لَمْ أَعْمَلْ » . (م ، د ، ن ، ه ؛ عَنْ عَائِشَةَ [رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا]) .

١٢ـ « ٱللَّهُمَّ ؛ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ ٱلْفَقْرِ وَٱلْقِلَّةِ وَٱلذِّلَّةِ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ أَظْلِمَ ، أَوْ أُظْلَمَ » . (د ، ن ، ه ، ك ؛ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ [رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ]) .

١٣ـ « ٱللَّٰهُمَّ ؛ رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ . . أَنَا شَهِيدٌ أَنَّكَ أَنْتَ ٱلرَّبُّ وَحْدَكَ لَا شَرِيكَ لَكَ .

ٱللَّٰهُمَّ ؛ رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ . . أَنَا شَهِيدٌ أَنَّ مُحَمَّداً صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ .

ٱللَّٰهُمَّ ؛ رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ . . أَنَا شَهِيدٌ أَنَّ ٱلْعِبَادَ كُلَّهُمْ إِخْوَةٌ .

ٱللَّٰهُمَّ ؛ رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ . . ٱجْعَلْنِي مُخْلِصاً لَكَ وَأَهْلِي فِي كُلِّ سَاعَةٍ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ ، يَا ذَا ٱلْجَلَالِ وَٱلْإِكْرَامِ » . (ن ، حب ؛ عَنْ أَبِي أُمَامَةَ [رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ]) .

١٤ـ « ٱللَّٰهُمَّ ؛ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَـٰهَ إِلَّا أَنْتَ ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ ، وَأَنَا عَلَىٰ عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ ، وَأَبُوءُ بِذَنْبِي ؛ فَٱغْفِرْ لِي ، فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ » . (خ ؛ عَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ [رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ]) .

١٥ـ « ٱللَّٰهُمَّ ؛ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْماً كَثِيراً وَلَا يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ . . فَٱغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ ، وَٱرْحَمْنِي إِنَّكَ أَنْتَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ » . (ق ، حم ، ٤ ؛ عَنْ أَبِي بَكْرٍ ٱلصِّدِّيقِ [رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ]) .

١٦ـ « ٱللَّٰهُمَّ ؛ ٱغْفِرْ لِي ذَنْبِي كُلَّهُ ، دِقَّهُ وَجِلَّهُ ، وَأَوَّلَهُ وَآخِرَهُ ، وَعَلَانِيَتَهُ وَسِرَّهُ » . (م ، د ؛ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ [رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ]) .

١٧ـ « ٱللَّٰهُمَّ ؛ إِنِّي أَسْأَلُكَ ٱلْعِفَّةَ وَٱلْعَافِيَةَ فِي دُنْيَايَ وَدِينِي ، وَأَهْلِي وَمَالِي .

ٱللَّهُمَّ ؛ ٱسْتُرْ عَوْرَتِي وَأَمِّنْ رَوْعَتِي ، وَٱحْفَظْنِي مِنْ بَيْنِ يَدَيَّ وَمِنْ خَلْفِي ، وَعَنْ يَمِينِي ، وَعَنْ شِمَالِي ، وَمِنْ فَوْقِي ؛ وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أُغْتَالَ مِنْ تَحْتِي » . (ٱلْبَزَّارُ ؛ عَنِ ٱبْنِ عَبَّاسٍ [رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُمَا]) .

١٨ـ « ٱللَّهُمَّ ؛ رَبَّ جِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَإِسْرَافِيلَ وَمُحَمَّدٍ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . نَعُوذُ بِكَ مِنَ ٱلنَّارِ » . (طب ، ك ؛ عَنْ وَالِدِ أَبِي ٱلْمَلِيحِ [رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ]) .

١٩ـ « ٱللَّهُمَّ ؛ إِنَّكَ لَسْتَ بِإِلَـٰهٍ ٱسْتَحْدَثْنَاهُ ، وَلَا بِرَبٍّ ٱبْتَدَعْنَاهُ ، وَلَا كَانَ لَنَا قَبْلَكَ مِنْ إِلَـٰهٍ نَلْجَأُ إِلَيْهِ وَنَذَرُكَ ، وَلَا أَعَانَكَ عَلَىٰ خَلْقِنَا أَحَدٌ فَنُشْرِكَهُ فِيكَ ؛ تَبَارَكْتَ وَتَعَالَيْتَ » . (طب ؛ عَنْ صُهَيْبٍ [رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ]) .

٢٠ـ « ٱللَّهُمَّ ؛ إِنَّكَ تَسْمَعُ كَلَامِي ، وَتَرَىٰ مَكَانِي ، وَتَعْلَمُ سِرِّي وَعَلَانِيَتِي ، لَا يَخْفَىٰ عَلَيْكَ شَيْءٌ مِنْ أَمْرِي ، وَأَنَا ٱلْبَائِسُ ٱلْفَقِيرُ ، ٱلْمُسْتَغِيثُ ٱلْمُسْتَجِيرُ ، ٱلْوَجِلُ ٱلْمُشْفِقُ ، ٱلْمُقِرُّ ٱلْمُعْتَرِفُ بِذَنْبِهِ ، أَسْأَلُكَ مَسْأَلَةَ ٱلْمِسْكِينِ ، وَأَبْتَهِلُ إِلَيْكَ ٱبْتِهَالَ ٱلْمُذْنِبِ ٱلذَّلِيلِ ، وَأَدْعُوكَ دُعَاءَ ٱلْخَائِفِ ٱلضَّرِيرِ ؛ مَنْ خَضَعَتْ لَكَ رَقَبَتُهُ ، وَفَاضَتْ لَكَ عَبْرَتُهُ ، وَذَلَّ لَكَ جِسْمُهُ ، وَرَغِمَ لَكَ أَنْفُهُ .

ٱللَّهُمَّ ؛ لَا تَجْعَلْنِي بِدُعَائِكَ شَقِيّاً ، وَكُنْ بِي رَؤُوفاً رَحِيماً ؛ يَا خَيْرَ ٱلْمَسْؤُولِينَ ، وَيَا خَيْرَ ٱلْمُعْطِينَ » . (طب ؛ عَنِ ٱبْنِ عَبَّاسٍ [رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُمَا]) .

٢١ـ « ٱللَّهُمَّ ؛ إِلَيْكَ أَشْكُو ضَعْفَ قُوَّتِي ، وَقِلَّةَ حِيلَتِي ، وَهَوَانِي عَلَىٰ ٱلنَّاسِ ، يَا أَرْحَمَ ٱلرَّاحِمِينَ .

إِلَىٰ مَنْ تَكِلُنِي؟ إِلَىٰ عَدُوٍّ يَتَجَهَّمُنِي؟! أَمْ إِلَىٰ قَرِيبٍ مَلَّكْتَهُ أَمْرِي؟!

إِنْ لَمْ تَكُنْ سَاخِطاً عَلَيَّ فَلَا أُبَالِي ، غَيْرَ أَنَّ عَافِيَتَكَ أَوْسَعُ لِي ، أَعُوذُ بِنُورِ وَجْهِكَ ٱلْكَرِيمِ ٱلَّذِي أَضَاءَتْ لَهُ ٱلسَّمَاوَاتُ وَٱلْأَرْضُ ، وَأَشْرَقَتْ لَهُ ٱلظُّلُمَاتُ ، وَصَلَحَ عَلَيْهِ أَمْرُ ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ . . أَنْ تُحِلَّ عَلَيَّ غَضَبَكَ ، أَوْ تُنْزِلَ عَلَيَّ سَخَطَكَ ، وَلَكَ ٱلْعُتْبَىٰ حَتَّىٰ تَرْضَىٰ ، وَلَا حَوْلَ وَلَاقُوَّةَ إِلَّا بِكَ » . (طب ؛ عن عَبْدِ ٱللهِ بْن جَعْفَرٍ [رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُمَا]) .

٢٢ـ « ٱللَّهُمَّ ؛ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنَ ٱلْخَيْرِ كُلِّهِ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ ؛ مَا عَلِمْتُ مِنْهُ وَمَا لَمْ أَعْلَمْ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ ٱلشَّرِّ كُلِّهِ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ ؛ مَا عَلِمْتُ مِنْهُ وَمَا لَمْ أَعْلَمْ .

ٱللَّهُمَّ ؛ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا سَأَلَكَ بِهِ عَبْدُكَ وَنَبِيُّكَ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا عَاذَ بِهِ عَبْدُكَ وَنَبِيُّكَ .

ٱللَّهُمَّ ؛ إِنِّي أَسْأَلُكَ ٱلْجَنَّةَ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ ٱلنَّارِ وَما قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ ، وَأَسْأَلُكَ أَنْ تَجْعَلَ كُلَّ قَضَاءٍ قَضَيْتَهُ لِي خَيْراً » . (ه ؛ عَنْ عَائِشَةَ [رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا]) .

٢٣ـ « ٱللَّهُمَّ ؛ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِٱسْمِكَ ٱلطَّاهِرِ ٱلطَّيِّبِ ، ٱلْمُبَارَكِ ٱلْأَحَبِّ إِلَيْكَ ، ٱلَّذِي إِذَا دُعِيتَ بِهِ . . أَجَبْتَ ، وَإِذَا سُئِلْتَ بِهِ . . أَعْطَيْتَ ، وَإِذَا ٱسْتُرْحِمْتَ بِهِ . . رَحِمْتَ ، وَإِذَا ٱسْتُفْرِجْتَ بِهِ . . فَرَّجْتَ » . (ه ؛ عَنْ عَائِشَةَ [رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا]) .

٢٤ـ « ٱللَّهُمَّ ؛ لَكَ ٱلْحَمْدُ كَٱلَّذِي نَقُولُ وَخَيْراً مِمَّا نَقُولُ ، ٱللَّهُمَّ ؛ لَكَ صَلَاتِي وَنُسُكِي ، وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي ، وَإِلَيْكَ مَآبِي ، وَلَكَ رَبِّ تُرَاثِي .

ٱللَّٰهُمَّ ؛ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ ٱلْقَبْرِ ، وَوَسْوَسَةِ ٱلصَّدْرِ ، وَشَتَاتِ ٱلْأَمْرِ .

ٱللَّٰهُمَّ ؛ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا تَجِيءُ بِهِ ٱلرِّيَاحُ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا تَجِيءُ بِهِ ٱلرِّيحُ » . (ت ، هب ؛ عَنْ عَلِيٍّ [رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ]) .

٢٥ـ « ٱللَّٰهُمَّ . . إِنِّي أَسْأَلُكَ ٱلثَّبَاتَ فِي ٱلْأَمْرِ ، وَأَسْأَلُكَ عَزِيمَةَ ٱلرُّشْدِ ، وَأَسْأَلُكَ شُكْرَ نِعْمَتِكَ ، وَحُسْنَ عِبَادَتِكَ ، وَأَسْأَلُكَ لِسَاناً صَادِقاً ، وَقَلْباً سَلِيماً ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا تَعْلَمُ ، وَأَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا تَعْلَمُ ، وَأَسْتَغْفِرُكَ مِمَّا تَعْلَمُ ، إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ ٱلْغُيُوبِ » . (ت ، ن ؛ عَنْ شَدَّادِ ٱبْنِ أَوْسٍ [رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ]) .

٢٦ـ « ٱللَّٰهُمَّ ؛ لَكَ أَسْلَمْتُ ، وَبِكَ آمَنْتُ ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ ، وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ ، وَبِكَ خَاصَمْتُ .

ٱللَّٰهُمَّ ؛ إِنِّي أَعُوذُ بِعِزَّتِكَ لَا إِلَـٰهَ إِلَّا أَنْتَ أَنْ تُضِلَّنِي ، أَنْتَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ ، وَٱلْجِنُّ وَٱلْإِنْسُ يَمُوتُونَ » . (م ؛ عَنِ ٱبْنِ عَبَّاسٍ [رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُمَا]) .

٢٧ـ « ٱللَّٰهُمَّ ؛ عَافِنِي فِي بَدَنِي .

ٱللَّٰهُمَّ ؛ عَافِنِي فِي سَمْعِي .

ٱللَّٰهُمَّ ؛ عَافِنِي فِي بَصَرِي .

ٱللَّٰهُمَّ ؛ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ ٱلْكُفْرِ وَٱلْفَقْرِ .

ٱللَّٰهُمَّ ؛ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ ٱلْقَبْرِ ، لَا إِلَـٰهَ إِلَّا أَنْتَ » . (د ، ك ؛

عَنْ أَبِي بَكْرَةَ [رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ]) .

٢٨ـ « اَللَّهُمَّ ؛ ٱجْعَلْنِي مِنَ ٱلَّذِينَ إِذَا أَحْسَنُوا . . ٱسْتَبْشَرُوا ، وَإِذَا أَسَاؤُوا . . ٱسْتَغْفَرُوا » . (ه ، هب ؛ عَنْ عَائِشَةَ [رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا]) .

٢٩ـ « اَللَّهُمَّ ؛ ٱرْزُقْنِي حُبَّكَ ، وَحُبَّ مَنْ يَنْفَعُنِي حُبُّهُ عِنْدَكَ .

اَللَّهُمَّ ؛ مَا رَزَقْتَنِي مِمَّا أُحِبُّ . . فَٱجْعَلْهُ قُوَّةً لِي فِيمَا تُحِبُّ ، وَمَا زَوَيْتَ عَنِّي مِمَّا أُحِبُّ . . فَٱجْعَلْهُ فَرَاغاً لِي فِيمَا تُحِبُّ » . (ت ؛ عَنْ عَبْدِ ٱللهِ بْنِ يَزِيدَ ٱلْخَطْمِيِّ [رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ]) .

٣٠ـ « اَللَّهُمَّ ؛ ٱغْفِرْ لِي ذَنْبِي ، وَوَسِّعْ لِي فِي دَارِي ، وَبَارِكْ لِي فِي رِزْقِي » . (ت ؛ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ [رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ]) .

٣١ـ « اَللَّهُمَّ ؛ إِنِّي أَسْأَلُكَ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِكَ تَهْدِي بِهَا قَلْبِي ، وَتَجْمَعُ بِهَا أَمْرِي ، وَتَلُمُّ بِهَا شَعَثِي ، وَتُصْلِحُ بِهَا غَائِبِي ، وَتَرْفَعُ بِهَا شَاهِدِي ، وَتُزَكِّي بِهَا عَمَلِي ، وَتُلْهِمُنِي بِهَا رُشْدِي ، وَتَرُدُّ بِهَا أُلْفَتِي ، وَتَعْصِمُنِي بِهَا مِنْ كُلِّ سُوءٍ .

اَللَّهُمَّ ؛ أَعْطِنِي إِيمَاناً وَيَقِيناً لَيْسَ بَعْدَهُ كُفْرٌ ، وَرَحْمَةً أَنَالُ بِهَا شَرَفَ كَرَامَتِكَ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ .

اَللَّهُمَّ ؛ إِنِّي أَسْأَلُكَ ٱلْفَوْزَ فِي ٱلْقَضَاءِ ، وَنُزُلَ ٱلشُّهَدَاءِ ، وَعَيْشَ ٱلسُّعَدَاءِ ، وَٱلنَّصْرَ عَلَى ٱلْأَعْدَاءِ .

اَللَّهُمَّ ؛ إِنِّي أُنْزِلَ بِكَ حَاجَتِي ، فَإِنْ قَصَّرَ رَأْيِي ، وَضَعُفَ عَمَلِي . . ٱفْتَقَرْتُ إِلَىٰ رَحْمَتِكَ ، فَأَسْأَلُكَ يَا قَاضِيَ ٱلْأُمُورِ ، وَيَا شَافِيَ ٱلصُّدُورِ ؛

كَمَا تُجِيرُ بَيْنَ ٱلْبُحُورِ . . أَنْ تُجِيرَنِي مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ، وَمِنْ دَعْوَةِ ٱلثُّبُورِ ، وَمِنْ فِتْنَةِ ٱلْقُبُورِ .

اَللَّهُمَّ ؛ مَا قَصرَ عَنْهُ رَأْيِي ، وَلَمْ تَبْلُغْهُ نِيَّتِي ، وَلَمْ تَبْلُغْهُ مَسْأَلَتِي مِنْ خَيْرٍ وَعَدْتَهُ أَحَداً مِنْ خَلْقِكَ ، أَوْ خَيْرٍ أَنْتَ مُعْطِيهِ أَحَداً مِنْ عِبَادِكَ . . فَإِنِّي أَرْغَبُ إِلَيْكَ فِيهِ ، وَأَسْأَلُكَهُ بِرَحْمَتِكَ يَا رَبَّ ٱلْعَالَمِينَ .

اَللَّهُمَّ ؛ يَا ذَا ٱلْحَبْلِ ٱلشَّدِيدِ ، وَٱلْأَمْرِ ٱلرَّشِيدِ . . أَسْأَلُكَ ٱلْأَمْنَ يَوْمَ ٱلْوَعِيدِ ، وَٱلْجَنَّةَ يَوْمَ ٱلْخُلُودِ ، مَعَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ٱلشُّهُودِ ، وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ، ٱلْمُوفِينَ بِٱلْعُهُودِ ، إِنَّكَ رَحِيمٌ وَدُودٌ ، وَإِنَّكَ تَفْعَلُ مَا تُرِيدُ .

اَللَّهُمَّ ؛ ٱجْعَلْنَا هَادِينَ مُهْتَدِينَ ، غَيْرَ ضَالِّينَ وَلَا مُضِلِّينَ ، سِلْماً لِأَوْلِيَائِكَ وَعَدُوّاً لِأَعْدَائِكَ ، نُحِبُّ بِحُبِّكَ مَنْ أَحَبَّكَ ، وَنُعَادِي بِعَدَاوَتِكَ مَنْ خَالَفَكَ .

اَللَّهُمَّ ؛ هَـٰذَا ٱلدُّعَاءُ وَعَلَيْكَ ٱلْإِجَابَةُ ، وَهَـٰذَا ٱلْجُهْدُ وَعَلَيْكَ ٱلتُّكْلَانُ .

اَللَّهُمَّ . ٱجْعَلْ لِي نُوراً فِي قَلْبِي ، وَنُوراً فِي قَبْرِي ، وَنُوراً بَيْنَ يَدَيَّ ، وَنُوراً مِنْ خَلْفِي ، وَنُوراً عَنْ يَمِينِي ، وَنُوراً عَنْ شِمَالِي ، وَنُوراً مِنْ فَوْقِي ، وَنُوراً مِنْ تَحْتِي ، وَنُوراً فِي سَمْعِي ، وَنُوراً فِي بَصَرِي ، وَنُوراً فِي شَعَرِي ، وَنُوراً فِي بَشَرِي ، وَنُوراً فِي لَحْمِي ، وَنُوراً فِي دَمِي ، وَنُوراً فِي عِظَامِي .

اَللَّهُمَّ ؛ أَعْظِمْ لِي نُوراً ، وَأَعْطِنِي نُوراً ، وَٱجْعَلْ لِي نُوراً .

سُبْحَانَ ٱلَّذِي تَعَطَّفَ بِٱلْعِزِّ وَقَالَ بِهِ ، سُبْحَانَ ٱلَّذِي لَبِسَ ٱلْمَجْدَ وَتَكَرَّمَ بِهِ ، سُبْحَانَ ٱلَّذِي لَا يَنْبَغِي ٱلتَّسْبِيحُ إِلَّا لَهُ ، سُبْحَانَ ذِي ٱلْفَضْلِ وَٱلنِّعَمِ ،

سُبْحَانَ ذِي ٱلْمَجْدِ وَٱلْكَرَمِ ، سُبْحَانَ ذِي ٱلْجَلَالِ وَٱلْإِكْرَامِ » . (ت ، طب ، هق ؛ عَنِ ٱبْنِ عَبَّاسٍ [رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُمَا]) .

٣٢ـ « اَللَّهُمَّ ؛ لَا تَكِلْنِي إِلَىٰ نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ ، وَلَا تَنْزِعْ مِنِّي صَالِحَ مَا أَعْطَيْتَنِي » . (اَلْبَزَّارُ ؛ عَنْ ٱبْنِ عُمَرَ [رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُمَا]) .

٣٣ـ « اَللَّهُمَّ ؛ ٱجْعَلْنِي شَكُوراً ، وَٱجْعَلْنِي صَبُوراً ، وَٱجْعَلْنِي فِي عَيْنِي صَغِيراً ، وَفِي أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ كَبِيراً » . (اَلْبَزَّارُ ؛ عَنْ بُرَيْدَةَ [رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ]) .

٣٤ـ « اَللَّهُمَّ ؛ ٱحْفَظْنِي بِٱلْإِسْلَامِ قَائِماً ، وَٱحْفَظْنِي بِٱلْإِسْلَامِ قَاعِداً ، وَٱحْفَظْنِي بِٱلْإِسْلَامِ رَاقِداً ، وَلَا تُشْمِتْ بِي عَدُوّاً ، وَلَا حَاسِداً .

اَللَّهُمَّ ؛ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ كُلِّ خَيْرٍ خَزَائِنُهُ بِيَدِكَ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ كُلِّ شَرٍّ خَزَائِنُهُ بِيَدِكَ » . (ك ؛ عَنِ ٱبْنِ مَسْعُودٍ [رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ]) .

٣٥ـ « اَللَّهُمَّ ؛ ٱنْفَعْنِي بِمَا عَلَّمْتَنِي ، وَعَلِّمْنِي مَا يَنْفَعُنِي ، وَزِدْنِي عِلْماً .

اَلْحَمْدُ لِلهِ عَلَىٰ كُلِّ حَالٍ ، وَأَعُوذُ بِٱللهِ مِنْ حَالِ أَهْلِ ٱلنَّارِ » . (ت ، ه ، [ك] ؛ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ [رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ]) .

٣٦ـ « يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ ؛ بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ » . (ت ؛ عَنْ أَنَسٍ [رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ]) .

٣٧ـ « اَللَّهُمَّ ؛ ٱفْتَحْ مَسَامِعَ قَلْبِي لِذِكْرِكَ ، وَٱرْزُقْنِي طَاعَتَكَ ، وَطَاعَةَ رَسُولِكَ ، وَعَمَلاً بِكِتَابِكَ » . (طس ؛ عَنْ عَلِيٍّ [رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ]) .

٣٨ـ « ٱللَّهُمَّ ؛ ٱجعَلْنِي أَخْشَاكَ حَتَّىٰ كَأَنِّي أَرَاكَ ، وَأَسْعِدْنِي بِتقوَاكَ ، وَلَا تُشْقِنِي بِمَعْصِيَتِكَ ، وَخِرْ لِي فِي قَضَائِكَ ، وَبَارِكْ لِي فِي قَدَرِكَ ، حَتَّىٰ لَا أُحِبَّ تَعْجِيلَ مَا أَخَّرْتَ ؛ وَلَا تَأْخِيرَ مَا عَجَّلْتَ .

وَٱجْعَلْ غِنَايَ فِي نَفْسِي ، وَأَمْتِعْنِي بِسَمْعِي وَبَصَرِي ، وَٱجْعَلْهُمَا ٱلْوَارِثَ مِنِّي ، وَٱنْصُرْنِي عَلَىٰ مَنْ ظَلَمَنِي ، وَأَرِنِي فِيهِ ثَأْرِي ، وَأَقِرَّ بِذَلِكَ عَيْنِي » . (طس ؛ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ [رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ]) .

٣٩ـ « ٱللَّهُمَّ ؛ ٱكْفِنِي بِحَلَالِكَ عَنْ حَرَامِكَ ، وَأَغْنِنِي بِفَضْلِكَ عَمَّنْ سِوَاكَ » . (ت ؛ عَنْ عَلِيٍّ [رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ]) .

٤٠ـ « ٱللَّهُمَّ ؛ ٱجْعَلْ أَوْسَعَ رِزْقِكَ عَلَيَّ عِنْدَ كِبَرِ سِنِّي وَٱنْقِطَاعِ عُمْرِي » . (ك ؛ عَنْ عَائِشَةَ [رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا]) .

٤١ـ « ٱللَّهُمَّ ؛ إِنِّي أَسْأَلُكَ إِيمَاناً يُبَاشِرُ قَلْبِي ؛ حَتَّىٰ أَعْلَمَ أَنَّهُ لاَ يُصِيبُنِي إِلَّا مَا كَتَبْتَ لِي ، وَأَرْضِنِي مِنَ ٱلْمَعِيشَةِ بِمَا قَسَمْتَ لِي » . (ٱلْبَزَّارُ ؛ عَنِ ٱبْنِ عُمَرَ [رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُمَا]) .

٤٢ـ « ٱللَّهُمَّ ؛ إِنِّي أَسْأَلُكَ عِيشَةً نَقِيَّةً ، وَمِيتَةً سَوِيَّةً ، وَمَرَدّاً غَيْرَ مُخْزِيٍّ[١] وَلَا فَاضِحٍ » . (طب ، ك ، ٱلْبَزَّارُ ، عَنِ ٱبْنِ عُمَرَ [رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُمَا]) .

٤٣ـ « ٱللَّهُمَّ ؛ أَصْلِحْ لِي دِينِي ٱلَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي ، وَأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ ٱلَّتِي فِيهَا مَعَاشِي ، وَأَصْلِحْ لِي آخِرَتِي ٱلَّتِي فِيها مَعَادِي ، وَٱجْعَلِ

---

(١) أي : غير مُذِلٍّ ، ولا موقعٍ في بلاءٍ .

ٱلْحَيَاةَ زِيَادَةً لِي فِي كُلِّ خَيْرٍ ، وَٱجْعَلِ ٱلْمَوْتَ رَاحَةً لِي مِنْ كُلِّ شَرٍّ » .
(م ؛ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ [رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ]) .

٤٤ـ « اَللّٰهُمَّ ؛ إِنِّي أَسْأَلُكَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلتُّقَىٰ ، وَٱلْعَفَافَ وَٱلْغِنَىٰ » .
(م ، ت ، ه ؛ عَنِ ٱبْنِ مَسْعُودٍ [رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ]) .

٤٥ـ « اَللّٰهُمَّ ؛ ٱجْعَلْ حُبَّكَ أَحَبَّ ٱلْأَشْيَاءِ إِلَيَّ ، وَٱجْعَلْ خَشْيَتَكَ أَخْوَفَ ٱلْأَشْيَاءِ عِنْدِي ، وَٱقْطَعْ عَنِّي حَاجَاتِ ٱلدُّنْيَا بِٱلشَّوْقِ إِلَىٰ لِقَائِكَ ، وَإِذَا أَقْرَرْتَ أَعْيُنَ أَهْلِ ٱلدُّنْيَا مِنْ دُنْيَاهُمْ . فَأَقْرِرْ عَيْنِي مِنْ عِبَادَتِكَ » .
(حل ؛ عَنِ ٱلْهَيْثَمِ بْنِ مَالِكٍ ٱلطَّائِيِّ [رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ]) .

٤٦ـ « اَللّٰهُمَّ ؛ إِنِّي أَسْأَلُكَ ٱلصِّحَّةَ ، وَٱلْعِفَّةَ ، وَٱلْأَمَانَةَ ، وَحُسْنَ ٱلْخُلُقِ ، وَٱلرِّضَا بِٱلْقَدَرِ » . (طب ؛ عَنِ ٱبْنِ عَمْرٍو [رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُمَا]) .

٤٧ـ « اَللّٰهُمَّ ؛ إِنِّي أَسْأَلُكَ ٱلتَّوْفِيقَ لِمَحَابِّكَ مِنَ ٱلْأَعْمَالِ ، وَصِدْقَ ٱلتَّوَكُّلِ عَلَيْكَ ، وَحُسْنَ ٱلظَّنِّ بِكَ » . (حل ؛ عَنِ ٱلْأَوْزَاعِيِّ وٱلْحَكِيمُ ؛ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ [رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ]) .

٤٨ـ « اَللّٰهُمَّ ؛ إِنِّي أَسْأَلُكَ صِحَّةً فِي إِيمَانٍ ، وَإِيمَاناً فِي حُسْنِ خُلُقٍ ، وَنَجَاحاً يَتْبَعُهُ فَلَاحٌ ، وَرَحْمَةً مِنْكَ وَعَافِيَةً ، وَمَغْفِرَةً مِنْكَ وَرِضْوَاناً » .
(طس ، ك ؛ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ [رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ]) .

٤٩ـ « اَللّٰهُمَّ ؛ ٱلْطُفْ بِيَ فِي تَيْسِيرِ كُلِّ عَسِيرٍ ، فَإِنَّ تَيْسِيرَ كُلِّ عَسِيرٍ عَلَيْكَ يَسِيرٌ ، وَأَسْأَلُكَ ٱلْيُسْرَ وَٱلْمُعَافَاةَ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ » . (طس ؛ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ [رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ]) .

٥٠ـ « ٱللَّٰهُمَّ ؛ ٱعْفُ عَنِّي ؛ فَإِنَّكَ عَفُوٌّ كَرِيمٌ » . (طس ؛ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ [رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ]) .

٥١ـ « ٱللَّٰهُمَّ ؛ إِنِّي عَبْدُكَ ، وَٱبْنُ عَبْدِكَ ، وَٱبْنُ أَمَتِكَ ، فِي قَبْضَتِكَ ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ ، مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ ، عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ ٱسْمٍ هُوَ لَكَ سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَداً مِنْ خَلْقِكَ ، أَوِ ٱسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ ٱلْغَيْبِ عِنْدَكَ ، أَنْ تَجْعَلَ ٱلْقُرْآنَ ٱلْعَظِيمَ نُورَ صَدْرِي ، وَرَبِيعَ قَلْبِي ، وَجِلَاءَ حُزْنِي ، وَذَهَابَ هَمِّي » . (ابْنُ ٱلسُّنِّيِّ ؛ عَنْ أَبِي مُوسَى ٱلْأَشْعَرِيِّ [رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ]) .

٥٢ـ « ٱللَّٰهُمَّ ؛ ٱحْرُسْنِي بِعَيْنِكَ ٱلَّتِي لَا تَنَامُ ، وَٱكْنُفْنِي بِكَنَفِكَ ٱلَّذِي لَا يُرَامُ ، وَٱرْحَمْنِي بِقُدْرَتِكَ عَلَيَّ ؛ فَلَا أَهْلِكُ وَأَنْتَ رَجَائِي ، فَكَمْ مِنْ نِعْمَةٍ أَنْعَمْتَ بِهَا عَلَيَّ قَلَّ لَكَ بِهَا شُكْرِي ، وَكَمْ مِنْ بَلِيَّةٍ ٱبْتَلَيْتَنِي قَلَّ لَكَ بِهَا صَبْرِي ، فَيَا مَنْ قَلَّ عِنْدَ نِعْمَتِهِ شُكْرِي ؛ فَلَمْ يَحْرِمْنِي ، وَيَا مَنْ قَلَّ عِنْدَ بَلَائِهِ[1] صَبْرِي ؛ فَلَمْ يَخْذُلْنِي ، وَيَا مَنْ رَآنِي عَلى ٱلْخَطَايَا ؛ فَلَمْ يَفْضَحْنِي ، يَا ذَا ٱلْمَعْرُوفِ ٱلَّذِي لَا يَنْقَضِي أَبَداً ، وَيَا ذَا ٱلنِّعْمَةِ ٱلَّتِي لَا تُحْصَىٰ عَدَداً . أَسْأَلُكَ أَنْ تُصَلِّيَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ آلِ مُحَمَّدٍ ، وَبِكَ أَدْرَأُ فِي نُحُورِ ٱلْأَعْدَاءِ وَٱلْجَبَّارِينَ .

ٱللَّٰهُمَّ ؛ أَعِنِّي عَلَىٰ دِينِي بِٱلدُّنْيَا ، وَعَلَىٰ آخِرَتِي بِٱلتَّقْوَىٰ ، وَٱحْفَظْنِي فِيمَا غِبْتُ عَنْهُ ، وَلَا تَكِلْنِي إِلَىٰ نَفْسِي فِيمَا حَضَرْتُهُ .

---

(١) في نسخة : (بَلِيَّتِهِ) .

يَا مَنْ لَا تَضُرُّهُ ٱلذُّنُوبُ ، وَلَا يَنْقُصُهُ ٱلْعَفْوُ . هَبْ لِي مَا لَا يَنْقُصُكَ ، وَٱغْفِرْ لِي مَا لَا يَضُرُّكَ ؛ إِنَّكَ أَنْتَ ٱلْوَهَّابُ .

أَسْأَلُكَ فَرَجاً قَرِيباً ، وَصَبْراً جَمِيلاً ، وَرِزْقاً وَاسِعاً ، وَٱلْعَافِيَةَ مِنَ ٱلْبَلَايَا ، وَأَسْأَلُكَ تَمَامَ ٱلْعَافِيَةِ ، وَأَسْأَلُكَ دَوَامَ ٱلْعَافِيَةِ ، وَأَسْأَلُكَ ٱلشُّكْرَ عَلَى ٱلْعَافِيَةِ ، وَأَسْأَلُكَ ٱلْغِنَىٰ عَنِ ٱلنَّاسِ ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللهِ ٱلْعَلِيِّ ٱلْعَظِيمِ » . (ٱلدَّيْلَمِيُّ ؛ عَنْ جَعْفَرٍ ٱلصَّادِقِ ؛ عَنْ أَبِيهِ ؛ عَنْ جَدِّهِ [رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُمْ]) .

٥٣ـ « ٱللَّهُمَّ ؛ طَهِّرْ قَلْبِي مِنَ ٱلنِّفَاقِ ، وَعَمَلِي مِنَ ٱلرِّيَاءِ ، وَلِسَانِي مِنَ ٱلْكَذِبِ ، وَعَيْنِي[١] مِنَ ٱلْخِيَانَةِ ؛ فَإِنَّكَ تَعْلَمُ خَائِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي ٱلصُّدُورُ » . (ٱلْحَكِيمُ ، خط ؛ عَنْ أُمِّ مَعْبَدٍ ٱلْخُزَاعِيَّةِ [رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا]) .

٥٤ـ « رَبِّ ؛ أَعِنِّي وَلَا تُعِنْ عَلَيَّ ، وَٱنْصُرْنِي وَلَا تَنْصُرْ عَلَيَّ ، وَٱمْكُرْ لِي وَلَا تَمْكُرْ عَلَيَّ ، وَٱهْدِنِي ، وَيَسِّرِ ٱلْهُدَىٰ لِي ، وَٱنْصُرْنِي عَلَىٰ مَنْ بَغَىٰ عَلَيَّ .

رَبِّ ؛ ٱجْعَلْنِي لَكَ شَاكِراً ، لَكَ ذَاكِراً ، لَكَ رَاهِباً ، لَكَ مِطْوَاعاً ، لَكَ مُخْبِتاً ، إِلَيْكَ أَوَّاهاً مُنِيباً .

رَبِّ ؛ تَقَبَّلْ تَوْبَتِي ، وَٱغْسِلْ حَوْبَتِي ، وَأَجِبْ دَعْوَتِي ، وَثَبِّتْ حُجَّتِي ، وَٱهْدِ قَلْبِي ، وَسَدِّدْ لِسَانِي ، وَٱسْلُلْ سَخِيمَةَ صَدْرِي »[٢] .

(ت ، د ، ه ؛ عَنِ ٱبْنِ عَبَّاسٍ [رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُمَا]) .

---

(١) تصح بالتثنية والإفراد .

(٢) أي : أخرج ما في صدري من الحسد والكِبْر وغيرهما من الأخلاق الرديئة .

٥٥ـ « اَللَّهُمَّ ؛ أَغْنِنِي بِٱلْعِلْمِ ، وَزَيِّنِّي بِٱلْحِلْمِ ، وَأَكْرِمْنِي بِٱلتَّقْوَىٰ ، وَجَمِّلْنِي بِٱلْعَافِيَةِ » . (اِبنُ ٱلنَّجَّارِ ؛ عَنِ ٱبْنِ عُمَرَ [رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُمَا]) .

٥٦ـ « اَللَّهُمَّ ؛ ٱغْفِرْ لِي ذُنُوبِي وَخَطَايَايَ كُلَّهَا .

اَللَّهُمَّ ؛ أَنْعِشْنِي ، وَٱجْبُرْنِي ، وَٱهْدِنِي لِصَالِحِ ٱلْأَعْمَالِ وَٱلْأَخْلَاقِ ؛ فَإِنَّهُ لَا يَهْدِي لِصَالِحِهَا ، وَلَا يَصْرِفُ سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ » . (طب ؛ عَنْ أَبِي أُمَامَةَ [رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ]) .

٥٧ـ « اَللَّهُمَّ ؛ إِنِّي أَسْأَلُكَ عِلْماً نَافِعاً ، وَرِزْقاً طَيِّباً ، وَعَمَلاً مُتَقَبَّلاً » . (حم ، ه ؛ عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ [رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا]) .

٥٨ـ « اَللَّهُمَّ ؛ بِعِلْمِكَ ٱلْغَيْبَ وَقُدْرَتِكَ عَلَى ٱلْخَلْقِ . . أَحْيِنِي مَا عَلِمْتَ ٱلْحَيَاةَ خَيْراً لِي ، وَتَوَفَّنِي إِذَا عَلِمْتَ ٱلْوَفَاةَ خَيْراً لِي .

اَللَّهُمَّ ؛ وَأَسْأَلُكَ خَشْيَتَكَ فِي ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَادَةِ ، وَأَسْأَلُكَ كَلِمَةَ ٱلْإِخْلَاصِ فِي ٱلرِّضَا وَٱلْغَضَبِ ، وَأَسْأَلُكَ ٱلْقَصْدَ فِي ٱلْفَقْرِ وَٱلْغِنَىٰ ، وَأَسْأَلُكَ نَعِيماً لَا يَنْفَدُ ، وَأَسْأَلُكَ قُرَّةَ عَيْنٍ لَا تَنْقَطِعُ ، وَأَسْأَلُكَ ٱلرِّضَا بِٱلْقَضَاءِ ، وَأَسْأَلُكَ بَرْدَ ٱلْعَيْشِ بَعْدَ ٱلْمَوْتِ ، وَأَسْأَلُكَ لَذَّةَ ٱلنَّظَرِ إِلَىٰ وَجْهِكَ ، وَٱلشَّوْقَ إِلَىٰ لِقَائِكَ ، فِي غَيْرِ ضَرَّاءَ مُضِرَّةٍ ، وَلَا فِتْنَةٍ مُضِلَّةٍ .

اَللَّهُمَّ ؛ زَيِّنَّا بِزِينَةِ ٱلْإِيمَانِ ، وَٱجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ » . (ن ، ك ؛ عَنْ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ [رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُمَا]) .

٥٩ـ « اَللَّهُمَّ ؛ أَنْتَ خَلَقْتَ نَفْسِي ، وَأَنْتَ تَوَفَّاهَا ، لَكَ مَمَاتُهَا

وَمَحْيَاهَا ، إِنْ أَحْيَيْتَهَا . . فَٱحْفَظْهَا ، وَإِنْ أَمَتَّهَا . . فَٱغْفِرْ لَهَا .

ٱللَّٰهُمَّ ؛ إِنِّي أَسْأَلُكَ ٱلْعَافِيَةَ » . (م ؛ عَنِ ٱبْنِ عُمَرَ [رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُمَا]) .

٦٠ـ « ٱللَّٰهُمَّ ؛ ٱغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي وَجَهْلِي ، وَإِسْرَافِي فِي أَمْرِي ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي .

ٱللَّٰهُمَّ ؛ ٱغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي[1] وَعَمْدِي ، وَهَزْلِي وَجِدِّي ، وَكُلُّ ذَٰلِكَ عِنْدِي .

ٱللَّٰهُمَّ ؛ ٱغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ ، أَنْتَ ٱلْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ ٱلْمُؤَخِّرُ ، وَأَنْتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ » . (ق ؛ عَنْ أَبِي مُوسَىٰ [رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ]) .

٦١ـ « ٱللَّٰهُمَّ ؛ ٱهْدِنِي فِيمَنْ هَدَيْتَ ، وَعَافِنِي فِيمَنْ عَافَيْتَ ، وَتَوَلَّنِي فِيمَنْ تَوَلَّيْتَ ، وَبَارِكْ لِي فِيمَا أَعْطَيْتَ ، وَقِنِي شَرَّ مَا قَضَيْتَ ، فَإِنَّكَ تَقْضِي وَلَا يُقْضَىٰ عَلَيْكَ ، وَإِنَّهُ لَا يَذِلُّ مَنْ وَالَيْتَ ، تَبَارَكْتَ رَبَّنَا وَتَعَالَيْتَ » . (٤ ، هق ؛ عَنِ ٱلْحَسَنِ بنِ عَلِيٍّ [رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُمَا]) .

٦٢ـ « ٱللَّٰهُمَّ ؛ إِنَّكَ سَأَلْتَنَا مِنْ أَنْفُسِنَا مَا لَا نَمْلِكُهُ إِلَّا بِكَ .

ٱللَّٰهُمَّ ؛ فَأَعْطِنَا مِنْهَا مَا يُرْضِيكَ عَنَّا » . (ٱبْنُ عَسَاكِرَ ؛ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ [رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ]) .

٦٣ـ « ٱللَّٰهُمَّ ؛ زِدْنَا وَلَا تَنْقُصْنَا ، وَأَكْرِمْنَا وَلَا تُهِنَّا ، وَأَعْطِنَا وَلَا

---

(١) في نسخة : (خَطَئِي) .

تَحْرِمْنَا ، وَآثِرْنَا وَلَا تُؤْثِرْ عَلَيْنَا ، وَأَرْضِنَا وَٱرْضَ عَنَّا » . (ت ، ك ؛ عَنْ عُمَرَ [رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ]) .

٦٤ـ « ٱللَّهُمَّ ؛ أَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِنَا ، وَأَلِّفْ بَيْنَ قُلُوبِنَا ، وَٱهْدِنَا سُبُلَ ٱلسَّلَامِ ، وَنَجِّنَا مِنَ ٱلظُّلُمَاتِ إِلَى ٱلنُّورِ ، وَجَنِّبْنَا ٱلْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْها وَمَا بَطَنَ .

ٱللَّهُمَّ ؛ بَارِكْ لَنَا فِي أَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَقُلُوبِنَا ، وَأَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا ، وَتُبْ عَلَيْنَا ؛ إِنَّكَ أَنْتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ، وَٱجْعَلْنَا شَاكِرِينَ لِنِعَمِكَ ، مُثْنِينَ بِهَا[1] ، قَابِلِينَ لَهَا ، وَأَتِمَّهَا عَلَيْنَا » . (طب ، ك ؛ عَنِ ٱبْنِ مَسْعُودٍ [رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ]) .

٦٥ـ « ٱللَّهُمَّ ؛ إِنَّا نَسْأَلُكَ مُوجِبَاتِ رَحْمَتِكَ ، وَعَزَائِمَ مَغْفِرَتِكَ ، وَٱلسَّلَامَةَ مِنْ كُلِّ إِثْمٍ ، وَٱلْغَنِيمَةَ مِنْ كُلِّ بِرٍّ ، وَٱلْفَوْزَ بِٱلْجَنَّةِ ، وَٱلنَّجَاةَ مِنَ ٱلنَّارِ » . (ك ؛ عَنِ ٱبْنِ مَسْعُودٍ [رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ]) .

٦٦ـ « ٱللَّهُمَّ ؛ ٱقْسِمْ لَنَا مِنْ خَشْيَتِكَ مَا تَحُولُ بِهِ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَعَاصِيكَ ، وَمِنْ طَاعَتِكَ مَا تُبَلِّغُنَا بِهِ جَنَّتَكَ ، وَمِنَ ٱلْيَقِينِ مَا تُهَوِّنُ بِهِ عَلَيْنَا مَصَائِبَ ٱلدُّنْيَا ، وَمَتِّعْنَا بِأَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَقُوَّتِنَا مَا أَحْيَيْتَنَا ، وَٱجْعَلْهُ ٱلْوَارِثَ مِنَّا ، وَٱجْعَلْ ثَأْرَنَا عَلَىٰ مَنْ ظَلَمَنَا ، وَٱنْصُرْنَا عَلَىٰ مَنْ عَادَانَا ، وَلَا تَجْعَلْ مُصِيبَتَنَا فِي دِينِنَا ، وَلَا تَجْعَلِ ٱلدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّنَا ، وَلَا مَبْلَغَ عِلْمِنَا ، وَلَا تُسَلِّطْ عَلَيْنَا مَنْ لَا يَرْحَمُنَا » . (ت ، ك ؛ عَنِ ٱبْنِ عُمَرَ [رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُمَا]) .

---

(١) أي : عليها .

٦٧ـ « ٱللّٰهُمَّ ؛ أَحْسِنْ عَاقِبَتَنَا فِي ٱلْأُمُورِ كُلِّهَا ، وَأَجِرْنَا مِنْ خِزْيِ ٱلدُّنْيَا وَعَذَابِ ٱلْآخِرَةِ » . (حم ، حب ، ك ؛ عَنْ بُسْرِ بْنِ أَرْطَأَةَ [رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ]) .

٦٨ـ « يَا وَلِيَّ ٱلْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ . ثَبِّتْنِي بِهِ حَتَّىٰ أَلْقَاكَ » . (طب ؛ عَنْ أَنَسٍ [رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ]) .

٦٩ـ « ٱللّٰهُمَّ ؛ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَ ٱلْمَسْأَلَةِ ؛ وَخَيْرَ ٱلدُّعَاءِ ، وَخَيْرَ ٱلنَّجَاحِ ، وَخَيْرَ ٱلْعَمَلِ ، وَخَيْرَ ٱلثَّوَابِ ، وَخَيْرَ ٱلْحَيَاةِ ، وَخَيْرَ ٱلْمَمَاتِ ، وَثَبِّتْنِي وَثَقِّلْ مَوَازِينِي ، وَحَقِّقْ إِيمَانِي ، وَٱرْفَعْ دَرَجَتِي ، وَتَقَبَّلْ صَلَاتِي ، وَٱغْفِرْ خَطِيئَتِي ، وَأَسْأَلُكَ ٱلدَّرَجَاتِ ٱلْعُلَىٰ مِنَ ٱلْجَنَّةِ . آمِينَ .

ٱللّٰهُمَّ ؛ إِنِّي أَسْأَلُكَ فَوَاتِحَ ٱلْخَيْرِ ، وَخَوَاتِمَهُ وَجَوَامِعَهُ ، وَأَوَّلَهُ وَآخِرَهُ ، وَظَاهِرَهُ وَبَاطِنَهُ ، وَٱلدَّرَجَاتِ ٱلْعُلَىٰ مِنَ ٱلْجَنَّةِ . آمِينَ .

ٱللّٰهُمَّ ؛ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَ مَا آتِي ، وَخَيْرَ مَا أَفْعَلُ ، وَخَيْرَ مَا أَعْمَلُ ، وَخَيْرَ مَا بَطَنَ ، وَخَيْرَ مَا ظَهَرَ ، وَٱلدَّرَجَاتِ ٱلْعُلَىٰ مِنَ ٱلْجَنَّةِ . آمِينَ .

ٱللّٰهُمَّ ؛ إِنِّي أَسْأَلُكَ أَنْ تَرْفَعَ ذِكْرِي ، وَتَضَعَ وِزْرِي ، وَتُصْلِحَ أَمْرِي ، وَتُطَهِّرَ قَلْبِي ، وَتُحَصِّنَ فَرْجِي ، وَتُنَوِّرَ قَلْبِي ، وَتَغْفِرَ لِي ذَنْبِي ، وَأَسْأَلُكَ ٱلدَّرَجَاتِ ٱلْعُلَىٰ مِنَ ٱلْجَنَّةِ . آمِينَ .

ٱللّٰهُمَّ ؛ إِنِّي أَسْأَلُكَ أَنْ تُبَارِكَ لِي فِي سَمْعِي ، وَفِي بَصَرِي ، وَفِي رُوحِي ، وَفِي خَلْقِي ، وَفِي خُلُقِي ، وَفِي أَهْلِي ، وَفِي مَحْيَايَ ، وَفِي مَمَاتِي ، وَفِي عَمَلِي ، وَتَقَبَّلْ حَسَنَاتِي ، وَأَسْأَلُكَ ٱلدَّرَجَاتِ ٱلْعُلَىٰ مِنَ ٱلْجَنَّةِ . آمِينَ » . (ك ، طب ؛ عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ [رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا]) .

٧٠ـ « يا مَنْ لَا تَرَاهُ ٱلْعُيُونُ ، وَلَا تُخَالِطُهُ ٱلظُّنُونُ ، وَلَا يَصِفُهُ ٱلْوَاصِفُونَ ، وَلَا تُغَيِّرُهُ ٱلْحَوَادِثُ ، وَلَا يَخْشَى ٱلدَّوَائِرَ ، يَعْلَمُ مَثَاقِيلَ ٱلْجِبَالِ ، وَمَكَايِيلَ ٱلْبِحَارِ ، وَعَدَدَ قَطْرِ ٱلْأَمْطَارِ ، وَعَدَدَ وَرَقِ ٱلْأَشْجَارِ ، وَعَدَدَ ما أَظْلَمَ عَلَيْهِ ٱللَّيْلُ وَأَشْرَقَ عَلَيْهِ ٱلنَّهَارُ ، وَلَا تُوَارِي مِنْهُ سَمَاءٌ سَمَاءً ، وَلَا أَرْضٌ أَرْضاً ، وَلَا بَحْرٌ مَا فِي قَعْرِهِ ، وَلَا جَبَلٌ مَا فِي وَعْرِهِ . . اِجْعَلْ خَيْرَ عُمُرِي آخِرَهُ ، وَخَيْرَ عَمَلِي خَوَاتِمَهُ ، وَخَيْرَ أَيَّامِي يَوْمَ أَلْقَاكَ فِيهِ » . (طب ؛ عَنْ أَنَسٍ [رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ]) .

ٱلثَّلَاثَةُ ٱلْأَخِيرَةُ مِنَ « ٱلْحِصْنِ ٱلْحَصِينِ » .

* * *

وَصَلَّىٰ ٱللهُ عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ . . كُلَّمَا ذَكَرَهُ ٱلذَّاكِرُونَ ، وَغَفَلَ عَنْ ذِكْرِهِ ٱلْغَافِلُونَ .

وَصَلَّىٰ عَلَيْهِ فِي ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْآخِرِينَ . . أَفْضَلَ وَأَكْثَرَ وَأَزْكَىٰ مَا صَلَّىٰ عَلَىٰ أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ .

وَزَكَّانَا بِٱلصَّلَاةِ عَلَيْهِ . . أَفْضَلَ مَا زَكَّىٰ أَحَداً مِنْ أُمَّتِهِ بِصَلَاتِهِ عَلَيْهِ .

وَٱلسَّلَامُ عَلَيْهِ وَرَحْمَةُ ٱللهِ وَبَرَكَاتُهُ ، وَجَزَاهُ ٱللهُ عَنَّا . . أَفْضَلَ مَا جَزَىٰ مُرْسَلاً عَمَّنْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ .

وَٱلْحَمْدُ لِلهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ عَلَىٰ جَمِيعِ نِعَمِهِ ، مَا عَلِمْتُ مِنْهَا وَمَا لَمْ أَعْلَمْ ، وَلَا سِيَّمَا نِعْمَةُ ٱلْإِيمَانِ وَٱلْإِسْلَامِ ، وَتَوْفِيقُهُ لِجَمْعِ هَـٰذَا ٱلْكِتَابِ .

وَأَسْأَلُهُ سُبْحَانَهُ أَنْ يَنْفَعَنِي بِهِ وَكُلَّ مَنْ نَظَرَ فِيهِ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ نَفْعاً

عَظِيماً ، يُصَاحِبُنَا فِي ٱلدُّنْيَا ، وَيُلَازِمُنَا فِي ٱلْبَرْزَخِ ، وَلَا يُفَارِقُنَا يَوْمَ ٱلدِّينِ ؛ بِجَاهِ خَيْرِ ٱلْوَسَائِلِ إِلَيْهِ ، وَأَقْرَبِ ٱلْمُقَرَّبِينَ لَدَيْهِ ، حَبِيبِهِ ٱلْأَكْرَمِ ، وَرَسُولِهِ ٱلْأَعْظَمِ : سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ سَيِّدِ ٱلْمُرْسَلِينَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ ، وَعَلَىٰ آلِهِمْ وَأَصْحَابِهِمُ ٱلْكِرَامِ .

وَنَجَزَ ذَلِكَ فِي شَهْرِ رَجَبٍ مِنَ ٱلسَّنَةِ ٱلتَّاسِعَةِ بَعْدَ ٱلثَّلَاثِ مِئَةِ[1] وَأَلْفٍ مِنْ هِجْرَتِهِ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ .

* * *

(١) في الأصل : مئتين ، وهو خطأ .

محتوى الكتاب

* * *

دار المنهاج

هذا الكتاب

إن أولىٰ من تدون شمائله ، وأن تقرع الأسماع صفاته الخَلْقيَّة والخُلُقيَّة ، وسَمْته وهَدْيه ، وأمره ونهيه.. هو أعظم عظماء الإنسانية على الإطلاق ، وأفضل المصطفين ، الرحمة المهداة ؛ سيدنا أبو القاسم محمد بن عبد الله ، النبي الأوَّاه ، صلى الله عليه وآله وسلم .

لذلك كله.. فإن فن (الشَّمائل المحمَّديَّة) الَّذي يرسل الضَّوء علىٰ صفاته البهيَّة ، ومحاسنه العليَّة ، وأخلاقه الزَّكية.. من الفنون المباركة العظيمة ؛ لأنه وسيلة من وسائل ازدياد الإيمان ، وطريق مؤدٍّ إلى امتلاء القلب بتعظيمه ومحبَّته ، واقتفاء هديه وسنَّته ، وتعظيم شعائر ملَّته صلى الله عليه وآله وسلم ، وفي ذلك السَّعادة في الدَّارين .

وهٰذا الكتاب المبارك غرة في جبين ما كتب في شمائل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، إذ هو سفر عظيم المقدار ، كثير النفع ، متَّسم بالاستيعاب ، مشتمل علىٰ ما يصبو إليه الأحباب .

أشرقت من سطوره أنوار التَّحقيق ، وسالت من صفحاته أعذب الصِّفات لسيِّد السَّادات .

صلى الله عليه وآله وسلم

وسائل الوصول إلى شمائل الرسول ﷺ

للعلامة الشيخ يوسف بن إسماعيل النبهاني

دار المنهاج